الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان



تأليف

حميد بن محمد بن رزيق

١٢٧٤هـ

تحقيق

عبد المنعم عامر

الطبعة الثالثة

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

ISBN 978-99969-0-520-9

الشعاع الشائع باللمعان

في

ذكر أئمة عمان

وما لهم في العدل من الشأن

حميد بن محمد بن رزيق

الطبعة الثالثة

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

رقم الإيداع المحلي : ٢٠١٥/٢٣٤

رقم الإيداع الدولي (ISBN) : ٩-٠٢٠-٥-٩٩٩٦٩-٩٧٨

سلطنة عُمان – ص. ب: ٦٦٨ مسقط ، الرمز البريدي ١٠٠

هاتف : ٢٤٦٤١٣٢٥ /٢٤٦٤١٣٠٠ فاكس : ٢٤٦٤١٣٣١

البريد الإلكتروني : info@mhc.gov.om

الموقع الإلكتروني : www.mhc.gov.om

تصميم الغلاف : فريق التصميم والاخراج والطباعة – وزارة التراث والثقافة

الشعاع الشائع باللمعان

في

ذكر أئمة عمان

وما لهم في العدل من الشأن

تأليف

حميد بن محمد بن رزيق بن بخيت بن سعيد بن غسان

كان حيًّا في عام ١٢٩١ هـ / ١٨٧٤ م

تحقيق

عبد المنعم عامر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

كتاب الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أسماء أئمة عُمَان لمؤلفه حميد بن محمّد بن بخيت بن رزيق كتاب فريد بين كتب التواريخ، فهو عبارة عَنْ قصيدة شعرية نظمها ابن رزيق في ستة وأربعين ومائة بيت من الشعر، وضمّنها أسماء أئمة عُمَان من قبل الإمام أحمد بن سعيد، وعددهم خمسة وعشرون إمامًا، أولهم الإمام الْجُلَنْدَى بن مسعود، وآخِرهم الإمام سلطان بن مرشد.

وتنتظم هذه القصيدة سيرة هؤلاء الأئمة خلال ألف عام تقريبًا، من بينها مدة مائتي سنة، يقول المؤرخون العُمَانيون: إنَّهم لم يجدوا فيها تاريخًا لواحد من الأئمة، ويرجح هؤلاء المؤرخون، والله أعلم، أنَّها كانت سنين فترة خلت من عقد الإمامة.

والإمامة فكرة مذهبية، أساسها عقيدة دينية، واختيار الإمام ونصبه مردود أمره إلى أهل الاستقامة في الدين، الذين يتشاورون فيما بينهم، ويختارون لأنفسهم إمامًا، يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عَنْ المنكر، وفق مَا جاء في القرآن الكريم، وفي سنة النبي الأمين.

وإذا اختار المسلمون لهم إمامًا وجبت عليهم طاعته فيما يأمرهم به وفيما ينهاهم عنه، فهو لهم راعٍ وكل راعٍ مسؤولٌ عَنْ رعيته، وطاعة الإمام واجبة له عَلَىْ رعيته في أمور الدنياً وفي أمورً الآخرة، وإليه ترجع الأمور، فهو الذي يقيم الولاة، وينصب القضاة، ويجبي الأموال، ويقيم الحدود وفق قواعد الدين، وأداء للأمانة التي حملها الإمام.

وكذلك كان حال الإمامة عَلَىْ نحو مما ذكره ابن رزيق في كتابه الشعاع الشائع باللمعان، وفي كتابه الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، وعلى مَا رواه صاحب كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، وذكره كثيرٌ من المؤرخين العُمَانيين.

وإن المتتبع لتاريخ الإمامة والأئمة في عُمَان كما جاء في هذه الكتب وفي

غيرها يجد أن الإمامة قد عاشت حياتها كما يعيش الأفراد حياتهم، وأن عمر الإمامة مثل عمر الأفراد، طفولة، ومراهقة، وشباب، وكهولة، وشيخوخة، وهي كالأفراد أيضًا، بعضها يولد هزيلًا مريضًا، وبعضها يولد صحيحًا مُعافى، تمتد حياته ويطول عمره، وهي كذلك مثل الأفراد، يصيبها موت الفجاءة أحيانًا، وأحيانًا يدبُّ فيها الفناء، فتموت عضوًا عضوًا حَتَّى ينتهي أجلها.

وليس بدعًا أن تكون حياة الإمامة عَلَىٰ هذه الصورة، فهذا شأن كلِّ موجود ماديًّا كان الوجود أو معنويًّا.

والمؤرخون العُمَانيون يذكرون، أنَّه بعد مَا وقعت الفتنة، وافترقت الأمة، وصار الملك والسلطان إلى معاوية بن أبي سفيان لم يكن للأمويين شأنٌ في عُمَان حَتَّى صار الملك إلى عبدالملك بن مروان، فاستعمل عبدالملك الحجّاج بن يوسف الثقفي عَلَىٰ العراق، فكان الحجّاج يبعث غزاته إلى عُمَان، والعُمَانيون يفضون جموعه، ويبيدون عساكره في مواطنٍ كثيرةٍ بقيادة سلطانهم سليمان، وسعيد ابني عباد بن عبد بن الجُلُنْدَى.

واستمر الحال كذلك حَتَّى ولي الخلافة الوليد بن عبدالملك فعزل العمال الذين كَانُوا عَلَىٰ عُمَان، واستعمل عليها صالح بن عبدالرحمن.

ولما مات الوليد بن عبدالملك وولي الأمر بعده أخوه سليمان بن عبدالملك رأي أن يكون عمال عُمَان عَلَىٰ مَا كَانُوا عليه قبل دولة بني أمية، وأبقى صالح بن عبدالرحمن مشرفًا عليهم، وولى يزيد بن المهلب الأزدي العراق وخراسان، فاستعمل يزيد أخاه زيادًا عَلَىٰ عُمَان.

ولَمَّا ولي عمر بن عبدالعزيز استعمل عَلَىٰ عُمَان عدي بن أرطأة الفزاري، ثم عزله، واستعمل بعده عَلَىٰ عُمَان عمر بن عبدالله الأنصاري.

ولَمَّا مات عمر بن عبدالعزيز قال عمر بن عبدالله لزياد بن المهلب: هذه البلاد بلاد قومك، فشأنك وإيّاهم، وقام زياد بن المهلب في عُمَان حَتَّى ظهر أبو العباس

السفـاح، وصار ملك بني أمية للدولة العباسيـة. فاستعمل العباسيون عَلَىْ عُمَان جنـاح ابن عبادة الهنائي، ومن بعده ولي عُمَـان محمّد بن جناح، وصارت ولاية عُمَان لهم.

وعند ذلك عقدوا الإمامة للجُلَنْدَى بن مسعود، وهو أول أئمة العدل بعُمَان، وكان إمامًا فاضلًا، عادلًا، تقيًا، متواضعًا لله، استقامت له الأمور سنتين وشهرًا، فأرسى للإمامة قواعدها، وأقام لهـا معالمها، وكان من بعـده الأئمة عَلَىْ النحو الذي يرويه ابن رزيق في الكتاب، يضعف شأن الإمام حَتَّى كان إذا جاء السلطان إلى عُمَان، يجبي أهلها، ليعتزل الإمام من بيت الإمامة إلى بيت نفسه، ولا يستطيع الإمام أن يمنع سلطانًا من بغي أو ظلم، فإذا خرج السلطان من عُمَان رجع الإمام إلى بيت الإمامة، ووضع تاج الإمامة عَلَىْ رأسه، وقال لمن حوله: لا حكم إلا الله، ولا طاعة لمن عصا الله.

وكان هـذا شـأن الإمام الحواري بن مطرف الحداني مـع القائم بالأمر من قبل الخليفة في بغداد.

وفي سنوات ملك النباهنة، وهي تزيد عَلَىْ خمسمائة سنة، كان النّاس يعقدون عَلَـىْ الأئمـة، والنبهانة ملـوك في شيءٍ من البلـدان العُمَانيـة، والأئمة في بلدان أخرى.

وساء شأن الإمامة فاتخذها النّاس سبيلًا لإثارة الحَمِيَّات والعصبيّات كما كان الشأن حينما توفى الإمام سلطان بن سيف الثاني، ومال النّاس إلى أن يكون الإمام مـن بعده، ولده سيف بن سلطان الثـاني، وكان سيف يومئذٍ صغيرًا لم يبلغ الحلم، ولا تجـوز إمامته في الصلاة؛ ولكـن أهل العلم والحلم والـورع أرادوا أن تكون الإمامـة لشيخ مهنّـا ابن سلطان، فلمّا سكنت الحـركات وانهدت النّاس ادخلوا مهنّا بن سلطـان الحصن خفية وعقدوا له الإمامة في الشهر الذي مات فيه الإمام سلطان بن سيف الثاني.

وفي سنة ١٧٢٤م عند مَا استقر أمر الدولة بلعرب بن ناصر بايعه رؤساء البلدان وشيوخ القبائل العُمَانية عَلَىْ أنَّه القائم بأمور الدولة، وعلى أن الإمامة للإمام سيف ابن سلطان.

ولقد كان التكوين البشري للمجتمع العُمَاني ذا أثر كبير في شؤون الإمامة والولاية، ولعبت الحَمِيَّات والعَصَبِيَّات والنعرات القبلية دورًا هامًا في استقرار الأمور حينًا، وفي اضطرابها أحيانًا، فشهد تاريخ عُمَان سلسلة طويلة من الحوادث والأحداث.

وكان امتداد سواحل عُمَان عَلَىْ بحر عُمَان وعلى الخليج العربي سببًا في انطلاق الشعب العُمَاني لمَّا وراء البحار، وفي أن يكون لعُمَان سفن تجارية وأساطيل حربية، وحصون وأبراج مشيدة.

وقد نشط الشعب العُمَاني نشاطًا كبيرًا في القرن الثامن عشر الميلادي، فوصلت شعاعات حضارته إلى ساحل إفريقيا الشرقية، وإلى بلاد شرق المحيط الهندي، وكان العَلَمُ العُمَاني العربي يرفرف عَلَىْ زنجبار وممباسا وبلدان أخرى، وكان العُمَانيون من أوائل الذين اكتشفوا وسط أفريقيا وقد توغلوا في جهاتها وبين أحراشها، وكان لهم فضل كبير في نشر الدين الإسلامي فيها.

* * *

وفي ضوء هذه الحقائق نظم ابن رزيق قصيدته، الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أسماء أئمة عُمَان.

ومما لا شك فيه أنَّ ابن رزيق قد نظم هذه القصيدة بعد أن ألف كتاب (سيرة الإمام أحمد بن سعيد وأولاده) وهو الجزء الثاني من كتابه المسمى: (الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين)، كما يبين مما ذكره ابن رزيق في صحيفة ٢٩٥ من هذا الكتاب (الشعاع الشائع باللمعان) وقبل أن يضيف إلى سيرة الإمام أحمد بن سعيد وأولاده، الجزء الأول من كتاب الفتح المبين، الخاص بأئمة عُمَان.

ولقد نظم ابن رزيق هذه القصيدة من بحر الوافر ووزنه، مفاعلتن مفاعلتن فعولن، مرتين؛ ولهذا الوزن بين أوزان بحور الشعر ميزة الجرس الدافق، والرنين الموسيقي الأخاذ.

ويبدو أنَّ ابن رزيق قد نهج في تدوين هذا الجزء من التاريخ العُمَاني إلى هذا النهج الأسلوبي؛ ليسير شعره بين النّاس سمرًا لهم في مجالسهم، يتحدثون به؛ وليصير ذكره بين القوم مزمارًا يطربون به وينشدونه. وليس هذا ببعيد، فابن رزيق عاش حياة السمر، طفلًا، وشابًا، وكهلا، وشيخًا، وهو يعلم أن الشعر أسهل حفظًا وأوسع انتشارًا، وكذلك كان العرب ينظمون الشعر، تسجيلًا لحوادثهم وأيّامهم.

* * *

وقد عمد ابن رزيق إلى قصيدته الشعاع الشائع باللمعان، فاتخذ منها كتابًا عَلَىٰ نمط الكتب المعروفة بكتب المتون والشروح، ذلك أنَّه يذكر البيت من الشعر، ثم يشرح مفردات البيت شرحًا لغويًا، مع بيان موقع كل كلمة فيه من الإعراب النحوي، وَمَا في البيت من بلاغة، ثم يشرح المعنى الكُلّي للبيت، ويعقب بعد هذا بذكر الجانب التاريخي الذي يتضمّنه البيت.

ويستطرد ابن رزيق في ثنايا الكتاب، فيتجاوز ذكر مَا يقتضيه المقام إلى ذكر تواريخ أخرى، ومباحث علمية قد لا تكون لها أي صلة بالمدلول الأصلي، وتبدو للقارئ وكأنَّها بعيدة كل البعد عَنْ المادة التاريخية كما ذكره ابن رزيق في أبواب علم المنطق، وَمَا نقله من كتاب المعيار لأبي حامد الغزالي. وهذه عادة ابن رزيق في كل مؤلفاته، يدفعه إليها تدافق مداركه ومعارفه، وربما تطيب له إبانة منه عَنْ واسع إطلاعه وطول باعه في ألوان العلم والمعرفة.

فابن رزيق المؤرخ عالم بين علماء عصره، له مقدرته اللغوية وأسلوبه المميز، وله مكانته في نظم الشعر وفي قول النثر، وهو محيط بعلوم اللغة والأدب والفقه، ولقد

قـرأ كثيرًا من كتب التاريخ، فاستقامت لـه الحوادث والروايات، وكانت له رؤية صادقة في عرض الوقائع وذكر الأحداث.

* * *

ولا بد أن يكون هناك مؤرخون عُمَانيون وغير عُمَانيين قد سبقوا ابن رزيق في تدوين تاريخ أئمة عُمَان، وكانت لهم مؤلفاته، منها مَا هو معروف، ومنها مَا هو مجهول، وَمَا هو مَا احترق؛ بسبب الفتن والأحداث، ولا شك في أن ابن رزيق قد قـرأ من هذه الكتب مَا كان موجودًا في عصره، وأنَّه قد سمع مَا يذكره المُسنّة من الشيـوخ عَنْ الأحداث في رواياتها المتواترة، وغير المتواترة، وأنَّه قد تحصل له من كل ذلك ثروة تاريخية، استطاع بها أن يزود التاريخ العُمَاني بعديد من المؤلفات.

ولقد كانت لابن رزيق مكانةً خاصةً عند السادة البوسعيديين وصلةً قويةً بهم متوارثـة عَـنْ الآباء والأجداد، وقد مكنتـه هذه الصلة مـن أن يعايش الوقائع في منابتهـا الأولى، وأن يعرف من أسرار الأمور مَـا دقَّ منها وخفى، مما لم يتح مثله لغيره من المؤرخين.

وإنَّه ليقول في كتاب (الشعاع الشائع باللمعان) صحيفة ٢٥٩ (أنَّه وقف عَلَىْ كتـاب من إمام صنعاء إلى الإمام سيف بن سلطـان وقرأه، وَمَا أحب أن يسطر مَا فيه في الكتاب، لقبح كلامه الشنيع، الذي لا يصدر من مليح، وكان هذا في صدد سـرده لأسباب الحرب التي قامت بين إمـام عُمَان وبين إمام صنعاء والتي كانت نهايتها، أن أذعن إمام صنعاء بالطاعة إلى الإمام سيف.

ولا يضـير أي مؤرخ، أو يقلل من جهده، أن يكون اعتماده عَلَىْ من سبقه من المؤرخـين، فالإنسان والكون تاريخ متصل منذ بدء الخليقة، واعتماد مؤرخ عَلَىْ مـن سبقه أمر طبيعي، فنتـاج السلف هو ميراث الخلف، وليس مما يعاب عَلَىْ ابن رزيق أن يكون قد اعتمد في التاريخ لأئمة عُمَان عَلَىْ كتاب (كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة) لمؤلفه المؤرخ العُمَاني سعيد بن سرحان الأزكوي.

بيد أن المطلع عَلَىْ كُتب التاريخ العُمَانية؛ ليلمس بوضوح ذاتية ابن رزيق فيما يذكره، وفيما يرويه عَنْ غيره، فهو ينقل الروايات، ويذكر الحوادث، ويقارن بينها، ويذكر مَا صحَّ عنده منها، وهو يناقش الرواة فيما يسمعه منهم حَتَّى يصح عنده الخبر فيرويه في تصوير واضح، ولغة سهلة، وسرد محكم الربط، مما أضفى عَلَىْ كتبه الجلاء والصدق، والرؤية المحيطة بتواريخ الأحداث والوقائع.

وإن كتاب الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عُمَان لابن رزيق لهو كتاب ذو لون جديد، لم يسبق ابن رزيق إلى مراده مؤرخ عُمَاني آخر، وهو كتاب يكسب مؤلفه المقدرة، ويبين عمَّا لابن رزيق من فحولة، فقد تناول نفس التاريخ في هذا الكتاب ((الشعاع الشائع باللمعان)) واستطاع ابن رزيق تاريخ أئمة عُمَان في كتابه (الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين) وتناول ابن رزيق أن يجعل كلا الكتابين عَلَىْ منهج لا يغنى أحدهما به عَنْ الآخر، وذلك لمَّا أضفاه عَلَىْ كتاب الشعاع الشائع باللمعان من جِدّة في المنهج وفي الأسلوب، ومن ناحية ترتيب الحوادث وسرد الوقائع، ولمّا ضمَّنه الكتاب من معارف لغوية ونحوية وبلاغية يستفيد بها القارئ في أسلوب قصصي.

* * *

وكتاب الشعاع الشائع باللمعان، مخطوط في مكتبة كمبريدج منذ عام ١٩٣٦م، والراجح أن يكون هذا الكتاب قد آل إلى هذه المكتبة واحدًا من جملة المخطوطات العُمَانية التي كانت في مكتبة القسيس الإنجليزي (برسي بادجر) وكان قد تبرع بها من بعد موته إلى مكتبة جامعة كمبريدج.

وهذا القسيس الإنجليزي كان راعيًا لكنيسة (بومباي) في الهند، وتعلم اللغة العربية، وقد أوفدته السلطة البريطانية بالهند في مهمة سياسية لعُمَان، وقد زار مسقط والتقى بالسيد ثويني بن سعيد بن سلطان، فأهداه السيد مجموعة من الكتب التاريخية العُمَانية، تضمُّ عددًا من كتب ابن رزيق التاريخية.

ويقع هذا الكتاب في خمس وسبعين ومائة صحيفة من القطع المتوسط بمقاس ٢١ سم طـولًا، و١٥ سم عرضًا، ومسطرة السطـر ١٠ سم، وفيه حوالي عشر كلمات، وتخلـو هوامش المخطوطة من الإضافات أو الشـروح أو التعليقات، فيما عدا أسماء الأئمة مكتوبة حذاء أبيات الشعر.

والمخطوطة مكتوبة بالقلم الهندي وبالخط النسخ، وأما أبيات الشعر فمكتوبة بالخط الثلث، وهي مرتبة بالأرقام، ومعقبة أيضًا.

وقد تأثـرت أوراق المخطوطة إلى حدٍّ ما، ففي بعض صفحاتها يظهر الكشط كثـيرًا، وفي بعض آخَر تبـين الكلمات مطموسـة الحروف، وقـد كان لكتاب الفتـح المبين في سـيرة السادة البوسعيديين فضل في تبيـان مَا كشط أو طمس من كلمـات، حيث تتفـق الوقائع وتتوافق العبـارات والأساليـب، إلى جانب فضل المراجـع التاريخية الأخرى، والجهد الذي يبذلـه المحقق في الكشف عَنْ حقائق رسـوم الكلمات ومعرفتها. ولا إخالني في حاجة إلى القول، بأن مخطوطة كتاب (الشعاع الشائع باللمعان) مخطوطة فريدة.

والمخطوطـة تخلو من اسم ناسخهـا ومن ذكر تاريخ نسخهـا، بل إن آخِرها يعتبر مبتورًا، فلم تختم المخطوطة بما تختم به الكتب والمخطوطات عادةً، بالحمد لله، والصلاة عَلَىْ رسله؛ ولهذا فإني أرجح أن يكون ناسخها هو ابن رزيق نفسه، للمشابهـة الواضحـة بين خطها وخـط ابن رزيـق المعلوم في مخطوطاته وكتبه الأخـرى، وأن يكـون ابن رزيق لم يكن قد انتهى بعد من ختم الكتاب بما يرى أن تكون عليه خاتمته.

ولقد قمـت بتبويب الكتاب، وتقسيم أسلوبـه إلى عبارات وإلى جمل مرقمة بعلامات الترقيم، حَتَّى يكون مضمون الكتاب أكثر وضوحًا وأقرب فهمًا، وكان منـي الشـرح والهوامش مع إضافة بعض التعليقـات التاريخية والزمنية، وصولًا بالكتاب إلى أن يحقق الهدف المنشود من نشره.

وقد عنيت بأن تنشـــر القصيدة جملة، فتنضم أبياتها، بعضها إلى بعض، حَتَّى يسهل عَلَىْ القارئ تذوقها، وإدراك صورها وأساليبها وأخيلتها.

* * *

وبعـد، فقـد بقي لي أن أسجل تقديري وإعظامـي إلى تلك الجهود الطيبة التي تبذلها دائرة المخطوطـات والمؤلفات العُمَانية بوزارة التراث القومي، حدبًا منها عَلَىْ أداء رسالتها.

المحقق

عبدالمنعم عامر

١٩٧٨/٧/١٠

القصيدة

عُمَانُ عَنْ لِسانِ الْحَالِ رُدِّي … جَوابًا مِنْكِ لِي أَرْجُو الجَوَابَا
أَمَا عَيْنٌ إِلَيْكِ لَهَا دُمُوعٌ … عَلَى مَنْ جِسْمُهُمْ أَضْحَى تُرَابَا
لَعَمْرُكِ ذِكْرِي مَنْ ذَكَرْتُهُ … صَحَائِفُ عَنْهُمُ لَنْ تُسْتَرَابَا
هُمُ كَانُوا لِدِينِ اللهِ كَفًّا … وَسَيْفًا لا يَمَلُّونَ الضِّرَابَا
أَئِمَّةٌ أُمَّةٍ كَانُوا فَبَانُوا … كَغَيْمٍ صَبَّ فَانْقَشَعَ انْجِيَابَا
أَقَامُوا الْعَدْلَ بِالْعَزْمِ الَّذِيِّ لا … إِلَى الْمُعْوَجِّ يَنْخَفِضُ انْتِصَابَا
سَقُوا أَسْيَافَهُمْ بِدَمِ الأَعَادِي … وَمَا أَصْدُوا بِطَعْنِهِمُ الحِرَابَا
أَعَزُّوا الإِسْتِقَامَةَ، والأَعَادِي … لَهُمْ ذَلُّوا، وَمَا نَصَرُوا العِتابا
إِذا بَاغِي الشَأمِ سَطَا بِكَفٍّ … إِلَى أَجْنَادِهِ عَدُمَ الرِّقَابَا
وَعَضَّ أَمِيرُهُم كَفًّا وعَفَّتْ … كَوَاعِبُهُ بِأَدْمُعِهَا الخِضَابَا
وَقَالَتْ: مَا الإِبَاضِيّون إلا … أُسُودٌ يَدَّعُونَ عُمَانَ غَابَا
نَعَمْ وَهُمُ أُسُودُ الْغَابِ كَانُوا … فَمَا مَسْعَاهُمُ لِجِهَادِ خَابَا
وَمَا عَنْ عَدْلِهِمْ عَدَلُوا لِجَوْرٍ … وَلاَ هَتَكُوا لِمَحْجُورٍ حِجَابَا
لِدِينٍ لاَ لِدِينَارٍ هَوَاهُمْ … فَفَاتُوا الرَّيْبَ وَاجْتَنَبُوا الرَّبَابَا
شُرَاةٌ تَابَعُوا سُنَنًا حَكَاهَا … رَسُولُ اللهِ واتَّبَعُوا الكِتَابَا
إِذَا بَاغِي العِرَاقِ سَقَاهُ رَأْيٌ … لِفَلَّةِ بَأْسِهِمْ شَرِبَ السَّرَابَا
كَفَى فَخْرًا عُمَانَ بِالْجُلَنْدَى … إِذَا اصْطَخَبَتْ بِمَفْخَرِهِ اصْطِخَابَا
وَمَنْ ذَا كَابْنِ مَسْعُودِ الْجُلَنْدَى … إِمَامٌ سَيْفُهُ هَجَرَ القِرَابَا
حَمِيدًا عَاشَ وَهْوَ قَضَى شَهِيدًا … بِجِلْفَارٍ، فَلاَ عَدُمَ الثَّوَابَا
تَخَضَّبَ جِسْمُهُ بِدَمٍ فَأَضْحَى … إِلَيْهِ ثَوَابُ خَالِقِهِ الثِّيَابَا
وَوَارِثُ وَارِثٌ عِلْمًا وَحِلْمًا … إِمَامٌ سَعْيُهُ بِالْعَدْلِ طَابَا

وَلَمَّا جَاءَ عَنْ هَارُونَ عِيسَى ... يَحُثُّ لِجُنْدِهِ الْخَيْلَ العِرَابَا
فَسِرْ يَا فَارِسٌ وَشْكًا إِلَيْهِمْ ... فَإِنَّ الرَّوْعَ عَنْ حَوْبَاكَ غَابَا
فَبَادَرَ فَارِسٌ أَجْنَادَ عِيسَى ... فَأَطْعَمَهُم وَخَيْلَهُمُ الكِلَابَا
وَفِي قَيْدٍ غَدَا بِصُحَارَ عِيسَى ... فَسَقَّتْهُ الشُّرَاةُ الْحَتْفَ صَابَا
حُسَامُ سَلِيْلِ كَعْبٍ مَا حَكَاهُ ... شِهَابٌ إِذْ بِهِ بَهَرَ الشِّهَابَا
وَمَنْ كَسَلِيلِ كَعْبٍ لا بِخَطْبٍ ... يَثَلِّمُ لِلْجَهَابِذَةِ الْخِطَابَا
قَضَى لَيْلًا بِسَيْلٍ عَمَّ نَزْوَى ... فَمَا أَبْقَى إِلَى سَيْلٍ عُبَابَا
وَغَسَّانُ الهُمَامُ إِمَامُ عَدْلٍ ... بِنَارِ وَغًى أَعَادِيهِ أَذَابَا
وَقَدْ قَطَعَ البَوَارِجَ عَنْ عُمَانٍ ... فَمَا مِنْهُمْ لَهَا بِالشَّرِّ آبَا
قَضَى لا نَاطِقٌ عَنْهُ بِلَعْنٍ ... لِسَانٌ شَبَّ فِي ثَغْرٍ وَشَابَا
وَنَجْلُ حُمَيْدٍ فَهْوَ إِمَامُ عَدْلٍ ... تَفَانَى بَعْدَ مَا أَفْنَى الشَّبَابَا
وَنَاظَرَهُ الْمُهَنَّا فِي جِهَادٍ ... فَمَا نَظَرَ العَدُوُّ لَهُ ارْتِقَابَا
إِمَامٌ أُمَّةٌ فِي كُلِّ عَيْنٍ ... يُرَى وَبِنَابِهِ السَّيْفُ اسْتَنَابَا
وَمَا هُوَ سَيْفُهُ سَيْفٌ كَهَامٌ ... وَلا سَيْفًا لِأَهْلِ الْبَغْيِ هَابَا
وَلَمَّا آلُ مُهْرَةَ خَالَفُوهُ ... وَحَادُوا فِي عُتُوِّهِمِ الصَّوَابَا
أَتَاحَ لَهُمْ قُيُودًا عَائِقَاتٍ ... وَسِجْنًا يُوجِسُ الأَبْصَارَ بَابَا
وَمُذْ شَهِدُوا التَّبَابَ دَنَا فَتَابُوا ... وَكَانَ يُقِيلُ مِمَّنْ قِيلَ تَابَا
فَفَكَّهُمُ وَقَدْ نُصِبَتْ بِفَرْقٍ ... إِلَيْهِمْ وَهْيَ سَارِيَةٌ عِقَابَا
فَأَدُّوا حَوْلَهَا مِمَّا عَلَيْهِم ... إِلَيْهِ أَوْجَبَ الشَّرْعُ النِّصَابَا
كَسَاهُ هَيْبَةً رَبُّ الْبَرَايَا ... فَلَيْسَ بِهَا اتَّقَى الأُسْدَ الغِضَابَا
وَأَحْسَبُ لَوْ عَلَيْهَا يَنْضُو نَابًا ... لَمَا أَبْقَى لَهَا ظُفْرًا وَنَابَا
فَمَاتَ بِهَيْبَةٍ لَمْ تَنْبُ حَدًّا ... وَعَدْلٍ بِالإِضَاءَةِ مَا تَغَابَا

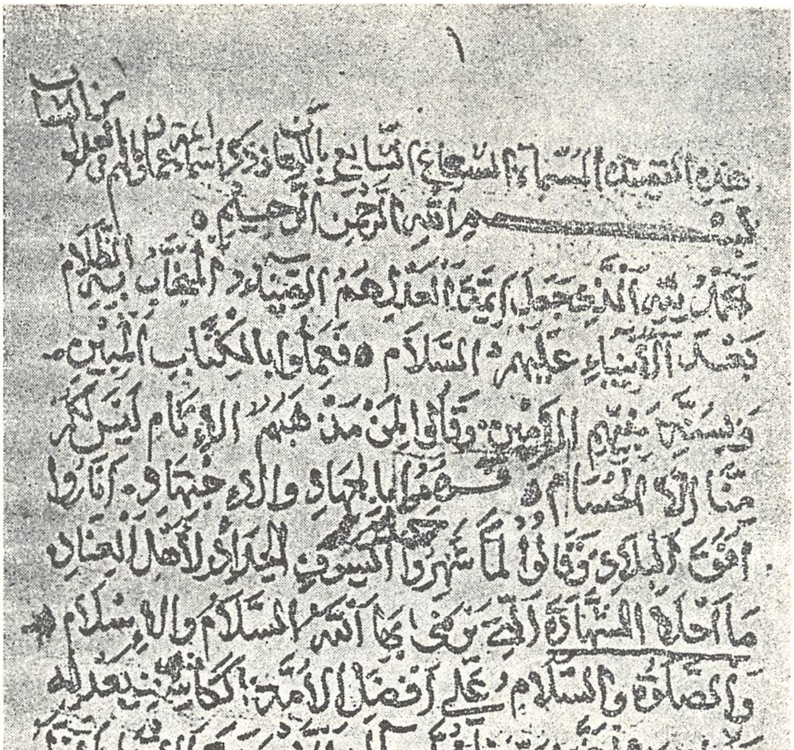
فَبُويِعَ بَعْدَهُ الصَّلْتُ انْتِصَارًا ... لِدِينِ اللهِ طَوْعًا لا اغْتِصَابَا
وَفَاضَ الْعَدْلُ مِنْهُ في عُمَانٍ ... وَمَا أَلْفَتْ بِسِيرَتِهِ الْخَرَابَا
فَعَمَّرَ في الإِمَامَةِ وَهْوَ عَدْلٌ ... وَلَمْ يُحْدِثْ إِلَيْهِ الفِعْلُ عَابَا
وَفِي رِجْلَيْهِ لَمَّا ابْتَثَّ ضَعْفٌ ... وَلَمْ يَسْطِعْ إِلَى السَّيْفِ اجْتِذَابَا
فَعَنْ بَيْتِ الإِمَامَةِ لَيْسَ عَنْهَا ... تَخَلَّى فَهْيَ كَانَتْ مِنْهُ قَابَا
فَمَاتَ بِغَيْرِ عَزْلٍ مِنْ شُيُوخٍ ... وَشُبَّانٍ لَهُمْ أَعْلَوا جَنَابَا
وَجَلَّتْ بَعْدَهُ فِتَنٌ أَثَارَتْ ... قَتَامًا غَيْمُهُ تُزْرِي السَّحَابَا
وَكَادَتْ مِنْ مَلَاحِمِهَا عُمَانٌ ... يُخَاطِبُ بُومُهَا فِيهَا الْغُرَابَا
إِلَى أَنْ قَالَتِ العُلَمَاءُ طُرًّا ... سَعِيدٌ، قُمْ لَهَا وَلَهُمْ أَجَابَا
رُحَيْلِيٌّ لِدِينِ اللهِ يَصْبُو ... وَلِلدُّنْيَا نُهَاهُ مَا تَصَابَا
وَمَن ذا مِثْلُهُ نَسَبًا وَمَجْدًا ... بِمُنْسَبِهِ يُنَسِّي الانْتِسَابَا
نَمَتْهُ قُرَيْشُ أَسْرَارًا فَكَادَتْ ... بِهِ أَعْفَى الرُّبُوعِ تُرَى عِشَابَا
قَضَى بِسُيُوفِ أَعْدَاهُ شَهِيدًا ... فَحَازَ الْعَذْبَ وَاقْتَسَمُوا الْعَذَابَا
وَمَا سَعْيُ الخَلِيلِ قَلَاهُ خِلٌّ ... يُعَلِّلُهُ سَجَايَاهُ العِذَابَا
إِمَامَتُهُ بِهَا افْتَخَرَتْ عُمَانٌ ... وَمَا في فَخْرِهَا ادَّعَتْ الكِذَابَا
كَفَاهَا نَجْلُ شَاذَانٍ عُمَانٌ ... إِمَامًا مَا بِهَا خَلَلًا أَصَابَا
وَمِنْهُ مَا رَأَتْ خَلَلًا لِعَدْلٍ ... وَلَمَّا مَاتَ أَوْرَثَهَا الْمُصَابَا
وَنَجْلُ سَعِيدَ رَاشِدَ سُمُّ خَصْمٍ ... تَرَاهُ عِدَاتُهُ صِلًّا حُبَابَا
إِمَامٌ فَاضِلٌ يُثْنِي بِحَمْدٍ ... بِحَمْدِ مَنْ لِخَالِقِهِ أَنَابَا
وَحَفْصٌ مِثْلُهُ وَفَتَى عَلِيٍّ ... وَمُوسَى ثُمَّ مَالِكُ لَنْ يُعَابَا
وَمِثْلُهُمُ أَبُو الْحَسَنِ اسْتَنَارَتْ ... عُمَانُ بِهِ وَرَوْنَقُهَا اسْتَطَابَا
إِمَامٌ عَادِلٌ فَقَضَى وَلِيًّا ... وَمَا اقْتَدَرَ الخَلُوبُ لَهُ اخْتِلَابَا

بَكَتْهُ عُمَانُ لَمَّا مَاتَ حَتَّى ... أَعَارَتْ كُلَّ مُنْتَحِبٍ انْتِحَابَا
وَأَتْحَفَهَا فَتَى الْخَطَّابِ بُشْرًا ... وَمِنْ عَجَبٍ بِهِ اجْتَلَتِ الْعُجَابَا
وَقَالَتْ: أَنْتَ يَا عُمَرٌ نَظِيرٌ ... إِلَى عُمَرٍ فَعَدْلُكُمَا تَرَابَا
وَهَيْبَتُهُ أَتَتْكَ بِغَيْرِ دَاعٍ ... لِقَلْبِكَ بِأْسُهَا انْقَلَبَ انْقِلابَا
فَأَنْتَ إِمَامُ عَدْلٍ تُدْرِي مِمَّا ... بَنُو نَبْهَانَ حَازُوهُ اغْتِصَابَا
هُمُ ظَلَمُوا الْعِبَادَ فَرُدَّ مِمَّا ... هُمُ ظَلَمُوا وَفِيْهِ غَدَوْا صِحَابَا
فَقَسَّمَهُ فَتَى الْخَطَّابِ عَدْلًا ... عَلَى الْفُقَرَاءِ قُرْبًا وَاغْتِرَابَا
فَمَاتَ حَمِيْدَ فِعْلٍ وَاشْتَرَاهَا ... سَلِيلُ مُفَرِّجٍ وَلَهَا اسْتَجَابَا
إِمَامَةُ عَدْلٍ لا لِلظُّلْمِ تُعْزَى ... وَمَا فِيْهَا رَأَي الشَّهْمُ ارْتِيَابَا
فَمَاتَ مُحَمَّدٌ بِوَمِيْضِ حَمْدٍ ... وَلِلرَّبْخِي سَعَى الشَّأْنُ انْسِيَابَا
فَصَارَ هُوَ الإِمَامُ إِلَى عُمَانٍ ... بِهِ احْتَسَبَتْ لِعِزَّتِهَا احْتِسَابَا
وَمُذْ عَبْدُ السَّلامِ إِلَيْهِ صَارَتْ ... رَأَي أَرْيًا بِشَرْيَانٍ مُشَابَا
فَبَادَرَهُ سُلَيْمَانٌ بِجُنْدٍ ... فَأَلْقَى السَّيْفَ وَالسُّمْرَ الْكِعَابَا
فَمَاتَ سَلِيبَ نَصْرٍ وَاشْتَرَاهَا ... مُحَمَّدُ وَهْيَ تَضْطَرِبُ اضْطِرَابَا
فَصَارَ سَلِيلَ إِسْمَاعِيلَ قُطْبًا ... إِمَامًا لِلْهُدَى انْتُدِبَ انْتِدَابَا
وَلَوْلاهُ لَنَالَ أَخُو الْمَخَازِي ... سُلَيْمَانٌ مِنَ الرُّودِ الرِّضَابَا
فَدَاسَ بِرِجْلِهِ صَدْرًا إِلَيْهِ ... مِنَ الأَحْقَادِ يَلْتَهِبُ الْتِهَابَا
لِذَلِكَ قِيلَ أَنْتَ لَهَا إِمَامٌ ... عُمَانُ فَاتْرُكِ الْقِشْرَ اللُّبَابَا
أَجَابَ وَرَدَّ عَنْهَا كُلَّ بَاغٍ ... يَرَى مَنْ كَالْحَدِيدِ لَهُ نِصَابَا
وَلَمَّا مَاتَ مَاتَ قُوَى عُمَانٍ ... وَمَا لإِمَامَةٍ قِرْمٌ أَثَابَا
إِلَى أَنْ سَلَّ نَاصِرُ سَيْفَ عَدْلٍ ... وَمَا عَنْهُ أَرَادَ الإِجْتِنَابَا
فَحَسْبُ عُمَانَ نَاصِرُهَا إِمَامًا ... أَفَادَ السَّيْفَ وَخْضًا وَاخْتِضَابَا

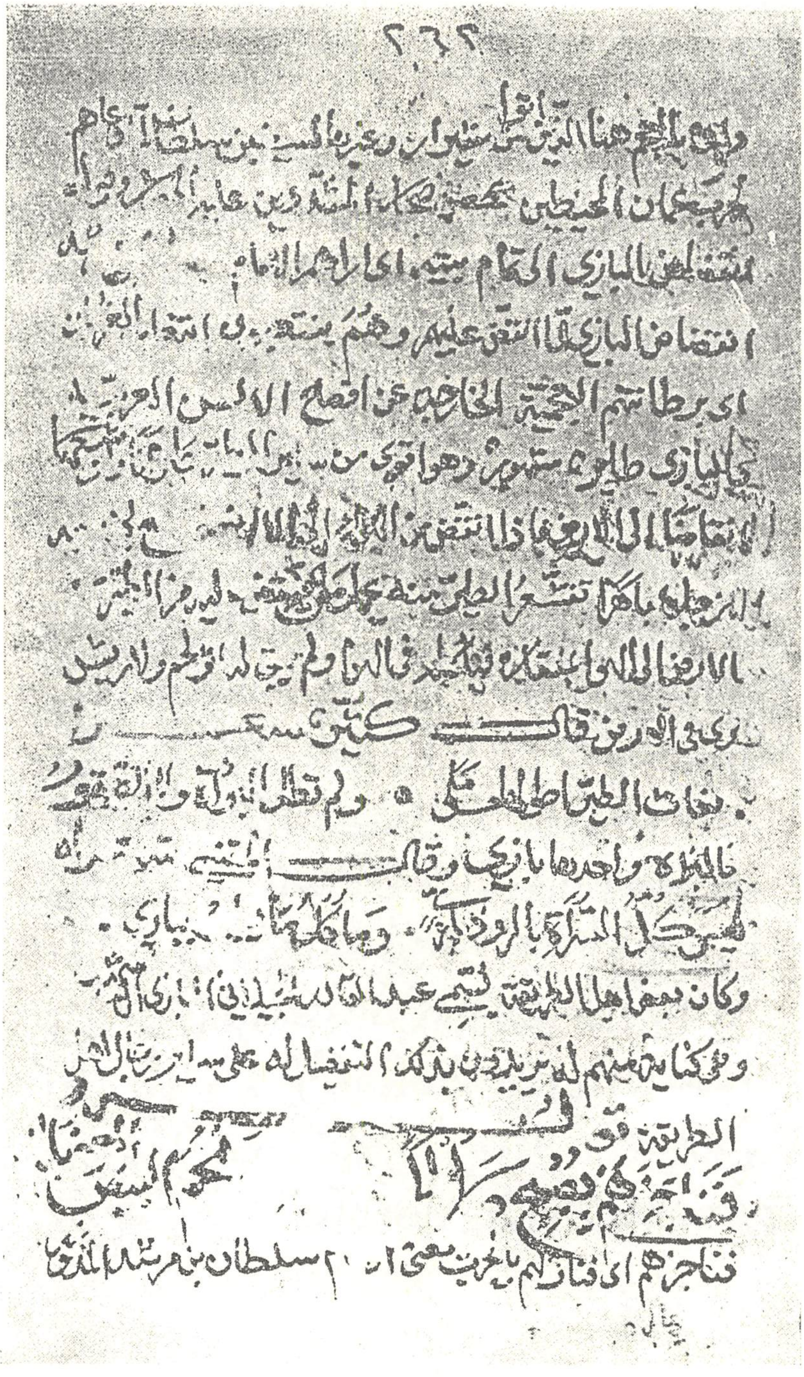
لَهُ سِرُّ الولاَيَةِ قَبْلَ بَيْعٍ ... وَبَعْدَ الْبَيْعِ فَاحْتَزَبَ احْتِزَابَا
سُلاَلَةُ مُرْشِدٍ طُهْرٌ إِمَامٌ ... وَلِيٌّ إِنْ دَعَا أَضْحَى مُجَابَا
وَأَخْبَارٌ لِسِيرَتِهِ حِسَانٌ ... يُنَاجِي الرَّاكِبُونَ بِهَا الرِّكَابَا
أَبَادَ الْمُشْرِكِينَ بِسَيْفِ عَدْلٍ ... وَأَهْلَ الْبَغْيِ فَاقْتُضِبُوا اقْتِضَابَا
سَقَى أَسْيَافَهُ عَلَقَ الأَعَادِي ... فَمَا ضَرَمُوا بِدُورِهِمُ قِبَابَا
فَمِنْ صُورٍ إِلَىْ صِيرٍ ظُبَاهُ ... تَصُبُّ دَمًا وَتَنْمُو الانْصِبَابَا
إِذَا شَبَّتْ عَلَيْهِ عِدَاهُ نَارًا ... رَمَادًا صَيَّرَتْ لَهُمُ الإِهَابَا
وَنَارُ وَغَاهُ مَا أَبقَتْ إِلَيْهِمْ ... سِوَى عُرْبٍ يَلُكْنَ الإِكْتِئَابَا
وَكَمْ بَاغٍ إِلَيْهِ يَصُوغُ كَيْدًا ... فَأَصْبَحَ يَطْوِي بِالْهَرَبِ الهِضَابَا
تُخَاطِبُهُ الْكُدَى بِلِسَانِ حَالٍ ... بِرَكْضِكَ مَا تَرَكْتَ الجَابَ جَابَا
فَمَا الظَّفْرَا رَأَتْ ظَفَرًا عَلَيْهِ ... وَلاَ مَنْ شَاءَ فَيْهَا الاغْتِرَابَا
لَهُ سِيَرٌ حِسَانٌ كُلُّ شَرْحٍ ... تُبَاعِدُهُ إِذَا شَاءَ اقْتِرَابَا
بِهِنَّ اللهُ ثُمَّ الرُّسْلُ يَرْضَى ... وَمَنْ صَارَتْ لَهُ عَدْنٌ مَآبَا
حَكَى الصِّدِّيقَ وَالْفَارُوقَ عَدْلاً ... فَأَنْضَى النَّفْسَ بِالْعَدْلِ الطِّلاَبَا
فَمَاتَ مُشَيَّعًا حَمْدًا عَلَيْهِ ... دُمُوعُ الشَّهْمِ تَنْسَكِبُ انْسِكَابَا
بَكُوا أَهْلُ الهُدَى طُرًّا عَلَيْهِ ... وَمَنْ ضَلُّوا أَضَلُّوا الاكْتِرَابَا
وَسُلْطَانُ بنُ سَيْفٍ مُذْ حَوَاهَا ... بِهِ مَنْ أَشْرَكُوا أَلِفُوا الذَّهَابَا
فَرَوَّى لِلإِمَامَةِ سَيْفَ عَدْلٍ ... وَدَكَّ لِعُصْبَةِ الشِّرْكِ العِقَابَا
وَزَلْزَلَهُمْ فَلَمْ تَقِهِمْ بُرُوجٌ ... يُطَاوِلُ سُمْكُهَا السُّحُبَ الرَّبَابَا
وَمَنْ سَقَطُوا بِمَسْقَطَ مِنْهُ صَارُوا ... كَضَأْنٍ فِي الفَلاَةِ رَأَتْ ذِئَابَا
وَمَا هُوَ لِلْمَلاَحِمِ غَيْرُ لَيْثٍ ... يَرَى ضِيقَ الصِّعَابِ لَهُ رِحَابَا
أَبَادَ الْمُشْرِكِينَ وَزَلْزَلْتَهُمْ ... زَلاَزِلُهُ وَطِفْلُهُمُ أَشَابَا

فَكَمْ دَارٍ لَهُمْ لَمَّا غَزَاهَا ... بِهِمْ أَقْرَى القَشَاعِمَ والعِقَابَا
وَكَمْ فُلْكٍ لَهُمْ أَضْحَى إِلَيْهِ ... غَدَاةَ تَوَهَّمُوا النَّقْعَ الضَّبَابَا
فَقَلْعَتُهُ الَّتي في عَقْرِ نَزْوَى ... فَمِنْهُم بَعْضُ مَا غَنِمَ اسْتِلابَا
يُحَيِّرُ سُمْكُهَا البَازِي إِذَا مَا ... عَلَيْهَا حَامَ مِنْ عَطَشٍ وَلَابَا
وَأَجْدَى البُرْكَةَ الْخَضْرَاءَ نَهرًا ... فَنَاجَى عَذْبُهُ القُضُبَ الرِّطَابَا
نَفَى الْجَبَرُوتَ فَهْوَ إِلَيْهِ لُطْفٌ ... بِمَنْ سَكَنُوا المَرَابِعَ وَالشِّعَابَا
فَمَاتَ وَبَعْدَهُ أَضْحَى إِمَامًا ... بِلَعْرَبُهُ فَنَافَى مَا أَرَابَا
وَمِنْهُ العَدْلُ شَاعَ لَهُ شُعَاعٌ ... وَمِنْهُ الْجُودُ مَا أَلِفَ انْتِضَابَا
بَنَى حِصْنًا بِيَبْرِينٍ وَفِيهِ ... قَدْ ارْتَحَبَتْ مَدَارِسُهُ ارْتِحَابَا
فَأَكْرَمَ مَنْ لِعِلْمٍ سَاقَ عِيسًا ... وَمَنْ حَمَلَ الْهَرَاوَةَ وَالْجِرَابَا
فَمَا فِي الْجُودِ مَاثَلَهُ كَرِيمٌ ... وَعَنْهُ الوَفْدُ مَا شَهِدُوا احْتِجَابَا
فَلَازَمَ عَدْلَهُ وَأَخُوهُ سَيْفٌ ... أَحَالَ الشَّرَّ مِنْهُ لَهُ الشَّرَابَا
وَشَبَّ عَلَيْهِ نَارَ الْحَرْبِ حَتَّى ... أَحَالَ إِلَيْهِ أَقْسَى الصَّخْرِ لَابَا
فَلَازَمَ حِصْنَ يَبْرِينٍ بِحَصْرٍ ... وَبِالإِحْجَامِ فِيهِ الظَّنُّ خَابَا
فَبُويِعَ سَيْفُ وَانْقَادَتْ إِلَيْهِ ... جُنُودُ عُمَانَ كُلُّهُمُ طِرَابَا
وَمَاتَ بِلَعْرَبٌ فِي ضِيقِ حَصْرٍ ... وَعَنْهُ الصَّحْبُ مَا فَرُّوا هِرَابَا
وَسَيْفٌ لَمْ يُعَاقِبْهُمْ بِسُوءٍ ... غَدَاةَ الْحِصْنُ صَارَ لَهُ اجْتِلَابَا
وَجَرَّدَ سَيْفُ سَيْفَ العَدْلِ لَمَّا ... غَدَا مَنْ كَالْحَدِيدِ لَهُ مُذَابَا
وَحَارَبَ مَنْ هُمُو صَارُوا نَصَارَى ... وَمَنْ يَسْعَى لِنَصْرِهِمُ اغْتِصَابَا
لَهُ مُمْبَاسَةٌ صَارَتْ وَصَارَتْ ... لَهُ الْخَضْرَا فَمَا لَبِسُوا الْجُبَابَا
وَكُلْوَةُ حَازَهَا مِنْهُمْ فَأَضْحَوْا ... لِنَارِ ذِبَابِ قَاضِبِهِ ذُبَابَا
وَسُلْطَانُ ابْنُهُ لَمَّا حَوَاهَا ... عَلَيْهِ عِدَاهُ حَرْبًا لَنْ تَجَابَا

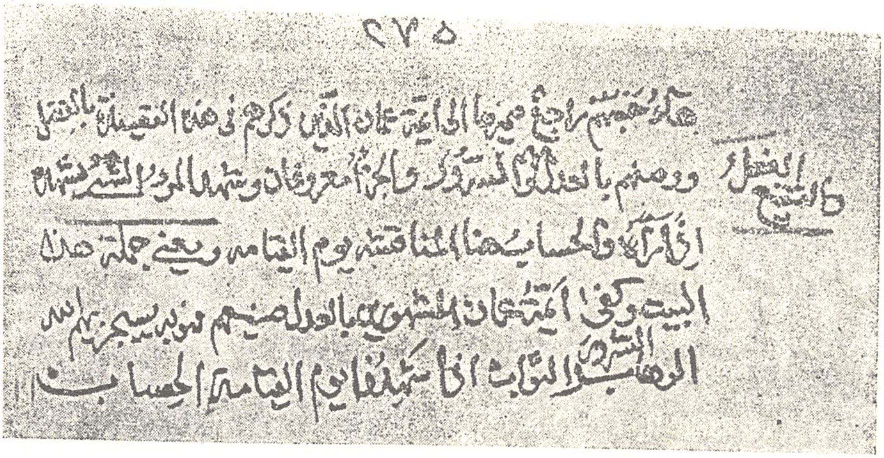
سَقَى العَجَمَ الرَّدَى بِالسَّيْفِ لَمَّا	هُمُ ارْتَكَبُوا ضَلالَهُمُ ارْتِكابَا
حَوَى البَحْرَيْنِ مِنْهُمْ وَاسْتَكَانُوا	لَهُ وَفَرَتْ نِسَاؤُهُم المَلابَا
وَلازَمْنَ الْحُدودَ غَداةَ صَارُوا	لِنَارٍ شَبَّهَا لَهُمُ احْتِطَابَا
وَفِيْ الحَزْمِ اسْتَطَالَ إِلَيْهِ حِصْنٌ	فَمَا أَبْقَى إِلَى العُجْبِ اعْتِجَابَا
إِذَا شَاءَ الْحَدِيدُ الثَّلْمَ فِيْهِ	ثَنَاهُ لَهُ زُجَاجًا مُسْتَذَابَا
فَمَاتَ بِهَيْبَةٍ لَا طَعْنَ فِيْهَا	لِمَنْ أَضْحَى إِلَيْهِ الطَّعْنُ دَابَا
وَسُلْطَانُ بْنُ مُرْشِدٍ فَهْوَ قُطْبٌ	إِمَامٌ جَدُّهُ هَجَرَ اللِّعَابَا
أَرَى الأَحْبَابَ نَائِلَه انْصِبَابَا	أَرَى الأَعْدَاءَ أَسْهُمَهُ صِيَابَا
كَرِيمُ الكَفِّ لِلأَحْبَابِ يَسْقِي	عِدَاهُ سُمَّ عَضْبٍ مَا تَنَابَا
أَرَى العُجْمَ انْقِضَاضَ البَازِي لَمَّا	بِأَرْضِ صُحَارَ أَعْلُوا الإِنْتِعَابَا
فَنَاجَزَهُمْ بِصُبْحٍ صَارَ لَيْلًا	أَحَالَ الأَنْجُمَ البِيضَ العضَابَا
فَصَرَّعَ مِنْهُم جَمْعًا وَفِيْهِ	هُمُ تَرَكُوا جِرَاحَاتٍ عِطَابَا
وَلِلْحِصْنِ انْثَنَى فَقَضَى شَهِيدًا	نَفَى بِالْعَدْلِ عَنْهُ الاغْتِيَابَا
فَذَا عَدُّ الأَئِمَّةِ مِنْ عُمَانٍ	فَمَا أَلِفَتْ وِلَايَتُهُمْ سِبَابَا
فَحَسْبُهُمُ صَنِيعُهُمُ سُرُورًا	يُجَزِّيهِمْ إِذَا شَهِدُوا الْحِسَابَا


١
نبذة التقييد المسماة المستطاع تتابع بالزمان ذكر أسماء أئمة عمان أهل العدل
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي جعل الأئمة العادلين هم السادة المناب بعد الظلام
بعد الأنبياء عليهم السلام فعملوا بالكتاب المبين
وسنة نبيهم الأمين وقالوا لمن من هم الأئمام ليس لكم
منا إلا الحسام فقاموا بالجهاد وأدوا جهادهم وأناروا
أفق البلاد وقالوا لما شهروا السيوف الحداد لأهل العناد
ما أحلى الشهادة التي يرضى بها الله السلام والإسلام
والصلاة والسلام على أفضل الأمة الكاشف بعدله
غياهب الظلمة سيدنا محمد وآله الذين مع الإقدام أنزل
لهم أقدام، أما بعد لقد سألني بعض الإخوان
في الدين أن أنظم قصيدة في أسماء أئمة عمان الصالحين
المتوفين في الدين المسمين عمان وغيرها بالقصيد المعين
وأن أشرحها شرحاً مختصراً مفيداً أقربها ببسيطه لا
يملك العارف له من ذلك فأجبته مع عدم البضاعة
وعجز القريحة امتثالاً للأمر واقتحاماً لرضى
قريع ولعمري لست أنا أهلاً لنظم الأشعار المحكمة
ولا النثر

« الصفحة ١ من المخطوط »


٢٦٢

« الصفحة ٢٦٢ من المخطوط »



٢٧٥

قال الشيخ [illegible]

هكذا حسبتم راجع ضميرها الى ائمة عمان الذين ذكرهم في هذه القصيدة بالفضل
ووصفهم بالعدل [illegible] وهم معروفون وشهد المؤلف الشريف لهم
انه [illegible] والحساب هنا المناقشة يوم القيامة ويعني جملة هذا
البيت وكفى امتحانا المشهور بالعدل منهم [illegible] الله
[illegible] الثواب اذا [illegible] يوم القيامة الحساب

« الصفحة ٢٧٥ من المخطوط »

هذهِ القصيدة المُسمّاة الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عُمان وما لهم في العدلِ من الشأن

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيم

الحمد لله الذي جعل أئمة العدل هم الضياء المنجاب(١) به الظلام بعد الأنبياء عليهم السلام، فَعملُوا بالكتابِ المُبين، وبسُنَّةِ نبيّهم الأمين، وقالوا لمَنْ مذهبهم الإِثام(٢)، ليس لكم منّا إلا الحُسام(٣)، فهمّوا بالجهادِ والاجتهادِ، وأناروا أفق البلاد، وقالُوا لمّا شهروا حدّ السيوفِ الحدادِ لأهل العنادِ، مّا أحلى الشهادة الّتي يرضى بها الله، السّلامُ والإسلام؛ والصّلاةُ والسّلامُ عَلَىْ أفضل الأُمة، الكاشفة بعدله غَياهبَ(٤) الغمَّة، سيّدنا محمّد وآلهِ الذيْنَ مَعَ الإقدام لا تزلُ لهُم أقدام.

أمَّا بَعدُ، لقد سَألني بعضُ الإخوانِ في الدين، أنْ أنظمَ قصيدةً في أسماءِ أئمةِ عُمَانَ الصّالحينَ، المنتوين عن الهجين(٥)، المُسوّغين(٦) عُمَان وغيرها بالصنع المعين، وأنْ أشرحَها شرحًا مُختصرًا مُفيدًا، أو شرحًا بَسيطًا لا يطلبُ العارفُ لَهُ مزيدًا.

فأجبتُهُ مَعْ عَدَم النّباهة، وَوُجودِ الفهاهة(٧)، امتثالًا لأمره، وانخفاضًا منّي لارتفاعِ قَدْرِه؛ وَلَعَمري لَسْتُ أنَا أهْلًا لنظمِ الأشعارِ المحكمة، وَلا لنثر الأخبارِ المُعْلَمَة(٨)؛ ولكنّها شَنْشنة(٩) جزميّة، لا شَنْشنة أخزميّة(١٠)، والمرجُوُّ مِنْ أهل الوفاء

---

(١) اسم مفعول من انجاب بمعنى زال.

(٢) الإِثام بكسر الهمزة والتأثيم بمعنى

(٣) الحسام: السيف القاطع، أو طرفه الذي يضرب به.

(٤) الغياهب: جمع غيهب، وهو الظلمة.

(٥) الهجنة بالضم، من الكلام ما يعيبه، وفي العلم إضاعته، والهجين اللئيم.

(٦) سوّغ بالتضعيف: أجاز وأعطى.

(٧) الفهاهة والفهفهة: العي وعدم القدرة عَلَىْ الكلام.

(٨) المعلمة بمعنى: المعلومة والمعروفة الظاهرة.

(٩) الشنشنة بكسر الشين: الطبيعة والعادة.

(١٠) أخزمية: نسبة إلى أخزم الطائي، مات وترك بنين، فوثبوا يومًا عَلَىْ جدهم فأدموه، فقال شعرًا: شطر أحد أبياته، شنشنة أعرفها من أخزم، أي: أنهم أشبهوا أباهم في طبيعته وخلقه، وقد صار مثلًا.

وإخوان الصّفاء لي محض الإقالـة(١)، وإذا وَجدُوا حُثَالةً(٢) في المَقالة. وبالله التوفيق، وبهِ لا بِغَيره يُصَابُ التَحقيق.

وَقـد سَمّيتُ هَذِهِ القَصيدةَ: الشعاعَ الشَّائِـعَ باللّمعان في ذِكْرِ أسماءِ أئمَّةِ عُمَانَ، ومَا لهُمْ في العَدْلِ مِنْ الشأن، طَالبًا بذلكَ الأَجْرَ والغُفَران من اللهِ المنّان، فهوَ الغَفُور الكريمُ القدير، وبالإجابة جدير.

(١) الإقالة: التجاوز وعدم المؤاخذة.

(٢) الحثالة: الردئ من كل شيء.

التعريف بعمان

فليَعْلمْ ذُو الدراية الحميدة، أن هَذا أوّلُ القَصِيدة:

عُمَان عَنْ لِسَانِ الحَالِ رُدِّي جَوَابًا مِنْكِ لي أَرْجُو الجَوَابَا

التفسير: لا يخفى عَلَىٰ الخَبير، أنَّ سُؤالي لعُمَان، وإرادتي مِنْها الجَوابَ، مَجازٌ لَنْ يُرتاب، إِذِ الدّارُ لا تعقلُ فحوى الخِطَاب، وليسَ لَهَا في الحقيقةِ قُدرةُ عَلَىٰ الجَواب، وإنّما سُميَ المجازُ مَجازًا أي: مجاز للحقيْقَة في هَذه الطّريقة.

وَلله دَرُّ القائلِ، حيث يقول:

يَا دَارَ عَبْلَةَ بِالْجِواءِ تَكَلَّمِي وَعِمِي صَباحًا دَارَ عَبْلَةَ واسْلَمي [١]

وقالَ: أبو تمّام مع ذكره للرّبع[٢] الذي خاطبَ أَصْحَابَهُ عَنْهُ حَقيْقَةً أو مَجازًا لن يُستزري[٣] شعرًا:

أُسَائِلُكُمْ مَا حَالُهُ حَكَمَ البِلَى عَلَيْهِ وَإِلّا فَاتْرُكُوني أُسَائِلُه

فَلا يخفى عَلَىٰ العاقل، عَلَىٰ أَنَّ السَائلَ إِذَا أَطلَقَ سُؤلَهُ[٤] عَلَىٰ الديار العَافية[٥] أو الأنيقة مُرَادُهُ بأهْلهَا، لا بِهَا في الحَقيْقَة.

وفي الكتابِ العزيز: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾[٦].

أي: واسأل أهل القَرْيَةَ وَأَهْلَ العِيْرِ في التّفسير.

---

(١) قائل هذا البيت هو الشاعر الجاهلي عنترة بن شداد في مُعلقته التي مطلعها:

هَلْ غَادَرَ الشُّعَرَاءُ مِنْ مُتَرَدَّمِ أم هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعدَ تَوَهُّمِ

والجواء بلد، وهو أيضًا جمع جو، وهو البطن من الأرض الواسع في انخفاض، ومعنى تكلمي، أخبري عن أهلك وعمي أي انعمي، ويروى أن أبا ذر لما آتى النبي ﷺ فقال له: انعم صباحًا، قال له النبي ﷺ إن الله قد أبدلني منها ما هو خير منها، فقال: له أبو ذر: ما هي؟ قال: السلام، ومعنى اسلمي، سلمك الله من الآفات.

(٢) الربع: الدار والمحلة والمنزل.

(٣) في الأصل يستزرا، والمعنى: لن يعاب.

(٤) السُؤْل بضم الأول وسكون الثاني، والسؤال بمعنى.

(٥) العافية: هي الدار الزائلة المندثرة

(٦) الأية ٨٢ من سورة يوسف.

وكذلـكَ مُرادي في هَذَا الخطاب، وإرادتي مِنْ عُمَان لسؤالي الجَواب مجَازًا، وفي الحقيقـة مُرادي بِهِ أهلها، والجـوابَ مِنْهُمْ لا مِنْهَا، إذ هي بغير إبهام لا قُدْرة لهَا عَلَىٰ الـكلام؛ وقـولي كفاية لأهل الدِّراية عَنْ لِسَـانِ الحالِ، رُدِّي جَوابًـا، عَلَىٰ أنِّي أتحتُ السُّؤال لأهلها، لا لهَا، وَأردتُ الجوابَ لي مِنْهُم لا مِنْهَا.

وعُمَـان سَمّتَهـا الأزدُ بِهَـذا الاسم الشريـف، وَهُمُ الذين سكنوهَـا في القديم، وَأجلُوا الفُرسَ مِنْهَا، فَمَا تركُوا لَهُمْ فِيْهَا يَدًا، ولا حُسَامًـا مَسْنُونًا؛ وكَانت الفُرسُ تسمّـي عُمَانَ مَزُونًا، وللأزد بـلادٌ في الشام تُسمّى عَمّانَ، فقرَنـوا اسمها باسمها، فأزالوا التشديد عن هذه، وتركوه عَلَىٰ حالِهِ لِتلك، للتفرقة بينهما.

ولـمَّـا قدم [مازن][١] بـن غضوبة الأزدي السمائلي عَلَـىٰ رسول الله ﷺ وجدّد إسلامَـهُ عَلَىٰ يَديه قبل أن يأتيه منه كتاب سَـأل مازن النبيَّ ﷺ، أن يدعو لَهُ ولأهلِ عُمَان بالخيرِ والبركةِ، فدعا لهُ ولمُسْلمي عُمَان دَعاءً حَسَنًا، والقصّة مَشهُورة.

ولمَّا رَجعَ مَازِن إلى سمائل أسلم أهل عُمَان كافّةً إلا أهل صُحَار، ثم أَسْلموا لمَّا وفدَ عليهـم عَمْـرو بن العاص بكتابٍ مِنْ رسول الله ﷺ، يدعوهـم فِيْهِ للإسلام، فنفوا بعدمـا أسلموا من بقـى من الفُرس في صحار وأعمالها عَلَـىٰ دينهم، فلاذوا بفارس ومكث مِنْهُمْ بعُمَان من وحّد الله تعالى، وصدّقَ برسوله ﷺ.

وكتب رسول الله ﷺ، بعد ذلك لكسرى، يدعوه لتوحيد الله، والتصديق بنبوّته ﷺ، وبعثَ الكتاب بيد رسوله لأهلِ عُمَان، وأمرهم في كتابه لهم، أن يبعثوا كتابه إلى كسرى. فلمَّا بعثوه، وقرأه مزّقه، وأبى الإيمان والإسلام.

فلمَّا أُخبِرَ النبي ﷺ، قال: ((**اللّهمَ مَزّق ملكه كما مَزّقَ كتابي**)).

فسرت دعوته ﷺ، فيه، فأهلكه الله، ومزّقَ ملكه، فمَا بقيت بعد ذلك للفُرسِ دارٌ يملكونها إلى الآن، فهم في كُلِّ بلاد لسلطانها رعيّة، بعد دولتهم وصولتهم[٢] القوية.

---

(١) في الأصل: مالك.

(٢) فعله صال يصول صولًا بمعنى: سطا، والصولة: السطوة والغلبة.

ويـروى عـن عائشة رضي الله عنهـا، أنَّها قالت: سمعتُ رسول الله ﷺ، يقول: ((أكثر روّاد حوضي يوم القيامَةِ أهل عُمَان)).

وقولي شعرًا:

أَمَـا عَـيْنٌ إِلَـيْـكِ لَـهَـا دُمُـوعٌ عَلَـىٰ مَـنْ جِسْمُهُـمْ أَضْحَـى تُرَابَا

التفسـير: قولي، أَمَا لكِ استفهـام، أي: أمَا لكِ يا عُمَان هُمُـوع[١] دُمُوع عَلَىٰ أئمّة العدل، الذين كَانُوا فِيْـكِ فأصبح جسمهم لَمّا حواه الجدث[٢] تُرابًا بعدما اختضبت سُيُوفهم بدماءِ أهل الضلال اختضابًا.

ومراده هنا بالعين العين الباصرة، وبالدموع الماءَ المنهلّ مِنْهَا مع الاكِتئابِ انصبابًا، والجسم معروف، ويطلق عَلَىٰ كل صانع صنعه، صانع الصنائع، وهو الله جلَّ وعلا، ويغلط من قال: كل صانع جسم، ولا يغلط من قال: بعض الصّانع جسم، وإذ صانع الصنائع هو الله القدير، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٣].

ومـراده بالجِسم هنا بجملةٍ مخصّصـةٍ بإشارةٍ معنويةٍ عَنْ الأئمـة، وإن جَاء اللّفظ بصيغة الواحد، أي: أما لكِ يا عُمَان دموع عَلَىٰ أئمةٍ كَانُوا فِيْكِ، فصارت أجسامُهم بعد الوجود تُرابًا.

قولُهُ:

لَـعَـمْـرُكِ ذَكّـرِي مَـنْ ذَكَّـرَتْـهُ صَحَـائِـفُ عَـنْـهُـمْ لَـنْ تُـسْـتَرَابَا

قولُـهُ: لعمـركِ، قسم منه بهـا لعزازتها عنـده، أي: أقسم بكِ يـا عُمَان، ذكري بلسـانِ الحال، يعني نفسه، مِـنْ ذكرّته صحائف عنهم، يعنـي الأئمّة؛ لَنْ تستراب، أي: الصّحـفُ التـي ذكرّتها عَنْ الأئمّة لا تستراب، إنَّها عَـنْ أحبارٍ[٤] مُطّلعين عَلَىٰ القِصص والأخبار، فهاءُ عنهم راجعٌ ضميرها لِلأئمّة، الذين يشير بهم، والصحائفُ جمع صحيفة، وَهُنْ الكُتب.

(١) همعت العين همعًا وهموعًا: أسالت دمها.

(٢) الجدث محركة: القبر.

(٣) سورة الشورى، من الأية ١١.

(٤) جمع حبر: وهو العالم.

قولُه:

هُـمُ كَـانُـوا لِـدِيـنِ اللهِ كَـفًّـا وَسَـيْـفًـا لا يَمَـلُّـونَ الـضِّـرَابَـا

التفسير: مُـرادُه بقوله هُمُ، بأئمّة العدل الذينَ كانُوا بعُمَان خاصة، وأخبر عن صنيعهم أيّامَ دولتهم، لا إبهامًا أنّهم كَانُوا الدين الله كَفًّا وَسَيْفًا حُسَامًا، يقتضبون أهل الظلال اقتضابًا، ولا يملّونَ مَع الجهادِ الضّرابا، فالدينُ هُنا الهُدى البرئُ مِنْ الضّلال، الكـفُّ والسيفُ معروفان، الضّربُ والضِّرابُ بمعنـى، وملّ زَيد الضِّرابَ إِذَا كَاعه[١] أي: هُـمُ لا يكاعون الضّراب بالسيـف مع الجهاد يوم الجلاد، وبتصريح لا بتعريض، إشارة عَلَىٰ أنّ الكفَّ والسيفَ داخلان في باب الاستعارة[٢].

قولُه:

أَئِـمَّـةٌ أُمَّـةٍ كَـانُـوا فَـبَـانُـوا كَـغَيْـمٍ صَـبَّ فَـانْـقَـشَـعَ انْجِـيَـابَـا

التفسير: ففي هَذا البيت تصريح عَنْ جملة الأئمّـة العُمَانيّة، وتخصيصٌ بهم عَنْ غيرهـم، بقولُهُ: أئمّة أُمّة، والأُمّةُ والأُمَمُ بمعنى، ويمكن أن تكون الأئمّة الذين ذكرهم هُنـا هُـمُ أَئمّةُ أُمَّة بالضّم بغير إضافة، ويمكن أنْ يكونوا أئمّـةُ أُمّةٍ عَلَىٰ الإضافة، أي: أئمّةُ خلقٍ كثيرٍ، ومُراد النَاظِم بالأوّل، إذ هُوَ أليق بهم، تَعظيمًا وتفخيمًا.

وقولُـهُ: كَانُـوا فبانوا، أي: كَانُـوا بعُمَان فبانوا عَنْهَا لَمَّا نقلهـم[٣] مِنْ الوجودِ إلى العدم الجديدان[٤].

وَلاَ غَروْ، فإنّ اللهَ تعالى يقولُ لخير خلقهِ ليعتبر المعتبرون: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[٥].

والغيـمُ السحاب، جمع غُيوم، الكاف للتّشبيه، وصَـبَّ الغيمُ ماءُهُ إذا همره[٦]، وانقشـع وانجاب بمعنى، أي: بعدما صَبَّ الغيثَ الـزّلالَ زالَ ونَضبَ الانجيابَ عَلَىٰ

(١) كاع عنه إذا هابه، والمعنى أنهم لا يهابون الضرب ولا يجبنون عنه.

(٢) الاستعارة: استعمال اللفظ في غير معناه الحقيقي لعلاقة المشابهة.

(٣) في الأصل نقلتهم: بتأنيث.

(٤) الجديدان والأجدان: الليل والنهار.

(٥) الأية ٣٠، من سورة الزمر.

(٦) في الأصل: أهمره بالهمزة، والصواب بدونها، وهمره يهمره إذا صبه (القاموس المحيط).

الحـال، فشبه أولئِكَ الأَئمّةَ بالغيمِ الّتي صَبّتَ مياهَهـا فغمرت به جَلَدًا[١] وربْعا[٢]، ثم انقشعت سَرِيْعًا.

قولُهُ:

أَقَـامُـوا الْـعَـدْلَ بِـالْـعَـزْمِ الَّـذِي لا إِلَى الْمُـعْـوَجِّ يَنْخَفِضُ انْتِصَابَا

التفسـير: أقاموا العدلَ، أي: نصبوه، يعنـي الأئمّة المذكورين جملة، والعدل ضدُّ الجور، والعزمُ والعزيمةُ بمعنى واحدٍ، عَزَمَ المرءُ عَلَىْ الشيءِ إذا أوقعَ رَأيَهُ عَلَىْ إنْفَاذِهِ، ولم يُحدّث نفسَهُ بمثنويّة[٣] عَنْهُ، والمعـوجّ ضِدُّ المستقيم، وانخفض نقيض انتصبَ، أي: أقام[٤] العدل أولئك الأئمّةُ الذين عزمهم لا إلى المعوجِّ ينخفض انتصابا، وذلك الشأن هُـوَ شـأنُ الجبان، فهو كلمّا عَـزَمَ عَلَىْ إنفاذ أمرٍ ليكسبَ به حَمـدًا ثبطّه[٥] جبنه عن تناوله، وساق له رعبُهُ وساوس مهولةً دونه، فبقى عَلَىْ جبنه محرومًا من الحمْدِ والثناءِ، قلبُه مُرّتج، ورأيهُ مِعوجّ، فهو إذا رأى أصغرَ الحبال خَيلَّهُ جبنُهُ إليه أكبرَ الصّلال[٦].

قولُهُ:

سَقُـوا أَسْيَافَهُـمْ بِـدَمِ الأعـادِي وَمَـا أَصْـدُوا بِطَعْنِهِـمُ الحِـرابَـا

يقـول: أولئـك الأئمّةُ المذكـورون سَقُوا أسيافهـم بدمِ الأعـادي، أي: أعاديهم خاصّة، وكما سَقُوا أسيافهم بدمهم لم يَصْدُوا رمَاحهم من دمهم، أي: لم يعطشوها، فهـم في الشأنـين سِيّان؛ فإنَّ مِنْ شـروطِ الإمامِ العادل، أنْ يكـون رَؤوفًا بالمؤمنين والصّالحـين، فَظًّا غليظًا عَلَىْ أعداءِ الدين، شجاعًا عاقـلًا، لبيبًا، عَالِمًا، شهمًا، أريبًا، مُتفقـدًا لأموررعيّته، لا تاركهم سُـدى، كثيرَ الدَّأبِ في طلبِ العـدل في المهامِهِ[٧]

---

(١) الجلد محركة: الأرض الصلبة المستوية الظهر.

(٢) المكان الذي تربع فيه الأبل.

(٣) أي برجوع عنه، وفعله ثنى مجردًا، كسعى وزنًا.

(٤) في أصل: أقاموا، وصوابه ما ذكر، ففاعله اسم الإشارة بعده.

(٥) ثبطه عن الأمر: عوقه عن فعله وأدائه.

(٦) الصلال: جمع صِلّ بكسر الأول والتضعيف، وهي الحية من الثعابين، والداهية.

(٧) جمع مهمه، وهي المفازة البعيدة والبلد المقفر.

والكُـدَى(١)، وعَنْ الأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر لا يغفل، ولا يشاور الذي قلبه مـع الشدائد بالخـوفِ بتقلقل، وإذَا عَنَّ(٢) لـهُ مِنَ المخاوف شـأن لم يقل لرعيته، ما وجـدتُ لدفعِهِ شأنًا؛ لكن ينفضُ إلى مصادمته السـرج والعنان، ويسنُّ إلى ملاحمتِهِ المشرفيّ والسِنان(٣)، فإن كان هُوَ، كَما قلتُ، فاعل فهوَ الإمام العادل، وإذا كان لا فهو عَنْ العدل عادل.

قولُهُ:

أَعَـزُّوا الإِسْـتِـقَـامَـةَ، والأَعَــادِي لَهُمْ ذَلُّــوا، وَمَـا نَـصَـرُوا العِتابَا(٤)

قولُهُ: أعزوا الاستقامة، يعني الأئمّة المذكورين، هُمْ أعزّوا الاستقامة، أي: أهلها، وأهلها هم الإباضيّون المنتسبون إلى عبد الله بن إباض التميمي مذهبًا، وواو الأعادي واو الاستئناف، أي: أذلّوا الأعادي بالعدل والإنصاف، والسيوف الصّورام الخفاف.

وعبـد الله بن إباض المذكور هو أوّل من فـارق فرق المبتدعين مـن الرّافضة(٥)، والزيدّيـين(٦)، والأشعريـة(٧)، والخوارج(٨) المارقـين من المعتزلـين(٩) وسائر فرق

---

(١) الكدى عَلَىٰ وزن قرى، الجبال.

(٢) أي ظهر وبان

(٣) المشرفي: هو السيف، والسنان: هو الرمح.

(٤) يلزم قطع همزة الوصل في كلمة الاستقامة لضرورة الوزن الشعري.

(٥) الروافض: كل جند تركوا قائدهم، والرافضة فرقة من الخوارج.

(٦) الزيديون: فرقة من الشيعة بايعوا زيد بن علي، ثم قالوا له: تبرأ من الشيخين فأبى، فتركوه ورفضوه.

(٧) أصبح اسم الأشعرية علمًا عَلَىٰ الفرقة التي تعتنق مذهب أبي الحسن الأشعري مؤسس المذهب الكلامي والإسلامي، والأشعرية وإن كانُوا يذهبون مذهب إمامهم في أن العقل يستطيع إدراك وجود الله إلا أنه ليس للعقل عندهم ما له من شأن عند المعتزلة.

(٨) الخوارج: أول الفرق الإسلامية، خرجوا عَلَىٰ علي بن أبي طالب وصحبه رافضين التحكيم وتحصنوا في بعض المناطق بالعراق وبجزيرة العرب، وقاوموا الدولة الأموية وصدر الدولة العباسية مقاومة عنيفة، وقد انقسموا إلى عدة فرق، واشتهروا بالتشدد في العبادة، ويرون أن الخلافة لابد أن تتم عن اختيار حر، وليس لمن اختير أن يتنازل، أو يحكم، ويرون كذلك أن العمل جزء من الإيمان، فتارك الفرائض يحارب عَلَىٰ تركها.

(٩) المعتزلة: من القدرية، وقد زعموا أنهم اعتزلوا فئات الظلال عندهم، أهل السنة والخوارج، أو سماهم به الحسن البصري لما اعتزله واصل بن عطاء وأصاحبه، وجعل يقرر القول بالمنزلة بين المنزلتين، وأن صاحب الكبيرة لا مؤمن مطلق، ولا كافر، بل هو بين المنزلتين، فقال: الحسن اعتزل عنا واصل.

الحائديـن عن طريق حقيقة الدين، وهم مع حيدهم يَدّعون هُمُ المُحقّون باللسان، لا بالبرهان، ولو أنّهم إلى الإنصاف قرعوا لرأوا الأمرَ لا كما زعموا.

وقولُـهُ ذلّـوا ومَا نصروا العتـاب، أي: ذلوا عـن أولئك الإئمّة لَمَّا جـرّدوا عليهم سيـوف الإنصاف، والصّوارم الخفاف، كما ذكرنا، ومَا نصروا من أتاح لهم العتاب لَمَّا نفروا بذلّهم عَنْهُمْ كَحُمُرٍ مستنفرة، فرّت مِنْ قسورة[١].

(١) القسورة: الأسد.

سليمان وسعيد ابني عباد والحملات الأموية على عمان

قولُهُ:

إِذا بَاغِي الشَّأمِ سَطَا بِكَفٍّ إِلَى أَجْنَادِهِ عَدُمَ الرِّقَابَا [١]

الباغي المُؤلفُ للبغي، المخالفُ للإنصاف والهُدى بالاعتداء، والشّأمُ بالهمزة الشّام، وهي قرى من أمصار كثيرة، يقال: زيدٌ أشأم، إذا قصد الشّام، وأعرق إِذَا قصد العراق، وأنجد إِذَا قصد نجد، ،أتهم إذا قصد تهامة، وسطا زيدٌ عَلَىْ عَمْرو إِذَا صال عليه، والكفّ معروفة، وهي مُؤنثة، وقد مضى فِيْهَا الكلام؛ والأجناد جمع جند وجنود، وهم الجيوش الكثيرة، وعدم المرءُ الشيء إذا فاته ولم يجده، والرقاب جمع رقبة.

وفي هذا البيت يشير لحرب عبد الملك بن مروان[٢] وسعيد وسليمان الجُلَنْدَيين، وسائر أهل عُمَان.

وذلك لمَّا صار ملك الشّام إلى عبد الملك بن مروان استعمل عبد الملك الحجّاج ابن يوسف الثقفي عَلَىْ العراق، وكان ذلك في زمن سليمان وسعيد ابني عباد بن عبد ابن الْجُلُنْدَى، وهما في ذلك الزّمان القيّمان بعُمَان، فكان الحجّاج يبعث لحربهما الجيوش، وهما يفضّان جموعه، ويبيدان عساكره في مواطن كثيرة من عُمَان، وكلّما أخرج لهما جيشًا هزماه، واستوليا عَلَىْ سواده[٣]، إلى أن أخرج إليهما القاسم بن شعوة المرّي في جمعٍ كثيرٍ.

فخرج القاسم بجيشه حَتَّى انتهى إلى عُمَان في سُفن كثيرة فأرقاها[٤]، في قرية من قُرى عُمَان، يقال لها: حطاط[٥].

(١) يقتضي وزن الشعر مد همزة كلمة الشأم.

(٢) عبد الملك بن مروان: هو خامس خلفاء الدولة الأموية (٦٨٥-٧٠٥م) ويعد المؤسس الثاني لدولة بني أمية؛ لأنه أنقذها من الأخطار التي خلفها أبوه.

(٣) السواد من النّاس عامتهم، والمراد العدد الكثير.

(٤) أي صعد بها وسار بها.

(٥) بلدة ووادي في محافظة مسقط.

فسار إليه سلميان بن عباد بالأزد[١]، فاقتتلوا قتالًا شديدًا، وكانت الدائرة عَلَىٰ أصحاب الحجّاج، فقتل القاسم بن شعوة وكثيرٌ من قومه، واستولى سليمان عَلَىٰ سوادهم.

فبلغ ذلك الحجّاج فهاله الأمر فاستدعى المجاعة بن شعوة، أخا القاسم، وأمره أن يندب النّاس ويستصرخهم، وينادي في قبائل نزار[٢] من حيث كَانُوا، ويستعينهم، ويستنصرهم، وأظهر الحجّاج الغضب والحميّة والأنفة، وكتبَ بذلك إلى عبد الملك ابن مروان، وأقعد وجوه[٣] الأزد الذين كَانُوا معه بالبصرة[٤] لسليمان بن عباد، فكان عدد العسكر الذين جمعهم الحجّاج وأخرجهم إلى عُمَان أربعين ألفًا، فأخرج من جانب البحر عشرين ألفًا، ومن جانب البر عشرين ألفًا، فانتهى القوم الذين خرجوا من البرِّ إلى عُمَان، فسار إليهم سليمان بفرسان الأزد، فكَانُوا ثلاثة آلاف فارس، وأصحاب النجائب خمسمائة وثلاثة آلاف رجل.

فالتقوا عند الماء الذي دُون البلقعة[٥] بخمس مراحل[٦]، وقيل بثلاث، وهو الماءُ الذي يقالُ لَهُ اليوم، البلقعين.

فاقتتلوا قتالًا شديدًا، فانهزم أصحاب الحجّاج، فأمعن سليمان في طلبهم وهو لا يعلم بشيءٍ من عساكر البحر حَتَّى انتهى عسكر البحر باليونانية من جلفار[٧]، فأتاهم رجل، فأعلمهم بخروج سليمان بسائر العسكر للقاءِ، ومَا كان من خبر أصحابهم الذين مضوا عَلَىٰ طريق البرّ، وإنّ الباقين مع أخيه شرذمةٌ قليلةٌ. فلمّا وصل مجاعة بركاء[٨]، فنزل عليهم سعيد، فقاتلهم قتالًا شديدًا حَتَّى حجز بينهم الليل.

(١) حيٌّ من أحياء اليمن، ينسبون إلى أزد بن الغوث، ومن أولاده الأنصار كلهم، ويقال: أزد شنوءة وعُمَان.

(٢) ينسبون إلى نزار بن معد أبيهم.

(٣) أي سادتهم وأعيانهم.

(٤) البصرة: ميناء العراق الرئيس، وتبعد ١١٨ كم عن الخليج العربي، وقد تأسست زمن الخليفة عمر بن الخطاب سنة ٦٣٦م، بناها عقبة بن غزوان بعيدًا عن النهر وعلى طرف البادية، حيث تلتقي الطرق البرية مع الطرق المائية، وكانت أرض البصرة تسمى الأبلة، فاختطها عقبة.

(٥) البلقعة والبلقع: الأرض القفر.

(٦) جمع مرحلة.

(٧) هي إمارة رأس الخيمة التي تقع في أقصى المنطقة الشمالية من إمارة الشارقة.

(٨) في الأصل بركة: وهي مدينة بركاء التي تقع عَلَىٰ ساحل محافظة جنوب الباطنة، غرب مدينة السيب التابعة لمحافظ مسقط.

وتأمَّل سعيد عسكره فإذا هم في عسكر مجاعة كالشعرة البيضاء في الثور الأسود(١)، وقد قُتِلَ مِنْهُمْ مَن قُتِل.

فاعتزل من ليلته، وعمد إلى ذراريه(٢)، وذراري أخيه، فاعتزل بهم إلى الجبل الكبير، وهو جبل بني ريام، الذي يقال له: الجبل الأخضر، ويقال له أيضًا: رُضوى(٣)، بضّم الراء، ولحقه القوم فلم يزالوا محصورين حَتَّى وافى سليمان.

وكان مجاعة قد أرقى سفنه دون بلدة مسقط(٤)، وكان عددها ثلاثمائة سفينة.

فمضى إليها سليمان، فأحرق منها نيفًا(٥) وخمسين سفينة، وانفلت الباقون فيها إلى لجِّ(٦) البحر، وتصوّر لمجاعة أنّه لا طاقة له بسليمان، فخرج يريد البحر، فالتقى هو وسليمان في قرية سمائل(٧)، فوقعت بينهم ملحمة عظيمة، فانهزم مجاعة، ولحق بسفنه، فركبها ومضى إلى جلفار.

وكتب إلى الحجّاج ما جرى عليه، والقصّة طويلة، تركتها طلب الاختصار.

وقولُه:

وَعَضَّ أَمِيرُهُم كَفًّا وَعَفَّتْ ... كَوَاعِبُهُ بِأَدْمُعِهَا الخِضَابَا

العَضُّ لا يكون إلاَ بالأسنانِ عَلَىْ الكفِّ وغيرها، والأشهر عَلَىْ الكفِّ مع الحزن والأسف، وفي الكتاب الكريم: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾(٨)، فعضه هنا عَلَىْ كفه أسفًا وحزنًا، والعَضُّ أيضًا بالأسنان عَلَىْ

(١) يعني، أن عددهم قليل جدًا.

(٢) الذراري: جمع ذرية وهم الأبناء والولد.

(٣) في الأصل رضوان، والصواب المثبت.

(٤) بلدة شهيرة بساحل عُمَان. وهي عاصمة السلطنة العُمَانية، وكان لها أهمية تجارية، حيث تبدأ منها طرق القوافل إلى الداخل، وقد استولى عليها البرتغاليون (١٥٠٧-١٦٥٠م)، ثم أصبحت عاصمة سلطنة عُمَان منذ عهد السيد حمد بن سعيد بن الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي (ت: ١٧٩٢م).

(٥) النيف: الزيادة، ويقال عشرة ونيف، وكل ما زاد عَلَىْ العقد فهو نيف إلى أن يبلغ العقد الثاني.

(٦) يعني داخل البحر، واللُجُّ: معظم الماء.

(٧) سمائل: مدينة بسلطنة عُمَان، تقع عَلَىْ الجانبين الأيمن والأيسر من وادي سمائل، وطول هذه المدينة ستة أميال تقريبًا، وهي مدينة مشهورة بمزارع النخيل وبحصنها الشهير.

(٨) الأية ٢٧من سورة الفرقان.

الثمـار، كالتُفاح والسفرجل[١]، وغير ذلك لا من حزن بل لطلب اللذة بلطافة ذلك العَضّ عَلَىْ الخدودِ لمن له شبق[٢].

قالَ أبو نَواس شعرًا:

وَكُـلَّـمَـا عَـضَّـضَ تُـفَّـاحَـةً   قَـبَّـلْـتُ مَـا يَـفْـضُـلُ مِـنْ عَـضَّتِهِ

وعَضّ الحيوان الـذي لا يعقل عَلَىْ بعضـهِ بعضًا، وعَلى الحيـوان الذي يعقل لا يكـون إلا من غضب، والكفُّ قَدْ مضى فِيْهَا الكلام، والأمير قد يكون دون الخليفة منزلة، وقد يكون هو الخليفة، فَكُلُّ خليفةٍ أمير، وما كُلُّ أميرٍ خليفة.

وقوله تعـالى: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[٣] الآية أي: دونك أهل زمانك مرتبة في الفضل.

وقولُـهُ: وعَفّت كواعبـه بأدمعها الخِضـابَ، أي: أزلـن بانسجـام أدمعهن أثر الخضـاب من أكفّهـن بمسحهن لأدمعهّـن، والكعاب واحدتهـن كاعبة، وكاعب وهـي التي كعب ثدياها وبقيـا في حجمهما لا يتقلقان، والخضـاب ما يخُضّبُ به الكفُّ وغيرها من حناء وورس[٤] وزعفران[٥] وسائر الأطياب، وها هنا يُشير بِنساءِ الحجّـاج لمّا أبلغن بالخبر عن قتل القاسم بن شعوة المرّي، وقَتل من قُتل من أصحابه، وعـن انهزام المجاعة بن شعوة بعد من قتل منهم مـن قتل بعُمَان إذ ذلك ممّا يشمت الشامـت به عَلَىْ الحجـاج، فنساؤه يدخلن في الشماتة عليه مـن الشامت عليه، إذ هواهـن ناموسه، وسعـوده لا انعكاس حظّه ونحوسه، وهـذا شأنٌ مفهوم لا تجهله الخواص والعموم.

قولُهُ:

وَقَـالَـتْ: مَـا الإبـاضِـيّـون إلا   أُسُـودٌ يَـدَّعُـونَ عُـمَـانَ غَـابَـا

---

(١) السفرجل: ثمر معروف، قابض، مقو، هشه، مسكن للعطش، جمعه سفارج، والواحدة بهاء.

(٢) الشبق: شدة الشهوة.

(٣) من الآية رقم ٢٦ من سورة ص.

(٤) الورس: نبات كالسمسم لا يزرع إلا في اليمن، ذو رائحة طيبة.

(٥) نبات يتخذ ثمره للصبغ، ويقال: إنه إذا كان في البيت لا يدخله سام.

المعنـى: أن النّسـوة اللواتي ذكَرهـن في البيت الذّي قبل هذا البيـت قلن لمَّا أزلن خِضـابَ أيديهنَّ بانسجـام أدمعهنَّ عَلَىْ مصـاب قومهنَّ اكتئابًا بلسـان المقال، أو لسان الحال، مَـا الإباضِيّون إلا أُسُود يدّعون عُمان غابًا لسرعةِ الثأر[١] وإزالة العار عَـنْ قومهنّ الباقين لينهضـوا لحرب العُمَانيين، وهكذا من عادة النسـاءِ إذا أردن أن يحمسـنَ قومهنَّ، ويحرّضنهم عَلَىْ قتالِ الفئةِ التي سطت عَلَىْ قومهن، مَدْحَنَ الفئةَ التـي سطت عليهـم، وبلغت المطلوب منهم قتـلًا أو هزمًا تنشيطًا لهـم عَلَىْ حرب ضدهـم، وتحميسًا يمنعهم عَنْ التكاسـل عنهم والصّدود، والأسـود وأحدها أسد، والغاب بيت الأسد كالغابة.

قالَ الغزّي شعرًا:

يَا رَبْعُ فِيكَ المَهَا وَالأُسْدُ أَحْبَابُ ... فَقُلْ لَنَا أَكُنَاسٌ أَنْتَ أَمْ غَابُ[٢]

الكناسُ بيت المها والظّباءُ، سُمّى كناسًا؛ لأنهن يكنسن فيه، والغاب بيت الأسدِ.

قولُهُ:

نَعَمْ وَهُـمُ أُسُـودُ الْغَـابِ كَـانُـوا ... فَـمَـا مَـسْـعَـاهُـمُ لِجِـهَـادِ خَـابَـا

قولُهُ: نعم إثباتٌ مِنْهُ وتقرير لقول النّسوة: مَا الإباضيون إلاّ أسود غاب

إلى تمام البيت، أي: نعم هم كَانُوا كما قُلن مع الضراب أسود غاب، فما مسعاهم لجهـاد خاب، والجهاد معروف، وفلان مَا سعيه خاب، أي مَا ضاعَ بنائبة، ولا وقع من واجَبَة إلى سالبة.

قولُهُ:

وَمَـا عَـنْ عَـدْلِـهِـمْ عَـدَلُـوا لِجَـوْرٍ ... وَلاَ هَـتَـكُـوا لِمَـحْـجُـورٍ حِـجَـابَـا

لقـد مضى القـول في العدل أنّه خلاف الجورِ، يقول: أولئـك الأئمّةُ المذكورون عَـنْ عدلهمُ مَا عدلوا، أي: مَا مالـوا عَنْ عدلهم لجور وباطل وضلال، وفي الكتاب

(١) مكان اللفظ مطموس في الأصل.

(٢) المها: هي البقرة الوحشية، ويضرب بها المثل في جمال العيون اتساعًا واحورارًا، والربع والموضع الذي يرتبع فيه القوم في فصل الربيع، ووردت الإبل الربع؛ يعني: أن تحبس الإبل عَنْ الماء ثلاثة أيام، ثم ترده في اليوم الرابع.

العزيز: وعن الحق هم يعدلون[١]، أي يميلون عَنْ الحق إلى الضّلال، وقولُهُ: وَمَا هتكوا لمحجور حجابًا، أي: وَمَا كشفوا لمُحرّم حجابًا، لَمَّا جاسوا[٢] خلال ديار المعتدين، المُقرّين بالتوحيد، المائلة بغيتهم إلى البغي، وإلى كلِّ باغٍ عنيدٍ، فَهم لَمَّا نصرهم الله عليهم لم يهتكوا لمخدرّة من نِسائِهم حِجابًا، ولا نزعُوا الغير مخدرةٍ من نِسائِهم جلبابًا؛ لأن سَبي نِساءِ المسلمين وسلب أموالهم لا يجوز عند الاستقامِيّين، وهتك الحجاب كشفه وإزالة ستره عَمّن استتر به.

قولُهُ:

لِدينٍ لاَ لِدينَارٍ هَوَاهُمْ   فَفَاتُوا الرَّيْبَ وَاجْتَنَبُوا الرَّبَابَا

يقول: وإنَّ أولئكَ الأئمّةُ المذكورين هواهم، أي حُبّهم، لِدين القهّار، لا هواهم لِلدرهم والدّينار، ففاتوا الرّيب إذ لا هواهم إليه، واجتنبوا الرّبابَ إذ لا معوّلهم عليه، الكلام مضى في الدين، والدينار الَّذي دائرته من ذهب، وله نقش يروق الأبصار، وقد يكون صغير الدائرة، ويكون أيضًا دائرته كبيرة عَلَىٰ مَا يقرّره كُلّ مَلكٍ، يُنْقَشُ اسمُه فيه، وكان وزن دينار جعفر بن يحيى البرمكي[٣] يزيد عَلَىٰ مائة دينار لسائر الملوك الماضيين، وفيه يقول الشاعر:

وَأَصْفَرُ مِنْ ضَرْبِ دَارِ الملوكِ   يَلُوح عَلَىٰ وَجْهِهِ جَعْفَرُ[٤]

يَزِيدُ عَلَىٰ مِائَةٍ وَاحِدٌ   إِذَا حَازَهُ مَعْسَرٌ يُوسِرُ[٥]

وقيل: كان منقوشًا فيه هذا البيت.

والرَّيبُ: مَا ترتابُ مِنْهُ القلوب والعقول، وقومٌ اجتنبوا وجانبوا من جانبوه

(١) كذا في الأصل: ولعل المؤلف قد التبس عليه لفظ مَا ورد في القرآن الكريم خاصًا بالمعنى الذي يستدل عليه، فلفظ يعدلون قد وردا في الكتاب العزيز عَلَىٰ نحو يغاير مَا ذكره ابن رزيق، وذلك في الآيات رقم ١، ١٥٠ من سورة الأنعام، ورقم ١٥٩، ١٨١ من سورة الأعراف، ورقم ٦٠ من سورة النمل، وليس غيره وارد في الكتاب العزيز.

(٢) الجوس: طلب الشيء بالاستقصاء والتردد خلال الدور والبيوت.

(٣) وزير هارون الرشيد أحد خلفاء بني العباس، وكانت نهاية أمره أن قتله الرشيد وأحرق جثته.

(٤) ضرب النقود: صنعها وسكها.

(٥) اليُسر هو الغنى والثراء.

اعتزلوه، والرّباب آلة من آلاتِ الملاهي، رخيمة الصّوت، تطرب المسامع بالسماع.

قولُهُ:

شُراةٌ تَابَعُوا سُنَنًا حَكَاهَا رَسُولُ اللهِ واتَّبَعُوا الكِتابَا

الشراة: واحدهم شاري، وَهُمُ الإباضيّون الاستقامِيّون، سُمّوا بذلك لقولُهم: إنّا شرينا أنفُسَنَا في سبيل الله، أي بعناها للجهاد في دين الله، وقد أصاب الجوهري لمّا حكى عَنْ قولُهم هَذَا، وَمَا وَهَمَ لمّا قال صاحب القاموس[١] إنه وهم، فإن الجوهري تكلم عمّا به تكلموا، لا من شرى الأسد كما زعم صاحب القاموس، وقول الناظم: سُنَنًا حَكَاهَا رَسُولُ اللهِ، واتّبعوا الكِتابَا تَابَعُوا واتبعوا، بمعنى، أي: اتبعوا السنّن التي حكاهَا رَسُولُ الله ﷺ، أي: تكلم بها، إذ حديثه ﷺ، كُلّه سُنّة مُتّبَعة، وكفى بذلك قولُه تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾[٢]، فكلُ مَا نطق به رسول الله ﷺ، فهو عَنْ اللهِ لا شكّ فيه، وقولُهُ: واتبعوا الكتاب، أي أولئك الشُراةُ اتبعوا الكتاب، وهو القرآن العزيز، والسُنَّةُ الشريفة، فمن اتبعهما ربح في الدنيا والآخرة، ومن خالفهما خَسِرَ في الدنيا والآخرة.

قولُهُ:

إِذَا بَاغِي العِرَاقِ سَقَاهُ رَأْيٌ لِفَلَّةِ بَأْسِهِمْ شَرِبَ السَّرَابَا

لقد مضى الكلام في البغي، وعراق العرب من الكوفةِ إلى أوّلِ الشّام، والسَقيُ والرأي معروفان، وانفلَّ السيفُ وغيره إذا انثلم، لازم لا معدى، وفلّه وفلّله غيره مُعدّى، والشربُ معروف، والسّرَابُ اللألاءُ الذي يُخادِعُ العين من بعيد، فتخاله ماءً، وليس هو ذلك، وفي الكتاب العزيز: ﴿كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً﴾[٣]،

---

(١) هو مجد الدين الفيروز أبادي، صاحب كتاب القاموس المحيط، ويقول: شرى الشر بينهم كرضى: استطار كاستشرى، ومنه الشراة: للخوارج، لا من شرينا أنفسنا في الطاعة، ووهم الجوهري صحيفة ٣٤٨ الجزء الرابع - القاموس المحيط).

(٢) الآيتان رقم ٣ و ٤ من سورة النجم.

(٣) من الآية رقم ٣٩ من سورة النور.

وإِنَّمَا الناظم لَمَّا ذكر أولًا بغي أهل الشام عَلَىْ عُمَان ذكر بغي أهل العراق عليهَا، يشير بحرب شيبان صاحب السفاح(١) للإمام الْجُلَنْدَى بن مسعود، رحمه الله.

(١) هو أبو العباس عبدالله بن محمّد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب أول خلفاء الدولة العباسية، وقد لقب بالسفاح؛ لكثرة مَا أراق من دماء.

الإمام الْجُلَنْدَى بن مسعود

كَفَى فَخْرًا عُمَانَ بِالْجُلَنْدَى إِذَا اصْطَخَبَتْ بِمَفْخَرِهِ اصْطَخَابَا

الْجُلَنْدَى هَذا هو: الْجُلَنْدَى بن مسعود الجُلَنْدَاني اليمني الأزدي العُمَاني، وهو أوّل إمام نُصِبَ بعُمَان.

كان الْجُلَنْدَى، رحمه الله إمامًا فاضلًا، عادلًا حليمًا، تقيًّا عالِمًا، عاملًا بالكتاب المبين وَسُنَّة النبيّ الأمين، محمّد عَلَيْهِ الصّلاة والسلام من الله السلام.

خرج شيبان صاحب السّفاح، وكان السفاحُ قد طلب شيبان لجناية منه عليه فلمّا قدم[1] شيبان عَلَىْ عُمَان أخرج إليه الإمام الْجُلَنْدَى هلال بن عطية الخراساني، ويحيى بن نجيح وجماعة من المسلمين.

فلمّا التقوا بجلفار، وصاروا صَفّين قام يحيى بن نجيح، وكان يحيى فضله شهيرًا بين المسلمين، فدعا بدعوة أنصف فِيْهَا الفريقين، فقال: اللّهم إن كنت تعلم أنّنا عَلَىْ الدين الَّذِي ترضاه والحقَّ الَّذِي تحب أن يؤتى فاجعلني أوّل قتيلٍ من أصحابي، ثم اجعل شيبان أوّل قتيلٍ من أصحابه، ثم زحف القوم، بعضهم عَلَىْ بعض، فكان أوّل قتيلٍ يحيى بن نجيح، وأوّل قتيلٍ من قوم شيبان، شيبان.

فلمّا قتل شيبان وقتل من قتل من قومه، وانهزم الباقون وصل إلى عُمَان حازم بن خزيمة، فقال للإمام الجُلَنْدَى: إنا كنا نطلب هؤلاء القوم، يعني شيبان وأصحابه، وقد كفانا الله قتالهم وشرّهم عَلَىْ يدكم، فأنا الآن مُرادي أن أرجع إلى الخليفة السّفاح، وأخبره عنك، أنك له سامعٌ مطيعٌ.

فشاور الْجُلَنْدَى المسلمين في ذلك فلم يروا له ذلك.

وقيل: سأل حازم الإمام الْجُلَنْدَى، أن يعطيه سيف شيبان وخاتمه، فأبى الإمام الْجُلَنْدَى فوقع القتال بين حازم المذكور وقوم الإمام الْجُلَنْدَى، فقتلوا أصحاب الإمام ولم [يبقَ] إلا [هو] وهلال بن عطية الخراساني، فقال الجُلَنْدَى: احمل يا هلال، فقال له هلال: أنت إمامي فكن أمامي، ولك علي أن لا أبقى بعدك.

---

(١) كان ذلك عام ١٣٤هـ.

فتقدم الإمام الْجُلَنْدَى فقاتل حَتَّى قتل رحمه الله، ثم تقدم هلال بن عطيّة الخراساني وعليه لأمة[١] حربه، فكان أصحاب حازم يتعجّبون من ثقافته، ولم يعرفوه، ثم عرفوه، فتكاثروا عليه حَتَّى قتلوه، رحمه الله.

وكانت هذه الملحمة بينهم في جلفار، عَلَىْ أصح الأخبار. وكانت مدّة إمامة الْجُلَنْدَى، رحمه الله، سنتين وشهرًا.

وقيل: الذي تولى قتل الإمام الْجُلَنْدَى حازم بن خزيمة، فلمّا حضرته الوفاة قال له بعض صحبه: أبشر فقد فتح الله عُمَان عَلَىْ يدك، فقال: غريتمونا[٢] في الحياة، وتغرّونا في الممات، هيهات، فكيف لي بقتل الشيخ العُمَاني؟! يعني الإمام الْجُلَنْدَى، رحمه الله.

وعن غير واحد، أنّ رجلًا من أهل عُمَان خرج إلى الحج، وكان في صحبته رجل من أهل البصرة، لا يهدأُ الليل ولا ينام، فسأله العُمَاني عَنْ حاله، وهو لا يعرفه أنه من أهل عُمَان، فقال: إني خرجت مع حازم بن خزيمة إلى عُمَان، فقاتلنا من أهلها قومًا لم نرَ مثلهم قطّ، أهل صلاحٍ، وصبرًا[٣] عَلَىْ القتال، فأنا من ذلك اليوم عَلَىْ هذهِ الحالة لا يأخذني النوم.

فقال له الرجل العُمَاني في نفسه، أنت جدير بذلك، إن كُنْتَ مِمّن قاتلهم.

---

(١) اللأمة: هي الدرع.

(٢) التغرية: هي التطلية

(٣) الأقرب في كلمة صبر الجر بعطفها على صلاح، والتقدير أهل صلاح وأهل صبر. ويمكن أن تكون معطوفة على كلمة أهل وهي منصوبة. ويمكن أن تكون صبرًا منصوبة على اعتبار أنها مصدر نائب عن فعل. والتقدير وصبروا صبرًا.

محمد بن زائدة، وراشد بن شاذان بن النضر الجُلَنْدَانيان

ولمّا قُتل الْجُلَنْدَى وأصحابه رحمهم الله، استولت الجبابرة عَلَىْ عُمَان، فأفسَدُوا فيها؛ مِنْهُمْ: محمّد بن زائدة، وراشد بن شاذان بن [النضر][1] الجُلَنْديان.

وفي زمانهما حدث مَا حدث من غسان الهنائي الَّذِي هو من بني محارب، فنهب نزوى[2]، وهزم بني نافع وبني هميم[3] بعد أن قتل منهم خلقًا كثيرًا، وذلك في شهر شعبان سنة مائة وخمس وأربعين[4].

ثم إن بني الحرث عصبوا لهم، وكان في بني الحرث رجل عبدي من بكر، يُسمى زياد بن سعيد البكري، فاجتمع رأيهم أن يمضوا إلى العتيك، ليقتلوا غسّان الهنائي.

فساروا إليه حَتَّى كمنوا بموضع يقال له: الخور[5]، وقد رجع[6] عائدًا رجلًا مريضًا من بني هناءة[7]، فمرّ بهم وهو لم يشعر بهم، فقتلوه، فغضب لذلك منازل بن خنبش، وكان منزله بنبأ[8]، وهو عامل لمحمّد بن زائدة وراشد بن شاذان الجُلَنْدَاني، فساروا إلى أهل إبرا[9] عَلَىْ غفلة مِنْهُمْ، فلمّا علموا بهم برزوا لهم، فاقتتلوا قتالًا شَديدًا، فوقعت الهزيمة عَلَىْ أهل إبرا، وقتل منهم أربعون رجلًا.

ثم مَنَّ اللهُ بالرّأفة عَلَىْ الحقّ، فخرجت عصابة[10] من المسلمين، فقاموا بحق الله، وأزالوا ملك الجبابرة.

وذلك أن المشايخ العلماء من أهل عُمَان اجتمعوا في نزوى، ورَئيسهم وعميدهم

(١) في الأصل النصر، والمثبت هو الصواب

(٢) مدينة في وسط عُمَان. تقع عَلَىْ ارتفاع ١٩٠٠ قدم، وعلى بعد ٢٠ ميلا من إزكي.

(٣) مكان هذا اللفظ مطموس في الأصل ورسمه أقرب إلى مَا ذكر.

(٤) الموافقة لسنة ٧٦٢ (أكتوبر).

(٥) الخور: هو المكان المنخفض من الأرض.

(٦) أي غسان الهنائي.

(٧) قبيلة مقرها الرستاق المدينة في منطقة الحجر الغربي.

(٨) نبأ: قرية بوادي نام بولاية القابل.

(٩) إبرا: إحدى ولايات محافظة شمال الشرقية.

(١٠) أي جماعة.

موسى بن أبي جابر الأزكاني، فأرادوا عقد الإمامة لمحمد بن عفّان، وقد حضر معهم رؤساء لا يُؤمَنُون عَلَىْ الدولة.

فخاف الشيخ موسى أن لا يكون للمسلمين نزالًا، وأن تقع الفتنة، فقال: إنا قد وليّنا فُلانًا قرية كذا، ووليّنا فُلانًا قرية كذا حَتَّى فرَّقَ أولئك الرُّؤساءَ، وقدم معهم رؤساء آخرين، لا يُؤمَنون عَلَىْ الدولة مثلهم.

فخاف الشيخ موسى وقوع الفتنة، ثم قال: قد وليّنا ابن عفّان نزوى، وقيل، إنه قال: حَتَّى تضع الحرب أوزارها.

فقال الشيخ بشير بن المنذر: إنّا كُنّا نرجو أن نرى مَا نحب، فالآن رأينا مَا نكره، والحمّد لله ربّ العالمين.

فقال موسى: إنّا فعلنا بما تحب، وأعلمه بسريرته، وإنّما أراد أن يفرق أولئك الرؤساء.

فمضى كلّ مِنْهم إلى البلد التي وُليها.

فكتب الشيخ موسى بعزلهم، فَعُزلوا، وبعث وُلاة للبلدان.

وبقى محمّد بن عفّان في العسكر، فظهرت للمسلمين مِنْهُ أحداث لم تعجبهم، ومّما انكروا عليه جفوته للمسلمين، وردّه للنصائح، فلم يرضوا بسيرته، فعملوا الحيلة في خروجه، فأخرجوه من نزوى.

فاجتمعوا بعد خروجه، فاختاروا الوارث بن كعب اليحمدي إمامًا.

فعزلوا محمّد بن عفّان، وكانت مدّة إقامته إلى أن عزلوه سنتين وشهرًا.

وقول الناظم: إذا اصطخبت بمفخرة اصطخابا، الصخب والصخبة: الصّوت الرخيم والصّوت البارع من حُلي وغيره، ونصبَ الاصطخابَ عَلَىْ المصدر، والفخر معروف.

قولُهُ:

وَمَنْ ذَا كَابْنِ مَسْعُودِ الْجُلَنْدَى ‏ ‏ ‏ إِمَـامٌ سَيْفُهُ هَجَرَ الْقِرَابَا

أي: من ذا مثله في أئمّة عُمَان، يبادرُ الحروبَ بنفسه، فسيفه مذ بويع له بالإمامةِ لم يغمده عَنْ أهل البغى حَتَّى قتل شهيدًا.

وقولُهُ: سيفه هجر القرابا جانبه، وقراب السيف غلافه.

قولُهُ:

حَميدًا عَاشَ وَهْـوَ قَضى شَهِيدًا بِجِلْـفَـارٍ، فَـلَا عَـدُمَ الـثَّـوَابَـا

يقـول: فالإمام الْجُلَنْدَى المذكور عَاشَ حميدًا، أي لم يأتِ في أيّام حياته بشيءٍ من الأفعال إلا حُمدَ بها، ولمّا مات مات شَهيدًا، فإن أجر الإمام الشّهيد عند اللهِ عظيمًا؛ وجلفار هي البلد التي تُسمّيها العامّة، رأس الخيمة، واحد يُسمّيها الصّير، وفي القديم لا تُسمّى إلا جلفار؛ وقولُهُ، لا عدم الثوابا، دَعاء منه للإمام الْجُلَنْدَى حسن، وارتجاءً منه لهُ عفوًا مِنْ الله الكريم عَلَىْ مَا اقترف من الصّنيع الجميل، فإن العبد الصالح الذي حَسُنَـت سيرته يجوز أن يتولاه المسلم حيًّا وميتًا، ويدعو له الله الكريم الدعاءَ الحسن عَلَىْ مَا ظهر لَهُ من صالحه، ولله مَا ظهر وَمَا بطن.

قولُهُ:

تَخَضَّبَ جِسْمُهُ بِـدَمٍ فَأَضْحى إِلَـيْـهِ ثَـوَابُ خَـالِـقِـهِ الـثِّـيَابَـا

أي تخضّـب[1] جسمُه من الجراحات التي وقعت فيه دمًا عند مجالدته للعدى[2]، وأضحى له لَمَّا مات ثوابَ الله الثيابَ التي تكفّن بها.

(١) الخضاب ككتاب مَا يختضب به، وخضبه يخضبه أي لونه.

(٢) هم الأعداء.

الإمام الوارث بن كعب

قولُهُ:

وَوَارِثُ وَارِثٌ عِلْمًا وَحِلْمًا إِمَامٌ سَعْيُهُ بِالْعَدْلِ طَابَا

الوارث هذا هو الوارث بن كعب الخروصي، الإمام الثاني بعُمَان، لم يتقدّمه في الإِمَامَةِ إلا الْجُلَنْدَى بن مسعود، المقدّم ذكره، وقولُهُ: وارثٌ عِلْمًا وَحِلْمًا، أي: وَرث العِلم والحِلم من السّلف الماضين، المقتدّين بكتاب الله المبين، وَسُنّة نبيّهم الأمين.

وقولُهُ: إمامٌ سعيُهُ بالعدلِ طَابَا، أي: سعيه طاب بعدلِهِ، كاد لا يأتي الزمان بمثله، فالوارث رحمه الله، كان في العدل آية، وفي الإنصاف غاية، وله قبل البيعة أسرارٌ دلّت عَلَىْ ولايته، ولمّا بويع لم تباينه تلك الأسرار، وسأذكر مِنْهَا إذا فرغت من ذكر مناقبه(١) من هذه القصيدة، إن شاء الله.

(١) جمع منقبة، وهي المفخرة.

هارون الرشيد وحربه لعُمان

قولُهُ:

وَلَمَّا جَاءَ عَنْ هَارُونَ عِيسَى يَحُثُّ لِجُنْدِهِ الْخَيْلَ الْعِرَابَا

جاءَ نقيضُ سارَ، وهارون هو هارون الرّشيد بن المهدي، وعيسى بن جعفر قائد عسكره الذين وَفَد بهم عَلَىٰ عُمَان بأمر هارون، وسنأتي بالقصّة بعد الفراغ مِنْ ذكر الإمام الوارث، إن شاء الله، والحَثّة ضِدُّ الخفوت[١]، وقد مضى القول في الجند، والخيلُ قَدْ يُطلق عَلَىْ الواحد في العدِّ، وعَلَى الجملةِ، والخيل العراب العربيات التي تركب أمهاتها ملوك العرب، وفرسان العرب في القَدِيم.

قال أحمد بن سليمان المعرّي[٢] في وصف السّحاب بهن شعرًا:

مَرَّتَ وَقَدْ تَرْمَحُ أَبْنَاهَا فِيْ الْجَوِّ بُلْقٌ عَرَبِيَّاتٌ[٣]

أَوْ نِسْوَةُ الزِّنْجِ بِأَيْدِيهِم لَلرَّقْصِ قُضْبٌ ذَهَبِيَّاتٌ[٤]

يصف البلق بهنّ والسّود، ويصف البرق بالقُضُبِ الذهبيات بيد النسوة الزنجيات.

قولُهُ:

فَسِرْ يَا فَارِسٌ وَشْكًا إِلَيْهِمْ فَإِنَّ الرَّوْعَ عَنْ حَوْبَاكَ غَابَا

قولُهُ: فَسِرْ، أمر من الإمام الوارث لفارس، وهو فارس بن محمّد بن عبدالله الأزدي، وكان فارس المذكور شجاعًا مشهورًا، وقولُهُ: وَشْكًا، أي: سر إليهم سَريعًا، والرّوع الفزع، والحوبًا بالقصر وفتح الحاءِ النّفس، وغاب الشيء ضِدُّ حضر، والمعنى، سِر إليهم يا فارس تحظى الثّواب من الله الوهاب، فإن الفزع عَنْ نفسك غاب.

قولُهُ:

فَبَادَرَ فَارِسٌ أَجْنَادَ عِيسَى فَأَطْعَمَهُم وَخَيْلَهُمُ الكِلابَا

---

(١) حثه وحث عليه، أي شجعه وحضه، وهو فعل متعد ولازم، والخفوت السكون والسكوت.

(٢) المعري: اسمه أحمد بن عبد الله بن سليمان

(٣) البلق بالتحريك هو السواد والبياض، والرمح ضرب من ضروب الجرى.

(٤) الزنج والزنوج قوم من أهل السودان.

بادرهم أي: هجم هُنَا عليهم فارس، وهم أجناد عيسى بن جعفر المذكور، وقولُهُ: فأطعمهم، أي: فأقراهُمُ وَخيْلَهُمْ، بَعْدَ مَا قتلهم، الكلاب.

قولُهُ:

وَفي قَيْدٍ غَدَا بِصُحَارَ عِيسَى   فَسَقَّتْهُ الشّرَاةُ الْحَتْفَ صَابَا

القيدُ معروف، وصحار[١] كذلك، وهي مصر عُمَان، كانت في القديم للملك الْجُلَنْدَى الَّذِي ذكره الله في كتابه ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾[٢] يقول: ففيها قُيّد عيسى بن جعفر المذكور لَمَّا قُتل مَنْ قُتل من أصحابه، وأخذ هو أسيرًا وقولُهُ: فسقّته الشراة الحتفَ صَابًا، أي: قتلته الشّراة في القيد، يعني بعض الشّراة الذين هم من أصحاب الإمام الوارث بن كعب المذكور، والحتفُ الموت، والصاب كلُّ مَا يعزى إلى العلاقم مرارة، وسقّته وسقته بمعنى واحد.

قولُهُ:

حُسَامُ سَلِيْل كَعْبٍ مَا حَكَاهُ   شِهَابٌ إِذْ بِهِ بَهَرَ الشَّهَابَا

الحُسام السيف القاطع، وسليل كعب: الإمام الوارث المذكور، وقولُهُ: مَا حكاه أي: مَا شابه سيفه شهاب، إذ هو بهر الشهاب أي بهره رؤيته وفعله، والشهاب لسان النار، وَمَا ترسله الكواكب عَلَىٰ الشياطين المسترقة، وَمَا تحرزه الكواكب عَنْ الإرسال، وتريه العيون كالذيل.

والمعنى: أن سيف الإمام الوارث مَا ماثله شهابُ كوكب نوراني، ولا شهاب قبس[٣] ناريّ.

قولُهُ:

وَمَنْ كَسَلِيلِ كَعْبٍ لا بِخَطْبٍ   يَثَلَّمُ لِلْجَهَابِذَةِ الْخِطَابَا

---

(١) صحار: مدينة مشهورة وميناء هام يقع عَلَىٰ بعد ٢٤ ميلًا شمال غربي الخابورة، وهي محاطة بسور مربع الشكل، في كل زاوية من زواياه الأربع قلعة مبنية من الحجر ذات طابقين، ويروي بعض المؤرخين العرب أنها سميت باسم صحار بن أرم بن سام بن نوح النبي عليه السلام.

(٢) الآية رقم ٧٩ من سورة الكهف، وليس صحيحًا مَا ذكره ابن رزيق. خاصًا بمن تعنيه الآية: فالضمير يعود عَلَىٰ صاحب موسى عليه السلام.

(٣) القبس محركة: شعلة نار تقتبس من معظم النار.

مَـنْ ها هنا استفهـام به، وهو الإمام الـوارث، والخطبُ واحـد الخطوب، وهو صرفُ مـن صروف الزّمـان، والثلْمُ[١] قد مضـى الكلام فِيْـهِ، والجهابذة واحدهم جهبـذة، وَهُـمُ العُلماءُ المشاهير، والخِطـاب: الحديث، والمعنى، ومَـنْ كان كالإمام الـوارث لا يخطبِ الحـوادث يثلّمُ حديثه للجهابذة المشاهـير، فهو ثابتُ الجَنان، لا تُدهِشُهُ أزماتُ الزّمان.

قَضَى لَيْلًا بِسَيْلٍ عَمَّ نَزْوَى فَمَا أَبْقَى إِلَىٰ سَيْلٍ عُبَابَا

قولُهُ قَضَى: أي مات الإمام الوارث بليل، فحذف الباءَ منه، ونصبه عَلَىٰ الحال[٢].
وقولُـهُ: بسيلٍ عَمَّ نزوى السيل مَا سـال من الأمطارِ الشّديدة، وعـمَّ الشيء نقيض خصَّ، ونزوى هـي أُمُّ عُمَان، كثيرة النّخل والأشجار، والجـداول والأنهار، بلدة فسيحـة، لم تحكها سائـر بلدان عُمَان بهجـة، أوّلها فرق، وآخرهـا سمد الكندي، وَوَهَمَ صاحبُ القاموس بقولُهُ: نزوى جبلٌ بعُمَان، وقولُهُ: فَمَا أَبْقَى إِلَىٰ سيل عُبَابَا، أي: فَمَا أبْقَى السيل الذي عمّها انسكابًا إلى سيل[٣]، عُبابا، عَبَّ البحر إذا الْتطمت أمواجُه، وعَبَّ المطر إذا تعاظم انثجاجه[٤].

القصة:

كان الـوارث بـن كعب، رحمـه الله، قبل البيعة لـه بالإمَامَة يـلازم الخلوات في الشعـاب[٥] والفلوات[٦] ويُكرّرُ كلمـة التقوى، وكلّمَا خلا سمـع صوتًا ولا يرى شخصه، وهو يقول: أبشـر يا وارث.

وَرُوِي عَنْـهُ، أنه مضى ذات يوم إلى الرستاق[٧] بعد مَا أظهر له البرهان نصاب[٨]

(١) ثلم الإناء والسيف ونحوه كضرب وفرح وثلمه فأثتلم وتثلم: كسر حرفه فانكسر. والثلمة بالضم: فرجة للكسور.
(٢) كذا قال ابن رزيق، والصواب أن نصبه عَلَىٰ الظرفية.
(٣) في الأصل سليل.
(٤) انثج الماء وثج: إذا سال.
(٥) الشعاب جمع شعب بفتح الأول وسكون الثاني وهو الجبل.
(٦) الفلوات جمع فلاة بفتح الفاء، وهي القفر أو المفازة لا ماء فيها، وهي الصحراء.
(٧) الرستاق: مدينة في منطقة الحجر الغربي، بها قلعة شهيرة يعود تاريخ بنائها إلى مَا قبل الإسلام، وتقع هذه المدينة عَلَىٰ ارتفاع ٨٠٠ قدم.
(٨) النصاب: الأصل، ونصاب السكين جزأته.

السكين، فرأى رَجُلًا مَصْلُوبًا عَلَىْ جـذع، فسأل بعض النّاس عَنْ جنايته، فقال له: أراد السلطان منه كذا وكذا من الدّراهم، فَأبى أن يُسلمهن له.

فمضى الوارث إلى ذلك السلطان فسأله عَنْ جنايته فقال له، أردت منه كذا وكذا من الدراهم، كما أخبره ذلك الرجل.

فمضى الوارث إلى الرجل المصلوب وسأله عن جنايته فأخبره كما أخبره الرجل والسلطان، وقال له: لو كان معي شيء من الدراهم لفديت نفسي من هذا الجبار.

فقطع عنه حبال، ومضى به إلى سفح الجبال الَّذِي هو سهيلي الحصن.

فلمَّا أخبر السلطان عنه أرسل إليه بعض عسكره، فلمَّا اقتربوا مِنْهُمَا رأوا معهما عساكر كثيرة، فأتوا إلى السلطان، وأخبروه الخبر، فقال: مَا هو إلا ساحر، خَلُّوا سبيله.

فمضى الوارث وصاحبه إلى وادي بني خروص وفشا خبره بعُمَان.

فمكث الوارث بعض الأيام في وادي بني خروص، ثم مضى إلى نزوى، فاجتمع المسلمون عَلَىْ نصبه.

فلمَّا بويع له بالإمامة وطئ أثر السلف الصالح من المسلمين، وسار بالحق، وأظهر العدل، وأعز الحق، وأهلك وأخمد الكفر والنّفاق، وقطع شقشقة البغي والشقاق.

وفي زمانه بعث هارون الرشيد(١) عيسى بن جعفر المضري في ألف فارس وخمسة آلاف راجل(٢) عَلَىْ إبل سباق.

فكتب داود بن يزيد المُهلّبي إلى الإمام الوارث، يخبره عَنْ عيسى بن جعفر، قاصده بعسكره.

فأخرج إليه الإمام الوارث فارس بن محمّد بعساكر جمّة.

فالتقى جيش الإمام وجيش عيسى دون توّام(٣)، من أرض الجوف، فكانت الدّائرة عَلَىْ عيسى، فقتل أكثر قومِهِ، وانهزم هو ومن معه إلى جلفار، فركب البحر عَلَىْ سُفن له.

---

(١) خامس خلفاء بني العباس، وقد بويع بالخلافة في سنة سبعين ومائة.

(٢) أي ماش عَلَىْ قدميه.

(٣) توّام الجوف: هي البريمي، ويذكر ابن رزيق في كتابه (الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين) أن التقاء الجيشين كان دون صحار.

فسـار إليـه أبو حميد بن فالـح الحداني السلّوتـي ومعه عَمْرو بـن عُمر في ثلاثة مراكـب، فأسر عيسى، وقتل من معه، وأحرق سفنـه، وأتى به إلى صحار، فحبسه في حصنها.

وكتب إلى الإمام بما جرى بينه وبين عيسى وقومه، وأنه قد حبسه بصحار.

فشـاور الإمـام الوارث فيـه الشيخ علي بن عـزرة، فقال: إن قتلتـه فواسع لك. فأمسك الإمام عَنْ قتله، فتركه في السجن.

فانطلـق[١] إليه قوم من المسلمين، وفيهم يحيـى بن عبدالعزيز بغير علم من الإمام الـوارث، فلمَّا أتوا إلى صحار تَسـوّروا السجن، فقتلوه من حيث لا يعلم الوالي ولا الإمام وانصرفوا من ليلتهم.

فلمَّـا علم هارون الرشيد قتل صاحبه عيسى بن جعفر عـزم عَلَىْ إنفاذ جيش إلى عُمَان، ثم مات من قبل أن ينفذ الجيش، وكفى الله المسلمين شره.

وكان يحيـى بن عبدالعزيز مـن أفاضلِ المسلمين، ولم يتقـدم عليه في الفضل بعد الإمام الوارث وشهرته بالفضل بعُمَان كشهرة عبدالعزيز بحضرموت[٢].

وكان الشيـخ بشير بن المنذر يقول: قاتل عيسى بن جعفر أرجو لا يشمّ النار. ولم يزل الإمـام الوارث حسن السّيرة، قائمًا بالعدلِ، ناهيًا عَـنْ المنكر، آمرًا بالمعروف، ومقامه ببلدة نزوى حَتَّى اختار الله مما لديه.

(١) في الأصل: فانطلقوا، والصواب حذف واو الجماعة، لأن الفاعل ظاهر بعده.

(٢) إحدى مناطق جمهورية اليمن الجنوبية، تقع عَلَىْ خليج عدن والبحر العربي، وأهم مدنها المكلا.

موت الإمام الوارث

وكان سبب موته أن غرق في سيل وادي كلبوه[(١)] من نزوى، وغرق معه سبعون رَجُلًا من أصحابه، وذلك أنه كان سجن المسلمين بنزوى عند سوقم مائل[(٢)]، وكان في السجن أناسٌ محبوسون بأمر الإمام الوارث، فأمر بإطلاقهم، فلم يستطع أحد أن يمضي إليهم خوفًا من الوادي، لكثرة السيل، فقال الإمام: أنا أمضي إليهم، إذ هم أمانتي وأنا المسؤول عَنْهُم يوم القيامة.

فمضى إليهم، وتبعه نَاسٌ من أصحابه. فمرّ عليهم الوادي، فحملهم مع المحبوسين، فمات الإمام الوارث، وَقُبِرَ بعد مَا جفَّ الوادي بين العقر وسعال من نزوى[(٣)]، وقبره مشهورٌ مُزارٌ معروف، رحمه الله.

وكانت مدة إمامته اثنى عشرة سنة وستّة أشهر إلا بضعة أيام.

(١) واحد من أودية محافظة الداخلية، ويمر في وسط نزوى.

(٢) السوقم: الأشجار العظيمة، وهو شجر معروف. وهو اسم موضع بنزوى.

(٣) مدينة في وسط سلطنة عُمَان تقع على ارتفاع ١٦٠٠ قدم وعلى بعد ٢٠ ميلًا من إزكي.

الإمام غسان بن عبدالله

قولُه:

وَغَسَّانَ الهُمَامُ إمامُ عَدْلٍ بِنَارٍ وَغًى أَعَادِيهِ أَذَابَا

غسّان هَذَا هو غَسّانُ بن عبدالله اليحمدي الأزدي، نُصِبَ للإمامة بعد الإمام الوارث بن كعب، فوطَئ آثار المسلمين وأعزّ الحقّ وأهله، وأخمد الكفر، وأزال الفساد، وأعلا منار العدل، والهُمامُ ذو الهِمم العالية، والإمام من بويع له بالإمامة، والعالم النحرير[١]، ورئيس القوم، والمراد به هنا الأوّل، والوغى الحرب التي كثرت فِيْهَا الأموات والزعقات، وذاب الشيء يذوبُ إذَا ماع.

ومعنى البيت أن الإمام غسّان ذو هِممٍ عالية، وعدله أذاب عداه بنار وغاه.

قولُه:

وَقَدْ قَطَعَ البَوَارِجَ عَنْ عُمَانٍ فَمَا مِنْهُمْ لَهَا بِالشَّرِّ آبَا

القطع ضدُّ الوصل، والبوارج واحدها [بارجة][٢]، طغاة من بغاة وطرّ[٣]، وقولُهُ: فَمَا مِنْهُمْ لَهَا بِالشَّرِّ آبَا، أي: بعد مَا قطعهم عَنْ عُمَان فَمَا مِنْهُمْ أحد لَهَا رجع بشرّ، والشرُّ ضِدُّ الخير، وسنأتي بقصتهم، إن شاء الله تعالى، إذا فرغنا من ذكر مناقب الإمام نظمًا.

قولُه:

قَضَى لا نَاطِقٌ عَنْهُ بِلَعْنٍ لِسَانٌ شَبَّ فِي ثَغْرٍ وَشَابَا

قد مضى الكلام في قضى مات، والناطِقُ ضِدُّ الصَّامت، والطعن هنا السبُّ، واللّسان معروف، وَشبَّ نقيض شابَ، وثغرُ المرءِ فَمُهُ، وثغرُ البلادِ جوانبها، والمعنى: مات الإمام غسّان ولا ناطق يقول بِسبٍّ فيه بلسان شَبَّ في ثغر وشاب في فِيْهِ.

وَمِنْ أخبار الإمام غسان أن أهل عُمَان لَمَّا تكاثرت عليهم غزوات البوارج اتخذ

---

(١) النحرير بالكسر: الحاذق الماهر العاقل المجرب الفطن البصير بكل شيء؛ لأنه ينحر العلم نحرًا.

(٢) في الأصل: والبوارج واحدها بارجى، والبارجة سفينة كبيرة للقتال.

(٣) الطرّ بالتضعيف: هو الشدُّ والسوق الشديد.

لهـم هذه الشذاوة: وهي التي تُسميها العامّـة الزّواريق، وهو أوّل من اتخذها وغزا بهـا، فانطقعت البوارج من عُمَان، وفي زمنه قتل الصّقـر بن محمّد بن زائدة، وكان ممّن بايع عَلَىَ راشد بن النضر الجُلَنْدَاني، وأعانه بالمال والسلاح؛ وسبب قتله أنه خرج عَلَىْ المسلمين رجل من أهـل الشّرق، ومعه بنو هناءة وغيرهم، باغيًا عَلَىْ المسلمين، فقيـل للإمام: إن أخا الصّقر مـع البغاة، فذكروا لِلصّقر فقال: هذا غير صواب، وإنما أخي معي في الدار مريض.

فلمّـا هزم الله البغاة تحقق أن أخـا الصّقر معهم، فاتهموه بالمداهنة[١] لمّا ستر عنهم أمر أخيه.

وكان الصّقـر يومئذٍ بسمائل، فبعـث إليه الإمام غسّان سـرايـا[٢]، وكتب لواليه الـذي بحصن سمائـل، وهو [أبو] الوضاح بـن عقبة أن يُسلّمه لهـم، فلمّا وصلوا قبضته الشّراة[٣]، ومضى الوالي معهم به مع الإمام.

وبعـث الإمام أيضًا سـريـة ثانية لقبضه، ومن بعثه إليه في السـرية الثانية موسى بن علي، فالتقوا بنجد السّحاماه.

فبينمـا هُمْ في مسيرهم إذا اعترض بعضَ الشـراة الصّقر، فقتلوه، ولم يكن للوالي أبي الوضاح ولا لموسى بن علي حِينئذٍ قدرة عَلَىْ منعهم من قتله.

وبلغنـا عَـنْ موسى بن علي أنَّه خاف عَلَىْ نفسِهِ، وربّمـا لو قال شيئًا من قبله لقتل معه، ولم يبلغنا عَنْ الإمام غسّان أنكار[٤] عَلَىْ من قتل الصقر.

وكانت تلك الأيام صدر الدولة وقوتها، فهذا كان سبب قتل الصقر.

ومـن أحكام الإمام غسّان رحمـه الله، أنّه كانت لبني الْجُلَنْـدَى بسمد نزوى[٥]

(١) المداهنة أن يُظهر الإنسان خلاف مَا يبطنه.

(٢) السرايا جمع سرية، وتتكون من خمس أنفس إلى ثلاثمائة.

(٣) هم جند الإمام، وقد لقبوا بهذا لأنهم شروا أنفسهم، فبعدوا عَنْ الضلال.

(٤) في الأصل إنكارًا.

(٥) أحد أقسام مدينة نزوى.

دارٌ تُسمّى العقودية، وكانت لتلك الدار عقود عَلَىْ الطريق المقصود، وتلك العقود مظلمة، يقعد فيها الفسّاق وأهل الريبة، فإذا مرت امرأة تعرّض لها أحد، فبلغ ذلك الإمام غسان، فحكم عَلَىْ أهل تلك الدار، إمّا أن يهدموا تلك العقود، أو يدخلوها في دارهم حَتَّى ينظر المارُّ أهل الرّيبة، فقيل: إن أهل الدار أخرجوا طريقًا من أموالهم للنّاس، فكان النّاس يمرّون عَلَىْ تلك[1] الطريق، ثم هدم[2] العقود أهل تلك الدار، ورجع النّاس يمرّون عَلَىْ الطريق الأول.

ولهذه العقود آثار ورسوم جُدر حذاء[3] المسجد الجامع من سمد نزوى.

ولم نزل الإمام غسّان قائمًا بالعدل والحقِّ، فمرض يوم الأربعاء لثمان بقين من ذي القعدة سنة مائتين وسبع سنين[4]، ومات من مرضه هذا بعد أيام بسيرة.

(١) الطريق مذكر وقد يؤنث، جمعه طرق، وجمع الجمع طرقات.

(٢) في الأصل: هدموا، وفاعله مذكور بعده، ومن ثم فلا تلحق واو الجماعة بالفعل.

(٣) في الأصل سهيل سهيل.

(٤) الموافق: ١٢ إبريل سنة ٨٢٣م.

الإمام عبدالملك بن حميد

قولُهُ:

وَنَجْـلُ حُـمَيْـدِ فَـهْـوَ إِمَـامُ عَـدْلٍ تَـفَـانَـى[١] بَـعْـدَ مَـا أَفْـنَـى الشَّبَابَا

التفسيرُ قولُهُ: نجل أي ابن حميد، وهو عبدالملك بن حميد من بني سودة بن علي بن عَمْرو بن ماء السّماءِ الأزدي، وقولُهُ: تفانى بعد مَا أفنى الشباب، أي مات بعد مَا أفنى شبابه بطول عمره، ولمّا [بايعه[٢]] المسلمون سار سيرة الحقّ والعدل، واتبع أثر السّلف الصالح، وصارت عُمَان يومئذٍ به في أمان واطمئنان.

بويع يوم الاثنين لثمان ليالٍ بقيت من شوّال، سنة مائتين وثمان[٣]، فجاهد في الله حـق جهاده، ولم يُبقِ قوة لأضداده، ولم يزل مقيمًا بالعدل، آمرًا بالمعروف، ناهِيًا عَنْ المنكرِ حَتَّى كبر وزمن وضعف مع طول عمر.

فلمَّا وقعت الأحداث في عسكره شاور المسلمون الشيخ موسى بن علي في عزله مع كبره، وضعـف بدنِه، وذهاب قوته، فأشار عليهم أن يحضروا العسكر، ويقيموا أود[٤] الدولة.

فأحضر موسى بن علي العسكر، وأقام أودهم، ومنع الباطل، وعبدالملك في بيته لم يعزلوه ولم يزيلوه حَتَّى مات وهو إمام لهم، برئ من الطعن والريب.

---

(١) في الأصل: تفانا.

(٢) في الأصل: بايعته

(٣) الموافق ٢٧ من فبراير سنة ٨٢٣م.

(٤) الأود هو الاعوجاج.

الإمام المُهَنَّا بن جفير

قولُه:

وَنَـاظَـرَهُ المُـهَنَّـا في جِـهَـادٍ فَـمَـا نَـظَـرَ الـعَـدُوُّ لَـهُ ارْتِـقَـابَا

قولُهُ: وناظره المُهَنَّا في جهادٍ، أي: وماثله المُهَنَّا في الجهاد والأمر بالمعروف، والنهي عَنْ المنكر، وَمَا شهد العدوُّ له ارتقابا في الجهادِ والأمر بالمعروف والنّهي عَنْ المنكر.

والمُهَنَّا هـذا هو المُهَنَّا بن جيفر اليحمدي الأزدي، والجهاد معروف، وقد مضى فيه الكلام، والارتقاب الانتظـار، وفي الكتاب العزيز: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾[1].

قولُه:

إِمَـامٌ أُمَّــةٌ في كُـلِّ عَـيْنٍ يُـرَى وَبِـنَـابِـهِ السَّـيْـفُ اسْتَنَابَا

أي: والمُهَنَّـا بالهيبـةِ والتعظيـم بلا مِراء[2]، إمـامٌ في كلِّ عينٍ يـرى، وسيفهُ بنابه استنـاب، أي: جعلـه نيابة عنه؛ فإنَ للإمـام المُهَنَّا نابًا إذا كشـره مع الغضب لم يكد يسلم من كشره عليه من العطب، وهذا من المشهور مع الجمهور.

وعن نابه يقول الشيخ أحمد بن النّضر شعرًا:

أو كالمُهَنَّا في لَيَـالِ الطَّفَلِ يَفْــ ـتَرُّ عَـنْ نَـابٍ زَبـونٍ أَعْـضَـلِ[3]

قولُه:

وَمَـا هُـوَ سَـيْـفُـهُ سَـيْـفٌ كَـهَـامٌ وَلا سَـيْـفًا لِأَهْـلِ الْـبَـغْـيِ هَـابَـا

يقـول: وَمَا هو، يعنى الإمام المُهَنَّا بن جيفر المذكـور، سيفُهُ سيف كهام والكهام السيف الذي لا يقطع، ولا سيفًا لأهل البغى هابا، أي خشية.

قولُه:

وَلَمَّـا آلُ مُـهْـرَةَ خَـالَـفُـوهُ وَحَـادُوا في عُـتُـوِّهِـمِ الـصَّـوَابَـا

---

(١) الآية رقم ١٠ من سورة الدخان.

(٢) في الأصل مرى، والمراء والمرية الشك والجدل.

(٣) الطفل بالفتح الظلمة نفسها، وليلة مطفل تقتل الأطفال بردًا، ويفتر أي يبين ويظهر، والناب السن خلف الرباعية، مؤنث، والزبون الشديد، والأعضل الغليظ، والبيت من بحر الكامل.

آل مهـرةُ أعرابٌ يسكنون في زمن الإمام المُهَنّـا الرّمل من عُمَان، وهم من مهرة ابن حيدان، فولد حيدان عَمْرو بن الحاف بن قضاعة بن حمير، مهرة وعَمْرو، فولد عَمْـرو مجيدًا، وغريبًـا، وبريدًا، والنعمان، والضغيم، واللّحـا، وجنادة، وولد مهرة ابـن حيدان عَمْرو، وضطمري، وولد ضطمري بن مهرة ثلاثة نفر، الأمري وناعمًا والدّيـل، وولـد الأمري القمر والمُصتـي والمسكا، فمن قبائل القمـر بنو ريام، ومن القمـر بنو جبريت وبنو يبرح، ومـن قبائل الديل حسريـت والسوحم وبختن ابني حسريت بن الديل بن ضطمرى بن مهرة.

وقولُـهُ: لَمّا خالفوه وحادوا في عتوّهم[1] الصوابا، أي لمّا عصوا أمره، وجانبوا في عتوهم إصابة الصواب لمخالفتهم له.

قولُه:

أَتَــاحَ لَـهُـمْ قُـيُـودًا عَـائـقَـاتٍ ... وَسِـجْنًـا يُـوحِـشُ الأَبْـصَـارَ بَـابَـا

قولُـهُ: أتاح أي: أنفذ لهم لمّا عصوه، وَهُـمْ بنو مهرة المذكورون، قُيُودًا عائقات، أي: ضَيّقات، وسِجنًا، أي ومحبسٍ يدهش الأبصار، أي: يوحشها، بابا ضيّقًا حَرِجًا، والقيود معروفة، واحدهن قيد.

قيل: كان باب ذلك المحبس الذي يحبس فيه الإمام المُهَنّا البغاة، لا يدخله الجاني منهم إلا حبوًا من شدة ضناكته.

قولُه:

وَمُـذْ شَهِـدُوا التَّبَـابَ دَنَـا فَتَابُـوا ... وَكَــانَ يُـقِـيـلُ مِمَّــنْ قِـيـلَ تَـابَـا

يقول: وَمُذْ شَهِدُوا، أي رأي بنو مهرة التباب، وهو الخُسرانُ والهلاك دنا إليهم، أي: اقترب إليهم في ذلك المحبس، فتابوا، أي: فأظهروا التوبة للإمام المُهَنّا، ولمّا قيل له تابوا عفا عنهم، وكان من عاداته يقيل من قيل له تاب، ورجع عَنْ زلته، أقاله بقيله، إذا سامحه وعفا عنه عمّا كان منه.

قولُه:

فَفَـكَّـهُـمْ وَقَـدْ نُـصِـبَـتْ بِـفَـرْقٍ ... إِلَـيْـهِـمْ وَهْـيَ سَـارِيَـةٌ عِـقَـابَـا

(١) العتو الاستكبار ومجاوزة الحد.

يقول: ففكّهم الإمام المُهَنّا، أي أطلقهم من الحبس والقيد لمّا صحت توبتهم لديه، وذلّهـم إليـه، وقد نصبت لهم لمّـا فكّهم من الحبس والقيد ساريـة بفرق، وهي التي تُسمّيها العامّـة بالكلام الاصطلاحي نقصة، وفرق بلـدة صغيرة من أعمال نزوى، كان يسكنهـا أيام حياته الشيـخ العالم العامل، القطب الرباني، أبـو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي[١]، رحمه الله، وقد نصبت تلك السارية لبني مهرة عَلمًا، ليؤدوا حولها مَـا عليهم من الزّكـوات الواجبات عليهم للإمام، وقولُهُ عقابـا، أي لتبقى لهم تلك الساريـة بعدما عوقبوا عقابًا، مَا دام الإمـام في قيد الحياة ليتأدبوا عَنْ الاستنكاف[٢] عَنْ طاعتهم الواجبة إليه.

قولُهُ:

فَـأَدُّوا حَـوْلَـهَـا مِمَّـا عَـلَـيْـهِـم ... إِلَـيْـهِ أَوْجَـبَ الـشَّـرْعُ النِّصَابَا

يقـول: فأدى[٣] بنو مهرة حـول تلك السّارية، أي عندهَا مّمـا عليهم إليه أوجب الشرع من أداءِ النّصاب[٤].

قولُهُ:

كَـسَـاهُ هَـيْـبَـةً رَبُّ الْـبَـرَايَـا ... فَلَيْسَ بِهَا أَتّقَى الأُسْـدَ الغِضَابَا

يقـول: كساه الله هيبـة، يعنى الإمـام المُهَنّا، فليس بِهَـا أتّقـى، أي خشى الأسْد الغضـاب، يعنـى اعداءه المخالفـين للسّنةِ والكتـاب، أخبر عَنْ قوّتهـم في الوصفِ وانعكاسهم إليه بالضِّعفِ.

ولله دَرُّ المتنبي حيث يقول شعرًا:

أُسْـدٌ فَرَائِسُها الأُسُـودُ يَقُودُها ... أَسَـدٌ تَصِيرُ لَـهُ الأُسُـودُ ثَعالِبَا

---

(١) أحد علماء الأزد وثقاتهم، أخذ الحديث النبوي عَنْ ابن عباس وعن ثقات الأنصار والمهاجرين، وعن عائشة بنت أبي بكر، أم المؤمنين.

(٢) الاستنكاف الامتناع والاستكبار.

(٣) في الأصل: فأدوا بنو مهرة.

(٤) النصاب من المال هو القدر الّذي تجب ففيه الزكاة إذا بلغه.

قولُهُ:

وَأَحْسَبُ لَوْ عَلَيْهَا يَنْضُو نابًا لَمَا أَبْقَى لَهَا ظُفْرًا وَنَابَا [١]

قولُهُ: وأحسب أي وأظنُّ لو عليها ينضو[٢] نابًا، يعني الإمام المُهَنَّا لو ينضو، أي: لو يُجرد نابه عَلَىْ أولئك الأعداء المذكورين لَمَا أبقى لها ظفرًا تفري[٣] به، ولا نابًا تنهش به.

وقد سألت بعض المشايخ عَنْ الإمام المُهَنَّا ونابه، فقال: إمام مهيب، قد أودع رَبُّ الخلق في نابِهِ سرًّا يَنُوبُ عَنْ البرق.

قولُهُ:

فَمَاتَ بِهَيْبَةٍ لَمْ تَنْبُ حَدًّا وَعَدْلٍ بِالإِضَاءَةِ مَا تَغَابَا [٤]

يُقولُ: فماتَ الإمام المُهَنَّا بهيبةٍ لم ينب حدُّها عَنْ الأشرار، وبإضاءةِ عَدْلٍ مَا تَغابا عَنْ الأبصار.

---

(١) في الأصل ينضوا بالألف وصوابه عدم الألف. فالواو لام الفعل، وليست واو الجماعة، وتقتضى سلامة وزن البيت عدم مد الضم في الفعل ينضو.

(٢) نضاه أي جرده من ثوبه، والسيف سله من غمده.

(٣) فراه يفريه أي شقه.

(٤) في الأصل: لم تنبوا، والصواب حذف حرف العلة للجزم، ونبا ينبو إذا كل وضعف، وتغابا أي غاب.

ذكر بعض مَا كان من سِيره وأحكامه، ولمع[١] مما كان في دولته وأيامه

اتفق أهل العلم بالسِّيَر والأخبار من أهل عُمَان، أن الإمام المُهَنَّا بن جيفر الأزدي، لقد عقدت له الإمامة في يوم الجمعة في شهر رجب سنة ست وعشرين ومائتين[٢]، فوطـئ أثر السلف الصالحين، وسار بسيرتهـم، وكان له ضبطٌ وحزمٌ، لا يتكلّم أحدٌ في مجلسِـهِ بباطـل، ولا يعين خصمًا عَلَىٰ خصمه، ولا يقوم لأحـدٍ من أعوانه مَا دام قاعـدًا ولا يدخل أحدٌ ممن تجري له النفقة العساكـر، إلا بالسلاح، وكان مُولّيًا عَلَىٰ الصدقـة رَجُـلًا من بني ضبّة، يسكن بلدة منح، يقال لـه: عبدالله بن سليمان، وكان يرسلـه إلى الماشية، فدخل أرض مهـرة، ووصل إلى رجل، يقال له: وسيم بن جعفر، وقـد وجبـت عليه فريضتان، فامتنع إلا أن يعطي صدقة واحـدة، وقال له: إن شئتها وإلا فانظـر إلى قبـور أصحابكم، فـإن كل من خالفنا وأراد خلاف مَـا أردنا قتلناه، فسكت عنه ورجع، ومعه رجلٌ جَمّال.

فلمَّـا وصلا إلى عـز[٣] من عُمَان، وكان منزل عبدالله بـن سليمان المذكور بها مكـث هو فيها، وأرسل صاحبه الجَمّـال إلى الإمام المُهَنَّا، فلمَّا وصل عنده وجده قاعدًا في مجلسِهِ.

فلمَّـا أراد الإمـام الانصراف دعا الجَمّـال، فسأله عَنْ عبـدالله وسيرته في سفره، فأخبره بما كان من وسيم تفصيلًا وجملةً، فقال الإمام: اطو الخبر، ولا تبده[٤] لأحد.

فلمَّـا وصل عبدالله بن سليمان سأله عَنْ وسيم، فأخبره بما أخبره صاحبه الجَمّال. فكتـب الإمام مـن وقتـه إلى والي أدم[٥] وإلى والي سنـاو، وإلى والي جعلان[٦]، إذا ظفرتم بوسم بن جعفر فاستوثقوه[٧] وأعلموني به.

---

(١) جمع لمعة بالضم، وهي العمل الطيب المضئ بآثاره الجليلة.

(٢) الموافق إبريل سنة ٨٤٠م.

(٣) قرية تقع عَلَىٰ الجنوب من منح عَلَىٰ الطريق إلى أدم.

(٤) في الأصل: ولا تبديه لأحد، والصواب حذف العلة من الفعل جزمًا بلا الناهية.

(٥) أدم إحدى بلاد محافظة الداخلية.

(٦) واحد من أجزاء محافظة جنوب الشرقية.

(٧) أي قيدوه بالوثاق، وهو مَا يشد به.

وأنفـذ إليه الإمـام المُهَنّا يحيى اليحمدي، المعروف بأبـى المقارش مع جماعة من أصحاب الخيل، ثم أنفذ كتيبة[١] أخرى، فالتقت الكتيبتان في قرية عزّ، ثم أنفذ كتيبة أخرى، فالتقت الكتائب المتقدمة في قرية منح[٢].

ولم تـزل الكتائب تتراسل موجفة[٣] في طلبـه حَتّى صادفوه ومعه بعض الرّجال، ووصلوا به إلى نزوى، فأمر الإمام بحبسهم.

فمكثـوا في السجـن والقيد، لا أحـد يكلّم الإمام فيهم ولا يسـأل عَنْ حبسهم، حَتّـى وصل جماعة من مهرة، فاستعانـوا عَلَىْ الإمام بوجوه اليحمد، فأجابهم عَلَىْ إطلاقهم، وشرط لهم ثلاث خصال: الأولى: إما أنْ يرتحلوا عَنْ عُمَان؛ الثانية: إمَّا أنْ يأذنـوا بالحرب، والثالثة: إمَّا أنْ يُحضروا الماشية كلَّ حول إلى عسكر نزوى بفرق[٤] حـول السّارية المذكورة، وتشهد الشهود عَلَىْ حضورها، وأنه لم يتخلف منها شيء، في كلِّ سنة، تدور عند السارية المذكورة، وهي قد بنيت بأمر الإمام المُهَنّا علامةً لبني مهرة، ليحضروا إبلهم وأغنامهم عندها.

فقالوا: أمَّـا الارتحالُ فلا يُمكننا، وأمَّا الحربُ فلسنا نحاربُ الإمام، وأمَّا الإبل والثاغيـة[٥] فسنحضرها كما شـرطَ الإمام، ونفي له كما أمـر. فعند ذلك عدل الإمام الشهود.

فكانوا يحضرون إبلهم وأغنامهم في كل سنة تدور[٦] عند السّارية التي بفرق.

وخـرج وسن[٧] الجُلَنْدَاني ومن معـه من بني الجُلَنْدَى [بغـاةً][٨] على المسلمين، فوصلـوا إلى تـوام الجوف، التي تسميها العامة الجـوّ، وكان أبو الوضاح واليًا عليها

(١) الجماعة من الجيش إلى الألف.

(٢) إحدى القرى بمحافظة الداخلية.

(٣) الوجوف: هو الاضطراب، والوجيف ضرب من سير الخيل والأبل.

(٤) قرية بالقرب من نزوى.

(٥) الثاغية هي الشاة، والثغاء صوت الغنم عند الولادة.

(٦) أي: تمضي وتنتهي.

(٧) يذكر ابن رزيق في كتابه الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، أنَّ الَّذِي خرج هو المغيرة بن وسن الجُلَنْدَاني.

(٨) في الأصل: بغاتًا

للإمام المُهَنَّا، فقتلوا أبا الوّضاح، فلمّا بلغ ذلك المسلمين، وكان أبو مروان واليًا على صحـار من قبل الإمـام المُهَنَّا، فسار بمن معه من النّاس، وعنـده مطار الهندي، ومن معه من الهند.

فلمَّـا وصلوا إلى توأم هجمـوا على بني الجُلَنْدَى، وعلى مـن شايعهم من البغاة، فهزمهـم الله، وقتـل مِنْهم مـن قتل، وتفرّقوا بعـد الالتئام أيادي سبـأ في التنائف[١] والرّبـى[٢]، وأحرق المطـار الهندي ومن معه من السّفهاءِ دور بنـي الْجُلُنْدَى بالنار، وكان في دورهم البقر والأغنام والمواشي مربوطة، فاحترقت.

فَرُوي أن رَجُـلًا من أصحاب المطار كان يلقي بنفسه في الفلج[٣] حَتَّى يبتل بدنه وثيابه، ثـم يمضي إلى النار ليقطع حبال الدواب، فينجـي نفسها من النيران؛ وروي أنهم أحرقوا لهم سبعين غرفة، وقيل: خمسين، والله أعلم بالصواب.

وروي: أن النسوة من بني الْجُلُنْدَى خرجن عَلَىْ وجوههن إلى الصحراء هاربات، ومعهـن أَمَـةٌ[٤]، فلبثن مَا شـاء الله في الصحراء، ثم احتجن إلى الطعـام والشراب، فانطلقت الأمة إلى القرية في الليل تلتمس لهن طعامًا وشرابًا.

فلمّا وصلت إلى القرية بعد هزيع[٥] من الليل وجدت شيئًا من السّويق[٦]، وسقاء من أسقية اللّبن، فعمدت إلى الفلج، فملأت السقاء ماء، فبصر بها رجلٌ من أصحاب المطار قد توجهت نحو النّسوة بالماءِ والسويقِ، فأدركها الرجل.

فلمّا وصلها أخذ منها السويق فألقاه في الرّمل، وأراق الماء الذي حملته في سقائها في الأرض.

وكان أبو مروان لم يأمر بالحرق ولا بشيءٍ من هذا، وقد نهي عَنْ ذلك فلم يقبل قولُه.

(١) التنائف جمع تنوفة، وهي الأرض بعيدة الأطراف، أو الفلاة لا ماء بها ولا أنيس.
(٢) الربى جمع رباة، وهي مَا ارتفع من الأرض.
(٣) الفلج هو النهر الصغير.
(٤) أي جارية.
(٥) الهزيع نحو ثلث الليل أو ربعه.
(٦) هو الخبز القديد.

وبلغنا أن الإمام قد بعث رجلين إلى القوم الذين اجتمعوا مع أبي مروان وإلى الذين أحرقت منازلهم، فأمر بإنصافهم، وأن يعطوهم مَا وجب لهم الحق.

وبلغنا أن القوم الذين اجتمعوا مع أبي مروان اثنا عشر ألفًا، والله أعلم.

ولم يزل الإمام المُهَنَّا إمامًا عادلًا حَتَّى مات يوم سادس عشر من ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين ومائتين[1]، وكانت مدّة إمامته عشر سنين وأشهرًا وأيامًا، ومات والمسلمون عنه راضون، وله موالون ومؤازرون.

(١) الموافق ١٩ من أكتوبر سنة ٨٥١ م.

الإمام الصَّلْت بن مالك

قولُهُ:

فَبُويِعَ بَعْدَهُ الصَّلْتُ انْتِصَارًا لِدِينِ اللهِ طَوْعًا لا اغْتِصَابَا

يقول: فبويع[1] بعد الإمام المُهَنَّا بن جيفر، الصَّلْت، وهو الصَّلْت بن مالك الخروصي، فهاءُ بعده راجع ضميرها إليه، وقولُهُ: انْتِصَارًا لِدِيْنِ اللهِ، أي: لينتصروا به لدين الله عَلَىٰ مَنْ أراد أن يخذل دين الله بعناده وكفره، ونصبَ الانتصار عَلَىٰ المصدر، أي لينتصروا به انتصارًا، أي: فانقاد الصَّلْت لهم طوعًا لَمَّا دعوه عَلَىٰ ذلك استحبابًا لا اغتصابًا.

قولُهُ:

وَفَاضَ الْعَدْلُ مِنْهُ في عُمَانٍ وَمَا أَلْفَتْ بِسِيرَتِهِ الْخَرَابَا

فَاضَ الشيءُ إذا كَثُر وأغمرَ مَا وقع عليه بِنموهِ، والعدل وعُمَان مضى فيهما الكلام، وقولُهُ: و مَا ألفت بِسِيرته الخراب، أي: عُمَان لَمَّا أغمرها الصَّلْت بعدله وعمَّرها بإحسانِهِ مَا ألفت بسيرته خرابا من كُلِّ باغٍ، سيء الأفعال، مُتَفَيِّئٍ بِظِلالِ الضَّلال.

قولُهُ:

فَعَمَّرَ في الإِمَامَةِ وَهْوَ عَدْلٌ وَلَمْ يُحْدِثْ إِلَيْهِ الفِعْلُ عَابَا

عَمَّر الإنسان في الزّمان إذا طال عمره فيه قبل أن يدرك الغاية، وهو الأجل الَّذي لا يطول بعده العمر ولا يقصر دونه؛ وفي الكتاب العزيز: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾[2]، أي: وَمَا يُعمَّرُ المخلوق في الزّمان ولا ينقص من عمره فيه شيئًا فشيئًا إلى بلوغ الغاية، وهو الأجل إلا في كتاب الله، الَّذي لم يطلع عليه أحدٌ من خلقه، والكتاب هنا علمه الَّذي أخفاه عَلَىٰ خلقه، فهو القائل: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾[3].

(١) كانت مبايعته في اليوم الَّذي مات فيه المُهَنَّا بن جيفر.

(٢) من الآية ١١ من سورة فاطر.

(٣) من الآية رقم ٣٤ من سورة لقمان، وفي الأصل: فما تدري.

وهو القائل، وَمَا لقولُه تبديل: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾(١).

وقولُـهُ: ولم يحدث إليه الفعـل عابا، الحَدث قد يكون حَسَنًـا، وقد يكون سيئًا، والفعل كذلك، والعابُ والعيبُ بمعنى.

والمعنى: أن الإمام الصَّلْت المذكور طال عمره في الإمامة، وهو مع طول عمره لم يحدث له فعله عيبًا شائعًا للخاصة والعامة.

قولُهُ:

وَفي رِجْلَيْهِ لَمَّا ابْتَثَّ ضَعْفٌ ... وَلَمْ يَسْطَعْ إِلَى السَّيْفِ اجْتِذَابَا

الرجـلان خلاف اليد، وابتثّ الشيء إذا انهدَّ واستحال عَنْ حاله الأول إلى حالٍ أدقَّ وأضعـف، فتبدّل مع ضعفه تبديلًا، وعسر خروجـه الَّذي وقع فيه، والضّعف خـلاف القوّة والنّشاط، وقولُهُ: لم يسطع إلى السّيفِ اجتذابًا، أي: أنَّ الإمام الصَّلْت لَمَّا انبث الداء في رجليه، وصار من الكبر في ارتِعاد ما قدر عَلَىٰ سلِّ السَيف للجهاد عَلَىٰ أهل العنـاد، فقد روى غير واحـد، أنَّ الإمامَ الصَّلْت لَمَّا خانـه مع الكبر قوى الرجلين مَا قدر عَلَىٰ المشي إلا عَلَىٰ عصوين.

قولُهُ:

فَعَنْ بَيْتِ الإِمَامَةِ لَيْسَ عَنْهَا ... تَخَلَّى فَهْيَ كَانَتْ مِنْهُ قَابَا

يقول: فلمَّا أضعفه الكبر وخانته(٢) الرّجلان عَنْ القيام للجهاد تخلى(٣) من بيت الإمامة لا خلافتها، فهي كانت له مع الاقتراب كالقاب.

قولُهُ:

فَمَاتَ بِغَيْرِ عَزْلٍ مِنْ شُيُوخٍ ... وَشُبَّانٍ لَهُمْ أَعْلَوا جَنَابَا(٤)

---

(١) من الآية رقم ٨٥ من سورة الإسراء.

(٢) في الأصل: وخانتاه الرجلان، والصواب حذف الفاعل الضمير لوجود الفاعل الظاهر بعده.

(٣) في الأصل تخلا بالألف.

(٤) في الأصل أعلو بدون ألف بعد واو الجماعة.

يقـول: فمات الإمام الصَّلْت بغير عزل عَنْ الإمامة من شيوخ[1] أي لا من شيوخ ثقـات، ولا من شُبّانٍ أَعْلُوا جنابًا لَهُمْ في المُشْـكلات، والجناب هُنا المحلُّ الرفيع لَا الوضيع.

قولُهُ:

وَجَلَّـتْ بَـعْـدَهُ فِـتَنٌ أَثَـارَتْ قَـتَامًـا غَـيْـمُـهُ تُـزْرِي السَّحَابَا

جَلَّ الشيءُ إِذا عَظُمَ، والهاءُ راجعٌ ضَميرُهَا إلى الإمامِ المذكور، والفِتَنُ جمع فتنة، وأثـارت أي أعلـت، والقَتامُ الغُبـارُ كالقَتَمِ، والغيم السَحـاب، وقولُهُ: غيمه تزري السّحاب، أي تُحقّر السحاب.

والمعنى: وعظمـت بعد الإمام الصَّلْت فتنٌ بعُمَان، فأثـارت قتامًا بين أهل عُمَان بكثرة الضّرب والطّعان بالسيوف والمُران.

قولُهُ:

وَكَـادَتْ مِـنْ مَـلَاحِـمِـهَـا عُـمَـانٌ يـخَـاطِـبُ بُـومُـهَـا فِـيْـهَـا الْـغُـرَابَـا

كادت أي قاربت، والملاحم جمعُ ملحمة، وإِنَّمَا سُمّيت الملحمة ملحمة؛ لكثرة تقطيع اللّحم: بالسيوف، وقولُهُ: يخَاطِبُ بومها فِيْهَا الغرابا، أي: وكادت عُمَان من كثرةِ الطّعـن والضّراب بين الحَضرِ والأعراب أن تُصبح خرابًا، يخاطِبُ عن مصحها بُومها فيها الغُراب، والبُوم والغُرابُ معروفان.

---

(١) يروى أنَّ الإمام الصَّلْت لَمَّا اشتد به الضعف اعتزل عَنْ بيت الإمامة، فعقد لراشد بن النضر في ٢ مايو سنة ٨٨٦م، ثم عزله موسى بن موسى، ثم ولي عزّان بن تميم الخروصي في ٢٤ يوليو سنة ٨٨٩م، فلبث موسى وعزان ولبين، فتراكمت الفتن بين أهل عُمَان، وصار أمر الإمامة لعبًا وبغيًا وهوًى، حَتَّى إنهم عقدوا في عام واحد ست عشرة بيعة، ولم يفوا بواحدة منها.

الإمام سعيد بن عبدالله

قولُهُ:

إِلَىٰ أَنْ قَالَتِ العُلَمَاءُ طُرًّا   سَعِيدٌ، قُمْ لَهَا وَلَهُمْ أَجَابَا

أي: فَمَا برحت تلك الفتن والملاحم بين أهل عُمَان أنْ يَعُبَّ عبابها، وَيجُمّ اضطِرَابُهَا حَتَّى قال[١] علماءُ عُمَان كافة لسعيد بن عبدالله بن محمّد بن محبوب بن الرّحيل بن سعيد بن هبيرة القُرشي، فارس رسول الله ﷺ: قُمْ للإمامة وانتصب إليها انتصابًا، ولهُمْ سعيد أجابا.

عودة لسيرة الإمام الصَّلْت[٢]

قال النّاظم المُفسّر: سنأتي الآن بسيرة الإمام الصَّلْت وَمَا كان في أيامِ دولته إلى أن مات وبعدها، لنتمّم القول في الإمام سعيد بن عبدالله.

بويع الإمام الصَّلْت بن مالك الخروصي في اليوم الَّذي مات فيه الإمام المُهَنَّا بن جيفر، وكان يومئذٍ رئيس المسلمين في العلم محمّد بن محبوب بن الرحيل بن سيف ابن هبيرة؛ فبويع الصَّلْت عَلَىٰ مَا بويع عليه أئمّة العدل من قبله، فسار بالحقّ والعدل مَا شاء الله حَتَّى كبر وضعف، وإنَّما ضعفه كان من قبل الرّجلين خاصة، وأمَّا العقل والبصر والسمع فلا نعلم أن أحدًا قال بها ضعفًا.

فلمَّا بلغ الكتاب أجله، وأراد الله أن يختبر أهل عُمَان كما اختبر الذين من قبلهم سار إليه موسى بن موسى بمن معه حَتَّى نزل فرقًا[٣]، فتخاذلت الرّعية عَنْ الصَّلْت، وضعف عَنْ الإمامة، واعتزل عَنْ بيتها، فعقد موسى بن موسى الإمامة لراشد بن النّضر، وكان ذلك يوم الخميس لثلاث ليالٍ خلون من شهر الحجّ، سنة ثلاث وسبعين ومائتي سنة مِنْ الهجرة[٤].

(١) في الأصل: قالت.

(٢) العنوان من لفظ المحقق.

(٣) قرية بالقرب من نزوى.

(٤) في ١ مايو من عام ٨٨٧م.

وكانت وفاة الإمام الصَّلْت ليلة الجمعة للنصف من ذي الحجة، سنة خمس وسبعين ومائتين من الهجرة(١).

وفي أيامه توفى العلامة محمّد بن محبوب.

ثم وقعت الفتنة في عُمَان وكبرت المحنة، واختلفوا في دينهم، وكثرت البراءة، وعظمت الإحنة، واشتدت العداوات، وكثرت بينهم السِّيَر والأقوال، وعظم القيل والقال، واشتد بينهم القتال.

وذلك أنَّه لمَّا اعتزل الصَّلْت من بيت الإمامة، وولي راشد بن النّضر وقعت بين أهل عُمَان وقائع، منها وقعة الروضة، التي تعرف بتنوف.

وذلك، أنَّه خرج فهم بن وارث ومصعب بن سليمان عَلَىْ راشد بن النّضر فبعث لهم راشد جُنُودًا فاقتتلوا بالروضة، فظهر راشد بن النّضر عَلَىْ فهم.

ومنها وقعة الرستاق بين سوني(٢) وعيني(٣) التي خرج(٤) فيها شاذان بن الإمام الصَّلْت عَلَىْ راشد. فظهر راشد وجنوده عَلَىْ جند شاذان.

ومنها وقعة الطاقة التي ظهر فيها جند راشد عَلَىْ شاذان وجنده.

ثم إن موسى برئ من راشد، وفسّقه وضلّله وصال عليه، وعزله.

ثم ولّي عزّان بن تميم الخروصي يوم الثلاثاء لثلاث ليالٍ خلون من شهر صفر، سنة سبع وسعين ومائتين(٥)، وكان ممن حضر البيعة عمر بن محمّد بن سليمان.

فلبث موسى وعزان وليين، لبعضهما بعضًا زمانًا.

ثم وقعت بينهم الإحن(٦)، فعزل عزّان موسى عَنْ القضاء، وتخوفَ عزّان من موسى، فعاجله بجيش، أطلق فيه كافة المحبوسين.

(١) الموافق ٢٢ من إبريل سنة ٨٨٩م.
(٢) التسمية القديمة لمدينة العوابي.
(٣) في الأصل: عيسى.
(٤) زيادة من المحقق ليستقيم الكلام.
(٥) الموافق ليوم ٣٠ مايو ٨٩٠م.
(٦) العداوة والبغضاء

فسـار إلى إزكي[١]، فدخل هو وجمعه حجـرة النزار[٢]، فجعلوا يقتلون من فيها ويأسرون، ويسلبون، وينهبون، وأضرموا فيها النيران، فأحرقوا فيها أناسًا أخيارًا.

وقتل موسى بن موسى مع حصيات الردة التي عند مسجد الحجر من محلة الجنور، وفعلوا بأهل إزكي ما لم يفعله أحدٌ من قبلهم من الجور.

فاشتدت الفتن، وعظمت الإحن، وجعل كلُّ فريقٍ يطلب إساءة صاحبه بما قدر.

وآوى عـزّان المحدثين من أصحابه، وأجرى عليهم النفقات، وطرح نفقة[٣] من تخلـف عَـنْ المسير إلى إزكي، وكانـت هذه الوقعة يوم الأحد وليلـة بقيت من شهر شعبان سنة ثمان وسبعين ومائتين[٤].

ومـن أجل هذه الوقعـة خرج الفضل بن الحواري القرشي النـزاري ثائرًا بمن قتل مـن أهـل إزكي، وشايعه عَلَىْ ذلك المضرية والحدان وناس من بني الحارث من أهل الباطنـة، ولحق عبد الله الحداني بجبل الحدان، وخـرج الفضل إلى توأم، ثم رجع إلى الحدان، وخرج معه الحواري بن عبدالله السلّوتي، ومضوا إلى صحار؛ وذلك في يوم الثلاثـة والعشرين من هذا الشهر[٥]، ويوم الجمعة، وحضرت صلاة الجمعة، فصلى بالنّاس زيد بـن سليمان، وخطب النّاس، ودعا للحواري بـن عبدالله السلّوتي عَلَىْ المنبر، وأقاموا فيها بقية الجمعة والسّبت.

وخرجوا عشية الاحد لمحاربة الأهيف بن حمحام الهنائي ومن معه من أصحاب عزّان بن تميم.

وذلـك، أن عزّان بن تميـم لَمَّا سمع بخروجهـم وجّه إليهم الأهيـف بن حمحام الهنائـي في جماعـة من اليحمد، وفيهم فهم بن وارث، فسـاروا حَتَّى بلغوا مجز من الباطنة، وأرسلوا إلى الصَّلْت بن النّضر، فخرج عليهم في جماعة من الخيل والرّجال، ووصـل إليهم الفضل بـن الحواري، والحواري بن عبـدالله، وأشرعوا فيهم القتال، فقتل من المضريّة يومئذٍ خلق كثير، ووقعت الهزيمة عليهم.

---

(١) مدينة من أهم مدن محافظة الداخلية.

(٢) أي محلة بني نزار

(٣) أي أسقطها فلم يعطها لهم.

(٤) الموافق ليوم ١٣ نوفمبر سنة ٨٩١م.

(٥) يقصد ٢٣ من شعبان عام ٢٧٨هـ/ يوافق ليوم ٤ ديسمبر ٨٩٢م.

وكانت هـذه الوقعة يوم الاثنين لأربع ليال بقين من شهر شوال[١] من هذه السنة المذكورة.

ولم تزل الفتن تتراكم بين أهل عُمَان والإحن بينهم تتزايد، وصار أمر الإمامة معهم لَعِبًا ولهـوًا، وبغيًا وهوًى، لم يقتفوا كتـاب الله، ولا سنّة نبـيّ الله، ولا آثار السّلف الصّالـح من آبائهم وأجدادهم حَتَّى إنّهم عقدوا في عامٍ واحدٍ ست عشرة بيعة، ولم يفوا بواحدة، حَتَّى بلغ الكتاب أجله.

فخـرج محمّـد بن أبي القاسم وبشير بن المنذر من بنيٍ سامة بـن لؤي بن غالب، وقصدوا إلى البحرين، وكان بها يومئذٍ محمّد بن نور عاملا للمعتضد العباسي[٢].

فلمَّـا قدما عليه شكيا إليه مَا أصابهما من الفرقة الحميرية، وسألاه الخروج معهما إلى عُمَـان، وأطمعاه في أمور كثيرة، فأجابها عَلَـىٰ ذلك، وأشار إليهما أن يذهبا إلى الخليفة ببغداد، ويذكرا له أمرهما، وأنهما قدما يريدان نصرته.

فسار محمّد بن أبي القاسم إلى بغداد، وقعد بشير مع محمّد بن نور.

فلمّا قدم محمّد عَلَىٰ الخليفة المعتضد ذكر له الأمر عَلَىٰ التفصيل والجملة، واستخرج منه لمحمّد بن نور عهدًا عَلَىٰ عُمَان، ورجع إلى البحرين.

فلمَّـا رجـع إلى محمّد بن نور أمر محمّـد بن نور فورًا في جمـع العساكر من سائر القبائل، والخاصّة النزاريّة، وحصل معه أناسًا من الشام، وطيء.

فخـرج يريد عُمَان في خمسة وعشرين ألفًـا، ومعهم من الفرسان خمسة آلاف وخمسمائة فارس، عليهم الدروع والجواشن[٣]، وعندهم الأمتعة.

فلمَّـا اتصل خبره بعُمَان اضطربت، ووقع الخلف بين أهلها، والعصبية، وتفرقت آراؤهـم، وتشتـت قلوبهم، فمنهم من خرج من عُمَان بماله وأهله، ومنهم من سلم نفسه للهوان، لقلّة حيلته.

(١) الموافق ليوم ٤ من شهر فبراير ذلك العام.

(٢) أحد خلفاء الدولة العباسية وهو المعتضد بالله أبو العباس أحمد بن الموفق بن طلحة ابن المتوكل (٨٩٢ - ٩٠٢م) أكثر الخلفاء العباسيين بعد الواثق دراية بصناعة الغناء، وقد تفوق في بعض أصواته عَلَىٰ كثير من أهل صناعة الغناء.

(٣) جمع جوشن وهو الدرع.

فخـرج سليمان بـن عبدالملك السليمي ومـن اتبعه إلى هرمـوز[١]، وخرج أهل صحار بأهلهم وأموالهم إلى شيراز[٢] والبصرة.

وقـدم محمّد بن نور بجنوده وعساكره، فافتتح جلفار، ووصل إلى توأم، فاستولى عَلَىْ السر[٣] ونواحيها، وقصد نـزوى، فتخاذلت النّاس عَنْ عزّان بن تميم، فخرج من نزوى إلى سمدِ الشّان[٤]؛ ووصل محمّد بن نور إلى نزوى فسلّمت له.

ثم مضى قاصدًا إلى سمدِ الشّان، فلحق عزّان بن تميم فيها، فوقعت بينهم الحرب، واشتد بينهم الطّعن والضرب؛ وذلك يوم الأربعاء لخمس وعشرين من صَفر من هذه السّنة[٥]؛ فكانت الدّائرة والهزيمة عَلَىْ أهل عُمَان.

وقتـل عـزّان بن تميـم، وقتل معه جملة من أهـل عُمَان، وخرجـت عُمَان من يد أهلها، ولم يغيّر الله مَا بهم، بل غيّروا مَا بأنفسهم.

وكان قتـال الفريقين وحربهم طلبًا للملك والرياسـة، فسلّط الله عَلَىْ أهل عُمَان عدوّهم.

وكانـت دولـة الإباضية الاستقامية مـذ ملوكها إلى أن خرجت مائـة سنة وثلاثًا وستين سنة إلا شهرًا واثنى عشـر يومًا، والله أعلم.

وبعـث محمّد بن نور برأس عزّان بن تميم إلى الخليفة المعتضد ببغداد، ورجع محمّد ابن نور إلى نزوى، واستولى عَلَىْ كافة عُمَان.

ثـم إن الأهيف بـن حمحام الهنائي جعـل يكاتب مشايخ أهل عُمَـان وقبائلها، ويدعوهـم إلى مقاتلـة محمّد بـن نور، ويحثهم عَلَىْ إخراجه من عُمَـان، فأجابوه، وأقبلوا إليه. فسار بعسكرٍ جَمٍّ يريد محمّد بن نور.

فلمّا بلغ محمّدًا ذلك دخل الرعب في قلبه، فخرج هاربًا، فاتبعه الأهيب بعساكره،

(١) جزيرة مقابلة لشاطئ إيران الجنوبي بين خليج العرب وبين خليج عُمَان، وكانت من أهم المراكز التجارية في منطقة الخليج العربي إبان القرنين السادس عشر والسابع عشر.

(٢) بلد مشهور في إيران.

(٣) إحدى مناطق عُمَان.

(٤) قرية تقع عَلَىْ الجانب الأيسر لوادي سمد في محافظة شمال الشرقية.

(٥) يقصد سنة ٢٧٩هـ/ يوافق ليوم ٢٨ مايو ٨٩٢م

فلحقه بقرية دما(١)، فاقتتلوا حَتَّى كَثُرَ بينهم القتل والجراح، فَهرب(٢) جيش محمّد ابن نور إِلَىٰ سيف البحر من السيب(٣).

فبينما هم كذلك إذ لاح لهم ركبٌ من أهل قدامة وغيرهم من المضريّة، عَلَىٰ كُلِّ جملٍ رجلان من قبل عبيدة بن محمّد السامي مددًا لمحمّد بن نور.

فلمَّا كَانُوا قريبًا من العسكرين نزلوا عَنْ رواحلهم، وأخذوا أسلحتهم، وحملوا مع محمّد بن نور عَلَىٰ الأهيف وأصحابه، فكانت الدائرة عَلَىٰ أهل عُمَان.

فقتل الأهيف بن حمحام وعنده كثير من عشيرته وغيرهم، ولم يسلم إلا من تأخّر أجله.

ورجع محمّد بن نور إِلَىٰ نزوى، واستولى عَلَىٰ كافّة عُمَان، وفرّق أهلها، وعاث في البلاد، وأهلك كثيرًا من الحرث والأولاد، وجعل أعزّة أهلها أذلّة، وقطع الأيدي والأرجل، وسمّل(٤) الأعين، وجعل عَلَىٰ أهلها النّكال والهوان، ودفن الأنهار، وأحرق الكتب، وذهبت عُمَان من يد أهلها.

ثم إنّه لمَّا أراد الرجوع إِلَىٰ البحرين جعل عاملًا عَلَىٰ عُمَان أحمد بن هلال، ورجع هو إِلَىٰ البحرين، وجعل أحمد عاملًا عَلَىٰ سائر عُمَان، وكانت إقامته ببهلا(٥). وجعل عَلَىٰ نزوى البحيرة، ويكنى أبا أحمد.

فقيل له ذات يوم: إن أبا الحواري ومن معه من أصحابه يبرأون من موسى بن موسى.

فأرسل إِلَىٰ أبي الحواري جنديًا، فوصل إليه الجندي، وهو قاعد في محراب مسجد ابن سعيد، المعروف بأبي القاسم، وهو مسجد الشجبي بعد صلاة الفجر يقرأ القُرآن، فقال: إن أبا أحمد يدعوك، فسر إليه.

فقال أبو الحواري: لا حاجة لي به، وأخذ في القِراءة.

فبقى الجندي متحيرًا لا يدري كيف يفعل به، حَتَّى جاءه رسول يخبره فقال له: لا تحدث في أبي الحواري حدثًا، وذلك ببركة القُرآن العظيم.

(١) دما: الاسم القديم لولاية السيب.

(٢) في الأصل: فهربوا.

(٣) مدينة عَلَىٰ ساحل الباطنة، مجاورة لمسقط، وتعد من أحد المصايف الهامة.

(٤) سمل الأعين أي فقأها.

(٥) بهلا: مدينة من مدن محافظة الداخلية، غربي مدينة نزوى، وهي مشهورة منذ القدم بصناعتها الفخارية الجميلة.

وقيل: إن ذلك الجندي قال: لَمَّا دعوتهُ ليقوم لئلا يبل دمه المحراب.

ولم يزل البحيرة عاملًا عَلَىٰ نزوى حَتَّى قتلوه وسحبوه، وقبره معروف أسفل من باب موثر قليلًا، في اللجية عَلَىٰ طريق الجائز الَّذِي يمرُّ عَلَىٰ فرق، يطرحون عليه السّماد والجذوع.

ثم بايعوا محمّد بن الحسن الخروصي عَلَىٰ الشرى، فعزلوه.

ثم بايعوا عزّان بن الهزير المالكي اليحمدي، فعزلوه.

ثم عقدوا لعبدالله بن محمّد الحداني، المعروف بأبي سعيد القرمطي، فعزلوه.

ثم بايعوا الحسن السحتني، فلبث أقل من شهر، ومات.

ثم عقدوا للحواري بن مطرف الحداني عَلَىٰ الدفاع، فأخذ عَلَىٰ يد الفسّاق والسّفهاء من أهل عُمَان، فكان إذا جاء السلطان العراقي إلى عُمَان يجبي أهلها اعتزل من بيت الإمامة إلى بيت نفسه، ولم يمنعه من ظلمه وبغيه، فإذا خرج السلطان من عُمَان وضع تاج الإمامة عَلَىٰ رأسه، وقال لمن حوله، لا حكم إلا لله، ولا طاعة لمن عصى الله، وكان قائمًا له بالأمر عند السلطان نائبه من بني سامة.

وهذا السلطان هو سلطان بغداد، فعزلوه.

ثم عقدوا لابن أخيه عمر بن محمّد بن مطرف، فكان سبيله سبيل عمّه إذا جاء السلطان اعتزل، وإذا رجع السلطان رجع إلى بيت الإمامة.

ثم جاءت القرامطة(١) إلى البحرين(٢)، فلم يرجع عمر إلى بيت الإمامة.

وكانت القرامطة تغلبت عَلَىٰ سائر البلدان، ومكّة، والشام، وعلى سائر القبائل، وهم بنو أبي سعيد الحسن الجنابي، وقد أبطل الصّلاة والصّيام والحج والزّكاة، وزخرف عليهم، وموّه عَلَىٰ الضّعفاءِ حَتَّى إنَّهم يتأهلونه من دون الله.

وكان سبب زوال ملكه عَلَىٰ يد عبدالله بن علي، وكان قيامه عليه بأربعمائة رجل، وكانوا في عسكرٍ وجنودٍ كثيرةٍ، فلبث في محاربتهم سبع سنين، ثم انتزع الدولة منهم.

---

(١) قوم نسبوا إلى زعيمهم، حمدان القرمطي، وهو داعية إسماعيلي، ولقب بقرميط لاحمرار عينيه، وهم أصحاب دعوة انتشرت في بعض البلاد الإسلامية سنة ٩٠١م، وقد انتهى أمرهم حينما اصطدموا بالحملات الصليبية.

(٢) جزيرة تعرف الآن بإمارة البحرين.

وفي ذلك يقول جمال الدين عبدالله بن علي بن مقرّب شعرًا:

سَـلِ القَرَامِـطَ مَنْ شَظَّـا جَمَاجِمَهُمْ ... فَلَقًـا وَغَادَرَهُـمْ بَعْدِ العُـلا خَدَمَا (١)

مِـنْ بَعْـدِ مَـا ارْتَجَّ بِالْبَحْرَيْـنِ حَالُهُمُ ... وَأَرْجَفُوا الشَّامَ بِالغَارَاتِ والحَرَمَا (٢)

وَلَمْ تَـزَل خَيلُهُـمُ تَغْشـى سَنَابِكَهَـا ... أرضَ العِـراقِ وَتَغشَى تـارةً أَدَمَا (٣)

وحرّقـوا عَبْـد قَيْسٍ في مَنَازِلِهَـا ... وَصَـيَّرُوا العِـزَّ مِـنْ سَادَاتِهَـا خَدَمَا

وَأَبْطَلُوا الصَّلَواتِ الخَمسَ وانتهكُوا ... شَهْـرَ الصِّيَامِ وَنَصُّـوا بَيْنَهُمْ صَنَمَا (٤)

وَمَـا بَنَـوا مَسجِـدًا لِلَّهِ نَعْرِفُـهُ ... بَـلْ كُلُّ مَـا وَجَـدُوه قَائِمًـا هُدِمَـا

حَتَّـى حَمينَا عَلَى الإِسْـلامِ وانْتَدَبَتْ ... مِنَّـا فَوَارِسُ تَجْلُو الكَـربَ والظُّلَمَا

وَطَالَبَتْنَـا بَنُـو الأَعْمَـامِ مَـا عَدِمَتْ ... فَلَـمْ تَجِـدْ بُكْمًـا فِينَـا وَلا صَمَمَـا

وَقَلَّـدُوا الأَمْـرَ مِنَّـا مَاجِـدًا بَجِـدًا ... يَشْفِـي وَيكْفِي إِذَا مَا حَـادِثٌ دَهَمَا

مَاضِـي العَزِيمَـةِ مَأْمُـونٌ نَقِيبَتُـهُ ... أَعْـلا نِـزَرًا إِلَى غَايَاتِهَـا هِمَمَـا (٥)

وَسَـارَ تَتبَعُـهُ غُـرٌّ غَطَارِفَـةٌ ... لَوْ زَاحَمَتْ سَدَّ ذِي القَرْنَيْنِ مَا سَلِمَا (٦)

من قصيدة له طويلة.

ثم كانت في عُمَان سنون فترة من عقد الإمامة.

ثم عقدوا لمحمّد بن يزيد الكندي، الساكن سمد الكندي من نزوى، فلم يرضهم، فهرب من عُمَان.

ثم عقدوا الإمامة للحكم الملا البحري، النازل بسعال نزوى، فما رأوا فيه خيرًا، فعزلوه.

---

(١) شطى: أي فلق، والجماجم: جمع جمجمة، وهي عظمة الرأس، والمعنى، اسأل القرامطة من الَّذِي فلق رؤوسهم وتركهم بعد الاستعلاء أذلاء صاغرين كالخدم، والأبيات من بحر البسيط.

(٢) ارتج: بمعنى اهتز، ورجف القوم اضطربوا وتهيأوا للحرب، والحرم البيت الحرام، ويقصد به مكة.

(٣) سنابك الخيل جمع سُنْبُك بضم الأول والثالث وسكون الثاني، وهو طرف الحافر.

(٤) نضوا: بمعنى أقاموا، واتخذوا لهم صنمًا.

(٥) النقيبة هي النفس والعقل.

(٦) الغر: هم السادة والأعيان، والغطارفة جمع غطريف بالكسر وهو السيد الشريف، وذو القرنين هو الإسكندر الأكبر المقدوني.

عودة إلى سيرة سعيد بن عبدالله(١)

قال الشيخ خلفان بن قيصر: ثم من الأئمة المنصوبين من عُمَان بعد مَا اختلفت كلمتهم سعيد بن عبدالله بن محمّد بن محبوب بن الرحيل بن سيف بن هبيرة، فارس رسول الله ﷺ.

قال ناظم القصيدة: وفي مناقب الإمام سعيد بن عبدالله المذكور قال الشيخُ خلفان ابن قيصر: ولم أعلم للإمام سعيد بن عبدالله تاريخًا، متى وقعت البيعة له، ولا كم أقام في الإمامة.

قال: ووجدت أن أوّل عقد عَلَىٰ الإمام سعيد بن عبدالله الحواري بن عثمان، وعبدالله بن محمّد بن أبي المؤثر، وكانت بيعته عَلَىٰ الدفاع.

قال: وبلغنا عَنْ محمّد بن روح، رحمه الله، قال: الإمام سعيد بن عبدالله أعلم الجماعة، والعاقدين له، والذين كَانُوا معه.

قال: وتظاهرت الأمور معنا من أهل الدار، ممن ينتحل نحلة الحقّ عَلَىٰ الإجماع عَلَىٰ ولايته، وهو وليّنا وإمامنا، رحمه الله.

قال: ولا نعلم أنّه تكلّم في عقد إمامته بعيب، ولا في سيرته، ولا ترد ولايته. وقد عرفنا عَنْ محمّد بن عبدالله بن أبي المؤثر، رحمه الله، أنّه قال: لا نعلم في أئمّة المسلمين كلّهم بعُمَان أفضل من سعيد بن عبدالله؛ لأنه كان إمام عدل، وعالِمًا، قتل شهيدًا فجمع ذلك كلّه، رحمه الله، إلا أنْ يكون الإمام الْجُلَنْدَى مثله أو يَلحق به، والله أعلم.

قال: وعرفنا عَنْ الشيخ محمّد بن سعيد بن أبي بكر أنّه قال: إن الإمام سعيد بن عبدالله أفضل من الْجُلُنْدَى، ومَا أحقّه بذلك؛ لأنه كان إمام عدل، صحيح الإمامة من أهل الاستقامة، عالِمًا في زمانه، يفوق أهل عصره وأوانه، وهو مع قُتِلَ شهيدًا في ظاهر أمره، وغفر له، وجزاه عنّا وعَنْ المسلمين أفضل [جزاء](٢) إمام عَنْ رعيته.

(١) العنوان من وضع المحقق.

(٢) لفظ جزاء زيادة من وضع المحقق، ليستقم التعبير.

انتهى قولُه.

قالَ صاحبُ القصيدة:

وَمَــنْ ذَا مِثْلُـهُ نَسَـبًا وَمَجْـدًا   بِمُنْسَبِـهِ يُنَسَّـى الانْتِسَـابَا

يقـول: ومَنْ ذا مثل الإمام سعيـد بن عبدالله نسبًا ومجدًا، وهـو إذا انتَسَبَ بنسبه يُنسى المنتسبين إلى آبائهم الكرام الانتساب والمجدُ، والشرف والعُلّو الَّذِي يكسبه المرءُ بنفسه، أو مَا يكتسبه من الآباءِ والجدود.

قولُهُ:

رُحَيْـلِيٌّ لِـدِيْـنِ اللهِ يَصْبُـو   وَلِلـدُّنْـيَا نُـهَـاهُ مَـا تَـصَابَا

قولُـهُ: رحيليٌّ، أي: هو يتسلسل نَسَبُـه إلى الرحيل بن سيف بن هُبيرة القرشي[(١)] كمـا ذكرنا أولًا، وقولُـهُ: لدين الله يصبو، أي: هو يميل لِدين اللهِ وُدًّا، وقولُهُ: وللدُّنيا نهاه مَا تصابا، النُّهي العقل، أي: مَا مال عقله بمودة إلى الدنيا.

قولُهُ:

نَمَتْـهُ قُـرَيْـشُ أَسْـرَارًا فَـكَـادَتْ   بِـهِ أَعْـفَـى الـرُّبُـوعِ تُـرَى عِشَابَا

قولُهُ: نمته قريش، أي: زادته قريش فخرًا فوق فخره، وذكر البغوي[(٢)] في تفسيره لسورة إيـلاف قريش، قال: وقال أبو عبيدة النّعمي: قُريش هم ولد النّضر بن كنانة، وكل من ولده النضر بن كنانة فهو قرشي، ومن لم يلده النّضر فليس بقرشي.

أخبرنا أبو الحسن عَلَيْ بن يوسف الجويني، أخبرنا أبو محمّد، محمّد بن عَلَي بن محمّد ابن شريك، أنبأنا عبدالله بن محمّد بن مسلم، أنبأنا أبو بكر، أنبأنا يوسف بن عبدالأعلى الصّوفي، أنبأنا بشر بن بكر عَنْ الأوزاعي[(٣)]، أنبأنا شَدّاد بن عمّار بن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن الله اصطفى كنانة من بني إسماعيل، واصطفى من بني كنانة قريشًا، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم)).

---

(١) فارس رسول الله ﷺ.

(٢) هو الحسين بن مسعود الفراء، نسبة إلى بغوان، إحدى البلاد في نيسابور.

(٣) هو الإمام عبدالرحمن بن عَمْرو.

قال: وَسُمُّوا قريشًا من القَرش والتقرش، وهو الكسبُ والجمع، يقال: فلان يقرش عَلَىٰ عياله ويتقرّش أي يكسب.

وقال أبو ريحانة: سأل معاوية عبدالله بن عباس، لم سُمّيت قريش قريشًا، قال: لدابة تكون في البحر، من أعظم دوابه، يقال لها: القَرش، لا تَمُرُّ بشيءٍ من الغِثِّ والسمين إلا أكلته، وهي تأكل ولا تُؤكل وتعلو ولا تُعلى[(١)].

قال: وهل تعرف العرب ذلك في شعرها؟

قال: نعم، فأنشده شعر الجبحي شعرًا:

وَقُرَيْشُ هِيَ الَّتي تَسْكُنُ البَحْرَ ... بِها سُمِّيَتْ قُرَيْشٌ قُرَيْشَا[(٢)]
سُلِّطَتْ بِالعُلُوِّ في لُجَّةِ البَحْرِ ... عَلَىٰ سَائِرِ الجُيُوشِ جُيُوشَا[(٣)]
تَأْكُلُ الغَثَّ والسَّمينَ وَلا تَتْرُ ... كُ فِيْهِ لِذِي الجَنَاحَيْنِ رِيْشَا[(٤)]
هَكَذَا في الكِتَابِ حَيُّ قُرَيْشٍ ... يأكلون البِلادَ أَكلًا كَشِيْشَا[(٥)]
ولهم آخر الزمان نَبِيٌّ ... يكثُرُ القَتْلَ فِيْهِمُ والهَبُوشَا[(٦)]

وقول الناظم: فكادت به أعفى الربوع ترى عشابا، أي: نمت قريش سعيد بن عبدالله أسرارًا، فكادت لمَّا انتهت إليه تلك الأسرار به أعفى الربوع القفار التي بعُمَان ترى عشابا، أي مخضرات بكثرة العشب من تلك الأسرار الَّتي نمت بها قريش.

قال الناظم: وكُنتُ ذات يوم جالسًا بسوق مسقط، فمرَّ عَليَّ الشيخ خميس بن سالم الهاشمي الرستاقي، فسلّم عليّ، ورددت عليه السّلام، فجرى بيننا الحديث في قريش وأسرارها، فقال كلّ قرشي لا يخلو من سرٍّ أودعه الله فيه، كرامة لنبي الله ﷺ، إذ هو منهم.

---

(١) ويقول صاحب القاموس، سموا قريشا لتجمعهم إلى الحرم، أو لأن جدهم قصيا كان يقال له القرشى، أو سموا باسم قريش بن مخلد بن غالب بن فهر، صاحب عيرهم.

(٢) كتبت كلمة قريش الأولى منصوبة والصواب الرفع، والأبيات من بحر الخفيف.

(٣) لجة البحر هي مياهه العظيمة المتلاطمة.

(٤) الغث: هو المهزول ضد السمين، والمراد بذي الجناحين: الطيور أكلة اللحوم.

(٥) المراد من الكشيش هو صوت الأكل.

(٦) الهبوش والهبش: هو الضرب الموجع، ومكان لفظ الهبوش في الأصل مطموس.

قلت له: وهل أجد منهم الآن بعُمَان؟

قال: نعم، هم الهواشم، أهل الرستاق، الذين تسميهم الخاصة بني هاشم، ويسميهم العامة الهواشم، فلا يخلو أحد منهم من سِرٍّ، إمّا في علمِ الفلك، أو في علمِ الطّب، وغير ذلك.

قال: وأَمّا الذين يسكنون أرض الهند ونسبتهم مُتصلة إلى قريش لقد تفرّدوا بعلمِ الكيمياءِ، ولهم أيضًا يدٌ في علم الفلك والطّب.

فبينما نحن في ذلك الحديث إذ مرَّ علينا عبدٌ للسيد العالم، مهنا بن خلفان البوسعيدي، يسمى زايد، فسلّم علينا، فرددنا عليه السلام.

فلمّا مضى عنّا قال: إن هذا الخادم سيموت بعد يومين أو ثلاثة أيام.

قلت له: إنه صحيح الجسم لا أرى به عِلة.

قال: بل، أخطر العلة به فهو لقد أسرف في الجماع فما أبقى بقية لمنيته.

وكان زايد المذكور قد تزوج بِأمَةٍ من إماءِ مولاه مهنا المذكور، ولم يعلم الشيخ خميس بذلك.

فما انقضت ثلاثة أيام من قولِه إلا ومات ذلك العبد.

قولُهُ:

قَضَى بِسُيُوفِ أَعْدَاهُ شَهِيدًا ... فَحَازَ الْعَذْبَ وَاقْتَسَمُوا الْعَذَابَا

قضى، أي: مات، والسُّيوف واحدها[1] سيف، والأعداءُ واحدهم عَدُوٌّ، والشهيدُ الَّذِي قتل في سبيل الله خاصة، وحاز المرءُ الشيء إذا أحرزه، والعذبُ مَا ساغ مِنْ ماءٍ وغيره، واقتسم القوم المالَ وغيره إذا تساهموه، والعذاب معروف.

والمعنى: إن سعيد بن عبدالله قُتِلَ بسُيوف الأعداءِ شَهيدًا، فحاز هو العذب من الأجر، وحازوا هم العذاب في الآخرة، بقتلهم إيّاه ظُلمًا.

(١) في الأصل: واحدهن.

قصّةُ قتله:

أنّها كَانَتْ امرأةٌ من أهل غشب[١] الرستاق مُجفّفةٌ حَبًّا في الشّمس، فأتت شَاةٌ عَلَىٰ ذلك الحبِّ، فأكلته، فرمتها من خنقته بحجرة، فكسرت يدها؛ ثم جاءت صاحبة الشاة، فجعلت تضرب المرأة التي رمتِ الشّاة، فاستعانت بجماعتها.

فجاءَ واحد[٢] من جماعتها وجاء واحد[٣] من جماعة الأخرى، فكان كلُّ فريقٍ يثيب فريقه، فوقعت بينهما صكّة[٤] عظيمة.

فجاء الإمام سعيد بن عبدالله ومعه أحدٌ من عسكره عَلَىٰ معنى الحاجزين، والمصلحين بين الفريقين، فقتل الإمام سعيد في تلك المعركة.

فحزن عليه المسلمون حُزْنًا شديدًا.

(١) الغشب لغة في الغشم، ويطلق عَلَىٰ الوادي.

(٢) في الأصل: أحد.

(٣) في الأصل ، أحد.

(٤) الصكة: المشاجرة والمضاربة.

الإمام الخليل بن شاذان (١)

قولُهُ:

وَمَـا سَعْيُ الخَلِيلِ قَـلَاهُ خِلٌّ ... يُعَلِّلُهُ سَجَايَاهُ العِذَابَا

قولُـهُ: وما يقتضي النفـي، سعى يسعى إذا مضى المرءُ عَلَـىٰ الطريقِ التي سلكها، والخليـل يُريد به هنا الإمام الخليل بن شاذان الخروصـي، والخِلُ الصاحب كالخليل، وقلاه يقليه إذا بغضه، وعله مِنْ العِلّ، وهو الشّرب الأوّل، وعلّله تعليلًا إذا سقاه شيئًا فشيئًـا، والسّجايا واحدتهـا(٢) سجيّة، والعِذَابُ بكسر العيـن جمع عَذْبة بتسكين الذال المعجمة.

أي: وَمَا سعيُ الإمام الخليل بغضه خليل يسقيه سجاياه العِذابَ تعليلًا.

قولُهُ:

إِمَامَتُهُ بِهَا افْتَخَرَتْ عُمَانُ ... وَمَا في فَخْرِهَا ادَّعَتْ الكِذَابَا

يقـول: إِمَامَةُ الإمـام الخليل بها افتخرت عُمَـان، أي: افتخارها بإمامته لمَّا حباها بالعدل والأمان، وَمَا في فخرها بـهِ ادّعت الكِذَابَ، الكِذابُ والكذبُ بمعنى، أي: فخرها بإمامته فخرٌ صادقٌ غير كَذبٍ.

قولُهُ:

كَفَاهَا نَجْلُ شَاذَانٍ عُمَانٌ ... إِمَامًا مَا بِهَا خَلًا أَصَابَا

يقـول: حَسبُهَـا عُمَان الخليل بن شاذان لها إمامًا، وهو مَـا رأي خللًا مِنْهَا، أي: مِنْ أهلهَا له أيّامَ دولتِهِ، وقولُهُ: مَا رأي خللًا مِنْهَا التفات منه لها، للتفخيم منه لَهَا.

وقولُهُ: أصاب، أي، مَا وجد مِنْهَا خللًا.

وحقيقة الكلام المراد به أهل عُمَان، ولَهَا مجازٌ منضاف إِلَى الحقيقةِ.

---

(١) بعد أن قتل الإمام سعيد بن عبدالله بويع من بعده راشد بن الوليد عَلَىٰ سبيل الدفاع، وكان منزله بنزوى. وذلك من قبل عقد الإمامة للإمام الخليل بن شاذان.

(٢) في الأصل: واحدتهن.

قولُهُ:

وَمِـنْـهُ مَـا رَأَتْ خَـلَـلًا لِـعَـدْلٍ وَلَـمَّـا مَـاتَ أَوْرَثَـهَـا الْمُـصَـابَـا

يقول: وهي كذلك، يعنى عُمَان، مِنْهُ مَا رأت خللًا أيام دولته في حلهِ وعقدِهِ، وهو التفات ثانٍ ملتزم بالالتفات الأول، أي: فهو مَا رأي مِنْهَا خللًا، وهي كذلك مَا رأتْ خللًا مِنْهُ؛ ولمَّا مات أورثها المصاب بفقدِهِ.

القصّة:

اتفقت الروايات الصحيحة الأخبار عَنْ العلماءِ مِنْ أهلِ عُمَان الأحبار، أن الإمام الخليل بن شاذان اليحمدي الأزدي لمَّا بويع له بالإمامة وطِئَ أثر السّلف الصالحين، وسار سيرة الأئمة الاستقاميين، فَمَا دَاهَن جبارًا ذا بأسٍ شديدٍ، ولا هَرَبَ مِنْ سلطانٍ جبارٍ عنيدٍ، فَمَاتَ والمسلمون عَنْهُ راضون، وله مؤازرون.

وكانت دولته في بضع[1] وأربعمائة سنة من الهجرة.

(١) البضع مَا بين الثلاث إلى التسع.

الإمام راشد بن سعيد

قولُه:

وَنَجْلُ سَعِيدَ رَاشِدَ سُمُّ خَصْمٍ تَـرَاهُ عِـدَاتُـهُ صِـلًّا حُبَـابَـا[1]

راشد بن سعيد هذا أزديُّ النَّسَبِ، بُويع له بالإمامةِ بعد موت الإمام الخليل بن شاذان، فسار بالعدل والإنصاف؛ وكان إمامًا مُهيبًا، لا تأخذه في الله لومةَ لائم، والصلُّ والحباب الحيّة، وفي القاموس، الصِلُّ الحيَّةُ، أو الدقيقة الصُفراء.

قولُه:

إِمَـامٌ فَـاضِـلٌ يُثْنِي بِحَمْدٍ بِـحَـمْـدِ مَـنْ لِخَـالِـقِـهِ أَنَـابَـا

الإمام قد مضى فيه الكلام، والفاضل من له الفضل، الشريف عند الجماهير قولًا وفعلًا، البالغ من النّسَبِ والحسب المقام الأعلى، والثناءُ الحمد، أو هو أعمٌّ، والحمْدُ أخصُّ، وقيل: هما سِيّان[2]، وقيل الحمْدُ هُوَ الثناءُ باللسان عَلَىْ قصدِ التعظيم، سواءٌ تعلّق بالنعمة أو بغيرها، والشكرُ فِعلٌ ينبئ عَنْ تعظيم المنعم؛ لكونه منعمًا، سواءً كان باللسان أو بالجَنان أو بالأركان، فمورد الحمْد اللسان، ومتعلقه يكون النعمة وغيرها، ومتعلقُ الشُكرِ لا يكون إلا بالنعمة، ومورده يكون اللسان وغيره، فالحمْد أعمُّ مِنْ الشكرِ، باعتبار المتعلق، وأخصّ باعتبار المورد، والشكُر بالعكسِ.

وقالَ القُطبُ الربّاني أبو نبهان، الرئيس جاعد بن خميس، الحمْد عبارة عَنْ الثناءِ كالمدح؛ لكن الفرق بينهما إنّ الحمد يكون على الأمور الاختيارية المجرّدة عن شانية الإخلال لنقضٍ أو فسادٍ على حال، والمدح اطلاق الثناءِ عَلَىْ الجميل بلا تخصيص، فكأنه أعمّ والحمْدُ أخصّ، وقيل هما مترادفان عَلَىْ مُسمّى، وكلاهما بمعنى، والتعريف فيه للعهد ويحتمل أن يكون لاستغراق الجنس؛ لأن حمد الله مستغرق كلّ حمدٍ لغيره إذ ما بكم من نعمة فمن الله ليس فيه موضع، ولا للنقص فيه مفزع انتهى.

وقال البغوي: قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، لفظة خبر كأنّه يخبر أنه المستحق

---

(١) السم: هو ذلك القاتل المعروف، والعداة هم الأعداء بالضم وبالكسر، اسم جمع، وتقضى استقامة وزن البيت اعتبار كلمتي سعيد راشد اسمًا مركبًا مبنيًا مضافًا إلى كلمة نجل، عَلَىْ خلاف مَا ذكره المؤلف.

(٢) مثنى سِيّ بكسر الأول وتضعيف الثاني، أي مثلان وشبيهان، والجمع منه سواسية.

للحمـد هو الله عزَّ وجـلَّ، فيه يعلم الخلـق بتقديره وقوله الحمـد لله، والحمد بمعنى الشكر على نعمة بمعنى الثناء عليه، أنتهى قوله.

وقال غـيره: قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، يخبر بذلك خلقه العارفين بمعنى الحمد أن لا حَمْدًا حقيقيًا لِسواه، فلا لواوِ عطف مدخل لغيره، وإذا أطلق الحمْدُ لغيره بغير وَاوِ العطف فهو مجازٌ لا حقيقة، ومن أين لسواه الحمْد حقيقة، وهو مفتقرٌ لحمد لله، إذ هـو أوجده من العدم إلى الوجـود، فهو لم يزل في حكم إرادته مشيئته جل وعلا، وكذلـك الثناءُ والشكـر ليس لهما مدخل حقيقي لمخلوق قـطّ، وإذا أطلقا لمخلوق فإطـلاق مجازٍ، ليس له تعلق بالحقيقة، ومن انكشف له سِرُّ باءِ البِسم علم أن لا حمدًا ولا ثناءً ولا شكرًا إلا لله حقيقة، انتهى.

وقـول الناظـم: مَنْ لخالقِهِ أنابـا، الخالقُ هو الله جلّ وعلا، لا غـيره، ومن ها هنا اسمّية، وأنابَ العبد إلى ربه إذا رجع من ذنبه وتابَ إليه، وعمل عملًا صالحًا، وعوّل في أمورِهِ الصَّالحة عليه.

قولُهُ:

وَحَـفْـصٌ مِـثْـلُـهُ وَفَـتَـى عَـلِـيٍّ ... وَمُـوسَـى ثُـمَّ مَـالِـكُ لَـنْ يُـعَـابَـا

فَهؤلاءِ الأربعة كُلّهُمْ أئمةٌ أفاضل، أهل عدلٍ وإنصافٍ.

فحفص هو ابن راشد بن سعيد، وفتى عَلّي هو راشد بن علي، وموسى هو ابن أبي جابر الأزكاني، ومالك هو ابن أبي الحواري.

فأمّا حفص مَا وجدت لوفاته تاريخًا، وأمّا راشد بن عَلّي مات يوم الأحد للنصف من القعدة في سنة ست وأربعمائة.[١]

وأمّا موسى بن أبي جابر بن موسى بن نجاد توفي سنة تسع وأربعين وخمسمائة[٢]، وقُبِرَ عَلَىْ فلج الغنتق عند الجنور، وأصيب أهلُ عُمَان بموتِهِ بما لم يصابوا بأحد قبله.

وأمّـا الإمام مالك بن أبي الحواري عقد له بالإمامة سنة تسع وثمانمائة[٣]، ومات

(١) الموافق ٤ مايو ١٠١٦م.

(٢) أي سنة ١١٥٤م

(٣) أي سنة ١٤٠٦م.

سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة[١].

ثم كانت بعد هؤلاءِ الأئمة المذكورين فترة[٢].

فخرج فيها أهل شيراز إلى عُمَان، ورئيسهُمُ فخر الدين أحمد بن الدّاية، وشهاب الديـن، وهم خمسمائة وأربعة آلاف فارس، وجـرى عَلَىْ النّاس مِنْهم أذًى كثيرًا لا غاية له، وأخرجوا أهلَ العقر من نزوى، وذادوهم[٣] عَنْ بيوتهم، وأقاموا عَلَىْ ذلك أربعة أشهر في عُمَان.

وحاصروا بهـلا فلم يقدروا عليها، ومات ابن الداية وهـو محاصرٌ لبهلا، فتشتت جمعـه، ورجع من سلم منهم إلى ديارهم، وأصاب النّاس غلاءٌ كثيرٌ، وذلك في دولة السلطان عمر بن نبهان النبهاني، سنة أربع وستين بعد الستمائة[٤].

وخـرج أيضًا في تلك الفترة أميرٌ مِنْ هرموز، يسمـى محمود بن أحمد الكوسي، فوصـل إلى قرية قلهـات[٥] وكان المتولي يومئـذٍ عَلَىْ عُمَان والمالك لهـا أبو المعالي كهلان بن نبهان، وأخوه عمر بن نبهان، ولمّا خيم محمود بن أحمد المذكور بقلهات بعث بواعثه إلى أبي المعالي بوصله إليه.

فلمّا أتاه طلب منه المنافع من عُمَان وخراج[٦] أهلهَا فاعتذر أبو المعالي، وقال له: أنّي لا أملك من عُمَان إلا بلدةً واحدة.

فقال له محمود: خذ من عسكري ما شئت، وأقصد بهم من خالفك من أهل عمان.

فقال له أبو المعالي: إن أهل عُمَان ضعفاء، لا يقدرون عَلَىْ تسليم الخراج.

كلّ ذلك منه حميّة لأهل عُمَان.

---

(١) الموافق ١٤٢٨/ ١٤٢٩هـ

(٢) يقول صاحب كتاب كشف الغمة، فهذه مائتا سنة وبضع لم أجد فيها تاريخ أحد من الأئمة، والله أعلم، أنها كانت سنين فترة من عقد الإمامة، أو غاب عنا معرفة أسمائهم.

(٣) الذود: الطرد والدفع.

(٤) أي سنة ١٢٦٥م.

(٥) مدينة تقع عَلَىْ الساحل الشرقي بين صور وطيوي.

(٦) الخراج: هو الإتاوة والضريبة تؤدى إلى الدولة.

فحقد عليه محمود، وأضمر له كيدًا، واستدعى بأمراء البدو من عُمَان، فلمّا أتوه كساهم وأعطاهم، فودعوه النصر عَلَىْ عُمَان والخروج معه.

ثم إنّه أرتحل عَلَىْ سفنه إلى ظَفَار[١]، فلمّا وصلها قتل من أهلها خلقًا كثيرًا، وسلب مالًا جزيلًا، ورجع قاصدًا إلى عُمَان، فأخذ من قومه الثلثين، فمضى بهم عَلَىْ طريق البر، وأمر عَلَىْ الثلث برجوعهم إلى قلهات، ويرقون سفنهم فيها حَتَّى يصل إليهم.

فامتثلوا أمره، وأخذ هو أدلاء[٢] من القِرى إلى عُمَان.

فلمّا بلغوا إلى الرمل المنتزح عَنْ عُمَان هربوا عنه، فحاد قومه عَنْ الطريق، ونفد عليهم الزاد، وعُدِمَ عليهم الماء، فبلغ عندهم ثمن من[٣] اللحم بدينار، وأضلّهم الطريق، فمات هو، ومن أصحابه خمسة آلاف رجل، وقيل: بل أكثر من ذلك.

وركض أهل طيوي[٤] ومن معهم عَلَىْ أصحابه الذين بطيوي وقلهات، فقتلوهم كافة، وأحرقوا سفنهم، فمقبرتهم إلى هذه الغاية سنة ١٢٧٥هـ، شهيرة بطيوي ويسمونها قبور الترك. وكان هذا كله في سنة ستين وستمائة[٥].

وخرجت في هذه الفترة أولاد الريّس عَلَىْ عُمَان، وكان خروجهم في شهر شوال سنة خمس وسبعين بعد الستمائة[٦]، وكان المالك يومئذٍ بعُمَان كهلان بن عمر بن نبهان.

فخرج إليهم ليلقاهم بالصّحراء، وخرجت إليه جملة أهل العقر[٧]، فانكسر قوم نبهان وأهل العقر، ودخل أولاد الريس العقر، فأحرقوا سوقها، وأخذوا جميع مَا فِيْهَا، وَسَبُوا نساءهَا، وأحرقوا مخازن المسجد الجامع المتصلة به، وكان ذلك في نصف يوم.

---

(١) هي المنطقة الجنوبية من سلطنة عُمَان وتمتاز بجوها المعتدل وبزراعاتها الموسمية المتعددة.

(٢) هم المرشدون إلى سواء الطريق.

(٣) المن ميزان يعادل رطلين أو كيلوجرام واحد.

(٤) مدينة كبيرة عند مدخل وادي طيوي، عَلَىْ ساحل منطقة الحجر الشرقي.

(٥) الموافق ١٢٦٢م.

(٦) أي مارس سنة ١٢٧٧م.

(٧) حيٌّ من أحياء مدينة نزوى.

ثم سار إليهم كهلان بن حمير بعساكره بأوّل يوم من القعدة[١]، واجتمع الشراة، فاجتمع أولاد الريس عليهم، وكانوا سبعة آلاف.

فوقع بينهم الحرب، فانكسر أولاد الريس، وقتل في هذه الوقعة منهم ثلاثمائة رجل ولعلّ هذه السنون التي كانت بين محمّد بن خنبش ومالك بن الحواري سنون ملك النباهِنَة، والله أعلم. فعَلَىْ هذا ملك النباهنة يزيد عَلَىْ خمسمائة سنة.

وفيما بعد هذه السنين يعقدون عَلَىْ الأئمة، والنبهانة ملوك[٢] في شيءٍ من بلدان عُمَان، والأئمة في بلدان أُخر منها، والله أعلم بالصواب.

(١) الموافق ١٣ إبريل ١٢٧٧م.

(٢) زيادة من المحقق.

الإمام راشد بن خميس بن عامر الأزدي[(١)]

رجعنا إلى القصيدة

قولُه:

وَمِثْلُهُمْ أَبُو الْحَسَنِ اسْتَنَارَتْ عُمَانُ بِهِ وَرَوْنَقُهَا اسْتَطَابَا

أبو الحَسَنِ هذا هو: راشد بن خميس بن عامر الأزدي، عُقدت له الإمامة [بعد][(٢)] الإمام مالك بن الحواري في سني الفترات التي ذكرناها، وكانت البيعة له من المسلمين في يوم الخميس شهر رمضان سنة ثمانمائة وسبع وثلاثين سنة، ومات في يوم السبت سنة ثمانمائة وست وأربعين سنة، وواحد وعشرين يومًا من ذي القعدة[(٣)].

وقولُهُ: ومثلهم أبو الحسن، أي: مثل الأئمة الأربعة المقدم ذكرهم، استنارت عُمَان به كما استنارت بهم، ورونقها استطاب.

قولُه:

إِمَامٌ عَادِلٌ فَقَضَى وَلِيًّا وَمَا اقْتَدَرَ الخَلُوبُ لَهُ اخْتِلَابَا

قد ذكرنا أوّلًا من شروط الإمام العادل، أن يكون من شأنه كما ذكرنا، وإلا فهو عَنْ العدل عادل، أي: عنه مائل إلى ضِدّ العدل، وقضى كما ذكرنا أوّلًا، أي: مات، والولي الَّذي ينهى نفسه عَنْ الهوى، وملكها عَنْ التّهور في الباطل، وعمل عمل أهل الاستقامة في الدين، وزهد الدنيا، وعظّم الآخرة، فمن كان شأنه ذلك فهو وليٌّ من أولياءِ اللهِ، وإلا فلا.

وقولُهُ: وَمَا اقتدر الخلوب له اختلابا، الخلوب هنا الشّيطان، لعنه الله، أي: مَا قدر إبليس، لعنة الله عليه، يخلبه، والخلب هنا الجذب والميل من الحق إلى الباطل.

قولُه:

بَكَتْهُ عُمَانُ لَمَّا مَاتَ حَتَّى أَعَارَتْ كُلَّ مُنْتَحِبٍ انْتِحَابَا

هاء بكته راجعٌ ضميرها إلى أبي الحسن، رحمه الله، وبكاه وبكى عليه بمعنى.

---

(١) العنوان زيادة من المحقق

(٢) في الأصل ذكر ابن رزيق كلمة (بن) بدل كلمة بعد، ولعله خطأ نسخ، حيث لا يستقيم السرد إلا بوضع كلمة بعد بدل كلمة بن.

(٣) الموافق ١ إبريل ١٤٤٣م.

قال الشريف الرضي:

يَا ابْنَ عَبْدِالْعَزِيزِ لَوْ بَكَتِ الْعَيْنُ فَتًى مِنْ أُمَيَّةَ لَبَكَيْتُكْ (١)
وَعَجِيبٌ أَنِّي قَلَوْتُ بَنِي مَرْوَانَ طُرًّا وَأَنَّنِي مَا قَلَيْتُكْ (٢)

يرثي عمر بن عبدالعزيز لمَّا مات.

وفي مذهب الشيعة لا يجوز لشيعي أن يبكي عَلَىْ أموي، بزعمهم أنَّهم اغتصبوا إمامة العلوية المنصوص عليهم بعد علي بن أبي طالب منهم.

أي: لو جاز لي أن أبكيك لبكيتك، والسّبب الباعث لرثاه لعمر بن عبدالعزيز المذكور، أنّه لمَّا آلت الخلافة نهى عَنْ سبِّ عليّ بن أبي طالب، بزعمهم أنَّ أمراء بني أميّة كَانُوا يأمرون خطباءهم في الجمعات والأعياد بسبِّ علي بن أبي طالب، وَجَعَلَ مكان السب ختم كُلّ خطبة بقولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾(٣).

قال المتنبي:

تَرَكْتَنِي يَا رَبْعُ حَتَّى كِدْتُ أَبْكِيكَا وَبَعُدْتَ بِي وَبِدَمْعِي فِي مَغَانِيكَا (٤)

وقول الناظم: لمَّا مات حَتَّى أعارت كلّ منتحب انتحابا، أي: لمَّا مات الإمام أبو الحسن راشد بن خميس المذكور بكته عُمَان، أي: أهلها، حَتَّى أعارت كُلَّ باكٍ ببكائها عليه، والانتحاب والتنحيب بمعنى، وهو البكاء.

قال المتنبي:

.... لَبَكَيَا مَا عَاشَ وَانْتَحَبَا (٥)

(١) ابن عبدالعزيز هو عمر بن عبدالعزيز أعدل خلفاء بني أمية.
(٢) قلاء: أي أبغضه وكرهه غاية الكراهة، وطرا أي: جميعهم.
(٣) الآية رقم ٩٠ من سورة النحل.
(٤) المغاني: جمع مغنى، والمغنى هو للنزل الَّذِي غنى به أهله، ثم ظعنوه وتركوه، والربع الدار والمنزل أو جماعة النّاس
(٥) كذا في الأصل.

الإمام عمر بن الخطاب بن محمّد بن أحمد الخروصي

قولُه

وَأَتْحَفَهَا فَتَى الْخَطَّابِ بُشْرًا   وَمِنْ عَجَبٍ بِهِ اجْتَلَتِ الْعُجَابَا

التّحفة العَطِيةُ الفائقة الرّائقة مِنْ كُلِّ شيءٍ، والهَدِيـةُ السنية، وفتى الخطاب هنا يعنـى عمر بن الخَطَّاب بن محمّد بن أحمد بن شاذان بن الصَّلْت الخروصي، والبُشر السّرور، والعُجْبُ بِضّم العين وسكون الجيم الزّهـو، وقولُهُ: اجتلت العجابا، أي: أصارت العُجابَ لهَا جلوة، والعُجاب والعجب بمعنى[(١)].

والمعنى: أنّ الإمام عمر بن الخطّاب الخروصي لمَّا صار إمامًا لعُمَان أتحفها سرورًا، وهي من عُجْبِهَا بالسّرور أصارت العجاب لها جلوةً مُشتقة نُورًا.

قولُهُ:

وَقَالَتْ أَنْتَ يَا عُمَرٌ نَظِيْرٌ   إِلَى عُمَرٍ فَعَدْلُكُمَا تَرَابَا[(٢)]

يقول: وقالت عُمَان، أي: بلسان الحال، إلى عمر بن الخطّاب الخروصي المذكور لَمَّا صار لهَا إمَامًا، أنتَ يا عمر نَظِيْر عمر، أي: مثل عُمر بن الخطّاب[(٣)]، صاحب رسولـه الله ﷺ، بالعدلِ والإنصافِ، فعدلكما ترابـا، أي: تزايد بالإنصاف، وربا الشيء يربو إذا زاد عَنْ حاله الأوّل، وكثرته الأولية.

قولُهُ:

وَهَيْبَتُهُ أَتَتْكَ بِغَيْرِ دَاعٍ   لِقَلْبِكَ بِأْسُهَا انْقَلَبَ انْقِلابَا

يقـول: وَهَيْبَـةُ عُمَرُ بن الخطّـاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أتتك بغير داع أي: بغير داع من النّاس إليهـا، ولقلبك أي فُؤادك بأسها أي: قوّتها انقلبَ انقلاباً؛ وانتصاب الانقلاب عَلَىٰ المصـدر، بمعنى، انفعل انفعالًا، فالانفعـال عَلَىٰ الجملة التغيير مـن كيفية إلى كيفية، كمصير الشعرة من السّوادِ إلى البياض.

---

(١) العُجب: بالضم هو الكبر والزهو، والعجاب مَا جاوز حد العجب.(القاموس المحيط).

(٢) تنوين لفظ عمر في شطري البيت لضرورة الوزن.

(٣) ثاني الخلفاء الراشدين.

قولُهُ:

فَـأَنْـتَ إِمَـامُ عَـدْلٍ تُـدْرِي مِمَّـا   بَنُـو نَبْـهَـانَ حَـازُوهُ اغْتِصَابَا [١]

يقـول: فقالت له عُمَـان، أي: بلسان الحـال، قالت له عُمَان: أنت يـا عمرُ إمامُ عدلٌ، تعلم مِمَّا بنو نبهان حازوه انتهابًا[٢] من أموال النّاس ظُلمًا، أيام دولتهم.

وبنو نبهان هم آل العتيك قد اشتهر جورهم وقسوتهم[٣] أيام دولتهم بعُمَان.

قولُهُ:

هُـمُ ظَـلَـمُـوا الـعِـبَـادَ فَـرُدَّ مِمَّـا   هُـمُ ظَلَمُوا وَفِـيْـهِ غَـدَوْا صِحَابَا

يقول: ثم قالت عُمَان بلسانِ الحالِ، للإمام عمر المذكور: هُمُ ظلموا العباد، يعني بني نبهـان، والعباد هنا تَخصيصًـا بأهل عُمَان الذين ظلمهم بنو نبهـان، فَرُدَّ الَّذِي ظلمـوه من أموال العباد، وفيه غَدَوْا صِحابًا، أي: لا يردع أحدهم الثاني عَنْ ظلمه، فصاروا صحابًا شركاءَ في الظّلمِ.

قولُهُ:

فَقَسَّـمَـهُ فَتَـى الخَـطَّـابِ عَـدْلًا   عَـلَـىْ الـفُـقَـرَاءِ قُـرْبًـا وَاغْـتِرَابَـا

يقـول: فَقَسَّمَهُ، يعني المال الذي ظلمه واغتصبه[٤] بنو نبهـان، عَلَىْ فقراءِ عُمَان المقترب منهم والمبتعد لَمَّا لم يجدوا لها أهلًا في الوجود[٥].

قولُهُ:

فَـمَـاتَ حَـمِـيْـدَ فِـعْـلٍ وَاشْـتَـرَاهـا   سَـلِيلُ مُـفَـرِّجٍ وَلَـهَـا اسْتَجَابَا

يقول: فمات عمر بن الخطاب حميدًا، أي: حميد الفعل بسيرته، واشترى الإمامة بعـده سليل مفرّج، وهو محمّد بن سليمان بن أحمد بـن مفرّج القاضي، وهو الَّذِي

---

(١) حازوه أي اخذوه واستولوا عليه لهم، ويقتضي وزن البيت عدم مد كسر الراء في الفعل تدري، بل تنطق خطفًا.

(٢) نهب الشيء وانتهبه أخذه.

(٣) الجور هو الظلم والفسوق هو الفجور والعصيان والخروج عَنْ طريق الحق.

(٤) في الأصل: ظلمكوه واغتصبوه بنو نبهان، والصواب حذف واو الجماعة من كل فعل لوجود الفاعل، وهو بنو.

(٥) المراد بالأهل أصحاب الأموال الذين لم يمكن معرفتهم لعدم وجودهم.

نصبَ عمر بن الخطاب ثانية[١]، وهو في العقد الأوّل خرج عليه سلميان بن سليمان ابـن مُظّفر النبهاني فانكسر عمر وعسكـره، وكان معه جملة قوم من وادي سمائل فزالت إمامته. ثم نصبه محمّد بن سليمان المذكور ثانية.

وسنأتي بأوّل القصّة:

وذلـك لمَّا عُقد لعمر بن الخطاب بن أحمد بن محمّد بـن شاذان بن الصَّلْت ثانية، سنة ثمانمائة وخمس وثمانين[٢] حاز أموال بني نبهان، وأطلقها لمن عنده من الشّراة، فاجتمع المسلمون، وانتظروا في الدِّماءِ التي سفكها آلُ نبهان، والأموال التي أخذوها واغتصبوها بغير حَقٍّ، فوجدها أكثر من قيمة أموالهم.

وكان يومئـذٍ القاضـي محمّد بن سليمان بـن أحمد بن مُفـرّج، والإمام عمر بن الخطّـاب، فأقام القاضي محمّد بن عمر بن أحمد بن مُفرّج وكيلًا لمن ظلمه آلُ نبهان من مسلمي عُمَان، وأقام أيضًا وكيلًا لملوك آل نبهان.

فقضـى محمّد[٣]، أن جميـع مال آل نبهان من أراضٍ ونخيـلٍ، وبيوتٍ وأسلحةٍ، وآنيةٍ ونخلةٍ، وجميع مالهم، كائنًا مَا كان بعُمَان، بيتَ مال.

وقيـل: قضى محمّد بن عمر من المظلومين من أهل عُمَان، من حضر منهم وغاب، وكبر أو صغر، الأنثى منهم والذكر، فصارت هذه الأموال بالقضاء الكائن الصحيح للمظلومـين، وقد جهلوا معرفتهم ومعرفة حقوقهم الكلية، ولم يحيطوا به علمًا، ولم يدركـوا له قِسمًا، وكلّ مالٍ لا يُعرف قِسمه، فأربابه[٤] مجهولون، راجعٌ إلى الفقراءِ، وكلّ مالٍ راجع إلى الفقراء فالإمام العادل عند وجوده أولى بقبضه وتَصرفه في إعزاز دولـة المسلمـين، والقيام بها، وكلُّ مَنْ صـحَّ حقه وأثبته له مـن أموالهم، فيحاسب بالتحريـة بمـا يصحّ له بقسطـه إن أدرك ذلـك، وإن لم يدرك التحريـة، ولم يحط بها

(١) الشيخ محمّد بن سليمان كان يومئذ هو القاضي الذي نصب عمر بن الخطاب، وقد أقام عمر في إقامته الأولى نحو سنة، ثم خرج عليه سَلَيمان النبهاني، فانكسر عمر، ثم نصبه الشيخ محمّد بن سليمان ثانية سنة ١٤٨٠م.

(٢) في الأصل وثلاثين والصواب المثبت ، يوافق سنة ١٤٨٠م

(٣) في الأصل: أحمد، ولعله خطأ، فالقاضي اسمه محمّد، وهو الذي قضى كما يتبين من السرد بعده.

(٤) أي أصحابه، جمع رب.

فذلك النصيب نصيبٌ غيرُ معلوم، فهو مجهول، للفقراءِ، والإمام يقبض أموال الغيبة، وأموال الفقراءِ، وَمَا لا ربَّ له، ويجعله في إعزاز دولة المسلمين.

وقد صحَّ هـذا القضاء والحكم فيـه. ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ﴾(١).

وكان هـذا الحكم عشيـة الأربعاء لسبع ليالٍ خلون من جمـادى الآخرة من سنة ثمانمائة وثمان وثمانين سنة(٢).

وكان هـذا في العقد الثاني؛ لأنه لمَّا نُصـب أوّلًا أقام سنة، وخرج عليه سليمان بن سليمان النبهاني كما ذكرنا أوّلًا.

ثـم نَصبهُ محمّد بن سليمان ثانيةً كما ذكرنا، والإمام القاضي محمّد بن سليمان بن أحمد القاضي المذكور نصبه أهل نزوى، فاستجاب لهم، وسار سيرة حسنة، لم ينقم عليه أحدٌ شيئًا من سيرته حَتَّى مات.

(١) الأية رقم ١٨١ من سورة البقرة

(٢) يوافق ١٨ يوليو سنة ١٤٨٣م.

الإمام محمّد بن سليمان بن أحمد بن مُفرّج القاضي

قولُهُ:

إمَـامَـةُ عَـدْلِ لا لِلظُّلْمِ تُعْزَى وَمَـا فِيْهَا رَأي الشَّهْمُ ارْتِيَابَا [١]

يقـول: إمامَةُ محمّد بن سليمان بن أحمد بن مفرّج المذكور عدل، لا تعزى لظلم، وَمَـا فيهـا رأي الشهم ارتيابـا، أي: ريب، والشهـم الرجل الحـاذق، الفطن، النّير الذكاء[٢].

(١) في الأصل: تعزا بالألف، وتعزى أي تنسب، ويقتضي وزن البيت عدم تنوين كلمة عدل.

(٢) يذكر ابن رزيق في كتابه (الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين) أن القاضي محمّد بن سليمان نصب عمر الشريف إمامًا بعد الإمام عمر بن الخطاب، وقد أقام عمر الشريف إمامًا نحو سنة ثم لاذ ببهلا، فنصب أهل نزوى محمّد بن سليمان. إمامًا.

الإمام أحمد بن محمّد الربخي الضنكي

قولُهُ:

فَـمَـاتَ مُـحَـمَّـدٌ بِـومَـيضِ حَـمْـدٍ وَللرَّبْـخِـي سَعَـى الشَّـأْنُ انْسِيَابَـا

يقـول: فمات الإمام مُحمّد المذكور بحمـد، أي: بمدح من النّاس إليه، وثناء منهم عليـه، له ومض أي: لمع، والربخي سعى الشأن انسيابا، أي: سعى شأن الإمامة بعده لِلّربخي. وهو أحمد بن محمّد الربخي الضنّكي سريعًا؛ ومض البرق إذا لمع، وانساب النهر إذا جرى سريعًا، وكذلك السفينة في البحر، والحيّةُ في البر.

اتفقـت الروايـات الصحـاح، أن أحمد بن محمّـد الربخي المذكـور عقدت إليه الإمامـة، واشتهـر بها عند الخاصّة والعامّة بعد الإمام محمّـد بن سليمان، فسار سيرة العدل والإنصاف والبِر، وزادَ بعدله عَنْ النعت(١) والأوصاف.

قولُهُ:

فَـصَـارَ هُـوَ الإِمَـامُ إِلَىٰ عُـمَـانٍ بِـهِ احْتَسَبَتْ لِعِزَّتِـهَـا احْتِسَابَا

أي: فَصَـار أحمد بـن محمّد المذكور هو الإمـام لعُمَان، ومراده بهـو التعظيم له والتّفخيـم، وَمَـا أجدره بذلك، وقولُهُ: بـه احتسبت لعزّتها احتسابـا، أي: اكتفت اكتفاءً لِعزّتها به.

فعـن غير واحـدٍ من المسلمـين الاستقاميـين، أن الإمام أحمد بـن محمّد الربخي الضنّكي كان ناسكًا(٢) عفيفًا، عالمًا حليمًا، ذا هيبةٍ ووقارٍ، رؤوفًا بالمسلمين، خاضعًا لله ربّ العالمـين، صارفًا همّه للدين، آمرًا بالمعـروف، ناهيًا عَنْ المنكر، لا للطعن فيه مسلك، فهو من خيار أهل زمانه ووقته، عاش بتقوى، ومات عَلَىٰ الهدى.

(١) النعت: وهو الوصف

(٢) أي: متعبدًا، والنسك هو العبادة وكل حقّ لله تعالى.

الإمام أبو الحسن بن عبدالسلام الأزدي

وقولُهُ:

وَمُـذْ عَبْدُالسَّـلامِ إِلَيْـهِ صَـارَتْ رَأي أَرْيًـا بِـشَـرْيَـانٍ مُشَـابَا

عبدالسلام هذا هو أبو الحسن بن عبدالسلام الأزدي، وقولُهُ: مُذْ إليه صارت الإمامة، أي: مذ صارت إليه الإمامة بعد الإمام أحمد بن محمّد الربخي، وقولُهُ: رأي أريًا بشريان مشابا، أي: رأي في الإمامة حلاوة ممزوجة بمرارة، الأري: عسل النّحل، والشريان شجرٌ مُرٌّ شديد المرارة، وشابه يشوبه إذا مزجه.

قولُهُ:

فَـبَـادَرَهُ سُلَـيْمَانٌ بِجُنْدٍ فَأَلْقَى السَّيْفَ وَالسُّمَّرَ الكَعَابَا

بادره أي: قابله سليمان بن سليمان بن مظفّر بجند، جمع جنود، من قومه وشيعته، فألقى، أي: فرمى - يعني أبا الحسن بن عبدالسلام المذكور - عَنْ مبارزته السيف القرضاب[1]، والسُّمْرَ الكعاب[2] وهي الرّماح، سُمّيت بذلك لاستحالة أكثرها لِلسُّمرة، وكعابهن العُرْصُ[3] التي في قدودِهنّ[4].

---

(١) القِرضاب: هو القطاع.

(٢) الكَعاب: بفتح الأول جمع كَعب، والمراد الرماح السريعة.

(٣) العُرْص: من صفات الرماح يقال رمح عُرص: أي رمح لدن.

(٤) القدود: جمع قد وهو القامة المعتدلة.

الإمام محمّد بن إسماعيل

قولُهُ:

فَمَاتَ سَلِيبَ نَصْرٍ وَاشْتَرَاهَا مُحَمَّدُ وَهْيَ تَضْطَرِبُ اضْطِرَابَا

يقول: فمات يعنى أبا الحسن المذكور سليب نصرٍ(١)، أي: نصره عنه مسلوب، وهو عَلَىْ أمره مغلوب، واشتراها يعني الإمامة بعد محمّد بن إسماعيل الإسماعيلي النزوي، وقولُهُ: وهي تضطرب اضطرابا، أي: لَمَّا اشتراها محمّد بن إسماعيل، هي غير مستقرة، يعنى البيعة، عَلَىْ حال، فهي تضطرب اضطرابًا من الخوف والارتعاب، فَمَا قدر عَلَىْ تسكينها إلا هُوَ.

وذلك لَمَّا بويع أبو الحسن خرج عليه سليمان بن سليمان بن مظفّر النبهاني بجندٍ كثيرِ العدد، فعجز أبو الحسن عَنْ ملاحمته لَمَّا خذلته رعيته، فحصره سليمان بن سليمان، وهو يومئذٍ بحصن نزوى، وَمَا أفرج له سليمان الخروج من الحصن بالحصر حَتَّى مات في الحصن محصورًا. فاستولى سليمان بن سليمان عَلَىْ نزوى.

قولُهُ:

فَصَارَ سَلِيلَ إِسْمَاعِيلَ قُطْبًا إِمَامًا لِلْهُدَى انْتُدِبَ انْتِدَابَا

قد مضى الكلام في سليل إسماعيل أَنّه محمّد بن إسماعيل، والقطب من النّاس، السيّد الَّذي تدور حوائج النّاس عَلَىْ يده، والإمام والهدى قد مضى فيهما الكلام، وانتدب انتدابًا أي: شمر تشميرًا الإنقاذ أمر العدل.

قولُهُ:

وَلَوْلاهُ لَنَالَ أَخُو الْمَخَازِي سُلَيْمَانٌ مِنَ الرُّودِ الرِّضَابَا(٢)

يقول: ولولا محمّد بن إسماعيل المذكور لنال أخو المخازي، يعني سليمان بن سليمان بن مظفّر، وكان سليمان مشهورًا بالفجور.

---

(١) كان موت أبي الحسن بن عبدالسلام عند خروج سليمان بن سليمان بن مظفّر عليه بعد أن أقام في الإمامة دون السنة.

(٢) يلزم تنوين كلمة سليمان الممنوعة أصلًا من الصرف لسلامة الوزن.

والرود: المرأة الناعمة الجميلة الصورة، والرضاب: ريق الفَمِّ مَا دام في الفَمِّ، فإذا وقع عَلَىٰ الأرض فهو بصاق، والرِّضاب لا يحلو مصّه إلا مع التقبيل والجماع.

قولُهُ:

فَدَاسَ بِرِجْلِهِ صَدْرًا إِلَيْهِ مِنَ الأَحْقَادِ يَلْتَهِبُ الْتِهَابَا

يقول: فداس يعني محمّد بن إسماعيل صدرًا لسليمان بن سليمان المذكور، وصدر سليمان من الأحقاد عليه يلتهب التهابا لمّا داسه برجله حين طرحه عَلَىٰ الأرض.

قولُهُ:

لِذَلِكَ قِيلَ أَنْتَ لَهَا إِمَامٌ عُمَانٌ فَاتْرُكْ القُشَرَ اللُّبَابَا

يقول: لأجل ذلك الشأن قيل لمحمّد بن إسماعيل: أنت لها، إمامُ عُمان، لمّا صرعت جرثومة بني نبهان سليمان بن سليمان، ودست صدره، ومنعته عَنْ مراده بالمرأة الطيّبة الطاهرة، فسلّ الآن عَلَىٰ الأعداءِ قرضابا[1]، واترك بالعدل قشر[2] عُمَان لُبابا[3].

القشر حقيقة ثلاثة أصناف: الأوّل: هو الصورة المرموقة[4] في الكتابة، الثاني: هو المنّطق[5]، فإن الأصوات المركبة التي هي مدلول الكتابة، ودلالة للحديث الَّذِي في النفس هو علم ترتيب الحروف ونظم الكلام، إما منطوقًا بهِ أو مكتوبًا، واللُّبابُ: هو العلم القائم بالنفس الَّذِي حقيقته ترجع إلى الانتقاش، أي: انتقاش النفس بمثالٍ مطابقٍ للعلوم.

قولُهُ:

أَجَابَ وَرَدَّ عَنْهَا كُلَّ بَاغٍ يَرَى مَنْ كَالْحَدِيدِ لَهُ نِصَابَا

(١) القرضاب: هو السيف القطاع.
(٢) القشر: هو الجلد ولحاء الشجر.
(٣) اللباب: هو خالص كل شيء، ومن النخل ونحوها قلبها.
(٤) أي المرسومة.
(٥) أي النطق والكلام.

يقـول: فلمّا قيل له: أنـت الإمام لها عُمَان، أجاب الدّاعِـي، ورَدَّ عَنْهَا كلّ معتدٍ باغٍ، يرى بتيههِ وتعدّيهِ من قوته كالحديد، له كنصابَ السكين الذي لا يقطع شيئًا.

القصّة:

أخـبرني غير واحد من المشايـخ الذين أصدقهم، منهم الشيـخ القاضي مبارك بن عبـدالله النزوي وغيره، أنّه صح معهم عَنْ روايات ثقات من أهل عُمَان، أنَّ سليمان ابن سليمان النبهاني كان في أيام محمّد بن إسماعيل المذكور هو جرثومة[١] بني نبهان، ومسكنه يومئذٍ في بلدة بهلا، وحصنها في حكمه، ولم يقدر أحدٌ في ذلك الزّمان من أهلِ عُمَان أن يخالفه.

وكان سليمـان المذكـور أفصح بني نبهان، شاعِـرًا مُجيدًا، حَسَـن اللفظ والخطّ، وكان متظاهـرًا بالفسـوق والفجور، فسمع ذات يوم هاتفًا يقـول له: يا بني نبهان، قَرُبَ ذهابُ دولتكم وزوال عزّكم، فليسـ لكم في عُمَان سلطان إلا أيام[٢] قلائل، وسليمان لا يرى شخص ذلك الهاتف.

فتطـيّر[٣] مـن ذلك وشكا أمـره إلى بعض أصحابـه، فقال له: هـذه وسوسة من وساوس الشيطان، فليس لغيركم سلطان بعُمَان، والرّأي أن تمضي إلى نزوى؛ لينفرج عنك هذا الهمّ.

فأجابـه سليمان عَلَىٰ ذلـك، فلمّا سارا إلى نزوى ووصلاهـا وضعًا رحليهما في بيت الإمارة.

فـرأى سليمان امرأة من أهل نزوى قاصدة إلى فلـج الغنتق؛ لتغتسل فيه، وهي لا تعلم أن سليمان قد وصل إلى نزوى، فتتبعها، وهي لا تراه.

فلمّا نزعت ثيابها، ووقعت في الفلج هجم عليها، ففرّت هاربة منه عريانة، فجعل يعدو خلفها وهي تصيح، الجارة، الجارة[٤].

---

(١) جُرثومة الشيء: بالضم أصله.

(٢) في الأصل: أياما.

(٣) التطير: هو التشاؤم.

(٤) أي الغوث الغوث، فعله جار، أي رفع صوته بالدعاء واستغاث.

فلمَّـا كانا دون حارة الوادي رآهما محمّد بن إسماعيل، فرمى عَلَىٰ المرأة عمامته، وصـادر سليمان بـن سليمان، فصرعه عَلَىٰ الأرض وداس صدره برجله ونعاله، ثم ذبحه ذبح الخروف.

فمضى برأســه إلى العقر، فرماه بين جماعة منها، فعرفوا رأسه، وقالوا: هذا رأس سليمان بن سليمان ووجهه.

فسألوه عَنْ شأنه، فأخبرهم الخبر.

فسرَّ ذلك أهل نزوى كافة.

وقيـل: هو مَا قتله، بل صرعـه إلى الأرض وداس صدره وبطنه، فبقى عليلًا[١] إلى أن مات.

والخبر الأول أصح.

ولما رآه أهل نزوى وغيرهم من المسلمين، أهل عُمَان، أهلًا للإمامة بايعوه.

وذلـك في سنة ست وتسعمائة[٢]، ومات يـوم الخميس لتسع ليال بقين من شهر شوال سنة ثلاثين وتسعمائة[٣]، والله أعلم.

قولُهُ:

وَلَمَّـا مَـاتَ قُـوَى عُمَـانٍ   وَمَـا لإِمَـامَـةٍ قِـرْمٌ أَثَـابَـا

يقول: ولمّا مَاتَ الإمام محمّد بن إسماعيل مات قوى عُمَان، أي: ماتت قوة أهلها، وَمَا للإِمَامة قِرم من كبرائها أثابها، أي: أعانها بالعدل، والقِرمُ: بكسر القاف السيد.

ذكر أصحاب التواريخ من أهل عُمَان أنّه لَمَّا مَاتَ الإمام محمّد بن إسماعيل نُصِبَ ولده بركات بن إسماعيل في اليوم الَّذِي مات فيه أبوه، فدخل حصن بهلا.

فلمَّـا سمع به محمّد بن جيفر بن علي بن هـلال الجبري مضى إليه، فأخرجه مـن حصن بهلا، ولم يسلَّ بـركات عليه سيفًا، وذلك بعدمَـا دخل سلطان بن

(١) أي مريضًا، والعلة بالكسر المرض.

(٢) أي سنة ١٥٠٠م.

(٣) الموافق ١ ستبمبر ١٥٢٤م.

المحسن بن سليمان بن نبهان نزوى، وملكها. وتاريخ ذلك سنة أربع وستين بعد تسعمائة سنة[١].

وبقي حصن بهلا في يد محمّد بن جفير، فاشتراه منه آل عمير بثلاثمائة لَّكّ[٢]، وبركات في معزلٍ من الإمامة.

ثم نُصِبَ بعده عبدالله بن محمّد القرن في منح يوم الجمعة لخمسة عشر من رجب سنة سبع وستين وتسعمائة[٣].

ودخل حصن بهلا يوم الاثنين لليلتين بقيتا من هذا من هذه السنة.

فركضَ[٤] عليه بركات بن إسماعيل للذكور، فأخرجه من الحصن.

وبقيت عُمَان في اضطرابٍ من الخوف والجور، وَمَا بقي فِهَا للعدْلِ ذكر.

---

(١) أي سنة ١٥٥٦م.

(٢) اللَّكُّ: في العدد عند أهل عمان، مائة ألف.

(٣) الموافق ١١ من إبريل سنة ١٥٥٩م.

(٤) الركض هو تحريك الرجل والدفع واستحثاث الفرس للعدو والجري، والمعنى هجم عليه.

الإمام ناصر بن مرشد

قولُهُ:

إِلَىٰ أَنْ سَلَّ نَاصِرُ سَيْفَ عَدْلٍ   وَمَا عَنْهُ أَرَادَ الإِجْتِنَابَا

المعنى: فَمَا برحت تلك الزعازع[١] بين أهل عُمَان، لميلهم للهوى، ومقتهم للهدى والعدل، إلى أنْ سَلَّ ناصر سيف العدل عَلَىٰ مَنْ عدل عَنْ العدل، وَمَا عَنْ سل سيفه الَّذِي به أصدق الضراب أراد الاجتناب.

وناصر هذا هو الإمام ناصر بن مرشد بن سلطان بن مالك بن بلعرب بن سلطان ابن مالك بن أبي العرب بن سلطان بن مالك بن أبي العرب بن محمّد بن يعرب بن سلطان بن حمير بن مزاحم بن يعرب بن محمّد بن بلعرب بن مالك بن يعرب بن مالك اليعربي الحميري الأزدي الإباضي العُماني[٢].

قولُهُ:

فَحَسْبُ عُمَانَ نَاصِرُهَا إِمَامًا   أَفَادَ السَّيْفَ وَخْضًا وَاخْتِضَابَا

لقد مضى الكلام في حسب، أنّه كفى، أي: كفاها عُمَان ناصرًا إمامًا، فالهاءُ راجعٌ ضميرها إليه، بقولُهُ: ناصرها إمامًا، والسّيفُ والإفادة معروفان، وقولُهُ: وخضا واختضابا، أي: خوض السيف في حشاءِ[٣] الأعادي، وخضّبه بدمائهم، والانتصاب عَلَىٰ المصدر[٤]، يقال: زيد وخض عمرًا بالسيف إذا خوضه في حشاه، وكذلك بالرمح أو السكين إذا فعل بهما كالسيف.

قولُهُ:

لَهُ سِرُّ الوِلاَيَةِ قَبْلَ بَيْعٍ   وَبَعْدَ الْبَيْعِ فَاحْتَزَبَ احْتِزَابَا

يَقُولُ: كانَ لناصر بن مرشد المذكور سر الولاية قبل البيع بالإمامة، وبعد البيع فاحتزبَ السِرُّ الأوّل والسرّ الثاني احتزابًا عَلَىٰ المصدر، أي: فَعَصَبَ بعضه بعضًا.

---

(١) الزعازع: هي الشدائد.

(٢) يذكر ابن رزيق، في كتاب الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، نسب الإمام ناصر، أنه، ناصر بن مرشد بن سلطان بن مالك بن أبي العرب بن محمّد بن يعرب بن مالك بن يعرب بن مالك اليعربي....».

(٣) المراد بطونهم.

(٤) يعنى أنه مفعول مطلق، والصواب أن نصبه عَلَىٰ التمييز، والمميز ملحوظ.

لقد ذكر مشايخ أهل العلم بالسِّيَر والتواريخ من ثقات أهل عُمَان، أن الإمام ناصر ابن مرشد، رحمه الله، كان قبل البيعة ذات يوم نائمًا في مسجد قصرى من الرستاق، فدخل رجل صالح ذلك المسجد؛ ليصلى فيه بعض النوافل، فرأي كأنَّ في أحد زوايا ذلك المسجد سراجًا يتّقد، فلمّا اقترب من تلك الزاوية رأي ناصر بن مرشد نائمًا، ولم ير غيره في ذلك المسجد، فاعترف بولايته وصلاحه.

ومن فضائله، رحمه الله، أن أُمّه كان لها زوج بعد أبيه، وكان الإمام رحمه الله، يأمرها أن تضع طعامه قبل طعامهما؛ لئلا يتبقى بقيّة من عجين زوجها، فيدخل في طعامه، فخالفت، أو نسيت مقاله لهّا، فعجنت الطحين الَّذِي لزوجها، ثم خبزته، وصبت طحين ولدها الإمام في ذلك الوعاء.

فلمّا وضعت يدها في الطوبج[١] التقصت به، ولم تقدر عَلَىْ نزعها منه، حَتَّى أتى ولدها الإمام، فنزعها منه، وَرَضي عنها.

ومن فضائله، رحمه الله، أنّه بعد مَا عقدت له الإمامة اجتمع أناس، أهل نفاق، من أهل الرستاق في بيت رجل منهم، فجعلوا يسبّون الإمام، فنهتهم زوجة الرجل المجتمعين في بيته، فلم ينتهوا، فخرجت عنهم، فخرَّ عليهم سقف ذلك البيت، فماتُوا جميعًا.

ومن فضائله، رحمه الله، أن مطيّةً أكلت من طعام بيت المال، فتحشرجت[٢]، ولم تزل في ذلك حَتَّى رأت الإمام، فأتت إليه، فوضعت رأسها ورقبتها عَلَىْ منكبيه[٣]، فلم تزل في ذلك حَتَّى جاء صاحبها، فسأله الإمام عَنْ حالها، فأخبره أنّها أكلت من طعام بيت المال[٤]، فوقع عليها كما ترى، فرضي الإمام عنه، وأحلّه، ومسح بيده عَلَىْ رقبتها ورأسها، فبرئت مما بها.

(١) هو مَا يتخذ للخبز، شبيه بالفرن وبعد من ألواح فخارية أو حديدية عريضة تحمى بالنار فيخبز عليها.

(٢) التحشرج: تردد الصوت في الحلق، وهنا بمعنى علق شيءٌ مما أكلته المطية في حلقها، وصعب عليها التنفس.

(٣) المنكب: هو مجمع رأس الكتف والعضد، مذكر.

(٤) أي من مال الدولة.

ومـن فضائله، رحمه الله، أن جـراب[١] تمر أشبع أربعائمة رجل أيام دولته، ومثل ذلك مورة[٢] أرز، وقيل: أشبعاهما أيامًا، والله أعلم.

ومـن فضائله، رحمه الله، أنـه كان نائمًا أيام حرّ فوق سطح داره، فأتى إليه رجل يريد أن يقتله، فوقف عَلَىٰ رأسِ الإمام، وفي يد الرجل خنجر مشحوذة[٣]، فلم يقدر أنْ يطعنـه بها، وأمسك الله عَلَىٰ يـده، فانتبه الإمام، فرآه واقفًا عَلَىٰ رأسه، فسأله عَنْ مراده، فقال له: مَا يسعنى غير عفوك، فإني عزمت عَلَىٰ قتلك فَعَفَا عَنْه، ولم يعاقبه.

وَمِـن فضائله، رحمـه الله، أن بَدويًّا ضلّت له ناقة، فمضـى في طلبها، فبينما هو يمشى إذ رأي أثر قدم، فاستعظمها، فجعل يَقُصُّ أثرها حَتَّى انتهى إلى غابات شجر، فسمـع صوتًا من داخل ذلـك الشجر، أن مَطِيّتك في المكان الفـلاني، فامضِ إليها، وقُل للإمام ناصر بن مرشد، يلزم هذِهِ السِّيَرة، فإنّها سيرة رسول الله ﷺ.

فمضـى البدويُ مرعوبًا، وقصد الموضع الَّـذِي وصفه له المخاطب، فرأي مطيّته فيه ثم مضى إلى الإمام فأخبره.

وكان الإمـام قـد رأي في منامه، قبل أن يصل البدوي إليه، أن بدويًّا أتا يُبشّره، أنّه عَلَىٰ سيرة النبيّ ﷺ.

ومن فضائلـه، رحمه الله، أنّه كان يعطى نفقة له ولعياله[٤] من بيت المال ولم يكن لهـم قِدرٌ يطبخون فيـه طعامهم، فكانت زوجته تنقص من النفقـة قليلًا، قليلًا حَتَّى باعته، واشترت بهِ قِدرًا من صفر[٥].

فلمّا رآها الإمام سألها، من أين لها القدر، فأخبرته بما صنعت، فقال لها استعمليها، وهي لبيت المال. وأَمَرَ وكيل الغالة[٦]، أَنْ ينقص من نفقتهم قَدر مَا كانت زوجته[٧] تنقص منها.

---

(١) الجراب والجريب: مكيال قدره أثنا عشر صاعًا، ووزن مكيال الصاع حوالي خمسة أرطال.

(٢) مكيال.

(٣) شحذ الخنجر: أحده.

(٤) من يعولهم وينفق عليهم من أهله وولده.

(٥) أي من نحاس.

(٦) الغالة: هي المال الذي يجبى من غلة الأرض وزرعها لبيت المال.

(٧) في الأصل: والدته: والصواب مَا ذكر.

ومـن فضائله، رحمه الله، أن القاضي محمّد بـن عمر دخل يومًا عَلَىْ الإمام، فرآه متغـيّر الوجه، فسأله عَنْ حاله، فلم يخبره، فألح عليه، فأخبره، أنّهُ لم يكن له مَا ينفقه عَلَىْ عياله لِسنَّةِ العيد.

فذكر الشيخ محمّد بن عمر للوالي، أن يدفع للإمام شيئًا من الدّراهم.

قيل: فدفع له عشر محمّديات[١].

ومـن فضائله، رحمه الله، أنّه منذ سكن بعـد البيعة عقر نزوى لم يمت من بشـرها كبيرٌ ولا صغير حَتَّى مات.

ومـن فضائله، رحمه الله، أنّهُ لم يفترس في أيّام دولته ذئبٌ شَاةً بأرض عُمَان حَتَّى مات، تغمده الله بالمغفرة والرّضوان.

قولُهُ:

سُـلالَـةُ مُـرْشِـدٍ طُـهْـرٌ إِمَـامٌ وَلِيٌّ إِنْ دَعَـا أَضْـحَـى مُجَـابَا[٢]

يقـول: سلالة مرشد؛ يعنى الإمـام ناصر بن مرشد، وليٌّ من أوليـاءِ الله الوهاب، دُعاؤهُ مجاب.

أخـبرني غـير واحدٍ من المشايخ المُسنّة عَنْ أهل عُمَان عَـنْ آبائهم، أن الإمام ناصر ابـن مرشد لَّما بويع له بالإمامة، واخَبرَ بذلك مالك بن أبي العرب اليعربي، وكان هو يومئـذٍ المالك لرستاق جعل يقهقـه في ضحكه، استهـزاءً وازدراءً، ويقول لعسكره الذيـن معه في الحصـن، إذا قصد ناصر الحصن ومن معه افتحـوا لهم أبواب الحصن كلها، فإنهم إذا دخلوا علينا لنضع فيهم أمرى مرادنا[٣].

قالـوا: فلمّـا أراد الإمـام أن يمضي إلى الحصن بمن معه مـن العسكر دخل مسجد قصرى، فصلّى فيه ركعتين، ثم دعا الله تعالى، أن يفتح له الحصن.

فلمّا فرغ من دعائه مضى بمن معه من العسكر إلى الحصن، وهم يقولون: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾[٤].

(١) عملة تصنع من الفضة.

(٢) السُلالة: بالضم الولد مثل السليل.

(٣) أي أشد مَا يصنع بهم.

(٤) من الأية ٨١، من سورة الإسراء

فلمّـا وصلوا إلى الحصن وجـدوا أبوابه مُفتّحة، ومالـك وعسكره يرتعدون من الفزع، فأخرجهم الإمام منه، واستولى عليه.

قالـوا: ولمّا استنكفَ أهل نخل[(١)] بعد مَا أطاعـوه، وحصروا حصنها، وَأخَبر عَنْ ذلك دعا ربّه، أن ينصره عليهم.

فلمّـا مضى إليهم بمن معه من العسكـر أذعنوا له وعاهدوه، ألا يخونوه بعد ذلك فخلص له أمرها.

قالوا: ولمّا سكن الإمام ناصر بن مرشد عقر نزوى قيل له: إن أهل سمد الكندي وإن ألانوا لك الجانب فباطنهم غير ظاهرهم، وأنّهم لا يقدرون عَلَىْ مخالفة شيخهم فلان.

وكان بهـا رجل مهيب، من بني كندة، وعليهـم هو الأمير في ذلك الزمان، وهو رَجُلٌ ذو نخوة وجبروت.

فسأل الإمام القاضي محمّد بن عمر عنه، فأخبره كما أُخبر عَنْه.

فدعا الإمام ربّه الحميد، أن ينتقم من ذلك الجبّار العنيد.

فمات ذلك الجبّار بعد أيّام قلائل، فخلصت له نزوى.

قالوا: ولمّا استنكف عَنْ طاعته سيف بن محمّد الهنائي، وكان هو يومئذٍ جرثومة بني هناءة، وهو المالك لحصن بهلاء وكلّما بعث الإمام له عسكرًا من عساكره رجعوا عنه بسلب المراد.

فدعا الإمام ربّه جلَّ وعلا، أنْ ينصره عليه، ثم مضى بمن معه من العسكر إلى بهلا، ففتحها.

قالـوا: ولمّا أبـى[(٢)] عَنْ طاعته أهل الغبّي[(٣)]، وقتلوا أخـاه جاعد بن مرشد لمَّا بعثه أخوه الإمام لحربهم دعا الله تعالى، أن ينصره عليهم.

ثم بعث إليهم جيشًا، فنصر الله جيش الإمام، وخلصت له الغبّي.

قالوا: ولمّا أراد الإمامُ حرب توأم، لمَّا قيل له: إن أهلها عتاةٌ[(٤)] بغاةٌ، شدادٌ، غلاظٌ، دعا ربّه، عزَّ وجلَّ، أن ينصره عليهم.

---

(١) إحدى مدن الحجر الغربي، وهي مدينة مشهورة بزراعة النخيل والفواكه، وبها حصن مشهور، وهي بلد المؤلف ابن رزيق.

(٢) في الأصل: ولمّا أبت، والصواب عدم ألحاق علامة التأنيث بالفعل؛ لأن الفاعل مذكر بعده.

(٣) قرية من قرى محافظة الظاهرة، وكان بها حصن بيد بني هلال.

(٤) جمع عاتٍ: وهو المستكبر المجاوز الحد.

ثم بعث لهم جيشًا، أميره عبدالله بن محمّد النزوي الكندي، ومعه الشيخ خميس ابن رويشد الضنّكي، وحافظ بن جمعة الهنوي، ومحمد بن سيف، ومحمد بن علي.

فلمّا وصلوا إلى توءام، وبادرتهم البغاة بالحرب فلّ(١) الله شوكة البغاة، ونصر الله عسكر الإمام، وصارت توءام في حكم الإمام.

قالوا: ولمّا أراد الإمام حرب جلفار، وكان المالك لها يومئذٍ ناصر الدين العجمي، ومعه من عساكر العجم الشيرازيّة جملة، بعث الإمام إليهَا جيشًا، أميره من قبله عليّ بن أحمد.

ودعا الإمام ربه، جلَّ وعلا، أن ينصره عليهم، فاستجاب الله دُعَاءَهُ، فنصره عليهم.

فصارت جلفار في حكمه.

قالوا: ولمّا أراد الإمام حرب صور(٢) وقريات(٣)، وكانتا بيد النَّصارى البرتكيسية(٤)، دعا الإمام ربه، جلَّ وعلا، ثم بعث إليها جيشًا، أميره، خميس بن سعيد، ففتحهما وأخرج النَّصارى منهما.

وأيد الله الإمام بنصره.

قوله من القصيدة:

وَأَخْبَارٌ لِسِيرَتِهِ حِسَانٌ ... يُنَاجِي(٥) الرَّاكِبُونَ بِهَا الرِّكَابَا

يقول: وأخبار لسيرة الإمام ناصر بن مرشد حسان يناجي الراكبون بها ركابهم بالاستحسان، وهذا عَلَىٰ سبيل مبالغة الثناءِ، والحمّد إليه، وهو جديرٌ بذلك.

قولُهُ:

أَبَادَ الْمُشْرِكِينَ بِسَيْفِ عَدْلٍ ... وَأَهْلَ الْبَغْيِ فَاقْتُضِبُوا اقْتِضَابَا

يقول: أباد الإمام ناصر المشركين، أي: أفناهم، وأعدمهم قتلًا بسيف العدل،

(١) فلّ: بالتضعيف كسر وثلم، والمعنى هزمهم الله.

(٢) صور: مدينة تجارية هامة تقع عَلَىٰ الساحل في محافظة جنوب الشرقية الشرقية، غربي رأس الحد.

(٣) مدينة ساحلية في منطقة الحجر الشرقي.

(٤) يعني بهم البرتغاليين.

(٥) في الأصل: تُنَاجي، والمثبت هو الصواب.

وأهـل البغي كذلك، والواو عطفيّة، وقولُهُ: فاقتضبوا اقتضابًا، أي: فَقُطِّعُوا بالسيف تقطيعًـا، والانتصاب عَلَىْ المصـدر، يعني بالمشـركين النَّصـارى المذكورين، وبأهل البغي من أهل عُمَان، ومن شايعوهم عليه بالعدوان.

قولُهُ:

سَقَـى أَسْـيَـافَـهُ عَـلَـقَ الأَعَــادِي فَـمَـا ضَـرَمُـوا بِـدُورِهِـمُ قِـبَـابَـا

سَقَاهُ يسقيـه ضِدُّ أعطشه يُعطشُه، والعَلَقُ: الـدم، والأعادي معرفون مشـركون أو مسلمون باغون، والدّور واحدتها[١] دار، والقُبابُ بِضّم القاف واحدتهن قُبّة.

والمعنى، سقى الإمام ناصر بن مرشد أسيافه بدم اعدائه، فأخلاهم من دورهم، فما ضربوا فيها[٢] بعد مَا أخذهم منها قُبّةً.

قولُهُ:

فَـمَـنْ صُـورٍ إِلَىْ صِـيْرٍ ظُـبَـاهُ تَـصُـبُّ دَمًـا وَتَـنْـمُـو الانْـصِـبَـابَـا

صور هنا البلد الساحلّية المقابلة لجعلان العُمَانيّة، فقرى جعلان جميعًا لها أعمال، عمـرت بعد مَا خربت قلهات[٣]، وعامروها آخر ملوك بني نبهان، فهي الّتي يعنيها النّاظـم بقولُهُ: فمن صور، لا يعني البلـد التي بالشام التي ذكرها الحريري في مقامته الصّوريـة لمَّا قال: أزمعتُ النقلة من صور إلى مدينة المنصور، أي: أزمعتُ النقلة منها إلى بغداد، فإن بغداد تُسمّى مدينة المنصور[٤]؛ لأنه هو الذي عَمَرها.

والمنصـور هذا هـو أبو جعفر المنصـور، عبدالله بن محمّد بن علـي بن عبدالله بن العبّاس بن عبدالمطلـب، أخذ له البيعة، وهو بطريق مكّة، عمّـه عيسى بن علي، ثم لعيسى بن موسى بعده، يوم الأحد لاثنتى عشـرة ليلة خلت من ذي الحجّة سنة ستّ وثلاثين ومائة[٥] والمنصور يومئذٍ ابن إحدى عشـرة سنة.

---

(١) في الأصل: واحدتهن

(٢) في الأصل: فيهن.

(٣) مدينة تقع عَلَىْ الساحل الشرقي بين صور وطيوي.

(٤) كان مكانها يسعى الزوراء قديمًا؛ لأن قبلتها غير مستقيمة ويحتاج المصلى في مسجدها الجامع أن ينحرف إلى اليسار قليلاً، ومدينة المنصور: هي بغداد القديمة التي هي بالجانب الشرقي فقد استجدت بعد ذلك.

(٥) الموافق ١٣ يونيو ٧٥٤م.

وكان مولده في ذي الحجّة سنة خمس وتسعين[١]، وكانت أمّه أمُّ ولدٍ[٢] يقال لها: سلامة بنت بريرة، وكانت وفاته يوم السّبت لستٍّ خلون من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة[٣]، فكَانَتْ وَلايَتُهُ اثنتين وعشرين سَنَةً إلا تسعة أيّام، وهو حاجٌّ عند وصوله إلى مكّة، في الموضع المعروف ببستان بني عامر عَلَىْ جادّة[٤] العراق، ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة، ودفن في مكة، مكشوف الوجه؛ لأنه كان محرمًا. وقيل: إنه مات بالبطحاء عند بئر ميمون، ودفن بالحجون[٥]، وهو ابن خمس وستين، والله أعلم.

وقولُهُ: إلى صير، الصّير: جلفار، وقولُهُ: ظَبَاهُ[٦] تصُبُّ دمًا وتنمو الانصبابا، الظُّبا: بضم الظّاءِ واحدتهن ظبه في حدود السيوف ونَصُبُّ أي تسكب والدِماءُ جمع دم تخفيف الدال وقوله: تنمو الانصباب لأي: وتزيد الانصباب، نما الشيء ينمو إذا كثر وازدادت كثرته.

قولُهُ:

إِذَا شَبَّتْ عَلَيْهِ عِدَاهُ نَارًا ... رَمَادًا صَيَّرَتْ لَهُمُ الإِهَابَا

شبَّ النار يشبها إذ أوراها، والنار معروفة، وهي جِرمٌ بسيط طباعه أن يكون حارًّا يابسًا، مُتحرّكًا بالطّبع عَنْ الوسط ليستقر تحت كُرَةِ القمر، والرَّمادُ: مَا تبقيه النار من أثر الحطب أو الفحم، والإهاب جلدة الجسم.

والمعنى: إذا شبَّ أعداءُ الإمام ناصر بن مرشد نارًا، أي: حربًا، صَيّرت تلك النارُ التي شَبُّوهَا عليه إهابهم رَمادًا.

قولُهُ:

وَنَارُ وَغَاهُ مَا أَبقَتْ إِلَيْهِمْ ... سِوَى عُرْبٍ يَلُكْنَ الإِكْتِئَابَا

---

(١) الموافق أغسطس ٧١٤م

(٢) أي جارية تباع وتشترى، وبعد أن تصير أم ولد لمالكها لا يجوز بيعها، وليس لها حقوق الزوجة، مثل القسمة والميراث.

(٣) الموافق ١١ أكتوبر ٧٧٥م.

(٤) لفظا (على جادة) من وضع المحقق فمكانهما في الأصل بياض،والجادة معظم الطريق.

(٥) الحجون: جبل بمعلاة مكة.

(٦) الظُبَا كهدى جمع ظُبَة بضم الأوّل وفتح الثاني، وهي حدُّ السيف.

يقــول: ونار وغاه، أي: ونــار حربه، وهو الإمام ناصر بن مرشــد، مَا أبقت لهم باقيــة سِوى نِساءٍ يلكن(١) الاكتئاب، وهو الحُزن عَلَىٰ فقدهن لأزواجهن وأهلهن، الذيــن صيرهم الإمام كالرمــاد بنارِ الجلاد، يقال: نساءٌ عُــرُبٌ، إذا بلغن من الجمال الغاية، وفي الكتــاب الكريم: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾(٢)، يعنى الحور العين، المتزوج(٣) بهن من الجنان عباده الصالحون.

قولُهُ:

وَكَــمْ بَــاغٍ إِلَـيْـهِ يَـصُـوغُ كَـيْـدًا   فَأَصْبَــحَ يَطْـوِي بِالْهَـرَبِ الهِضَابَا(٤)

كــم ها هنا عددية، وهــي تأتي عَلَىٰ ثلاثة وجوه: وجهٌ عــددي ووجه استفهامي ووجــه خــبري، فالعددية مَا بعدها مخفوضٌ(٥)، والاستفهامية مَــا بعدها منصوبٌ، والخبريــة مَا بعدها مرفــوعٌ؛ وفي المنطق(٦)، الكَمُّ عَرَضٌ(٧)، وهــو عبارة عَنْ المعنى الَّــذِي يقبل التجزّي والمســاواة والتفاوت، ومقلبهــا لذاتها، فالمســاواة والتفاوت والتجــزي من لواحق الكم، فــإن لحق غيره فبواسطته، لا من حيث ذات ذلك الغير، وهــو ينقســم إلى الكــم المتصل والمنفصل، أمَّا المتصل فهــو كُلّ مقدار يوجد لأجزائه حَــدٌّ مُشتركٌ، يتلاقى عند طرفاه، كالنقط للخط، والخط للسطح، والآن الواصل إلى الزّمان الماضي والمستقبل.

وينقســم إلى ذي الوضع وإلى مَا ليس بذي وضع، وذو الوضع هو الَّذِي لأجزائه

(١) اللوك: أهون المضغ، أو مضغ صلب.

(٢) الآيتان رقم ٣٧ ورقم ٣٨ من سورة الواقعة، والعرب جمع عروب، وهي المرأة المتحببة إلى زوجها، والأتراب جمع ترب بالكسر وهي الشبيه في العمر والنظير في وقت الولادة.

(٣) في الأصل المتزوجون.

(٤) تتقضي سلامة وزن البيت نطق كسر عين يطوى خطفًا.

(٥) أي مجرور.

(٦) أي علم المنطق: وهو العلم الذي يبحث فيه عَنْ القوانين العامة للتفكير، وغايته البحث في الأحوال والشروط التي بتوافرها يستطيع المرء الانتقال من قضايا مسلم بصحتها إلى قضايا أخرى جديدة، فهو خاص ببيان الطرق الصحيحة التي يحصل بها التفكير الصحيح من غير نظر إلى المواد الواقع عليها التفكير، وقد سماه واضعوه بعلم المنطق مع أنه علم التفكير لا النطق؛ لأن الألفاظ سمات المعاني ورموزها.

(٧) الكم: هو الكمية والعدد غير الكيف، والعرض في علم المنطق هو صفة كلية تتصف بها أفراد حقائق مختلفة، وهو صفة مفارقة ليست جزءًا من الماهية.

اتصال وثبات، وتساو في الوجود معًا، بحيث يمكن أن يشار إلى كُلّ واحدٍ منهما أيـن هو الآخر، فمن ذلك ممَّا يقبل القسمة[١] في جهة واحدة فقط كالخط، ومنه مَا يقبل إلى جهتين متقاطعتين عَلَىٰ قوائم، وهو السطح، ومنه مَا يقبل إلى ثلاث جهات قائمة، بعضها عَلَىٰ بعض، وهو الجسم، والمكان أيضًا ذو وضع؛ لأنه السطح الباطن من الحاوي، فإنه يحيط بالمحوي، وهو مكانه.

وفريق يقولون: مكان الماءِ من الإنـاءِ الفضاء الَّذي في الإناءِ الَّذي يقدر خلاصه، قالوا: فارقة الماء، ولم يخلفه غيره، وهو أيضًا عند القائل من جملة الكم المتصل؛ لأنه ذو مقدار مَا يقبل الانقسام والمساواة والتفاوت.

وأمَّا الزمان فهو مقدار الحركة إلا إنَّه ليس له وضع، إذ لا وجود لأجزائه معًا، فإنه لا ثبات له، وإن كان له اتصال، إذ ماضيه ومستقبله يتحدانِ بطرفٍ الآن.

وأمَّا المنفصل فهو الَّذي لا وجود لأجزائه لا بالقوّة ولا بالفعل شيء مشترك يجري مجرى النّقطة من الخط، والآن من الزّمان، وإلا فأولئك أيضًا من جملة مَا يتعلّق بالكمية، فإنّ كلّما يمكن أن يُقدّر ببعض أجزائه فهو ذو قدر، إذِ العشرة يقدّرها الواحد بعشر مرات، والإثبات بخمس، وَمَا من عدد إلا ويقدر ببعض أجزائه، وكذلك الزّمان فإن الساعة بقدر الليل والنهار، والنهار والليل، ويُقّدر لهما الشهر، وبالشهر السنة.

فهذه الأمور تجري مجرى الأذرع في الأطوال، وكذلك الأقاويل، يقدّر بعض أجزائها، كما يُقدّر في العروض، إذ به تعرف الموازنة والمساواة، والمزدحف والتّفاوت، فهذه هي أقسام الكلية للكمية[٢]، انتهى.

(١) القسمة هي جعل الشيء أقسامًا، أو هي العملية التي تتميز بها الأنواع التي يتألف منها الجنس بعضها من بعض، والقسمة المنطقية نوعان، قسمة طبيعية أو مادية، وهي التي يعتبر فيها الشيء الوحيد كلا مركبًا من أجزاء، ثم يحل إلى أجزائه التي يتركب منها كتقسيم الشجرة إلى الجذر والجذع والأغصان، وقسمة نفسية أو فلسفية أو ذهنية، وهي التي يعتبر فيها الشيء مجموعة أعراض ثم يحل في الذهن إلى أعراضه التي يتألف منها، كما يميز في التفاحة شكلها ولونها وطعمها ورائحتها.

(٢) هي القسمة الثنائية والقسمة التفصيلية، وللقسمة قواعد، فيجب أن تؤسس القسمة عَلَىٰ أساس واحد، وأن يكون مجموع الأنواع التي ينقسم إليها مساويًا للجنس تمامًا، وأن يمنع كل قسم من الأقسام التي يتألف منها للقسم من دخول أفراد قسم آخر ضمنه، بمعنى أنه يجب أن تكون الأقسام تباينة، بحيث لا يصدق قسم مَا يصدق عليه القسم الآخر، فإن لم تتباين الأقسام كان التقسيم فاسدًا.

رجعنا إلى شرح مَا بقي من البيت.

الباغي: قد مضى الكلام فيه، والكيد معروف، والهرب الفرار، والهضاب جمع هضبة، وهي الأرض المستوية المرتفعة.

وفي هـذا البيت يشير إلى منافقي عقر نزوى لمَّا أرادوا أن يخرجوا الإمام ناصر بن مرشد من العقر، فلمَّا أُخبر عنهم، وتحقق معه ذلك نفاهم من العقر، ونهي عَنْ قتلهم والبطش بهم، فتشتتوا في البلدان العُمَانيّة.

قولُهُ:

تُخَاطِبُهُ الكُدَى بِلِسَانِ حَالٍ   بِرَكْضِكَ مَا تَرَكْتَ الجَابَ جَابَا

يعني: الهاربَ من أولئك المنافقين الذين أرادوا به الكيد لمَّا نفاهم خاطبته الكُدى بلسان الحال مع هربه وركضه، مَا تركت الجاب جابا، أي: بسرعة الركض والفرار، والكدى: الأرض البعيدة من الماءِ التي لا يسكنها إلا الضَبُّ، والجابُ الحمار الغليظ.

قولُهُ:

فَمَا الظَّفْرَا رَأَتْ ظَفَرًا عَلَيْهِ   وَلاَ مَنْ شَاءَ فَيْهَا الاغْتِرَابَا

الظفراء: رمال منتزحةٌ من توؤام عُمَان، يسكنها بعض أعراب بني ياس، وغيرهم، وبنو ياس هم بنو إلياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان بن زيد بن مقوم بن ناحور ابن يبرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم، خليل الرحمن، ابن تارح وهو أزر بن ناحور بن ساروح بن زاغور بن فالخ بن عبد بن سالخ بن أرفخشد ابن سام بن نوح بن لامك بن متوشلح بن أخنوخ، وهو إدريس النبي عليه السلام، ابن برد بن مهليل بن قبين بن يافث بن شيت بن آدم، ﷺ.

قال: أبو محمّد: حدّثنا عبدالملك بن هِشام قال: حدّثنا زياد بن عبدالله البكائي عَنْ محمّد بن إسحاق المطلبي، أن النبي ﷺ، هو محمّد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر ابن مالك بن النّضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد ابن عدنان.. إلى تمام سياقة النّسب الَّذِي ذكرنا.

قال ابن هشام: وأنا أبتدئ بذكر إسماعيل بن إبراهيم من ولد رسول الله ﷺ، ومن ولد أولادهم لأصلابهم؛ الأوّل بالأوّل، من إسماعيل إلى رسول الله ﷺ، وَمَا يعرض من حديثهم، وتارك ذكر غيرهم من ولد إسماعيل على هذه الجهة للاختصار إلى حديث رسول الله ﷺ، وتارك غيرهم، يعني تارك بعض مَا ذكر ابن إسحاق، ولا تفسير له، ولا شاهد عليه، لَمّا ذكرت من الاختصار، وأشعارًا ذكرها لم أر أهل العلم بالشعر يعرفها، وأشياءً بعضها يشنع الحديث، وبعض يسوءُ النّاس ذكره، وبعض لم يقر لنا البكائي برواية.

قالَ ابن هشام: حدّثنا زياد بن عبدالله البكائي عَنْ محمّد بن إسحاق المطلبي قال: ولد إسماعيل بن إبراهيم، عليهما السلام، اثنى عشر رجلًا، وكان أكبرهم قيذر، وأذيل، ومنسى، ومسمع، ومايتى، ودما، وأذر، وتيما، وقطور، وبشّ، وقبذيا، وأمهم بنت مضاض بن عمرو الجرهمي.

قال ابن هشام: ويقال مضاض بن جرهم بن قحطان، وقحطان أبو اليمن كلّها، وإليه يجتمع نسبها من غابر بن شالخ بن أرفخشد بن نوح.

قال ابن هشام: وجرهم بن يقطن بن ييسر بن شالخ بن قحطان بن عبير بن شالخ.

قال ابن إسحاق: وكان عمر إسماعيل عليه السلام، فيما يذكرون مائة سنة وثلاثين سنة، ثم مات، رحمة الله وبركاته عليه، ودفن في الحجر[1] مع أمّه هاجر، رحمهما الله.

قالَ ابن هشام: تقول العرب، هاجر والآجر، فيبدلون الألف من الهاءِ، كما قالوا: أعراق الماء، وأراق الماء، وغيره.

وهاجر من أرض مصر.

قالَ ابن هشام: حدّثنا عبدالله بن وِهبِ عَنْ عبدالله بن لهيعة عَنْ عَمْرو مولى عفرة، أن رسول الله ﷺ، قال: الله الله في أهل الذمة، أهل المدرة[2] السوداء، السحم[3] الجعاد[4]، فإنّ لهم نسبًا وصهرًا، قال عَمْرو مولى عفرة: نسبهم، إِنَّ أُمَّ

(١) الحِجر: بالكسر هو مَا حواه الحطيم المدار بالكعبة المشرفة من جانب الشمال.

(٢) المَدرة: محركة أرض لبني شعبة قرب مكة.

(٣) السَحم: محركة، والسحمة بالضم السواد، والرجل الأسحم هو أسود اللون.

(٤) الجعاد: جمع جعد وهو القصير.

إسماعيل النبي - ﷺ - منهم، وصهرهم، أن رسول الله ﷺ، يقول: إسماعيل أبو العرب كلّها.

قال ابن إسحاق: فمن عدنان تفرّقت القبائل من ولد إسماعيل بن إبراهيم، عليهما السلام، فولد عدنان رجلين، معد بن عدنان، وعكّ[١] بن عدنان.

قالَ ابن هشام: فصارت عكّ في دار اليمن، وذلك أن عكًا تزوّج في الأشعريين، فأقام فيهم، فصارت الدار واللُّغَةُ واحدة، والأشعريون بنو شعر بن نبت بن زيد بن مهسع بن عَمْرو بن غريب بن يشجب بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

قال: وأنشدني أبو محرز خلف الأحمر، وأبو عبيدة بن وداس، أحد بني سليم بن منصور بن عكرمة بن حصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن معد بن عدنان، يفتخر بعكّ شعرًا:

وَعَكُّ بنُ عَدْنَانَ الَّذِينَ تَلَعَّبُوا ... بِغَسَّانَ حَتَّى طُرِّدُوا كُلَّ مُطْرَدِ[٢]

قالَ: وهذا البيت من قصيدةٍ له:

قالَ ابن إسحاق: فولد معدّ بن عدنان أربعة نفر: نزار وزمعة، وقضاعة بن معدّ، وكان بكر معدَ الَّذِي به يُكنى فيما يزعمون، وقنص بن معدّ، وإياد بن معدّ، فأما قضاعة فنسبت إلى حمير بن سبأ، وكان اسمُ سبأ عبد شمس، وإِنَّما سُمّى سبأ؛ لأنه أوّل من سبى في العرب بن يعرب بن يشجب بن قحطان.

قال ابن إسحاق: وأمّا قنص بن معدّ فهلكت بقيتهم فيما يزعمه نُسّاب معدّ. وكان منهم النّعمان بن المنذر، وهو من ولد قنص بن معدّ.

قال ابن اسحاق: وحدّثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأفطس عَنْ شيخ من الأنصار من بني زريق، أنه حدّثه، أنّ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، حين أُتى بسيف النّعمان ابن المنذر دعا جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قُصي.

(١) ذهب الجوهري إلى مَا ذهب إليه ابن إسحاق من أن عك بن عدنان أخو معد، يرى صاحب القاموس أن هذا وهم، وأن عك بن عدنان بالثاء المثلثة ابن عبدالله بن الأزد وليس ابن عدنان أخا معد.

(٢) غسان اسم ماءٍ في شمال جزيرة العرب، نزل عليه قوم من الأزد فنسبوا إليه، ويقال إن غسان اسم القبيلة، وقد كَانُوا رهطًا لملوك الروم.

وكان جبير أنسب لقريش وللعرب قاطبة، وكان يقول: إنَّما أخذت النسب من أبي بكر الصّديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان أبو بكر الصديق أنسب العرب، فسلّحه إيّاه، ثمَّ قالَ: ممّن كان يا جبير، النّعمان بن المنذر.

قالَ: كان من أشلاءِ[١] قنص بن معدّ.

قالَ ابن إسحاق: فولد نزار بن معدّ ثلاثة نفر: مضر بن نزار، وربيعة بن نزار، وأنمار بن نزار.

قالَ ابن هشام: وإياد بن نزار:

قال الحارث بن دوس الإيادي، ويروي لأبي داود الإيادي، واسمه الحارث بن الحجاج شعرًا:

وَفَتْقٌ حَسَنٌ أَوجُهُهُمْ ... مِنْ إِيادِ بنِ نزار بن معد[٢]

فَأُمُّ مضر وإياد سودة بنت عكّ بن عدنان، وَأُمُّ ربيعة وأنمار شقيقة بنت عكّ. قال ابن إسحاق لأنمار أبو خثعم بن بجيلة، قال جرير بن عبدالله البجلي، وكان سَيّد بجيلة[٣]، وهو الَّذي يقول له القائل: لولا جرير هلكت بجيلة، وهو ينافر الفراقصة الكلبي إلى الأقرع بن حابس التميمي شعرًا:

يا أَقْرَعَ بنَ حَابِسَ يَا أقرعُ ... إنَّكَ إنْ يُصْرَعْ أخوك تُصْرَعُ[٤]

وقال أيضًا شعرا:

ابْنَىْ نِزَارَ انْصُرَا أَخَاكُمَا ... لَنْ يُغْلَبَ الْيَومَ أَخٌ وَالا كُمَا[٥]

وقد تيمّنت فلحقت باليمن:

قال ابن إسحاق: فولد مضر بن نزار رجلين، إلياس بن مضر، وغيلان بن مضر.

---

(١) لأشلاء هي البقايا جمع شلو بالكسر وهو العضد، أو كل مسلوح أكل منه جزء وبقيت منه بقية.

(٢) الفتق هو المنفرج والمتسع.

(٣) بجيلة حيٌّ من معد باليمن، ومنهم جرير بن عبدالله البجلي.

(٤) الأقرع بن حابس صحابي، وأخوه مرثد، الصرع: الطرح عَلَىٰ الأرض.

(٥) أي صاحبكما.

قال ابن هشام: وأمّهما جرهميّة[١].

قال ابن إسحاق: فولد إلياس بن مضر ثلاثة نفر، مدركة بن إلياس، وطابخة بن إلياس، وأمّهم خندف امرأة من اليمن، خندف بنت عمران بن الحاف بن قضاعة.

قال ابن إسحاق: وكان اسم مدركة عامر، واسم طابخة عَمْرو.

وزعموا، أنّهما كانا في إبلهما يرعيان، فقنصا صَيدًا، فقعدا عليه يطبخانه، وعدت عادية[٢] عَلَىٰ إبلهما فقال عامر لعمرو: أتدرك الإبل أم تطبخ؟

فقال عَمْرو: بل أطبخ.

فلحق عامر الإبل، فجاءَ بها، فلمَّا راحا[٣] عَلَىٰ أبيهما حدّثاه شأنهما.

فقال لعامر: أنت مدركة، وقال لعمرو: أنت طابخة.

وأمّا قمعة فيزعم نساب مضر، أنّ خزاعة من ولد عَمْرو بن لُحَي بن قمعة بن إلياس. قالَ ابن إسحاق: ويزعمون أنْ أوّل من كانت له عبادة الحجارة، في بني إسماعيل، أنّه كان لا يظعن[٤] من مكّة ظاعن منهم حَتَّى ضاقت عليهم، والتمسوا الفسح[٥] في البلاد، فما ظعن أحد منهم إلا معه حجر من حجارة الحرم، تعظيمًا للحرم، فحيث ما نزلوا وضعوه، فطافوا به كطوافهم بالكعبة حَتَّى سلخ ذلك بهم إلى أن كَانُوا يعبدون مَا استحسنوا من الحجارة وأعجبهم، حَتَّى خلفت الخلوف[٦]، وأنسوا مَا كَانُوا عليه، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل، عليهما السلام، غيره، فعبدوا الأوثان، وصاروا عَلَىٰ مَا كانت عليه الأمم من قبلهم من الضّلالات.

وفيهم عَلَىٰ ذلك بقايا من عهد إبراهيم يتمسّكون بها من تعظيم البيت والطّواف به، والحجّ، والعمرة والوقوف على عرفة والمزدلفة وهدي البدن والأهلال بالحج والعمرة مع إدخالهم فيه مَا ليس منه.

---

(١) جرهم: حيٌّ من اليمن، تزوج فيهم إسماعيل عليه السلام.

(٢) أي جماعة مقاتلة من الفرسان.

(٣) أي رجعًا.

(٤) ظعن: أي سار، والمراد لا يخرج منهم أحد من مكة.

(٥) أي طلبوا المكان الفسيح الواسع.

(٦) أي جاء من بعدهم أولادهم وأخلافهم.

وكانت كنانة وقريش إذا اهلّوا قالوا: لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ، لا شريك لك، إلا شريك هو لك تملكه وَمَا مَلك.

فيوحدونه بالتلبية، ثم يدخلون معه أصنامهم، ويجعلون ملكها بيده.

يقول الله تعالى لمحمد ﷺ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[٧] أي: مَا يوحدونني بمعرفةِ حَقّي، إلا جعلوا معي شريكا من خلقي.

قالَ ابن إسحاق، ولد مدركة بن إلياس رجلين، خزيمة بن مدركة، وهذيل بن مدركة، وأمّهما امرأة من قضاعة، فولد خزيمة بن مدركة أربعة نفر: كنانة بن خزيمة، وأسد بن خزيمة، والهون بن خزيمة، فأمُّ كنانة عوانة بنت سعد بن قيس بن غيلان بن مضر.

قال ابن هشام، أمّ النّضر مالك وملكان بن كنانة، فأم النّضر بُرة بنت مُرّ بن أدين ابن طابخة بن إلياس بن مضر، وسائر بنيه لامرأة أخرى.

قال ابن هشام: النّضر بن كنانة قريش، فمن كان من ولده فهو قرشي، ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي، ويقال: ابن مالك من قريش، فمن كان من ولده فهو قرشي.

قال ابن إسحاق: وإنَّما سمّيت قريش من تجمعها[٨]، يقال للجمع التقرّش.

فولد النّضر بن كنانة رجلين، مالك بن النّضر، ومخلد بن النّضر، فأمّ مالك عاتكة بنت عدوان بن عَمْرو بن قيس بن غيلان.

قال ابن هشام: والصَّلْت بن النّضر، ممّا قال ابن عَمْرو، وأمّهم جميعًا بنت سعد ابن ضرب العدواني، وعدوان بن عمر بن قيس بن غيلان.

قال ابن إسحاق: فولد مالك بن النّضر فهر بن مالك، وأمّه جندلة بنت الحارث ابن مضاض الجرهمي.

قال ابن هشام: وليس ابن مضاض الأكبر.

قال ابن إسحاق: فولد فهر بن مالك أربعة نفر، غالب بن فهر، والحارث بن فهر، والأسد بن فهر، وأمّهم ليلى بنت سعد بن هذيل بن مدركة.

قال ابن هشام: وجندلة بنت فهر، وهي أمّ يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ابن تميم، وأمّهما ليلى بنت سعد.

(٧) الآية رقم ١٠٦ من سورة يوسف.

(٨) في الأصل: من تفرقها، والصواب مَا ذكر.

قال ابن إسحاق: فولد غالب بن فهر رجلين، لـؤي بن غالب، وتميم بن غالب، وأمّهما سلمى بنت عَمْرو الخزاعي، وتيم بن غالب، الذين يقال لهم: بنو الأردم.

قال ابن هشام: وقيس بن غالب، وأمّه سلمى بنت كعب بن عَمْرو الخزاعي، وهي أُمّ لؤي، وتيم ابني غالب.

قال ابن إسحاق: فولد لؤي بن غالب أربعة نفر: كعب بن لؤي، وعامر بن لؤي، وسامة بن لؤي، وعوف بن لؤي.

فَأُمّ كعب وعامر وسامة ماوية بنت كعب بن ألقين بن جسر بن قُضاعة.

قال ابـن هشام: ويقال: الحـارث بن لؤي، وهم جسم بن الحـارث في هزان من ربيعـة، وسعد بن لؤي، وهم نباتة في شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن عَليّ بن بكر بن وائل بن ربيعة، ونباتة حاضنة لهم من بني ألقين بن جسـر بن سَبُع الله، ويقال: سبـع الله بن الأسـد بن وبرة بن ثعلب بـن حلوان بن عمران بن الحـاف بن قضاعة، ويقـال: بنت النّمر بن قاسط من ربيعة، ويقال: حرام بنت زيّان بن حلوان بن عمران ابن الحاف بن قضاعة، وخزيمة بن لؤي، وهم عائذة في شيبان بن ثعلبة، وعائذة امرأة مـن اليمن، وهي أمّ عبيد بن خزيمة بن لـؤي، وأمّ بني لؤي كلّهم ليلى بنت سفيان بن محارب بن فهر، قال ابن إسحاق: فأمّا سامة بن لؤي فخرج إلى عُمَان.

ويزعمـون، بينما هو يسير عَلَىْ ناقتـه إذ وضعت رأسها ترتعـي، فأخذت حيّةٌ بمشفرها[١]، فهصرتها[٢] حَتَّى وقعت الناقة لشقّها، ثم نهشت[٣] سامة فقتلته.

قال ابن هشام: وبلغني، أن بعض ولده أتى إلى رسول الله ﷺ، فانتسب إلى سامة ابن لؤي، فقال له رسول الله ﷺ: الشّاعر! فقال له بعض أصحابه: كأنّك يا رسول الله أردت قولُه شعرًا:

رُبَّ كاسٍ هَـرقْـتَ يَـا ابْـنَ لُـؤَيّ ... حَـذَرَ المَـوْتِ لَمْ تَـكُـنْ مُـهْـرَاقَـه[٤]

---

(١) المشفر للبعير: كالشفة للإنسان.

(٢) الهصر: هو القطع دون إبانة.

(٣) نهشته الحيّة: لسعته.

(٤) هراق الماء: يهريقه بفتح الهاء، وأصله أراقه بريقه، ووزن مهراقه مهفعلة، قالوا: أهريق الماء ولم يقولوا أأرلايقه لاستثقال الهمزتين، ووزن يهريق بفتح الهاء يهفعل.

قال ابن إسحاق: وأمّا عوف بن لؤي فإنّه خرج فيما يزعمون في مركب[١] من قريش حَتَّى إذا كان بأرض غطفان بن سعد بن قيس بن غيلان أبطأ به، فانطلق، وكان معه من قومه.

فأتاه ثعلبة بن سعد، وهو أخوه في نسب بني ذُبيان بن سعد بن ذبيان، وثعلبة فيما يزعمون الَّذِي يقول لعوف حين أبطأ شعرًا:

احْبِسْ عَلَيَّ ابنَ لُؤيّ جِمْلَكْ تَرَكَكَ القومُ وَلا مَنْزِلَ لَكْ

قال ابن إسحاق[٢]: وحدّثني محمّد بن جعفر بن الزّبير، أو محمّد بن عبدالرحمن ابن عبدالله بن حصين، أن عمر بن الخطاب، رحمه الله، قال: لو كنت مُدَّعِيًا حيًّا[٣] من العرب، أو ملحقهم بها لادّعيت بني مُرّة بن عوف، إنَّا لنعرف فيهم الأشباه[٤] مع مَا نعرف من موقع ذلك الرّجل حيث وقع، يعنى عوف بن لؤي.

قال ابن إسحاق[٥]: فهو في نسب غطفان بن مُرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان ابن بغيض بن ريث بن غطفان، وهم يقولون: إذا ذُكر لنا هذا النّسب مَا ننكره، وَمَا نجحده، وإنّه لأحبُّ النسبِ إلينا.

وقال الحارث بن ظالم في ذلك شعرًا، تركته طلب الاختصار.

قال ابن إسحاق: وحدّثني من لا أتهم، أنّ عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال لرجال من بني مُرّة: إن شئتم أن ترجعوا إلى نسبكم فارجعوا إليه.

قالَ ابن إسحاق: وكان في القوم أشرافًا في غطفان، هم ساداتهم، وقادتهم، منهم هرم بن سنان بن أبي حارثة، والحارث بن عوف، وخارجة بن سنان بن أبي حارثة، والحصين بن الحُمام، وهاشم بن حرملة، الَّذِي يقول فيه القائل:

أَحْيَا أَبَاهُ هَاشِمُ بنُ حَرْمَلَه تَرَى المُلُوكَ عِنْدَهُ مُغَرْبَلَه

(١) كذا في الأصل: ولعل المراد بالمركب جنس كل مَا يركب من حيوان وغيره.

(٢) المؤرخ صاحب السِّيَرة المشهورة.

(٣) الحيّ: هو الجماعة من النّاس دون القبيلة عددًا.

(٤) أي النظائر.

(٥) هو ابن إسحاق المؤرخ، وصاحب كتاب السِّيَرة النبوية.

قال ابن إسحاق: فولد كعب ثلاثة نفر: مُرّة بن كعب، وعدي بن كعب، وهُصَيْص[١] ابن كعب، وأمّهم وحشيّة[٢] بنت سفيان بن محارب بن فهر بن مالك بن النّضر.

فولد مُرّة بن كعب ثلاثة نفر: كلاب بن مُرّة، ونقطة بن مُرّة، فأمّ كلاب هند بنت شرير بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة، وأمّ نقطة البارقيّة امرأة من بارق[٣] بن الأسد من اليمن، ويقال: هي أم تيم، ويقال: تيم لهند بنت شرير أمّ كلاب.

قال ابن هشام[٤]: أمّ بارق بن عدي بن حارثة بن عمر بن عافر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأسد بن الغوث، وهم في شنوءة الأزد، وإنّما سُمُّوا ببارق؛ لأنهم تبعوا البرق.

قال ابن إسحاق: فولد كلاب بن مُرّة رجلين: قصي بن كلاب، وزهرة بن كلاب، وأمّهما فاطمة بنت سعد بن سهيل، أحد الجحدرة[٥]، من خثعمة الأسد[٦]، من اليمن في بني الدّيل[٧] بن بكر بن عبد مناة بن كناة.

قال ابن هشام: ويقال: خثعمة الأسد، وخثعمة الأزد، وهم خثعمة بن يشكر بن مبشر بن صعب بن دهمان بن نصر بن زهران.

وإنّما سُمُّوا الجحدرة؛ لأن عامر بن عَمْرو بن خزيمة بن خثعمة بن مضاض الجرهمي، وكانت جرهم أصحاب الكعبة، فسمّى عامر بذلك الجأر، فقيل لولده الجحدرة.

قال ابن هشام: ونعم بنت كلاب، وهي أم سعد وسعيد ابني سهم بن عَمْرو بن هُصَيْص بن كعب بن لؤي، وأمهما فاطمة بنت سعد.

قال ابن إسحاق: فولد قصي بن كلاب أربعة نفر، وامرأتين، حيا بنت جليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عَمْرو الخزاعي.

---

(١) بضم الأول وفتح الثاني وسكون الياء.

(٢) يذكر بعض المؤرخين أن اسمها (فحتنية بنت شيبان).

(٣) بارق لقب سعد بن عدي أبي قبيلة باليمن.

(٤) صاحب كتاب السِّيَرة المشهورة.

(٥) الجحدرة: هم قصار القامة.

(٦) الخثعميون: هم سكان جبل خثعم، وخثعمة بن أثمار أو قبيلة من معد.

(٧) بنو الديل: حيّ من تغلب.

قالَ ابن هشام: ويقال: حبشية بنت سلول.

قال ابن إسحاق: فولد عبد مناف بن قصي أربعة نفر: هم شَمِر[١] بن عبد مناف، وعبد شمس بن عبد مناف، والمطلب بن عبد مناف، وأمّهم عاتكة[٢] بنت مُرّة بن هلال بن فالج بن ذكران بن ثعلبة بن منصور بن عكرمة، ونوفل بن عبد مناف، وَأُمّه وافدة بنت عَمْرو المازنية، ومازن بن منصور بن عكرمة.

قال ابن هشام: فبهذا النّسب خالفهم عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب بن نسيب ابن مالك بن الحارث بن مالك بن مازن بن منصور بن عكرمة.

قالَ ابن هشام: وأبا عَمْرو[٣] وتماضر وقلابة ويعفور وريطة، وأمّ الأختعم وأمّ سفيان بن عبد مناف، فأمّ أبي عَمْرو وريطة امرأةٌ من ثقيف، وأمّا سّائر النساءِ عاتكة بنت مُرّة بن هلال أمّ هاشم بن عبد مناف، وأمّها صفية بنت حوزة بن عَمْرو بن سلول بن صعصعة بن معاوية بن بكر من هوازن، وأمّ صفية ويعفور وريطة وأمّ الأختعم وأمّ سفيان بني عبد مناف أربعة نفر، وخمس نسوة، عبدالمطّلب بن هاشم وأسد بن هاشم، وأمّا صفي بن هاشم ونضلة بن هاشم والشفا وخالدة وضعيفة ورقيّة وحيّة، فأمّ عبدالمطلب ورقية: سلمى بنت عائذ الله بن سعد العشيرة بن مدلج.

قالَ ابن هشام: فولد هاشم بن عبد مناف أربعة نفر وخمس نسوة: عبدالمطلب بن هاشم وأسد بن هاشم، وأمّا صفي بن هاشم ونضلة بنت هاشم والشّفا وخالدة وضعيفة ورقيّة وحيّة، فَأُمّ عبدالمطلب بن هاشم ورقيّة: سلمى بنت عَمْرو بن زيد بن لبيد بن حداس بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، واسم النجار تيم الله[٤] بن ثعلبة بن عَمْرو بن الخزرج من حارثة بن ثعلبة بن عَمْرو بن عامر، وأمّهما عميرة بنت صخر بن الحارث بن ثعلبة بن مازن بن النجار، وأمّ عميرة: سلمى بنت عبدالأشهل النجارية، وأمّ أسد: سليمى بنت عامر بن مالك الخزاعي، وأمّ أبي صفي وحيّة: هند بنت عَمْرو بن ثعلبة الخزرجية، أمّ نضلة، والشفا امرأة من قضاعة، وأمّ خالد وضعيفة: واقدة بنت أبي عدي المازنية.

---

(١) بفتح الأول وكسر الثاني.

(٢) العواتك في جدات النبي – ﷺ – تسع، وثلاث من بني سليم، والبواقي من غيرهم، ومنهن صحابيات.

(٣) كذا في الأصل: وتحته خط، وأمل المؤلف أراد بالخط تذكرته بمراجعة كتب السِّيَرة والأنساب فيما كتب.

(٤) التيم: هو العبد، وفي قريش تيم بن مرة رهط أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وتيم الله في النمر بن قاسط، وفى الخزرج تيم اللات.

أولاد عبدالمطلب بن هاشم[١]:

قالَ ابن هشام: ولد عبدالمطلب عشرة نفر، وست نسوة، العباس، وحمزة، وعبدالله، وأبا طالب، والزّبير، والحارث، وحجلا، والمقوم، وضرار، وأبا لهب، وصفية، وأم حكيم البيضاء، وعاتكة، وأميمة، وأروى وبّرة.

فَأُمّ العباس وضرار: نشلة بنت جناب بني كليب بن عَمْرو بن عامر بن زيد مناة ابن عامر بن سعد بن الخزرج بن تيم اللات بن النّمر بن قاسط بن هيب[٢] بن أقصى ابن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان.

ويقال: أقصى بن دعمي بن جديلة.

وأمّ حمزة والمقوم وحجل[٣]، وكان يُلقّب بالغيداق؛ لكثرة خيره وسعة ماله، صفية بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي.

وأمّ عبدالله وأبي طالب والزُّبير وجميع النّساءِ، غير صفيّة وفاطمة، بنت عَمْرو ابن عائذ بن عمران بن مخزوم بن نقطة بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النّضر.

وأمّ عبدالمطلب بن قصي بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النّضر.

وأمّ الحارث بن عبدالمطلب: سمراء بنت جندب بن جحين بن رباب بن سوأة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة.

وأم أبي مناف بن زهرة بن كلاب بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر.

وأمّ أمّ حبيبة: مرّة بنت عوف بن عبيد بن عريج بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النّضر.

وأمّ أبي لهب: لبنى بنت هاجر بن عبد مناف بن ضاطر بن حبشية بن سلول بن كعب بن عَمْرو الخزاعي.

---

(١) هاشم بن عبد مناف، وكنيته أبو نضلة.

(٢) كذا في الأصل: ولم أعثر له في كتب الأنساب عَلَىْ لفظ.

(٣) بفتح الأول وسكون الثاني، وهو واحد من أعمام النبي ﷺ، واسمه مغيرة.

قال ابن هشام: فولد عبدالله بن عبدالمطلب رسول الله ﷺ، سيّد أولاد آدم ﷺ والسلام عليه ورحمة الله وبركاته.

قال الناظم:

وإني وإن أطلت الكلام وخيل أنه خرج عَنْ المقصود، فما خلا من فائدة نسبية شريفة عربيّة، فإن بني إلياس قد تنسبهم عامة النّاس إلى هذه الغاية بني ياس، وتنسبهم إلى اليمن، وهم بنو بني إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان نزاريون لا يمنيون، والأولى أن ينسب المرء إلى قومه وعشيرته، وكفى بذلك قولُه تعالى لخير خلقه ﷺ: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِأَبَآئِهِمْ ﴾[1].

وقال رسول الله ﷺ: ((المنتسب إلى غير عشيرته ملعون))، وقولُه ﷺ: ((أنا أفصح العرب، بيد أني من قريش))، وقولُه ﷺ للكندي لمّا قال له الكندي: نحن بنو آكل المرار[2]، وأنت ابن آكل المرار، ((لا، وإنّما أنا من بني النضر بن كنانة)).

وقولُه ﷺ للرجل اليمني يوم الخندق[3] لمّا استنسبه، فقال الرجل اليمن شعرًا:

أنا امرؤُ حِمْيَرٍ حِينَ يَنْسُبُنِي ... لا مِنْ كِنَانَة أنْسابي ولا مُضَرِ[4]

كأنه يفتخر عَلَىْ رسول الله، ﷺ، فقال له، ﷺ: ((قلّ عدّك وفُلّ حدّك))، إلى تمام قولُه ﷺ.

أخبر أبو عبيد الله والمرزباني قال: حدّثني عبد الواحد بن محمّد الخصبي قال: حدثني أبو علي أحمد بن إسماعيل قال: حدّثني أيّوب بن الحسين الهاشمي قال: كان في زمن الرشيد رجلُ من الأنصار يقال له، نقيع وكان عِرّيضًا[5].

قال: فحضر باب الرشيد يومًا، ومعه عبدالعزيز بن عمر بن عبدالعزيز، وحضر موسى بن جعفر الصّادق عَلَىْ حمارٍ له، فلقّاه الحاجب بالبشر والإكرام، وأعظمه من كان هناك، وعجّل له الإذن.

---

(١) أول الآية رقم ٥ من سورة الأحزاب.

(٢) آكل المرار: هو جد امرئ القيس، لكشر كان به، والمراد بالضم نبات من أفضل العشب إذا أكلته الإبل قلصت مشافرها فبدت أسنانها.

(٣) يوم غزوة الخندق: والخندق حفير يحفر حول أسوار البلاد لحمايتها.

(٤) أي ثلم.

(٥) أي يعرض بالنّاس فيذكر عنهم مَا يسوءهم.

فقال نقيع لعبدالعزيز: من هذا الشيخ؟

قال: أو مَا تعرفه؟

قال: لا.

قال: هذا شيخ آل أبي طالب، هذا موسى بن جعفر.

قال: ما رأيت أعجب من هؤلاءِ القومِ، يفعلون هذا برجل يقدر أن يزيلهم عَنْ السرير[١]، أمّا لئن خرج لأسوأنه[٢].

فقال عبدالعزيز: لا تفعل، فإن هؤلاءِ أهل بيت قلَّ مَا تعرض لهم أحد في خطاب إلا وسموه في الجواب بسمة[٣] يبقى عَارُها عليه مدى الدّهر.

قال: وخرج موسى بن جعفر فقام إليه نقيع الأنصاري، فأخذ بلجام حماره، ثم قال: من أنت ؟

فقال له: يا هذا، إن كنت تريد النّسب فأنا محمّد حبيب بن إسماعيل، ذبيح الله ابن إبراهيم، خليل الله، وإن كنت تريد البلد، فهو الَّذِي فرض الله تعالى عَلَىْ المسلمين وعليك إن كنت منهم، الحجّ إليه، وإن كنت تريد المفاخرة[٤] فوالله مَا رضى مُشركو قومي مسلمي قومك، أكفاءً لهم حَتَّى قالوا: يا محمّد، أخرج لنا أكفأنا من قريش، خَلِّ عَنْ الحمار.

قال: فخلّى عنه، ويده ترتعد، وانصرف بخزي.

فقال له عبدالعزيز: ألم أقل لك؟

وقول رسول الله ﷺ الرماة: ((ارموا يا بني إسماعيل، فإن أبانا كانا راميًا))، أراد ﷺ، أن يميزهم عَنْ بني ثعل؛ لأنهم مشهورون بقرطسة السهم مع الرمي.

وهم قومٌ من اليمن.

---

(١) أي سرير الملك.

(٢) في الأصل: لأسمونه أي لأذكر له مَا يسوءه.

(٣) السمة مَا يوسم به الإنسان من ضروب الصور والصفات.

(٤) هي التمدح بالخصال كالافتخار، وكان من عادة العرب المعارضة بالفخر، وقد نهى عنها الإسلام، كما نهى أيضًا عَنْ المنافرة.

وقال بعض المفسرين لكتاب رب العالمين: قولُه تعالى لخير خلقه ﷺ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[(١)].

فقام ﷺ ينادي ببطون[(٢)] قريش.

أخرجه الشيخان والترمذي والنسائي.

قال العلماءُ: وفي ذلك دليل عَلَىْ أن قريشًا من الأقربين.

وأخرج الطّبراني وابن مردويه عَنْ عدي بن حاتم، أن رسول الله ﷺ، قال: ((يا معشر النّاس، أحبّوا قُريشًا، فإنّ من أحبَّ قريشًا أحبّني، ومن أبغض قريشًا أبغضني، وأنّ الله حبّب إليّ قومي فلا أتعجل لهم نقمة، ولا أستكثر لهم نعمة)) إلى آخر الحديث.

وبنو هاشم وبنو عبدالمطّلب أقرب قرابته.

قلت: وإنّمَا يقتضي كلامه ﷺ، إن صحّ أنّه تكلم كما روى الطّبراني وابن مردويه عَنْ عدي بن حاتم الطائي، الخصوص من قريش لا العموم منهم، وهم المسلمون الصّالحون، الخالص إيمانهم لله سرًّا وإعلانًا، السالكون طريقة الشريعة، وَمَا بدلوا تبديلًا، ولا تحولوا تحويلًا، وأمّا غيرهم فلا.

* * *

رجعنا إلى تفسير مَا بقى من بيت القصيدة.

والظّفر: بالتحريك الغلبة والنّصر.

قولُـهُ: وَلاَ مَنْ شَاءَ فِيْهَا الاغْتِرَابَا، أي: كذلك من شاء عند ساكنيها سكونهم، مَا وجدوا لهم ظفرًا عليه، يعني، الإمام ناصر بن مرشد المذكور.

وفي هذا البيت يشير بسقير بن عيسى، رئيس بني ياس، وأخيه محمّد بن عيسى، لَمَّا أغار عليهما من قبل الإمام، سعيد بن خلفان، وعمير بن محمّد بن جفير. فالتقوا دون الظّفرة، فأظهر الله عليهما عسكر الإمام.

(١) الآية رقم ٢١٤ من سورة الشعراء.

(٢) البطن أقل من القبيلة عددا.

فَقُتل سقير المذكور وأخوه محمّد بن عيسى، ومعهما جماعة من قومهما.

قولُه:

لَـهُ سِـيَرٌ حِسَـانٌ كُـلُّ شَـرْحٍ تُـبَـاعِـدُهُ إِذَا شَـاءَ اقْـتِرَابَـا

يقول: وللإمام ناصر بن مرشد، رحمه الله سيرُ حِسان، جمع سيرة، كلما أراد الشرح أن يقاربهنّ حصرًا يباعدنه بطول لا يدركه الحصر.

قولُه:

بِـهِـنَّ اللهُ ثُـمَّ الـرُّسْـلُ يَـرْضَـى وَمَـنْ صَـارَتْ لَـهُ عَـدْنٌ مَـآبَـا

يقول بسيره الحسان، يعني الإمام ناصر بن مرشد، يرضى الله السلام، ثم رسله، وأنبياءه[1] عليهم السّلام، ومن صارت له من أولياءِ الله عَدْنٌ، وهي الجنّة، أي: محلًا ومقامًا.

قولُه:

حَكَـى الصِّدِّيـقَ وَالْفَـارُوقَ عَـدْلًا فَأَنْضَـى النَّفْـسَ بِالْعَـدْلِ الطِّلَابَـا

لقد مضى الكلام في حَكَى أنّه بمعنى ناظر وشابه، وماثل، أي: أن الإمام ناصر بن مرشد حَكَى بالعدل الصديق، وهو أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحَكَى به الفاروق، وهو عمر، رحمه الله، فأنضى نفسه في طلب العدل، أي: أتبعها في طلب العدل إلى أن بلغ المطلوب الَّذي يرضي به الله تعالى، وملائكته ورسله، وأنبياؤه[2]، عليهم السلام، والمسلمون الاستقاميون في الدين، فإن كل شيء صعب في الدين لا يبلغ إلا بشق الأنفس، والتوفيق بالله رب العالمين.

---

(١) في الأصل: وأنبائه، والصواب مَا ذكر؛ لأنه معطوف عَلَىٰ منصوب.

(٢) معطوف عَلَىٰ المرفوع، وفي الأصل: أنبيائه.

أبو بكر الصديق

وأبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، اسمه عبدالله بن عثمان، وهو أبو قحافة بن عامر بن عَمْرو بن كعب بن سعد بن تيم بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النّضر بن كنانة ابن خزيمة بن مدركة، واسم مدركة عامر بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ابن برا بن مقوم بن ناحوز بن ببرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل بن تارح، وهو أزر بن ناحور بن ساروح بن زاعور بن فالح بن عبيد ابن سالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح بن لامك بن متوشلح بن اخنوخ بن برد بن مهلائيل بن فاين بن انوش بن آدم، عليه السلام، ابن التراب.

ذكر لمع من أخباره رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

فهو في مُرّة يجتمع نسبه مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولقبه بعتيق، لبشارة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إياه، أنّه عتيق من النّار، فَسمّي يومئذٍ عتيقًا.

وقيل، إنّمَا سمى عتيقًا لعتق أمه(١).

والأوّل أصح، وعليه معتمد الجمهور.

واستخلف(٢) وأبوه في الحياة مسلمًا.

وكان أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أزهد النّاس، وأكثرهم تَواضُعًا في أخلاقه الرضيّة، ولباسه، ومطعمه.

وكان يلبس في خلفاته الشملة(٣) والعباءة.

وقدم عليه زعماءُ العرب وأشرافها من ملوك اليمن، وعليهم الحلي وبرود

---

(١) في الأصل أمهاته، والصواب لعتق أمه بالإفراد، فكل مولود له أم واحدة ويروي المؤرخون أنه كان لا يعيش لأمه ولد، فاتقبلت به أمه البيت الحرام بعد ولادته، وقالت: اللهم، هذا عتيقك من الموت وقيل، سمى عتيقًا لسبقه إلى الإسلام؛ أو لأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشره بأن الله أعتقه من النار، وروى ابن حجر (الإصابة ج٤ ص١٠٢) أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان هو وأصحابه بفناء الكعبة إذ جاء أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال الرسول، من سره أن ينظر إلى عتيق من النار فلينظر إلى أبي بكر، فغلب عليه اسم عتيق.

(٢) أي أصبح خليفة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٣) الشملة: كساء دون القطيفة يشتمل به.

الوشى[١]، المثقل بالذهب والتيجان، والحِبَر[٢].

فلمَّا شاهدوا عليه من اللباس والزهد والتواضع، وَمَا عليه هو من الوقار والهيبة ذهبوا إلى مذهبه، ونزعوا مَا كان عليهم.

فكان ممّن ورد عليه من ملوك اليمن ذو الكلاع[٣] ملك حمير، ومعه ألف عبد، دون من كان معه من عشيرته، وعليه التّاج، فألقى مَا عليه وتزيا بزيّه حَتَّى رئى[٤] يومًا في أسواق المدينة عَلَىْ كتفه جلد شاه، ففزعت عشيرته لذلك، وقالوا له، فضحتنا بين المهاجرين والأنصار والعرب.

قال: أفوددتم أن أكون جبارًا في الإسلام، لاهالله، لا تكون طاعة العبد لله إلا التواضع لله، والزهد في هذه الدنيا الفانية.

وتواضعت الملوك ومن ورد عليه من الوفود بعد التكبر، وتذللوا بعد التّجبر.

وبلغ أبا بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنْ أبي سفيان بن حرب أمر، فأحضره، وأقبل يصيحُ عليه وأبو سفيان يتملّقه ويتذلل.

وأقبل أبو قحافة، فسمع صياح أبي بكر، فقال لقائده[٥]، عَلَىْ من يصيح ابني؟

فقال: عَلَىْ أبي سفيان.

فدنا من أبي بكر، وقاله له: على أبي سفيان ترفع صوتك يا عتيق! لقد تعدّيت طورك، وجزت مقدارك.

فتبسّم أبو بكر، رحمه الله، ومن حضره من المهاجرين والأنصار.

فقال له: يا أبتِ، إن الله رفع بالإسلام قومًا، وأذلّ آخرين.

ولم يتقلد أحد الخلافة وأبوه باقٍ إلا أبو بكر.

---

(١) الوشى: نقش الثوب، والبرود الموشاة هي الأثواب المنقوشة.

(٢) الحِبَر: بكسر الأول وفتح الثاني جمع حبرة، وهي نوع من الثياب اليمنية المزخرفة.

(٣) التكلع: هو التحالف والتجمع، وقد سمى به سميفع بن ناكور بن عَمْرو بن يعفر، فكان يقال له، ذو الكلاع الأصفر؛ لأن حمير تجمعوا عَلَىْ يده إلا قبيلتين: هوازن وحراز، فإنهما تكلمتا عَلَىْ ذي الكلاع الأكبر وهو يزيد بن النّعمان.

(٤) أي أبو بكر الصديق.

(٥) الّذِي يقوده. فقد كان أعمى.

وأمُّ أبـي بكر سلمى، وتكنى أم الخير بنـت حجر بن عَمْرو بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة.

وارتـدت العرب بعد استخلافه بعشرة أيّام، فردّهـم إلى مَا كَانُوا عليه من العدل والإنصاف.

وكان لـه من الولـد عبدالله، وعبدالرحمـن، ومحمّد، فأما عبـدالله فإنه شهد يوم الطائـف مـع النبي ﷺ، ولحقتـه جراحات، وبقـى إلى أيام أبيه أبـي بكر، ومات وخلّف سبعة دنانير، فاستكثرها أبوه، ولا عقب[1] لعبدالله.

وأما عبدالرحمن فإنه شهد يوم بدر مع المشركين فحسن إسلامه.

ولعبد الرحمن أخبار، وله عقب كثير، بدو وحضر في ناحية الحجاز مِمَّا يلي الجادة في الموضع المعروف بالصّعب حيّات.

ومحمّـد بن أبي بكر أمّه أسماء بنت عميس الخثعميـة، ومنها عقب جعفر بن أبي طالـب، وخلّف عليها حين استشهد عبدالله، وعونًا ومحمّدًا ابني جعفر بالطائف مع الحسن بن علي، ولا عقب لها.

وعقب جعفر عبدالله بن جعفر، وولد لعبدالله بن جعفر عَلِيّ وإسماعيل، وإسحاق ومعاويـة، وتزوجهـا بعده الصديق، فخلـف عليها محمّدًا، ثم تزوجهـا عَلِي بن أبي طالب فأولدها أولادًا ذكورًا، ولا عقب له منها.

وأمّ أسماء العجوز الحرسيّة، كان لها أربع بنات، وهذه العجوز أكرم النّاس أصهارًا.

كانت ميمونة الهلاليّة تحت رسول الله ﷺ.

وأُمُّ الفضل تحت العباس بن[2] عبدالمطلب.

وسلمى تحت حمزة بن عبدالمطّلب، وخلّف عليها بنتًا.

وأسماء تحت من ذكرنا من جعفر وأبي بكر وعليّ.

هكذا قالَ المسعودي في مروج الذهب.

---

(١) العقب: هو الولد.

(٢) في الأصل بنت.

قال: والعقب(١) من محمّد بن أبي بكر قليل.

وأمّ جعفر بن محمّد بن عَلِي بن الحسن بن عَلِي بن أبي طالب أمّ فروة بنت القَاسم بن محمّد بن أبي بكر، وكان يدعى عابد قريش، لنسكِهِ وزهده، ورباه عَلِي ابن أبي طالب.

ومات أبو قحافة في خلافة عمر بن الخطاب، وهو ابن تسع وتسعين سنة، وذلك في سنة أربع عشرة سنة.

وبويع أبو بكر في يوم السقيفة(٢)، وجددت له البيعة يوم الثلاثاء عَلَىٰ العامّة.

وكان للمهاجرين والأنصار خطب طويل، ومجاذبة في الإمامة إلى أن صار ركابها في يد أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وخرج سعد بن عبادة ولم يبايع، فسار إلى الشام، فقتل هناك في سنة خمس عشرة، وخلصت البيعة لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، من بني هاشم بعد موت فاطمة بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورحمها الله ورضي عنها.

ولمّا ارتدت العرب لأهل المسجدين وَمَا بينهما، وأناس من العرب قدم عَلِي بن حاتم الطّائي بإبل الصدقة، وقد كان أبو بكر قد سمّته(٣) اليهود في شيءٍ من الطعام، وأكل مع الحارث بن كلدة فعمى، وكان السمّ لسنة.

ومرض أبو بكر قبل وفاته بخمسة عشرة يومًا، ثم توفي رحمه الله.

وخلّف أبو بكر من البنات: أسماء، ذات النطاقين(٤)، وهي أمّ عبدالله بن الزُّبير، وعمّرت مائة سنة حَتَّى عميت، وعائشة زوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(١) العقب: الولد وولد الولد.

(٢) السقيفة: هي سقيفة بني ساعدة، وكان هذا اليوم يوم موت النبي الرسول الكريم. محمّد، صلوات الله وسلامه عليه، وبعد أن تيقن المسلمون أنّه عليه الصلاة والسلام قد مات انحاز حيٌّ مِن الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة، وانعقد الرأي بينهم عَلَىٰ أن يطالبوا لأنفسهم بالإمارة عَلَىٰ المسلمين من دون المهاجرين، وانتهى الأمر بوحدة الكلمة والرأي بين المهاجرين والأنصار، وبويع أبو بكر الصديق بالخلافة بيعة السقيفة، ثم البيعة العامة.

(٣) أي وضع اليهود له السم في طعام تناوله.

(٤) النطاق: شقة من الثياب تلبسها المرأة، وسميت أسماء بذات النطاقين؛ لأنها شقت نطاقها ليلة خروج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إلى الغار، فجعلت واحدة لسفرة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والأخرى عصاما لقربته.

وقد تنوزع في بيعة عَلِي بن أبي طالب لأبي بكر، فمنهم من قال بعد موت فاطمة بعشـرة أيام، وذلك بعد وفـاة النبي ﷺ، بنيف وسبعين يومًـا، وقيل بثلاثة أشهر، وقيل بسنة، وقيل غير ذلك، والأوّل أصّح.

ولمَّا أنفذ أبو بكر رَضِيَ الله عَنْهُ، الأمر إلى الشّام كان فيما أوصى به يزيد بن أبي سفيان[١]، إذا قدمـت عَلَـىْ أهل عملك فعدهم الخير وَمَا بعده، فـإذا وعدت فأنجز، ولا تكثرن عليهـم الكلام، فإنَّ بعضه ينسى بعضًا، وأصلـح نفسك تصلح النّاس بك، وإذا قدم عليكَ رُسُل عدوك فأكرم مثواهم، فإنّه أوّل خيرك إليهم، وأقلل حبسهم كي يخرجوا وهم جاهلون بمَا عندك، وامنع من قبلك من محادثتهم، وكن أنت الَّذِي تلي كلامهم، ولا تجعل سِرَكَ مع علانيتك فيمدح أجرك.

وإذا استشـرت فأصدق الخبر تصدق لك المشورة، ولا تكتم المستشار فتؤتي من قِبَـل نفسِك، وإذا بلغك عَنْ عـدوّ عورة فاكتمها حَتَّى تؤتيهـا، واستر في عسكرك الأخبـار، وأذلّ حراسـك، وأكثر مناجاتك في ليلـك ونهارك، وأصـدق اللّقاء إذا لاقيت، ولا تجبن فيجبن من سواك... انتهى.

وفي الحديـث قـال رسول الله ﷺ: ((دعوني لصاحبـي، فإنكم قلتم لي: كذبت وقال لي: صدقت)). يعني ﷺ أبا بكر رَضِيَ الله عَنْهُ.

وقالَ رسول الله ﷺ، في كلام البقرة والذّئب: ((آمنت بهذا أنا وأبو بكر...)).

وروى مالـك عَـنْ سالم عَنْ عمير بـن جبير عَنْ أبي سعيـد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: ((ما آمن النّاس عَلَىْ صحبته وماله كأبي بكر، ولو كنتُ متخذًا خليلًا لاتخذتُ أبا بكر؛ ولكن إخوة في الإسلام، لا يقين في الإسلام خوخة[٢] إلى خوخة)).

---

(١) كان يزيد بن أبي سفيان واحدًا من أربعة أمراء عقد لهم الخليفة أبو بكر رَضِيَ الله عَنْهُ ألوية الجند الذين أنفذهم إلى الشام، وهم أبو عبيدة الجراح وكانت وجهته حمص، ومركز قيادته الجابية، وعمرو بن العاص ووجهته فلسطين، ويزيد بن أبي سفيان ووجهته دمشق، وشرحبيل بن حسنة ووجهته وادي الأردن، وقد أمرهم أبو بكر أن يعاون بعضهم بعضًا، وأن يكونوا جميعًا تحت إمرة أبي عبيدة، وكان ذلك بعد أن جمع هرقل قيصر الروم جيشًا جرارًا عسكر به عَلَىْ مقربة من بلاد العرب وفلسطين عقب أن شنَّ أسامة بن زيد الغارة عَلَىْ بلاد الروم.

(٢) الخوخة: كوة أو نافذة يدخل منها الضوء إلى البيت، أو هي مخترق مَا بين كل دارين ليس عليه باب.

وعن أبي مالك الباهلي قال: حدّثنا عمر بن عُيينة قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو نازلٌ بعكاظ(١)، فقلتُ: يارسول الله، من اتبعك عَلَىٰ هذا الأمر؟

قال: حُرٌّ، وعبد، أبو بكر، وبلال.

قال: فأسلمتُ عند ذلك، وذكر الحديث متسلسلًا من أحمد بن القاسم بن محمّد ابن أبي بكر إلى أنس، أن أبا بكر حَدّثه قال: قلتُ للنبي ﷺ، ونحن في الغار(٢): لو أن أحدًا يبصر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه.

فقال: يا أبا بكر، مَا ظنّك باثنين الله ثالثهما.

وروي عَنْ رجلٌ من أصحاب رسول الله ﷺ، قال في مجلس فيه القاسم بن محمّد ابن أبي بكر: والله مَا كان لرسول الله ﷺ، موطنٌ إلا عَلَىٰ سمعه.

قال القاسم: أخي لا تحلف، فإن الله تعالى بقوله: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ﴾(٣).

واستخلفه رسول الله ﷺ، عَلَىٰ أمته بعدما أظهر من الدلالة البينة عَلَىٰ محبّته في ذلك، وبالتعريض الَّذِي يقوم مقام التصريح، ولم يصرح بذلك؛ لأنه لم يؤمر فيه بشيء، وكان لا يضع شيئًا في دين الله إلا بوحي، والخلافة ركن من أركان الدين.

وعن عبد الخير يقول: سمعت عَلِيّ بن أبي طالب يقول: رحم الله أبا بكر، كان أوّل من جمع بين اللوحين(٤)، وعن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب من وجوه، أنّه قال: لمّا(٥) ولينا أبو بكر فخير خليفة أرحم، وأحنى علينا. وروى سفيان بن عُيينة عَنْ الوليد بن كثير عَنْ أبي بدرس عَنْ أسماء بنت أبي بكر، أنّهم قالوا: مَا أشر مَا رأيت من المشركين الذين بلغوا من رسول الله ﷺ، وَمَا يقول لهم في آلهتهم.

---

(١) سوق كانت تقام بين نخلة والطائف وتستمر عشرين يومًا من أول شهر ذي القعدة، وتجتمع فيها قبائل العرب، فيتسوقون، ويتفاخرون ويتناشدون.

(٢) الغار: هو الكهف، مثل البيت، في الجبل.

(٣) الآية رقم ٤٠ من سورة التوبة.

(٤) يعنى القرآن الكريم، والمراد بأحد اللوحين مَا هو محفوظ في الصدور، وباللوح الثاني مَا هو مسطور في الألواح.

(٥) في الأصل مَا بدون اللام.

فبينما هم كذلك إذ دخل رسول الله ﷺ، المسجد، فقامُوا إليه وكانوا إذا سألوه عَنْ شيءٍ صدقهم، فقالوا، ألست تقول في آلهتنا كذا وكذا؟

قال: بلى.

فتشبّثوا به بأجمعهم، فأتى الصريخ[١] إلى أبي بكر، فقيل له، أدرك صاحبك.

فخرج أبو بكر حَتَّى دخل المسجد، فوجد رسول الله ﷺ، وهم[٢] مجتمعون إليه فقال: ويلكم، أتقتلون رَجُلًا يقول: ربّي الله، وقد جاءكم بالبينات.

قال: فلهوا عَنْ رسول الله ﷺ، وأقبلوا إلى أبي بكر يضربونه قال: فرجع إلينا، فجعل لا يمسّ شيئًا من غدائره[٣] إلا جاء معه، وهو يقول: تباركت ياذا الجلال والإكرام.

وحدّث سعيد بن نصر، وعبدالوارث بن سفيان قال: حدّثنا قاسم بن إصبع قال: حدّثنا أحمد بن زهير قال: حدّثنا منصور بن مسلم الخزاعي، وأخبرنا أحمد بن عبدالله، قَدْ حدّثنا الميمون بن حمزة الحسيني بمصر قالَ: حدّثنا الطحاوي قال: حدّثنا المزني، قال: حدّثنا الشافعي، قال: حدّثنا إبراهيم بن أسعد بن إبراهيم عَنْ أبيه عَنْ محمّد بن جبير بن معلم عَنْ أبيه قال:

أتت امرأة إلى رسول ﷺ، فَسَألته عَنْ شيءٍ، فأمرها أن ترجع إليه.

فقالت: يا رسول الله، إن جئتك ولم أجدك - تعني: عند الموت-.

فقال لها ﷺ: ((إن لم تجديني فائتي أبا بكر)).

قالَ الشافعي: في هذا الحديث دليلٌ أن الخليفة بعد رسول الله أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وروى الزهري عَنْ عبدالملك بن أبي بكر بن عبدالرحمن عَنْ أبيه عَنْ عبدالله ابن زمعة بن الأسود قال: كنتُ عند رسول الله ﷺ، وهو عليل، فدعاه بلال إلى الصلاة، فقال: أمروا من يُصلّي بالنّاس.

---

(١) أي المستغيث.

(٢) كلمة وهم: زيادة من المحقق.

(٣) كذا في الأصل: وفي القاموس المحيط: الغدائر جمع غديرة، وهي الذؤابة من الشعر.

فإذا عمر في النّاس، وكان أبو بكر غائبًا، فقال قم، فصلِّ بالنّاس، فقام عمر، فلمَّا كَـبّر سمع رسـول الله ﷺ، وكان مجهرًا[١]، فقال ﷺ: ((فأيـن أبو بكر، يأبى الله ذلك والمسلمون)).

فبعـث إلى أبـي بكر فجاء بعد أن صلّـى عمر تلك الصلاة، فصلّـى بالنّاس طول علته[٢] حَتَّى مات ﷺ، وهذا أيضًا واضحٌ في ذلك.

حـدّث سعيد بن نصر قال: حدّثنـا محمّد بن كثير قال: حدّثنا: سفيان، ويعيش بن سعيد عن عبد الملك بن عمير عَنْ مولى الربعي بن حراش عَنْ حذيفة قالَ: قال رسول الله ﷺ: ((اقتدوا باللّذينِ بعدي بأبي بكر وعمر، وأهدوا هَدْي[٣] عمّار، وَتمسّكوا بعهد ابن أمّ عبد)).

حدّثنـا عبدالوارث بن سفيان ويعيش بن سعيد قـال: حدّثنا قاسم بن إصبع قال: حدّثنـا أبو بكر محمّد بن أبي العوّام قال: حدّثني محمّد بن يزيد الواسطي قال: حدّثنا إسماعيـل بن أبي مجالد عَنْ عبدالله بـن مسعود قال: كان رجوع الأنصار يوم سقيفة بني ساعدة بكلام قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

نشدتكم اللهً. هل تعلمون أن رسول الله ﷺ، أمر أبا بكر أن يصلي بالنّاس؟

قالوا: نعم.

قال: فأيّكم تطيب نفسه أن يزيله من مقام أقامه فيه رسول الله ﷺ.

قالوا: كُلّنا لا تطيب نفسه، ونستغفر الله.

وروى إسرائيل عَنْ أبي إسحاق عَنْ إبراهيم النخعي عَنْ عبدالرحمن بن يزيد قال: عبدالله بن مسعود، اجعلوا إمامكم خيركم، فإنّ رسول الله ﷺ، جعل إمامنا خيرنا.

وروى صاحـب كتاب الاستيعاب عَنْ عَلِيّ بن عبـدالله عَنْ محمّد بن عبدالله، أن محمّد بن معاوية أخبرهم، قالَ: حدّثنا أبو الوليد الطيالسي قال: حدّثنا نافع عَنْ عَمْرو الجمحي عَنْ أبي مليكة قال: قال رجل لأبي بكر: يا خليفة الله.

(١) أي صوته جهوري مرتفع.

(٢) أي مدة مرضه، صلوات الله وسلامه عليه.

(٣) الهَدْي: بفتح الهاء وسكون الدال، مَا أُهدي إلى البيت الحرام وإلى مكة من حيوان.

قال: لست بخليفة الله؛ ولكني خليفة رسول الله ﷺ، وأنا راضٍ لذلك.

قال: حدّثنا خلف بن قاسم بن عَليّ بن إبراهيم قال: حدّثنا الحسن بن رشيق قال: حدّثنا عَلِيّ بن سعيد بن بشر قال: حدّثنا أبو بكر كريب عَنْ عبيد بن حسّان الصيدلاني قال: حدّثنا مسعر بن كِدام[١] عَنْ عبدالعزيز بن سبرة عَنْ عَلِيّ بن أبي طالب قال: خير هذه الأمّة بعد نبيها أبو بكر وثلث[٢] عمر، ثم حطمتنا فتنة، يعفو الله فيها عَنْ من يشاء.

وقال مسروق: حبُّ أبي بكر وعمر ومعرفة فضلهما من السُنَّة.

وكان أبو بكر نحيفًا أبيضًا خفيف العارضين[٣]، أحنى، لا تمسك أزرته[٤] لاسترخاءٍ من حقويه[٥]، معروق الوجه، غائر العينين، نابي الجبهة، عاري الأشاجع[٦]. هكذا وصفته ابنته عائشة رضي الله عنها.

(١) كِدام: بكسر الأول، وهو شيخ السفيانيين.

(٢) أي ذكر الثالث.

(٣) العارضان: هما جانبا الوجه.

(٤) الإزارة والإزار: الملحفة.

(٥) مثنى حقو: وهو مَا دون وسط الجسم من قعيدة الرجل.

(٦) الأشاجع: هي أصول الأصابع التي تصقل بعصب ظاهر الكف الواحد.

خلافة أبي بكر الصديق

بويع له بالخلافة في اليوم الَّذي مات فيه رسول الله ﷺ، في سقيفة بني ساعدة، ثم بويع بيعة العامّة يوم الثلاثاء، ذلك اليوم. وتخلّف عَنْ بيعته سعد بن عبادة، وطائفة من الخزرج(١) وفرقة من قريش.

ثم بايعوه بعد، غير سعد بن معاذ.

وقيل: إنه لم يتخلف أحدٌ عَنْ بيعته يومئذٍ من قريش.

وقيل: تخلّف من قريش عليّ، والزُّبير، وطلحة، وخالد بن سعيد بن العاص، ثم بايعوه.

وقيل: إن عليًا لمَّا يبايعه إلا بعد موت فاطمة رحمها الله، ثم لم يزل سميعًا مطيعًا له، يُثني عليه، ويُفضّله.

حدّثنا أحمد بن محمّد قال: حدّثنا أحمد بن الفضل بن العباس قال: حدّثنا محمّد ابن جرير قال: حدّثنا سلمة بن المفضّل عَنْ أبي إسحاق عَنْ عبدالله بن أبي بكر، أن خالد بن سعيد بن العاص قدم من اليمن بعد وفاة رسول الله ﷺ، فتربص(٢) ببيعة أبي بكر، ثم بايع.

فلمَّا بعث أبو بكر الجيوش إلى الشّام كان أوّل من بعث عَلَىٰ ريع(٣) منها خالد ابن سعيد.

فلم يزل به عمر حَتَّى عزله، وأمر يزيد بن أبي سفيان.

أخبرنا محمّد بن عبدالملك قال: أخبرنا ابن الأعرابي قال: حدّثنا الحسن بن محمّد الزّعفراني قال: حدّثنا يزيد بن هارون، وأبو قطن، وأبو عبادة، ويعقوب الحضرمي، واللّفظ ليزيد، قال أخبرنا محمّد بن طلحة عَنْ أبي عبيدة الحكم عَنْ حجل قال: قال عليٌّ: لا يفضل أحدٌ أحدًا عَلَىٰ أبي بكر إلا جلدته جلدَ العقيري(٤).

---

(١) قبيلة من الأنصار.

(٢) أي انتظر وتلبث.

(٣) كذا في الأصل: والريَع بفتح الياء جمع ريعة وهي الجماعة قد انضموا، بعضهم إلى بعض.

(٤) هي النخلة التي يكشط ليفها.

حدّثنا خلف بن قاسم، حدّثنا عبدالله بن عمر، حدّثنا أحمد بن محمّد بن الحجّاج، حدّثنا يحيى بن سليمان، حدّثنا إسماعيل بن عليّة، حدّثنا أيوب السجستاني عَنْ محمّد بن سيرين قال: لمَّا بويع أبو بكر أبطأ عَلِيٌّ عَنْ بيعته، وجلس في بيته.

قالَ: فبعث إليه أبو بكر، مَا أبطأك، أكرهت إمَارتي؟

فقال علي: مَا كَرهتُ إمَارتك؛ ولكنني آليتُ عَلَىٰ نفسي، لا أرتدي ردائي للصلاةٍ حَتَّى أجمع القُرآن.

قال ابن سيرين: فبلغني أنّه كتبه عَلِي تنزيله، ولو أُصيب ذلك الكتاب لوجد فيه علمٌ كثير.

وذكر عبدالرزاق عن مُعمّر عَنْ أيّوب عَنْ عكرمة قال: لمّا بويع أبو بكر تخلّف عَلِيٌّ عَنْ بيعة أبي بكر، وجلس في بيته.

فلقيه عمر، فقال: تخلّفت عَنْ بيعة أبي بكر؟

قال: إنّي آليتُ بيمين[١] حين قُبض رسول الله ﷺ، لا أرتدي بردائي إلا للصلاة المكتوبة حَتَّى أجمع القُرآن، فإنّي خشيتُ أن ينقلب.

ثم خرج فبايعه.

وذكر ابن المبارك عَنْ مالك بن مسعود عَنْ أبي بحر قال: لمَّا بويع أبو بكر جاء أبو سفيان إلى عليّ، فقال: أعليكم وليتم عَلَىٰ هذا الأمر أراذل بيت قريش، أما والله لأملأنها خيلًا ورجالًا[٢].

فقال عليّ: ما زلت عدوًّا للإسلام، فَمَا ضَرَّ ذلك الإسلام وأهله شيئًا، إنّا رأينا أبا بكر لها أهلًا.

وهذا الخبر مِمَّا رواه عبدالرزاق بن المبارك قال: حدّثنا محمّد بن أيوب قال: حدّثنا أحمد بن عَمْرو البزار قال: حدّثنا أحمد بن يحيى قال: حدّثنا محمّد بن بشر قال: حدّثنا عبدالله بن عمر بن زيد بن أسلم عَنْ أبيه، أن عليًّا والزُّبير كانا حين بويع أبو

(١) أي حلفت وأقسمت.

(٢) المراد تعبئة الجند للقتال.

بكر يدخلان عَلَىٰ فاطمة رضى الله عنها، ورانها[١]، ويتراجعون في أمرهم. فبلغ ذلك عمر بن الخطاب، فدخل عليها فقال:

يا ابنة رسول الله، مَا كان أحدٌ من الخلق أحبّ إلينا بعده منكِ، وقد بلغني أن هؤلاء النفر يدخلون عليكِ ولئن بلغني لأفعلن ولأفعلن.

ثم خرج، وجاءوها، فقالت لهم:

إن عمر قد حلف، وحلف لئن عدتم ليفعلنّ، وأَيْمُ اللهِ[٢] ليفينّ بها، فانظروا في أمركم ولا ترجعوا إليَّ، فانصرفوا، فلم يرجعوا، حَتَّى بايعوا أبا بكر.

وقالَ أبو عبيدة القرشي يمدح أبا بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ شعرًا:

شُكْرًا لِمَنْ هُوَ بِالثَّنَاءِ خَلِيقُ ... ذَهَبَ اللَّجَاجُ وَبُويِعَ الصِّدِّيقُ[٣]
مِنْ بَعْدِ مَا دَحَضَتْ بِسَعْدٍ نَعْلُهُ ... وَرَجَاءِ قَوْمٍ دُونَهُ العَيُّوقُ[٤]
جَاءَتْ بِهِ الأَنْصَارُ عَاصِبَ رَأْسِهِ ... فَأَتَاهُمُ الصِّدِّيقُ وَالْفَارُوقُ
وَأَبُو عُبَيْدَةَ وَالَّذِينَ إِلَيْهِمُ ... نَفْسُ الْمُؤَمِّلِ لِلِّقَاءِ تَتُوقُ[٥]
قُلْنَا نَقُولُ لَهُمْ عَلِيٌّ وَالرِّضَا ... عُمَرٌ أَوْلاَهُمْ بِذَاكَ عَتِيقُ
فَدَعَتْ قُرَيْشٌ بِاسْمِهِ فَأَتَاهُمُ ... إِنَّ الْمُنَوَّهَ بِاسْمِهِ المَوْمُوقُ[٦]

حدثنا خلف بن قاسم قال: حدّثنا الحسن بن رشيق قال: حدّثنا أبو بشر الدوُّلائي قال: حدّثنا إبراهيم قال: حدّثنا الحميدي، قال: حدّثنا أبو سفيان قال: حدّثنا الوليد عَنْ كثير بن صياد عَنْ سعيد بن المُسيّب قال: لما قُبض رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ارتجّت مكّة، فلمّا سمع بذلك أبو قحافة قال: مَا هذا؟ فقالوا: قد قبض رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) الوِران: بكسر الأول مكان الجلوس.

(٢) اسم وضع للقسم، والتقدير أيم الله قسمي، وأَيْمُ بفتح الهمزة وسكون الياء وضم للميم، وقد تكسر الهمزة والميم.

(٣) اللجاج: الجدل، والشكر لله سبحانه وتعالى.

(٤) المراد بالنعل الرجل التي يلبس فيها النعل، ودحضت الرجل زلفت، والعيوق نجم أحمر مضئ في طرف المجرة الأيمن يتلو الثريا ولا يتقدمها، والمعنى أن مَا يأمله القوم ويرجونه مستحيل وبعيد المنال.

(٥) المؤمل: هو الراجي، وتتوق أي تتلهف وتشتاق.

(٦) المنوه باسمه: المشار به، والموموق: أي المحبوب.

قال: أمرٌ جلل، فمن وَلِي بعده؟

قالوا: ابنك.

فقال: فهل رضيت بذلك بنو عبد مناف، وأبو المغيرة[١]؟

قالوا: نعم.

قال: لا مانع لَمَّا أعطى الله! ولا معطى لَمَّا منع الله.

ومكث أبو بكر في خلافته سنتين، وثلاثة أشهر واثنتى عشرة ليلة، من توفى رسول الله ﷺ.

وقال غيره: وعشرة أيّام.

وقال غيره أيضًا: وعشرين يومًا.

فقام بقتال أهل اليمن، أهل الردة، وظهر من فضل الله رأيُهُ في ذلك، وشدّته مع لينه مَا لم يحسب، فأظهر الله به دينه، وقتل عَلَىْ يديه وبركته من ارتد عَنْ دين الله حَتَّى ظهر أمره، وهم كارهون.

واختلف في السبب الَّذِي مات منه، فذكر الواقدي: أنه اغتسل في يومٍ باردٍ، فحمّ، ومرض خمسة عشر يومًا.

وقال الزُّبير بن بكّار: كان به طرف من السلِّ[٢].

وقال غيره من أهل السِّيَر: إنّه مات عشاء يوم الأثنين، وقيل: ليلة الثلاثاء، وقيل: عشاء يوم الثلاثاء.

وروي عَنْ سلام بن مطيع، أنّهُ سُمَّ[٣]، والله أعلم.

وقال ابن إسحاق: مات يوم الجمعة لسبع ليالٍ بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة[٤]، وأوصى أن تغسله أسماء بنت عميس[٥]، زوجته.

(١) المغيرة بن هشام.

(٢) مرض تصاب به الرئتان.

(٣) أي سُقِي سمًّا، وقد سبق الإشارة إلى أن اليهود وضعوا له سمًّا في بعض الطعام.

(٤) ٢٩ أغسطس ٦٣٤م.

(٥) عُمَيس: كزبير بضم الأول وفتح الثاني وهو ابن معد صحابي.

وصلى عليه عمر بن الخطّاب وأنزله في قبره عمر، وعثمان، وطلحة، وعبدالرحمن ابن أبي بكر.

ودفن في بيت عائشة مع النبيّ ﷺ.

وكان نقش خاتمه، عبدٌ ذليل لربٍّ الجليل.

روى سفيان بن جبير.

وقال الزُّبير بن بكّار: كان نقشُ خاتم أبي بكر رضي الله عنه، القادر الله. ومن كتاب الرسائل:

لما أَفضت الخلافة إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حُكِي عَنْ التياح، مولى أبي عبيدة ابن الجرّاح قال: سَمعتُ أبا عبيدة يقول: لَمَّا استقامتِ الخلافة لأبي بكر رضي الله عنه، بين المهاجرين والأنصار، وَلُحِظ بعين الهيبةِ والوقار، وإن كان لم يزل كذلك بعد هنة، كاد الشيطان بها، فدفع شرّها، ودحض عرّها، ويسر خيرها، وردَّ كيدها وقصم ظهر النفاق والفسوق بين أهلها.

بلغ أبا بكر عَنْ عَلِيّ بن أبي طالب تلكؤ وشماس(١) وتهجم ونفاس(٢)، وَكَرِه أن تتمادى الحال، فتبدو العورة، وتنفرج ذات البين، ويصير ذلك دريئة(٣) لجاهل مغرور، أو عاقل ذي دهاء، أو صاحب سلامة ضعيف القلب خوار(٤) العِنان، دعاني فحضرته خلوةٍ، عنده عمر وحده، وكان عمر قبسًا(٥) له، وظهيرًا، يستضئ برأيه ويملى عَنْ لسانه.

فقال لي: يا أبا عبيدة، مَا أيمن ناصيتك، وأبين الخير بين عينيك، وَمَا زلت حبّة قلب رسول الله ﷺ، وخلجانة فؤاده، وقرّة عينه، ولقد كنت منه ﷺ، بالمكان المكين، والمحلّ المحفوظ، والقدر المغبوط، ولقد قال فيك في يوم مشهود، أبو عبيدة

(١) شمس الفرس شموسًا أي منع ظهره، والمراد الامتناع عَنْ البيعة.

(٢) نفس عليه نفاسة لم يره أهلًا.

(٣) الدريئة: الستر، والمراد أن يتخذ الجاهل المغرور ذلك سندًا يتستر وراءه مخفيًا أغراضه.

(٤) أي ضعيف.

(٥) القبس: هو النور الَّذِي يهتدى به.

أمـين هذه الأمّـة، ولطالما أعزَّ الله الإسلام بـك، وأصلح شأنه عَلَـىْ يديك، ولم تزل المسلمين روحًا، وللدين ملجًا، ولأهلك ركنًا، ولإخوانك رداءً.

وقـد أردتك لأمرٍ مَا بعده خطرٌ مخوفٌ وصلاحُـهُ معروفٌ، وإن لم يندمل جرحه بِسيـارِك[١] ورفقك، ولم يجـب جيشه بسعيك ورفقك، فقد وقـع اليأس، وأعضل النّاس، واحتيـج إلى مَا هـو أمرٌ من ذلك، وأغلـق، وأعبس منه وأغلـق، والله تعالى أسبـل نظامـه عَلَىْ يديك، وتمامه بـك، فتأذن له يا أبا عبيـدة وتلطّف به، وانصح لله ولرسولـه ﷺ، ولهـذِه العصابة غـير آل جهـدًا[٢]، ولا قَالٍ[٣] حمـلًا، والله تعالى كالئـك[٤] وناصـرك، وهاديك ومبصـرك، وموفقك ومُيّسـرك، وبـه الحول والقوة والتوفيق، لا حول ولا قوّة إلا باللهِ العلي العظيم.

وافضَ إلى علـيّ، واخفض جناحك لـه، واغضض صوتك عنـده، واعلم أنّه سلالـة أَبي طالب، ومـكان الذي فقدناه بالأمس ﷺ، مكانـه، وقل له: إنَّ البحر مغرقة، والبر مفرقة، والجوُّ أكلف[٥]، واللّيل أغلف[٦]، والسماءُ جلواء[٧]، والأرض صلفـاء[٨]، والصّعـود متعذّر، والهبـوط متعسّر، والحقّ عطـوف، والدين رؤوف، والباطل عسـوف[٩]، والجورُ عنـوف[١٠]، والعُجّـب قَداحَةُ الشـر، الضغن زائد البـوار، والتعريضُ سجارُ[١١] الفتنة، القِعَّةُ[١٢] تُقَرّبُ العداوة؛ وهذا الشيطانُ متكئٌ

(١) أي بسعيك.

(٢) أي مدخر.

(٣) أي كاره.

(٤) أي راعيك.

(٥) الكلف: السواد في الصفرة

(٦) أي مغلف بغلاف الظلام لا يدري الإنسان ما فيه.

(٧) أي صافية

(٨) الصلفاء: ما صلب من الأرض.

(٩) العسوف: الظلوم.

(١٠) شديد.

(١١) محرك الفتنة.

(١٢) القِعَّة: الطريق الذي يسلك بمشقة.

بيمينه، مُتَخيّلٌ على شماله، نافخٌ حضنيه(١) لأهله، ينتظرُ الشتات والفرقة بين الناس، يدبُّ بالشحناءِ والعداوة، عنادًا لله ولرسوله ﷺ ولدينه قاليًا(٢) دائبًا، ويوسوس بالفجور، ويدلي إلى الغرور، وَيُمنّي بالشّرور، ويوحي إلى أوليائه بالباطل، دأبٌ منه مذ كان على عهد أبينا آدم عليه السلام، وعادة منه، إذ أهانه الله عزَّ وجلَّ، في سالفِ الدهور بالسجور، لا ينجو منه إلا بعضّ الناجذ(٣) على الحق، وغض الطّرف عن الباطل، ومجانبة لذّة العاجل، ووطاءَ هَامَةَ عدُوِّ الله وعدُوِّ الدين بالأحدّ فالأحدّ، والأشدّ فالأشدّ، وإسلام النّفس إلى الله عزَّ وجلَّ، فيما رضاه، وجنب سخطه.

وَلا بُدَّ الآن من قول ينفع، إذ قد ضرَّ السُكوت، وخيَّف عيّه.

ولقد أرشدك الله من إفاءِ ضَالتك، وأراد الخير من أثر البقيا عليكَ، مَا هذا الَّذي تُسول لك نفسُك، ويدوي بِهِ قلبك، ويلتوي عليه رأيك، ويتخاوصُ(٤) دونه طرفك، ويسرى فيه ضغنك، أعجمةٌ بعد إفصاح، أتلبيسٌ بعد إيضاح، أدينٌ غير دينِ الله عزَّ وجلَّ، أهدًى غيرُ هُدى القُرآن، أخُلق غير خلق الرسول.

أمثلي يمشي له الضّرُ، وَيَدُبُّ له الخمرُ، أمْ مثلك يغصُّ عليه الفضا، ويخسفُ في عينه القمر، مَا هذه القَعقعةُ بالشنان(٥)، وَمَا هِذه الوعوعةُ(٦) بالشان.

إنّك عارفٌ جِدّ باستجارتنا لله عزَّ وجلَّ، ولرسوله ﷺ، وخروجنا من أوطاننا وأموالنا هجرة إلى اللهِ ورسوله، ونصرة لدينه، ومسارعة إلى مرضاته في زمنٍ أنت منه في كنِّ الصبى، وخدر الغرارة، غافلٌ، تُشبّبُ وتربب، لا تعي مَا يشاد ويُراد، ولا يحصل مَا يساق ويقاد سِوى مَا أنت جارٍ عليه إلى غايتك التي إليها عدى بك، وعندها حطّ رحلك، غير مجهول القدر ولا مجحود الفضل.

(١) الحضن: بالكسر ما دون الإبط إلى الكَشح.

(٢) أي كارهًا.

(٣) الناجذ: هو الضرس الأخير جمعه النواجذ، وعض على ناجذه بلغ أشده.

(٤) يتخاوص إذا غض من بصره شيئًا وهو في ذلك يحدق النظر، وكذا إذا نظر إلى عين شمس.

(٥) القعقعة: هي تحريك الشيء الصلب مع صوت، والشنان جمع شن وهو القربة الصغيرة، وَمَا يقعقع له بالشنان بفتح القافين يضرب لمن لا يتضع لحوادث الدهر.

(٦) الوعوعة: صوت الذئب والكلاب.

ونحن في أثناءِ ذلك نعاني أحوالًا تزيلُ الرّواسي[١]، ونقاسي أحوالًا تشيّبُ النّواصي[٢]، خائضين غمارهَا، راكبين تيّارها، نتجرّعُ صَابهَا[٣]، ونشرح عبابها، ونحكم أسَاسَهَا، ونبرمُ أمراسَها، والعيون تجدعُ بالحسد، والأنوف تغطرس[٤] بالكبر، والصدور تسعر بالغيظ، والأعناقُ تتطاول بالفخر، والشِفارُ[٥] تشحَذُ بالمكر. والأرض تميدُ بالخوف والنفوسُ ترتعشُ بالحذر، فلا تنتظرُ عند المساءِ صباحًا، ولا عند الصباح مساءً، ولا ندفعُ في بحرٍ إلا بعد أن نحسو[٦] الموت دونه، ولا نبلغ إلى شيءٍ إلا بعد جرع العذاب معه. ولا نتوصل إلى حَلِّ عقد إلا بعد معاناةِ الشَدائدِ فيه، ولا نقيمُ متأوِّدًا[٧] إلا بعد الإياس من الحياةِ عنده، فادين ذلك لرسول الله ﷺ، بالأبِ والأمِّ، والخَالِ والعَمِّ، والنشب[٨] والسبد واللّبد[٩]، والهَلّةِ والثّلة[١٠]، بطيب نفس، وقُرّة عين ورحب أعطاف، وثبات عزائم وصحّة عقولٍ، وطلاقَةِ أوجهٍ، وذلاقة ألْسُنٍ، وشدّةِ رهبات، وأكيد زعيمات هذا إلى خفيّات أخبار، ومكتومات أسرار، كُنْتَ عنها غافلًا.

ولولا حداثة سنّك لم تكن عَنْ شيءٍ منها ذاهلًا، كيف وفؤادكَ مشهوم، وعودك معجوم، وغيبك مخبور، والقولُ فيك كثير.

والآن فقد بلغ اللهُ بك، وأرهض الحق لك، وجعل الخيرَ بين يديك وعينيك، وَعَنْ أقول مَا تسمع، فأرتقب زمانك، وقلِّص إليه أدرانك، ودع التحبُس والتّعبُس من لا يضلع لك إذا خطى، ولا يتزحزحُ عنكَ إذا غطّى، والأمر عضّ. والنفوس فيها

---

(١) الرواسي: هي الجبال.

(٢) جمع ناصية: وهي قصاص الشعر.

(٣) الصاب: هو المر.

(٤) في الأصل تغرطس، والغطرسة: الإعجاب بالنفس والتطاول عَلَىٰ الأقران والتكبر، وغطرسه أي: أغضبه، وتغطرس تغضب، وفي مشيته تبختر.

(٥) الشفار: هو حد السيف.

(٦) أي نذوق ونشرب.

(٧) هو المعوج والمنعطف.

(٨) النشب: هو المال.

(٩) السبد: القليل، واللبد: الكثير، وماله سبد ولا لبد، محركتان، أي لا قليل ولا كثير.

(١٠) الهلة: هي الإبل، والثلة: هي الأغنام.

مَضّ، وإنّك أديمُ هذه الأمة، فلا تحلم لجاجًا، وَسَيفها العضبُ[١] فلا تنبو اعوجاجًا، وماؤُهَا العذبُ فلا تحل إجاجًا[٢].

والله لقد سألتُ رسول الله ﷺ، عَنْ هذا الأمر فقال: يا أبا بكر، هُوَ لمن يرغبُ عَنْهُ[٣] لا من يُجَاحِسُ[٤] عليه، ولمن يتضاءلُ لهُ لا لمن ينتفخ إليه، هو لمن يقال له: هُوَ لك، لا مَنْ يقول: هو لي.

والله، لقد شاورني رسول الله ﷺ، في الصهر[٥]، وذكر فتيانًا من قريش، فقلت له: أين أنتَ من عليّ.

فقال: إنّي لأكره لفاطمة ميعة شبابه[٦] وجدّة سِنّه.

فقلتُ له: متى كنفته يَدَاك، ورعته عيناك، حفّت بهما البركة، وسبغت عليهما النعمة، مع كلام كثير. أحفيت[٧] به، ورغبتُهُ فيك، وَمَا كنتُ عرفتُ منك في ذلك حَوَجًا ولا لوجًا[٨]، فقلتُ له مَا قلت، وأنا أرى مكان غيرك، وأجد رائحة سِواك. وكنتُ لك إِذْ ذاك خيرًا منك إلى الآن.

ولئن عرض بك رسولُ الله ﷺ، في هذا الأمر فقد كنى بغيرك، وإن قال فيك فما سكَتْ عَنْ سِواك، وإن تلجلج[٩] في صدرك شيءٌ فهلمّ، فالحكم مرضي، والجوابُ مسموعٌ، والحقُّ مطاعٌ مقبول، والعدل معانٌ مُتَّبع.

والله، لقد نقل رسول الله ﷺ، وهو عَنْ هذه الأُمَة العصابة راض، وعليها حدب، يَسُرُّهُ مَا يَسُرُّها، ويُرضِيه مَا أرضاها، ويكيده مَا كادها، ويُسخطهُ مَا أسخطها.

(١) القاطع.

(٢) الأجاج: الملح المر.

(٣) رغبة عَنْ الشيء إذا لم يرده، ورغب فيه إذا أراده.

(٤) المجاحسة: هي المزاحمة والدخول.

(٥) المراد مصاهرة الرسول ﷺ لعلي.

(٦) ميعة الشباب: أوله.

(٧) أي بالغت في ذكره تحريكًا لقلب رسول الله ﷺ، نحوك وإليك.

(٨) اللوج: هو الاعوجاج.

(٩) اللجلجة هي التردد في الكلام.

ألم تعلم أنّه، ﷺ، لم يدع أحدًا من أصحابه وخلطائه وسجرائه[١] وأقاربه إلا أبانه[٢] بفضله وخصّه بمرتبة، وأفرده بحاله، لو امتنعت عليه الأمة لكان عندها أبالتها[٣] وكفالتها وكرامتها.

أتظنُّ أنّه ﷺ ترك الأمة يسرًا بددًا، سدى عباديد مباديد[٤]، مباهل عباهل[٥]، طُلاحًا[٦] مفتونةً بالباطل، مغيوبة عَنْ الحقّ، لا ذائد ولا رائد، ولا حائط ولا رابط، ولا ساقي ولا واقي، ولا هادي ولا جاري، كلا والله، مَا اشتاق إلى ربّه عزَّ وجلَّ، ولا سأله المصير إليه إلا بعد أن ضَربَ الصَّوى[٧]، وأوضح الهُدى، وبيّن المهالك والمطاوح، وَشَهِدَ المبارك والممالح، وإلا بعد أن شدخ[٨] يافوخ الشرك بإذن الله، وَشَرَمَ أنفَ النّفاقِ لوجهِ الله، وقذع رأس الفتنة في ذات الله، وتفل[٩] في عين الشيطان بعون الله، وصدع الحق بملء فيه ويده بأمر الله.

وبعد، فهؤلاءِ المهاجرون والأنصار، فعندك ومعك في دار وحدة، وبقعة جامعة، إن استقادوني لك وأشاروا عندي لك فأنا واضعٌ يدي في أمرك وصائرٌ إلى أمرهم، وإن تكن الأخرى فادخل فيما دخل فيه المسلمون، وكُن العونَ عَلَىْ مصالحهم، والفاتح لمغالقهم، والمُرشدَ لضالتهم، والرّادع لغاويهم، فقد أمر الله عزَّ وجلَّ، بالتعاون عَلَىْ الحقِّ، وأهابَ عَلَىْ التناصر عَلَىْ البرِّ والتقوى.

ودعنا نقضي هذه الحياة الدُنيا بصدورٍ بريئةٍ من الغلِّ، وحتى نلقى الله، عزَّ وجلَّ، بقلوبٍ سليمةٍ من الضّغن، وبعد، فالنّاس ثمامة، فارفق بهم وامنن عليهم، وكن لهم، ولا تسيء نفسك بنا خاصّة فيهم، واترك ناجم الحقد حصيدًا، وطائر الشرِّ واقعًا،

---

(١) جمع سجير: وهو الخليل الصفي.

(٢) أي أظهره وخصه.

(٣) الإبالة: بالتخفيف السياسة.

(٤) العباديد والعبابيد بلا واحد من لفظها الفرق من النّاس الذاهبون في كل وجه، والميادية المتفرقون.

(٥) المباهل والعباهل: بمعنى المهملون، وأبهل الوالي الرعية إذا أهملهم.

(٦) الطلاح: ضد الصلاح

(٧) الصوى: أي الهدى.

(٨) أي كسر.

(٩) أي بصق.

وبابَ الفتنة مغلّقًا، وأسباب الألفة والوفاق عامرةً.

فلا قالٍ ولا قيل، ولا لوم ولا تبع، ولا غيبةً ولا تحاسد، والله عَلَىٰ مَا أقول شهيد.

قال أبو عبيدة: فلمّا تهيأتُ للقيام قال لي عمر بن الخطاب: كن لي بالباب هُنيهة[١] فإنَّ لي معك ذروًا[٢] من القول.

فوقفتُ وَمَا أدري مَا كان بعدي، إلا إنّه قد لحقني عمر بوجهٍ يندي تهلّلًا، وقال: قل لعَليٍّ: الرُّقَادُ محلمة، واللجاجُ ملجمة، والهوى مفحمة، وَمَا مِنّا إلا له مقامٌ معلوم، وحقٌّ مشاعٌ أو مقسوم، وثناءٌ ظاهرٌ أو مكتوم، وإنَّ أكيس الكيس مَنْ منح الشّارد تألفًا، وقارب البعيد تَلَطُّفًا، وسكّنَ النّافرَ تعطّفًا، وَوَزَنَ كُلَّ أمرٍ بميزانه، ولم يخلط جَدَه بعيانه، ولم يجعل ذراعه مكان باعه[٣] ولا فتره مكان شبره[٤]، دينًا كان أو دنيًا، ضلالًا كان أو هُدًى، ولا خير في معرفة مشبوبةٍ بنكرة، ولا في عقل مستعمل في جهل، ولا في حقٍّ يشوبه باطل.

ولسنا كجلدةِ رقع البعير بين العجان والذّنب[٥]، وكُلّ صال فبناره، وكُلّ سبيل فإلى قراره، وَمَا كان سُكوتُ هذِه العصابة إلى هذه الغاية لسيءٍ وغى، ولا كلامهما الآن لفرق أو فتق، قد جدع الله بمحمّد ﷺ، أنف كُلِّ ذي كبر، وقصمَ ظهر كُلّ جبّار، وقطع لسان كُلِّ كذّاب، وأذلَّ كُلِّ خَدٍّ مُتصعّر فماذا بعد الحقِّ إلا الضلال.

فما هذه الخنزوانة[٦] التي في فراش رأسك، وَمَا هذا الشجى[٧] المعترض في مدارج أنفاسك، وَمَا هذه الوخزة[٨] التي أكلت شرى[٩] سيفك، والقَذَاةُ[١٠] التي

(١) الوقت القليل

(٢) أي مزيَّدا من الكلام.

(٣) الباع: هو قدر مد اليدين.

(٤) الفتر: بالكسر هو مَا بين طرف الإبهام وطرف المشيرة، والشبر: مَا بين أعلى الإبهام وأعلى الخنصر.

(٥) العجان: هو العنق أو مَا تحت الذقن، والذنب الذيل.

(٦) اسم مصوغ من الحزن بالفتح، وهو سوء الخلق.

(٧) الشجى: هو مَا اعرض في الحلق من عظم ونحوه.

(٨) الوخز: هو الطعن بالرمح وغيره، لا يكون نافذًا.

(٩) شرى: السيف مادته ومعدنه.

(١٠) القذى: هو مَا يقع في العين.

أغشيت ناظـرك، وَمَا هذا الدخس(١) والدّس اللذان يدلان عَلَىٰ ضيق الباع، وخور الطبـاع وَمَا هذا الذي لبست بسببه جلدة النَّمر، واشتملت عليه الشحناء والنكس، شـدَّ مَا استَشعَيت لها، وسريـب سرى من أنفذ إليها، إنّ العـوان(٢) لا تعلم الخمر خمـرة، وإن الحصان لا تكلّـمُ إلا خبره، وَمَا أحـوج الفرعاء(٣) إلى فـال، وَمَا أفقر الصلعاء إلى حالٍ.

قـد خرج رسـول الله ﷺ، والأمر مُعَبّـد مخيس(٤)، ليس لأحـد فيه ملمس ولا مغمس، لم يشر فيه قولًا، ولم يستنزل لك قربًا، ولم يحرّم في شأنك حكمًا، ولسنا في كسروية كسـرى، ولا في قيصرية قيصر، تلك(٥) الأخدان فارس، وأبناء الأصفر(٦) قـومٌ جعلهم خـرزًا لسيوفنا، وخرزًا الرماحنـا، ومزعًا لطعاننا، وتبعًـا لسلطاننا. بل نحـن قومٌ في نور نبوة وضيـاءُ رسالة، وعمرة حكمة، وأثـر رحمة، وعنوان نعمة، وظلُّ عصمة، وكرامة ملِّـة، بين أمّة هادية مهديّة بالحقِّ والصّدق، مَأمُونة عَلَىٰ الرتقِ والفتق، لهَا من الله، عزَّ وجلَّ؟ أبٌ أبيٌّ، ويدٌ ناصرةٌ، وعينٌ باصرةٌ، ودعوةٌ ظاهرةٌ.

أتظّـن أبا بكر الصّديق وَثَبَ عَلَىٰ هذا الأمـر، مغلتًا(٧) عَلَىٰ الأُمّة خادعًا ومسلطًا عليهـا ومُفسدًا لأحوالها، أتراه متلخ(٨) أحلامهـا، وأزاغ أبصارها، وحلَّ عقودَهَا، وأحال عقولُها، واستلَّ من صدورها حُميّتها، وأنتزع من أكبادها عصبيّتها، وأنكث رشاهـا(٩)، وأنضب ماءَهَا، وساقهـا إلى رداها، وجعل نهارهَا ليـلًا، ووزنها كيلًا، ويقظتها رُقَادًا، وصلاحها فَسَادًا.

---

(١) الدخس بالفتح اندساس شيء في التراب.

(٢) العوان من النساء من كان لها زوج، والخمرة هي مَا يستر به، أي أن المرأة التي تزوجت تعرف كيف تستر نفسها، وتضع خمرتها، وهو مثل يضرب للمجرب العارف أمر نفسه.

(٣) الفرعاء للتام الشعر، وكان أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أقرع الشعر، وكان عمر أصلع، والصلع هو انحسار شعر مقدم الرأس لقص مادة الشعر.

(٤) أي مجتمع النّاس عليه.

(٥) في الأصل: تانك.

(٦) المراد بهم الروم.

(٧) الغلت: هو القهر والغلبة.

(٨) امتلخ: أي انتزع، والأحلام: جمع حلم وهي العقول.

(٩) الرشا: هو الحبل.

إن هذا كذا؛ إن سحره لمبين، وإن كيده لمتين، كلا والله، تأبى خيل ورجل وسنان ونصل، وتأبى قوّة ومنّة، وتأبى ذخيرة وعدّة، وتأبى يدٌ ومنعة، وتأبى عشيرة وإمرة، وتأبى تدرّع وبسطة.

لقد أصبح عندك بما وسمته منيع الرهبة، رفيع العتبة[١]، لا والله؛ ولكن سلا عنها[٢] فولهت[٣] له، وتضامن[٤] لها فلصقت بهِ، ومالَ عنها فمالت إليه، وشمرَّ عنها فاشتملت عليه حبوة حباه الله بها، وعاقبة بلّغه إيّاها، ونعمةً سربله[٥] جمالها، ويد أوجب عليه شكرها، وأمّةً نظر الله إليها.

وطالما حلّقت فوقه أيّام رسول الله ﷺ، وّهُوَ لا يلتفت لفتتها، ولا يرتصد وقتها، والله أعلم بخلقه، وأرأف بعباده، ويختار مَا كان لهم الخيرة.

وإنَّك بحيث لا يجهل حقَّك، وموضعك من بيت النبوّة ومعدن الرسالة، وكنف الحكمة، ولا يجحد فضلك فيما آتاك الله؛ ولكن كيف لك أن[٦] تزاحم بمنكبٍ أضخم من منكبك، وقربى أمس من قربتك، وسنّ أعلا من سنّك، وشيبة أورع من شيبتك، وسادة لها في الجاهلية عرق، وفي الإسلام أصل، وفي الشريعة مواقف، ليس لك فيها جملٌ ولا ناقة، ولا تذكر فيها في مقدمة ولا سباقة، ولا تضرب فيها بذراع أو إصبع، ولا تخرج فيها ببازلٍ ولا هبع[٧].

فإن عدت نفسك فيما تهدر به شقشقتك[٨] من صَاخيتك عَنْ أفايك، وإن يكن في العمر طول، وفي الأجل فسحة فلتأكله مريّى وغير مريّ، ولتشربنّه هنيًّا وغير هني، حين لا رادًّا لقولك إلا من كان لك، ولا تابعًا إلا طامعًا فيك، يمصُّ إهابك، ويعرك أديمك.

---

(١) العتبة: محركة هي مَا تحت الباب.

(٢) سلا: عنها بمعنى نسيها.

(٣) الوله: هو ذهاب العقل حزنا، والولهان: شديد الحزن.

(٤) تضامن عَلَىْ الشيء وتضمنه أي اشتمل عليه.

(٥) السِربال: بالكسر القمص أو الدرع أو كل مَا لبس.

(٦) في الأصل: من.

(٧) البازل: هو الصقر، والهُبَع: بضم الأول وفتح الثاني الحمار أو الفصيل.

(٨) الشِقشقة: بالكسر مَا يخرجه البعير من فمه إذا هاج.

هنالك تقرعُ السِنّ من ندم، وتشربُ الماء ممزوجًا بدم، حينئذٍ تأسى عَلَىٰ مَا مضى من عمرك، ودارج إنفاسك، فتودُّ لو أن سُيقت بالكأس التي أتيتها، ورددت إلى حالك التي استربتها، والله فينا وفيك أمرٌّ هو بالغه، وغيبٌ هو شاهده، وعاقبة هو المرجو لسرائها وضرّائها، وهو الغفور الودود، الغني الحميد.

قال أبو عبيدة: فمشيت متزمّلًا[١]، أتوخّى عَلَىٰ أُمِّ رأسي فرقًا من الفرقة وإشفاقًا عَلَىٰ الأُمّة حَتَّى وصلت إلى عَليّ في خلاءٍ، فأبثنته بثّي كَلّه[٢]، وتبرأتُ إليه منه.

فلمَّا سَمِعَهَا ووعاهَا، وسرت في نفسهِ حميّاها قال عليّ: حلّت مغلُوطة، وولّت مخروطة، حلي لا حليت، التعسُ أولى لها، أن أقول لها لعا[٣].

إِحْـدَى لَيَالِيكِ فَهِيسِي هِيسِي[٤] لا تَنْعَمِي اللَّيْلَةَ بالتَّعرِيسِ[٥]

يا أبا عبيدة، أكلُّ هذا في نفس القوم، يجتنون بهِ، ويضطغنون عليه؟

قال أبو عبيدة: لا جواب عندي، إنَّما أنا قاضي حقَّ الدين، وراتق فتق الإسلام، وساد ثلمة الأُمّة، يعلم الله ذلك من جُلْجُلاَنة قلبي، وقرارة نفسي.

قال علي: واللهِ مَا قعودي في كسر هذا البيت قصدًا للخلاف، ولا إنكارًا للمعروف، ولا زاريًا عَلَىٰ مسلم، بل لمَّا وقذني[٦] به رسول الله ﷺ، بفراقه، وأودعني من الحزن لفقده، وذلك أنّي لم أشهد مشهدًا بعده إلا جدّدَ عَليَّ حزنًا، وذكرّني شجنًا[٧]، وإنّ التشوق إلى اللحاق كافٍ عَنْ الطّمع في غيره.

وقد عكفتُ عَلَىٰ عهد اللهِ رجاء ثوابٍ مُعدٍّ لمن أخلص عمله، واستسلّم لمشيئته وعلمه وأمره.

(١) زمل: يزمل عدا في سيره معتمدًا في أحد شقي ثوبه رافعًا الشق رافعا الشق الآخر.
(٢) أي انهيت له كل القول.
(٣) اللاعي: هو الَّذي يفزعه أدنى شيء.
(٤) في الأصل: فكَيسي كيسي.
(٥) التعريس: هو تحبب الرجل لامرأته، وليلة التعريس: هي الليلة التي نام فيها رسول الله ﷺ.
(٦) وقذه وأوقذه تركه عليلًا.
(٧) الشجن هو الهم والحزن.

غير أنّي مَا علمتُ أنَّ التظاهر واقع عليّ، وأنّي عَلَىٰ الحق الذي يستولى عَلَىٰ دافع، فإذا أفعم الوادي، وحشد النّادي من أجلى فلا مرحبًا بما ساءَ أحدًا من المسلمين وسرّني، وفي النفس كلام لولا سابق علم وسالف عهد لشفيتُ غيظي بخنصري وبنصري، وخضتُ لُجّته بأخمصي وقدمي؛ ولكنّني مُلْجَم[1] إلى أن ألقى ربّي، وعنده أحتسبُ مَا نزل بي، وأنا غادٍ إلى جماعتكم، ومبايعٌ لصاحبكم، وصابرٌ عَلَىٰ مَا ساءني وسرّكم؛ ليقضي الله أمرًا كان مفعولًا.

قال أبو عبيدة: فصرت إلى أبي بكر فَقَصَصْتُ عليه القول عَلَىٰ عِزّه، ولم أختزل من ذلك من حُلْوه ومُرّه.

وبكر هو غدوة إلى المسجد.

فلمَّا كان صباح يومئذٍ وافى عليٌّ، فخرق الجماعة إلى أبي بكر، فبايعه، وقالَ خيرًا، ووصفَ جميلًا، وجلسَ زمينًا[2]، واستأذن في القيام.

فقال أبو بكر، رحمه الله: إنَّ أمّةً أنتَ منها لمرحومة، وإنَّ عصابةً أنت فيها لمعصومة، وقد أصبحت علينا كريمًا لدينا، تخاف الله إذا سخطت، ونرجوه إذا رضيت، ولقد حطَّ الله عَنْ ظهرك مَا أثقل كاهلي؛ وَمَا أسعد من نظر الله له بالكفاية، وإنَّا إليك لمحتاجون، وبفضلك عالمون، وإلى الله في جميع الأمور راغبون.

ثم نهض. فشيعه عمر رحمه الله، تكرمةً واستئثارًا لمَّا عنده.

فقال له علي: والله مَا قعدتُ عَنْ صاحبكم كارهًا. ولا أتيتُهُ فرقًا[3] منه، فلا أقول مَا أقول تعِلّة، وإنّي لأعرفُ مسم طرفي، ومخطى قدمي، ومنزع قوسي، وموقع سهمي؛ ولكنّي قَدْ أزمتُ عَلَىٰ فاسي[4]، ثقةً لله عزَّ وجلَّ في الأدلّة، في الدنيا والآخرة.

(١) أي صامت وساكت.

(٢) أي وقتًا يسيرًا.

(٣) أي خوفًا.

(٤) أزم: أي عض بالفم كله عضًا شديدًا، والفأس من اللجام الحديدة القائمة في الحنك.

فقال له عمر: كفكف غربَكْ[١]، واستوقف سِربَك[٢]، ودع العصا بألحاهَا[٣] والدلْوَ برشاهَا[٤] فإنّنا من خلفها ووراها، إن قدحنا أورينا، وإن نضحنا أزبينا[٥]، فقد سمعت أماثيلك[٦] التي لهوت بها عَنْ صدرٍ قد تأكّلَ بالجوى[٧]، ولو شئتُ، لقلتُ عَلَىْ مقالتك مَا إذا سمعته ندمت عَلَىْ مَا قلته.

زعمت أنَّك قَعدت في كسرِ بيتك لَمَّا وقذك بِهِ رسول الله ﷺ، بفراقه، أفرسولُ الله وقذك بِهِ وحدك ولم يقذ سواك، بل مصابُهُ أجلُّ وأعظمُ من ذلك، وإنَّ من حقِّ مصابه شمل الطّاعة بكلمة لا فصام لهَا، ولا نزرى عَلَىْ اختيارها بما لا يُؤمن من كيدٍ من كيدِ الشيطان في عقباها.

هذه العرب حولنا، والله، لو تداعت علينا في مصبح يوم لم نلق في ممساه.

وزعمت أنَّ الشّوق إلى اللّحاق به كافٍ عَنْ سواه والطّمع في غيره، فمن الشّوق إلى اللّحاق به نصرة دينه، ومؤازرة أولياءِ الله عزَّ وجلَّ، ومعاونتهم فيه.

وزعمتّ إنَّكَ قد عكفتَ عَلَىْ عهد رسول الله ﷺ، تجمعُ مَا تبدد، منه، فمن العكوف عَلَىْ عهده النصيحة لعباده، والرّأفة لهم عَلَىْ خلقه، وبذل مَا يصلحون ويرشدون عليه.

وزعمتَ أنَّ التظاهر واقعٌ عليكَ، وأي حقّ لطّ[٨] دونك.

لقد علمتَ مَا قالت الأنصار بالأمس سرًّا وجهرًا، وَمَا انقلبت عليه بطنًا وظهرًا، فهل ذكرتك أو أشارت بك، أو وجدت رضاهَا عندك.

(١) الغرب: بالفتح هو الدمع.
(٢) السِرب: بالكسر القطيع من الظباء والنساء.
(٣) أي بشرتها.
(٤) رشاء الدلو: هو الحبل.
(٥) زباه يزبيه أي حمله وساقه.
(٦) يعني قولك وكلامك.
(٧) الجوى: الهوى الباطن والحزن.
(٨) لطّ عَلَىْ الأمر: أي ستر.

وهؤلاء المهاجرون والأنصار، من الَّذي قال بلسانهم، إنّك تصلح لِهَذا الأمر، أو أَرَّى بعينه، أو همهم في نفسه، أتظنُ أنَّ النّاس صاروا ضلالًا، وفي نسخة، ضَلّوا من أجلك، وأعادوا كُفّارًا، زهدًا فيك.

أفباللهِ ورسوله تجاهُلًا؟ لا والله؛ ولكنَّكَ تنتظر الوحي، وتتوكف(١) مناجاة الملك، وذلك أمرٌ طَواهُ الله بعد محُمّد ﷺ، كأن الأمر كان معقودًا بأُنشوطة(٢)، أو مشدود بأطراف ليطة(٣).

كلا واللهِ، إنَّ الغايـة لمحلّقة، وإنَّ الشجرة لمورِقـة، ولا عجماء بحمد اللهِ إلا وقد فَصَحت، ولا شوكًا إلا وقد تنفّحت(٤).

ومـن أعجبِ شأنك قولِكَ، لولا سابقُ علمٍ لشفيتُ غيظي، وهل ترك شيئًا الدين عَلَىْ أهلةِ أن يشفى غيظهُ بيده ولسانه.

تِلك جاهليةٌ قَدْ استأصـل الله ساقها، واقتلعَ جرثومتها(٥)، وهَوَّرَ(٦) ليلهَا، وغَوَّرَ سَيلهَا.

وزعمـتَ أنَّكَ مُلْجـمٌ، إن من اتقي الله، عزَّ وجلَّ، وآثَـرَ رِضاهُ، وطلب مَا عنده أمسك يده، وأطبق فاه، وجعل سعيه لِمَّا وراه.

قـال عليّ: واللهِ، مَا بذلتُ مَا بذلتَ، وأنا أريد نكثه، وَمَا أقررتُ بما أقررت، وأنا أرجو حولًا عنه، وإنَّ أخسر النّاسَ صفقة عند اللهِ مَنْ آثر النّفاق، واختصَّ الشِّقاق، وبالله سلوةٌ عَنْ كُلِّ كارث، وعليه التوكُل في جميع الحوادث.

ارجـع، أبا حفص، إلى منزلك ناقع القلب، مـبرود الغلل، فسيح اللبان(٧)، فليس

(١) يتوكف الخبر: أي ينتظره.

(٢) الأُنشوطة: بضم الهمزة العقدة التي يسهل انحلالها، كعقد التكة.

(٣) الليطة: بالكسر قشر القصبة والقوس والقناة.

(٤) أي أشجرت.

(٥) جرثومة الشيء: أصله.

(٦) أي أذهب ليلها.

(٧) أي واسع الصدر.

وراء مَـا سمعت وقلـت إلا مَا يَشُـدُّ الأزر، وَيَحُطُّ الوزر، ويضـع الإصر[1]، ويرفع الكلفة، ويوقع الزّلفة، بمعونة الله وحسن توفيقه.

فمضى عمر، وانصرفَ عَليّ إلى منزله.

انتهي الكلام هنا في أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) الإصر: هو الذنب.

عمر بن الخطاب أمير المؤمنين

وَأَمَّا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فهو عمر بن الخطّاب بن نفيل بن عدي بن عبدالعزّى بن قرط بن رباح بن عبدالله بن رزاح بن عبدالله بن نفيل بن عدي بن غالب بن عَمْرو بن مخزوم.

وإِنَّما سمِّي الفاروق؛ لأنه فرّق بين الحقّ والباطل. وكنيته أبو حفص.

وهو أوّلُ من سُمِّي: أمير المؤمنين، سماه عدي بن حَاتم، وقيل غيره، وكان أوّل من سلّم عليه بها المغيرة بن شعبة، وقيل أوّل من دعا له بهذا الاسم أبو موسى الأشعري.

وأوّلُ مَنْ كتب إليه: لعبدالله، وعمر، أمير المؤمنين من أبي موسى الأشعري.

ولَمَّا قرئ ذلك قال: إنّي لعبدالله، وإنّي لعمر، وإنّي لأمير المؤمنين.

وكان عمر، رحمه الله، متواضعًا، خشن الملبس، شديدًا في ذات الله، سبحانه وتعالى.

واتبعه عُماله في سائر أفعاله، وشيمه، وأخلاقه، كُلٌّ تشبه به، من غاب أو حضر.

وكان يلبس الجُبّة الصّوف المرقعة بالديم وغيره، ويجعل القربة عَلَىْ عنقه مع هيبةٍ قد رُزِقها.

وكان أكثر ركوبه الإبل، ورحله مشدودٌ باللّيف، وكذلك عُماله، مع مَا فتح الله عليه من البلاد، وأوسعهم من الأموال.

بويع في اليوم الَّذِي مات فيه أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

سعيد بن عامر

وكان من عماله سعيد بن عامر بن قديم.

فشكاه أهل حمص، وسَألوه عزله.

فقال عمر: اللّهُمَّ لا تفلَّ فراستي فيه، اليوم ماذا تشكون منه؟

قالوا: لا يخرج إلينا حَتَّى يرتفع النهار، ولا يجيب أحدًا بليل، وله يوم في الشهر يخرج إلينا فيه.

فقال عمر: عليَّ بهِ[١].

فلمَّا جاء جمع بينهم وبينه، وقال: ما تنقمون منه؟

قالوا: لا يخرج إلينا حَتَّى يرتفع النهار.

قال: ما تقول يا سعيد؟

قال: نعم، يا أمير المؤمنين، إنّه ليس لأهلي خادم فأعجنُ عجيني، ثم أجلس حَتَّى تختمر، ثم أخبز خبزي، ثم أتوجه إليهم.

قال: ومَاذا تنقمون منه؟

قالوا: إن له يومًا في الشهر لا يخرج إلينا فيه.

قال: نعم، إنّه ليس لي خادم، فأغسل ثوبي، ثُمَّ أجفّفه، فأمسي عندهم معهم.

قال عمر: الحمد لله ربّ العالمين، الَّذِي لم يفلَّ فراستي فيك، يا أهل حمص، استوصوا بواليكم خيرًا.

قالَ: ثم بعث إليه عمر بألف دينار، وقال له: استعن بها.

فقالت له امرأته[٢]: قد أغنانا الله عَنْ خدمتك.

فقال: ألا ندفعها إلى مَا يأتينا بها أحوج مَا كنا إليها[٣]؟

قالت: بلى.

ثُمَّ صَرَّرها صُرارًا[٤]، ثُمَّ دفعها إلى من يثق به، فقال: انطلق بهذه الصرة إلى فلان، وبهذه إلى يتيم فلان، وبهذه إلى المسكين فلان، حَتَّى بقى شيءٌ يسير، فقدّمها إلى امرأته، وقال: أيسر هذه؟

---

(١) المشهور في كتب التاريخ أن عمر بن الخطاب أرسل إلى حمص رسولا ليواجه سعيد بن عامر بما يشكو منه أهل حمص، وأن سعيدا لم يذهب إلى المدينة، ولم يجمع عمر بن الخطاب بينه وبين أهل حمص أمامه، وفي رواية ابن رزيق مَا يشير إلى هذا، حيث يروى في نهاية هذه الواقعة، أن عمر بن الخطاب بعث إلى واليه بحمص ألف دينار، فلو كانت بين الموجهة يدي عمر، لقيل، وأعطاه عمر ألف دينار.

(٢) أي امرأة الوالي سعيد بن عامر.

(٣) يعني: أن يعطيها إلى من يستثمرها فيعيدها قدرًا أكبرهم في حاجة إليه، وهو يقصد مضاعفة ثواب الله.

(٤) في الأصل صرار.

ثم عاد إلى خدمته.

فقالت له امرأته: ألا سبقت إلى ذلك المال، فنشتري منه خادمًا؟

فقال: سيأتيك أحوج مَا تكونين إليه.

ومن عماله عَلَىْ المدائن:

سلمان الفارسي

وكان يلبسُ الصوف، ويركب الحمار ببرذعة بغير إكاف[١]، ويأكل خبز الشعير، وكان ناسكا زاهدًا.

فلمَّا أُحضر بالمدائن[٢] قال له سعيد بن أبي وقاص: أوصني يا عبدالله.

قـالَ: اذكر الله عند هَمّك إذا هممت، وعند لسانـك إِذَا أحكمت، وعند يديك إذا قسمت.

وجعل سلمان يبكي، فقال له: يا عبدالله، مَا يبكيك؟

قال: سمعتُ رسول الله ﷺ، يقول: ((إنَّ في الآخرة عقبة، وأرى هذه الأساود[٣] معولي)).

فنظروا فلم يروا في البيت إلا أداة وركوة[٤]، وقِدر، ومطهرة.

وكان عاملُه عَلَىْ الشام:

أبو عبيدة بن الجراح

وكان يظهـر للنّاسِ وعليـه الصّوفُ الحافي، فَعُذِلَ عَنْ ذلـك، وقيل له: أَنْتَ أمير المؤمنين بالجيش، وأنت بالشَّامِ، وحولك الأعداء، فغيّر زيك، وأصلح من آلتك.

فقال: ما كنتُ بالذي أترك مَا كنتُ عليه في عهد رسول الله ﷺ.

(١) الإكاف: هو البرذعة، ولعل كلمة ببرذعة زيادة لا محل لها.

(٢) المدائن: مدينة كسرى قرب بغداد، وسميت بالمدائن لكبرها.

(٣) أي الأموال.

(٤) الركوة: إناء للماء يتخذ من الجلد خاصة.

وروى أسامــة بن زيد عَنْ أبيه عَنْ جدّه قال: سمعت عمر يقول: ولد قبل الفجار الأعظم[١] بأربع سنين.

قالَ الزُّبير: وكان عمر من أشرف قريش، وإليه كانت السفارة في الجاهلية.

وذلـك، أنَّ قريشًـا كانت إذا وقعت بينهـم حرب، أو بينهم وبـين غيرهم بعثوه سفيرًا، وإنْ نافرهم منافر، أو فاخرهم مفاخر بعثوه منافرًا وَمُفاخرًا.

قال أبو عَمْرو: ثم أسلم بعد رجال سبقوه.

روى ابن معين عَنْ ابن إدريس عَنْ حصين عَنْ هلال بن مناف قال: أسلم عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بعد أربعين رجلًا، وإحدى عشرة[٢] امرأة.

وقال أبو عمرو: وكان إسلام عمر ظهرَ به الإسلام بدعوة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهاجر، فهـو من المهاجريـن الأوليّن، وشهد بـدرًا، وبيعة الرّضـوان، وكلّ مشهدٍ شهده رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وتوفى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو عنه راضٍ.

وولي الخلافـة بعـد أبي بكر رضى اللهُ عنهمـا، وبويع له بها يوم مـات أبو بكر، باستخلافـه له، سنـة ثلاث عشرة، فسار بأحسن سيرة، وأنـزل نفسه بمال الله منزلة رجل من النّاسِ، وفتح اللهُ لهُ الفتوح بِالشّام والعراق ومصر.

ودوَّن الدواويـن في العطاء، ورتب النّاس فيه سواءً أنفسهم، وكان لا يخاف في اللهِ لومة لائم.

ثـم هو الذي نور شهر الصوم بصلاة الأشفـاع[٣]، وأرَّخَ التاريخ من الهجرة[٤]، مَا بأيدي النّاسِ إلى اليوم.

(١) أيام الفجار: بالكسر أربعة أفجرة في الأشهر الحرم، وكانت بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس عيلان، وكانت الدائرة عَلَىٰ قيس، فلمّا قاتلوا قالوا فجرنا حضرها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو ابن عشرين، وفي الحديث (كنت أنبل عَلَىٰ عمومتي يوم الفجار، ورميت فيه بأسهم، وَمَا أحبّ أنّي لم أكن فعلت).

(٢) في الأصل: أحد عشر.

(٣) الشفع: خلاف الوتر، وهو الزوج.

(٤) أي جعل بداية التاريخ العربي عام هجرة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من مكة إلى المدينة.

وهو أول مَنْ سُمِّي بأمير المؤمنين، وأوّل مَنْ اتخذ الدُّرة[١].

وكان نقش خاتمه (كفى بالموت واعظًا يا عمر).

وكان أدمًا، شديد الأدمة[٢]، طوال، كثُّ اللحية، أصلع، أعسر، أيسر، يخضّبُ بالحناءِ والكتّم[٣].

وروى شعبة عَنْ هلال بن عبدالله قال: رأيتُ عمر بن الخطّاب رَجلًا أَدِمًا ضخمًا، كأنّه من رجال سدوس[٤].

وفي حديث ابن عمر: أنّ رسول الله ﷺ، ضربَ صدر عمر يوم أسلم ثلاث ضربات، وهو يقول: ((اللّهُمَّ أخرج مَا في صدره من غِلٍّ، وأبدله إيمانًا)). يقولُها ثلاث.

ومن حديث ابن عمر أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن الله قد جعل الحقَّ عَلَىٰ لسان عمر وقلبه))، ونزل القرآن بموافقته في أسرى بدرٍ، وفي الحجاب، وفي تحريم الخمر، وفي مقام إبراهيم.

وروى من حديث عقبة بن عامر وأبي هريرة عَنْ النبي ﷺ، ((لو كان بعدي نبيٌّ لكان عمر)).

وروى سعيد بن إبراهيم عَنْ أبي سلمة عَنْ عائشة قالت: قال النبي ﷺ: ((قد كان لكم في الأمم محدثون، فإن يكن في هذه الأمّة أحدٌ فعمر بن الخطّاب)).

ورواه أبو داود الطيالسي عَنْ إبراهيم عَنْ سعد عَنْ أبيه عَنْ أبي سلمة عَنْ أبي هريرة عَنْ النبيِّ ﷺ.

وروى ابن المبارك عَنْ يونس عَنْ ابن شهاب عَنْ سالم وحمزة ابني عبدالله بن عمر عَنْ ابن عمر قال: قالَ رسول الله ﷺ: ((بينما أنا نائم أتيتُ بقدح لبن، فَشَرِبت حَتَّى رأيتُ الريَّ يخرج من أظفاري، ثُمَّ أعطيتُ فضلي عمر)).

---

(١) الدرة: بالكسر التي يضرب بها.

(٢) السواد.

(٣) الكتّم: محركة نبت يخلط بالحناء ويخضب به الشعر فيبقى لونه، ويتخذ منه المراد للكتابة.

(٤) سدوس: يعني به الحرث بن سدوس وكان له واحد وعشرون ولدًا ذكرًا.

قالوا: مَا أوّلتَ ذلك يا رسول الله؟

قال: العلم.

ورواه معمّر عَنْ الزهري.

وروى سفيان بن عيينة عَنْ عمر بن دينار عَنْ جابر أنّ رسول الله ﷺ، قال: ((دخلتُ الجنّة فرأيتُ فِيْهَا دارًا، أو قال: قصرًا، وسمعتُ ضوضاء فقلتُ: لمن هذا؟ قالوا: لرجلٍ من قريش. فظنتُ أنا هُوَ، فقلت لمن هو؟ فقيل: لعمر بن الخطّاب، ولولا غيرتك يا أبا حفص لدخلته)).

فبكى عمر بن الخطّاب، وقال: أعليك يغارُ يا رسول الله.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾(١)

قرأ أبو عمرو، بساكنة الهاءِ، ويختلسها أبو جعفر ويعقوب.

وقرأ الآخرون بالإشباع، مؤمنًا، مات عَلَىْ الإيمان والدَّرجات الرفيعة، جمع العليا، والعليا ثانية الأعلى.

أخبر محمّد بن عبدالله الصّالحي، أنبأ أبو القاسم، أنبأ عبدالرحمن بن عبدالله السمسار قال: أنبأنا أبو أحمد، حمزة بن محمّد بن العبّاس الدّهقان قال: أنبأنا أحمد ابن عبدالجبّار العطاردي قال: أنبأنا أبو معاوية عَنْ الأعمش عَنْ أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: ((إنَّ أهل الدَّرجات العلا ليرون من محبتهم كما ترون الكواكب الدّراري من أفق السماءِ. وإنّ أبا بكر وعمر منهم)).

وروى الطّيالسي أبو داود عَنْ إبراهيم عَنْ سعد عَنْ أبيه عَنْ أبي سلمة عَنْ أبي هريرة قال: قالَ رسول الله ﷺ: ((رأيتُ في المنام والنّاسُ يعرضون عَلَىْ قمصهم، منها إلى الراء(٢)، ومنها إلى الدّاءِ، ومرَّ عمرٌ عليَّ يَجُرُّ قميصه)).

فقيل له: يا رسول الله: مَا أوّلتَ ذلك؟

قال: (الّلذينِ هكذا). رواه إبراهيم في حديثه عَنْ الطّيالسي.

---

(١) الأية ٧٥ من سورة طه.

(٢) أي منها الخلق البالي، ومنها مَا يفسد الجسم.

وأخـبر خلف بن القاسم قـال: حدّثنا الحسن بن حجّاج الزّيـات الطّبراني قالَ: حدّثنـا الحسن بـن محمّد المدني قالَ: حدّثنـا يحيى بن عبدالله بن بكـير قالَ: حدّثنا الليـث بن سعد قال: حدّثنا ابن الهادي عَـنْ إبراهيم عَنْ سعد عَنْ صالح بن كيسان عَـنْ ابن شهاب عَنْ أبي أمَامَة بن سهل بـن حنيف عَنْ أبي سعيد الخدري، أنَّه سمع رسـول الله ﷺ، يقول: ((بينما أنـا نائم والنّاسُ يعرضون علـيَّ، وعليهم قمصٌ، فمنها مَا يبلغ الثدي، ومنها دون ذلك، وعرض عَليَّ عمر، وعليه قميصٌ يَجُرّه)).

قَالوا: فمَا أوّلت ذلك يا رسول الله؟

قال: الدين.

وقالَ عَلِي بن أبي طالب: مَا كنا نبتعد أن نرى السّكينة تنطق عَلَىٰ لسان عمر.

وروى أبـو معاوية عَـنْ الأعمش عَنْ أبي صالح عَنْ مالك الـدار(١) قال: أصابَ النّاسُ قحط، فجاء أحدٌ إلى قبر النبيِّ ﷺ، فقال: يا رسول الله، استسقِ لأُمّتك فإنهم قد هلكوا.

قـال: فأتاه رسـول الله ﷺ، في المنام، فقـال: أتِ عمر، أن يستسقـي(٢) النّاس فإنهم ليستسقون، وقال: عليك الكيّس الَكيّس(٣).

فأتـى الرجُل عمر، فأخـبره، فبكى عمر من كلام رسـول الله ﷺ، وهو يقول: بربِّ مَا ألوم إلا مَا عجزت عنه، بربِّ مَا ألوم إلا مَا عجزت عنه.

وقال ابن مسعود: مَا زلنا أعزّة منذُ أسلم عمر بن الخطّاب.

وقال حذيفة: كأنّ علم النّاس قد دسَّ في جحر مع علم عمر.

وقالَ ابن مسعود: لو وُضِعَ علم أحياء العرب في كُفّة ووضع عِلم عمر لرجح علم عمـر، ولو كَانُوا يرونه لذهب تسعـة أعشار العلم، والمجلس الّذِي كنت اجلسه من عمر أوثق في نفسي من عملٍ منه.

(١) كذا في الأصل ملك.

(٢) أي أن يصلي بالناس صلاة الاستسقاء.

(٣) الكيس: هو الجود والعقل والغلبة بالكياسة.

وذكر عبدالرّزاق عَنْ مُعَمّر قالَ: لو كان رجل[١] أفضل من أبي بكر مَا عنفته[٢].

قال ابن عمر، يدلّ عَلَىْ أن أبا بكر أفضل من عمر بسبقه إلى الإسلام.

وروي عَـنْ النبـي ﷺ، أَنّه قال: رأيتُ في المنـام أنّي وزنت بأُمّتي فرجحتُ، ثم وزن أبو بكر فرجح، ثم وزن عمر فرجح.

وفي هذا بيان واضح في فضله عَلَىْ عمر.

وقـال عمـر: مَا سابقتُ قطُّ أبا بكر إلا سبقني إليـه، ولوددتُ أنّي شعرةً في صدر أبي بكر.

وذكـر سيف بن عمر عَـنْ عبيدة بن معيب عَنْ إبراهيم النّخمي قال: أوّلُ مَنْ وُلّي شيئًـا من أمور المسلمين عمر بن الخطّاب ولاه القضاء، فكان أوّل قاضٍ في الاسلامِ، وقال: اقضِ بين النّاس، فإنّي في شغل.

وأمر ابن مسعود بتعسيس[٣] المدينة.

قـالَ أبو عمر، وأعلى من هذا في ذلك مَا حدثني بهِ خلف بن قاسم قالَ: حدّثنا أبـو أحمد، الحسين بن جعفر بن إبراهيـم قالَ: حدّثنا أبو زكريا بن أيّوب بن بادي الغلاف قالَ: حدّثنا عَمْرو بن خالد قال: حدّثنا يعقوب بن عبدالرحمن عَنْ موسى ابـن عتبة عَنْ الزّهـري، أنَّ عُمر بن عبدالعزيز سَألَ أبا بكـر[٤] عَنْ سليمان بن أبي حتمـة قال: كان أبو بكر يكتب من خليفة رسول الله ﷺ، وكان عمر يكتب من خليفة أبي بكر.

مَنْ أوّل مَن كتب عبدالله أمير المؤمنين؟

فقـال: حدثتنـي الشفاء، وكانت من المهاجرات الأوّليـات، أنَّ عُمر بن الخطّاب كَتَبَ إلى عامل العراق، ابعث لي برجلين نبيلين أرسلهما إلى العراق وأهله.

فبعث إليه عامل العراق لبيد بن ربيعة العامري، وعديّ بن حاتم الطائي.

---

(١) في الأصل رجلًا.

(٢) كذا في الأصل.

(٣) عس واعتس: طاف بالليل، وهو نفض الليل عَنْ أهل الريبة.

(٤) كذا في الأصل: ولعل في الجملة تقديمًا وتأخيرًا، والمراد أنه سأل سليمان بن أبي حتمة عن أبي بكر، حيث يكون معنى مستقيمًا.

فلمَّا قدما المدينة أناخا راحلتيهما بِفناءِ المسجد، ثُمَّ دخلا المسجد، فإذا بعَمْرو بن العاص، فقالا له:

استأذن عَلَىْ أمير المؤمنين عمر.

فقال عَمْرو: أنتما واللهِ أصبتما اسمه، نحن المؤمنون وهو أميرنا.

فوثب عَمْرو، فدخل عَلَىْ عمر[١]، فقال، السلامُ عليك يا أمير المؤمنين.

فقال عمر: مَا بدا لنا في هذا الاسم، يعلم الله ليخزيني مّما قلت.

قال: فجرى الكتاب من يومئذٍ بذلك.

قال يعقوب: وكانتِ الشّفاء جدّة أبي بكر.

قالَ: وروينا من وجوه، أنَّ عمر بن الخطّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - يرمي الجمرة، وأتاه حجر فوقع عَلَىْ ضلعته فأدماه.

فقال رجل من بني لهب، أشعر بأمير المؤمنين لا يحجُّ بعدها.

ثم جاء إلى الجمرة الثانية، فصاح رجلٌ يا خليفة، فقال، لا يحجُّ أمير المؤمنين. بعد عامه هذا.

فقتل عمر بعد رجوعه من الحجِّ.

قال محمّد بن حبيب، لِهبَ مكسورة اللام قبيلة من قبائل الأزد، تعرف بها العيافة[٢] والزّجر.

قال ابن عمر: قُتِلَ عمر سنة ثلاث وعشرين من ذي الحجة، طعنه أبو لؤلؤة فيروز، لعنه الله، غلام المغيرة، لثلاث بقين.

وكانت خلافته عشر سنين وبضعًا.

أخبر الوارث قال: حدّثنا قاسم قال: حدّثنا محمّد بن عبدالسلام قال: حدّثنا ابن أبي عُمر قال: حدّثنا سفيان بن عيينة عَنْ يحيى بن سعيد قال: سمعتُ سعيد بن المسيب يقول: قَتَلَ أبو لؤلؤة، لعنه الله، عمر بن الخطّاب، وطعن معه اثنى عشر رجلًا، فمات ستة.

---

(١) في الأصل: عَمْرو.

(٢) العِيف: بالكسر هو الزجر.

قـال: فرمى عليه رجل من أهـل العراق برنسًا(١)، ثُمَّ نزل عليـه، فلمّا رأى أنَّه لا يستطيع أن يتحرك رجاء نفسه فقتلها.

وقـال الواقدي وغـيره، والزبير: قُتِلَ عمـر لأربع بقين مـن ذي الحجة، وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر(٢).

ومن أصح مَا يروى عَنْ قَتلِ عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَا حدث بِه خلف بن القاسم بن إسماعيل، قـال: حدّثنا محمد بن القاسم بن سفيان قال: حدّثنـا أحمد بن شعيب النسائي قال: حدّثنـا أحمد بن سليمان قال: حدّثنا عبدالله بن موسى قال: حدّثنا إسرائيل عَنْ أبي إسحـاق عَنْ عُمر بن ميمون قال: شَهدتُ عمر بن الخطّاب يوم طُعنَ، وَمَا منعنى في الصف المقدم إلا هيبته، وكان رجلًا مهيبًا، فكنتُ في الصف الذي يليه، فأقبل عمر، فعرض له أبو لؤلؤة، غلام المغيرة بن شعبة، فناجى عمر قبل أن تستوفي الصفوف، ثُمَّ طعنه ثلاث طعنات، فَسمعتُ عمر، وهو يقول: دونكم الكلب، فإِنَّهُ قَتلَني.

فمـاج المسجد بالنّاسِ، فأسرعوا إليه، فجرح ثلاثة عشر رجلًا، فكفا عليه رجل فاحتضنـه، وحُمِلَ عمر، فماج النّاسُ، بعضهم في بعض، حَتَّى قال قائل: الصلاة، عبـاد الله، طلعتْ الشمسُ، فقدمـوا عبدالرحمن بن عوف، فصلى بنا أقصر سورتين في القرآن، ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾(٣)، و﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ﴾(٤).

وحُمِـلَ عُمر، فأجتمع النّاسُ عليه. فقـال: يا عبدالله، اخرج، فنادِ في النّاسِ، عن ملاء منكم هذا؟

فخرج ابن عباس، فقال: أيها النّاس! إنَّ أمير المؤمنين يقول: عَنْ ملاء(٥) منكم هذا.

فقالوا: معاذ الله، والله مَا علمنا ولا اطلعنا.

فقال: ادعوا إليَّ الطبيب، فدعي.

فقال: أي الشراب أحبُّ لك؟

---

(١) البرنس: بالضم هو الثوب.

(٢) الموافق ٥ نوفمبر ٦٤٤م.

(٣) سورة النصر.

(٤) سورة الكوثر.

(٥) أي عَنْ مشايعة ومناصرة.

قال: النبيذ[١].

فسقى نبيذًا، فخرج من بعض طعامه.

فقال النّاس: هذا دم، هذا صديد.

فقال: اسقوني لبنًا.

فخرج من الطعنة[٢].

فقال الطبيب: لا أرى تمسي، مَا كنت فاعلًا فافعل.

وذكر تمام الخبر في الشورى، وبتقديمه الصلاة.

وقولُه: في عليّ، إن ولوها اسلك بهم الطريق المستقيم، يعنى عليًا في عثمان وغيره.

قال ابن عمر: مَا يمنعك أن تقدم عليًّا؟

قال: أكره أن يحملها حيًّا وميتًا.

وذكر الواقدي قال: حدّثنا نافع بن أبي نعيم عَنْ عامر بن عبدالله قال: غدوت مع عمـر بن الخطّاب إلى السويق[٣]، وهو يتكىء علَـىْ يده، فلقيه أبو لؤلؤة غلام المغيرة ابن شعبة، فقال: ألا تكلم مولاي يضع عليَّ من خراجي[٤]؟

قال: كم خراجك؟

قال: دينار.

قال: مَا أرى أن أفعل بعامل محسن، وَمَا هذا بكثير.

ثم قال له عمر: ألا تعمل رحًى[٥]؟

قال: بلى.

فلمّا ولّى[٦] قال أبو لؤلؤة: لأعملن لك رحًى يتحدث بها مَا بين المشرق والمغرب.

(١) كذا في الأصل: والنبيذ هو مَا نبذ من عصير ونحوه.

(٢) ودلالة هذا أن الطعنة في البطن كانت نافذة إلى الأمعاء.

(٣) موضع بين الخليص والقديد.

(٤) الخراج: هو الإتاوة.

(٥) جمع رحاة: وهي حجران يتخذان لطحن الحبوب.

(٦) أي انصرف.

قال: فوقع في قلبي قوله.

فلمّا أصبح الصبح، وخرج عمر إلى النّاس، يؤذنهم للصلاة.

قال ابن الزُّبير، وأنا في مُصلاي، وقد اضطجع له عدو الله، فضربه بالسكين ست طعنات، إحداها[(١)] تحت سِرَّته، وهي مثلثة، فصاح عمر: أين عبدالرحمن.

فقال: ها هو أنا يا أمير المؤمنين.

قال: قُمْ، فَصِلِّ بالنّاسِ.

فتقدم عبدالرحمن، وقرأ في الركعتين، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[(٢)]، و﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[(٣)].

واحتملوا عمر، فأدخلوه إلى منزله.

فقال لابنه، عبدالله، اخرج، فانظر من قتلني.

فخرج عبدالله، فقالَ: من قتل أمير المؤمنين؟

قالوا: أبو لؤلؤة، غلام المغيرة بن شعبة.

فرجع، فأخبر عمر.

فقال: الْحَمْدُ للهِ الَّذي لَمْ يَجْعَلْ قَتْلِي بِيَدِ رَجُلٍ يُحَاجِّنِي بِلا إِلَهَ إِلا اللهُ.

ثم قال: انظروا إلى عبدالرحمن بن عوف.

فذكر الخبر في الشورى.

حدّث خلف بن قاسم قال: حدّثنا الحسن بن رشيق قال: حدّثنا الدولاني قال: حدّثنا محمّد بن حميد قال حدّثنا عليّ بن مجاهد قالَ: اختلف إلينا في شأن أبي[(٤)] لؤلؤة، فقال بعضهم، كان مجوسيًا[(٥)]، وقال بعضهم، كان نصرانيًّا.

(١) في الأصل: أحدهن.

(٢) أي سورة الإخلاص.

(٣) أي سورة الكافرون.

(٤) في الأصل: أبو.

(٥) من عبدة النار.

فحدّثنا أبو سنان سعيد بن سنان عَنْ أبي إسحاق الهمداني عَنْ عمر بن ميمون الأزدي قال: كان أبو لؤلؤة أزرق(١)، نصرانيًا، وجاء عمر بسكين له طرفان، فلمّا جرح عمر جرح معه ثلاثة عشر رجلًا، من المسجد، ثم أُخِذ؛ فلمّا أُخِذَ قَتَلَ نفسه.

واختلف النّاس في عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يوم مات: فقيل: توفي وهو ثلاث وستون(٢)، كَسِنِّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسنّ أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين توفيا. روى ذلك عن وجوه عن معاوية ومن قبل الشعبي.

وروى عبدالله بن عمر عَنْ نافع عَنْ ابن عمر، وهو ابن بضع(٣) وخمسين سنة.

وقال أحمد بن حنبل عَنْ هيثم بن عليّ عَنْ زيد بن سالم بن عبدالله، أنّ عمر قُبض، وهو ابن خمس وخمسين سنة، وقال الزهري: توفي وهو ابن اثنتين وخمسين سنة. وقيل: مات وهو ابن ثلاث وستين سنة.

حدّث عبدالله بن محمّد بن إسماعيل بن أحمد الصّفار قال: حدّثنا إسماعيل بن إسحاق قال: حدّثنا علي بن المدني قال: حدّثنا حسين بن عليّ الجعفي عَنْ زائدة بن قدامة بن عبدالملك بن عمير قال: حدّثنا أبو دُرّة وأخي عَنْ عوف بن مالك الأشجعي، أنّه رأى في المنام كأنَّ النّاس قد اجتمعوا، فإذا فيهم رجلٌ من بني تميم، فهو فوقهم ثلاثة أذرع، قالَ: فقلت: من هذا؟ فقالوا: عمر، فقلت: لمه(٤)؟ قالوا: لأن فيه ثلاث خصال؛ لأنه لا يخاف في الله لومة لائم؛ وأنّه خليفة مستخلف؛ وشهيد مستشهد.

قال: فأتى أبا بكر، فقصّها عليه، فأرسل إلى عمر، فدعاه ليبشره.

قال: فجاء عمر، فقال لي أبو بكر(٥): اقصص لي رؤياك.

قال: فلمّا بلغت خليفة مستخلف، انتهرني(٦)، وقال: اسكت، تقول هذا وأبو بكر حيٌّ.

---

(١) أي أزرق العينين، ويكنى بها عَنْ قوم الرومان.

(٢) في الأصل: وستين.

(٣) البضع مَا بين الثلاث إلى التسع أو الخمس أو مَا بين الواحد إلى الأربعة، أو من أربع إلى تسع، أو هو سبع، وإذا جاوزت لفظ العشر ذهب البضع، فلا يقال، بضع وعشرون.

(٤) في الأصل: لم.

(٥) فقال: لأبي بكر.

(٦) أي زجرني.

قـال: فلمّا كان بعد، ووَلّي عمر مررتُ بالمسجد وهـو عَلَىْ المنبر، قال: فدعاني، وقال: اقصص رؤياك، فلمّا قلتُ: لا يخافُ في اللهِ لومة لائم.

قال: إنّي لأرجو أن يجعلني الله منهم.

قال: فلمّا قلتُ: خليفة مستخلف، قال: استخلفني الله، فأسأله أن يعينني عَلَىْ مَا أولاني.

فلمّا ذكرتُ، شهيدًا مستشهد قال: أنّي في الشهادة وأنا بين أظهرهم يغزون ولا أغزو.

ثم قال: يأتي الله بها مَنْ يشاء، يأتي[1] الله بها مَنْ يشاء.

وأخـبر سعيد بن أسيد بن سعيد قـال: حدّثنا عبدالله بن محمّد بن علي قال: حدّثنا أحمد بـن خالد قال: حدّثنا يعقوب الدّيري، قال: حدّثنـا عبدالرّزاق بن معمّر عَنْ الزّهري عَنْ سالم عَنْ ابن عمران، أنَّ النبي ﷺ، رأي عَلَىْ عمر قميصًا أبيضًا، قال: ((أجديـدٌ قميصك هذا، أم غُسِل؟)) قال: بل غُسِلَ، قـال: ((الْبَسْ جَدِيدًا ، وَعِشْ حَمِيدًا ، وَمُتْ شَهِيدًا ، وَيَرْزُقُكَ اللَّهُ قُرَّةَ عَيْنٍ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ)).

قال: وإيّاك يا رسول الله.

وروى معمّـر عَـنْ الزّهـري قال: صلّى عُمـر عَلَىْ أبي بكر حين مـات، وصلّى صهيب عَلَىْ عمر لمّا مات.

وروي عَـنْ عمـر أنّه قال في حجّته التي لم يحجّ بعدها: الحمد لله، ولا إله إلا الله، من شاء مَا يشاء بهذا الوادي.

يعني صحبان، أرعى إبلًا للخطّاب، وكان فظًّا غليظًا، يتبعني إذا عملت، ويضربني إذا قصّرت، وقد أصبحت وأمسيت، وليس بيني وبين الله أحدٌ أخشاه.

ثم تمثّل شعرًا:

لاَ شَـيْءَ مِمَّـا نَـرَى تَبْقَـى بَشَاشَتُـهُ ... يَبْقَـى الإِلَهُ ويُـودِي المـالُ والولدُ[2]

لَمْ تُغْـنِ مِـنْ هُرْمُـزٍ يَوْمًـا خَزائِنُـه ... وَالخُلدَ قَدْ حاولتْ عَادٌ فَمَا خَلَدُوا[3]

---

(١) مكتوبة في الأصل بدون الياء.

(٢) يودى أي يذهب.

(٣) هرمز

وَلاَ سُليمــانُ ذُو تجـرِي الريــاحُ لَـهُ   والإنسُ والجـنُّ فِيْمَـا بينهـم تَرِدُ[١]
أَيْنَ الملـوكُ الَّـذي كَانُـوا لعزّتهـا   مِـنْ كُلِّ أَوْبٍ إِلَيْهَـا وافِـدٌ يَفِـدُ[٢]
حَوْضٌ هنالِـك مَـوْرُودٌ بِـلا كَـدَرٍ   لا بُـدَّ مِـنْ وِرْده يَوْمًـا كمـا وَرَدوا

وروي عَنْ عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أنّه قال حين احتضر، ورأسه في حجر ابنه عبدالله شعرًا:

ظَلُـومٌ لِنَفْسِي غَـيْرَ أَنِّي مُسْلِمٌ   أُصَلِّـي الصـلاةَ كلَّهـا وأَصُـومُ[٣]

حَدَّث عبدالوارث قال: حدّثنا قاسم قال: حدّثنا جعفر بن محمّد الصايغ قال: حدّثنا سليمـان بن داود الهاشمي قال: حدّثنا إبراهيم بن سعد الزهري عَنْ عبدالرحمن بن عبـدالله بن أبي ربيعة عَنْ أمِّ كلثوم بنت أبي بكر الصّديق، أن عائشة قالت: لمّا ارتحل مـن الحصبة أقبل رجـلٌ متلثّم، فقال: وأنا أسمع، أين منزل أمير المؤمنين؟ فقال قائلٌ: هذا كان منزله، فأناخ في منزل عمر، ثم رفع عقيرته، يتغنى شعرًا:

عَلَيْكَ سَلامُ اللهِ مِنْ أَمِيرٍ وَبَارَكَتْ   يَـدُ اللهِ في ذَاكَ الأَدِيمِ المُمَـزَّقِ[٤]
فَمَنْ يَسْعَ أَوْ يَرْكَبْ جَنَاحَيْ نَعَامَةٍ   لِيُـدْرِكَ مَا دُمْـتَ بِالأَمْسِ يُسْبَقِ
قَضَيْتَ أُمُـورًا ثُمَّ غَـادَرْتَ بَعْدَهَا   نَـوَائِـحَ في أَكْـمَـامِـهَـا لَمْ تُفَـتَّـقِ
وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ وَفَاتُهُ   بِكَفَّيْ سَبَنْتِي أَزْرَقِ الْعَيْنِ مُطْرِقِ

ويروى سبنت، والسبنت: النمر الجرئ، والمطرق: الحنق.

قال المتلمس شعرًا:

فأَطْرَقَ إِطْـرَاقَ الشُّجَاعِ ولنْ يَرَى   مَسَاغًـا لِنَابَيْـهِ الشُّجـاعُ لَصَمَّمَـا[٥]

وذكـر الواقدي في كتاب فتوح الأمصـار: أن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قام في السَّحَرِ، فحمد الله وأثنـى عليه، ثم دعا النّاس إلى الجهادِ، وحضّهـم عليه، وقال: إنّكم أصبحتم في غير دار بالحجاز، وقد وعدكـم الله فتح كسـرى وقيصر، فسيروا إلى أرض فارس.

---

(١) سليمان النبي الَّذي سخر الله عز وجل له الريح تجرى رخاء بأمره.
(٢) الأوب والإياب الرجوع.
(٣) ظلم النفس: ترويضها والغلبة عليها.
(٤) الأديم من الأرض: مَا ظهر منها، والمراد السطح.
(٥) الشجاع: هو الحية أو الذكر منها، والمصمم: هو الشجاع أي الذكر من الحيات.

فقام أبو عبيدة بن مسعود[١]، فقال: يا أمير المؤمنين، أنا أوّل من انتدب.

وأمّر أبا عبيدة.

وفي حديث آخر، أنّه قيل له: أتولي رجلًا من ثقيف[٢] عَلَىٰ المهاجرين والأنصار؟

قال: لا أؤمر عليهم إلا من انتدب، فوليّته، وأمرته أن لا يقطع أمرًا دون مسلمة ابن أسلم، أو سليط بن قيس، وأعلمته أنهما من أهل بدر.

فلقى صفًّا من العجم، وعليهم رجل يقال له: جالينوس، فانهزم.

وجاز أبو عبيدة حَتَّى قطع الفرات[٣]، وعقد له بعض الدهاقين[٤] جسرًا.

فلمّا خَلّف الفرات وراءه أمر بقطع الجسر.

فقال له مسلمة بن أسلم: أيّها الرّجل، ليس لك علمٌ بما ترى، وأنت تخالفنا، وسوف يهلك من معك من المسلمين بسوءِ سياستك، تأمُر بجسر قد عقد أن يقطع، فلا يجد المسلمون ملجًا في هذه الصحاري والبراري.

فقال: أيّها الرجل تقدّم، فقد تم مَا ترى.

وقال سليط بن قيس: لن تلقى مثل جمع فارس قطّ، ولا كان لهم[٥] بقتالهم عادة، واجعل لهم ملجًا ومرجعًا من هزيمة إن كانت.

فقال: لا والله، لا أفعل، جبنت والله يا سليط.

فقال سليط: والله مَا جبنت، ولأنا[٦] أشدُّ منك نفسًا؛ ولكني أشرتُ بالرأي.

فلمّا قطع أبو عبيدة، والتحم النّاس، واشتد القتال نظرت العرب إلى الفيلة عليها التحافيف[٧]، ورأوا شيئًا لم يروا مثله.

---

(١) هو أبو عبيد بن مسعود بن عَمْرو بن عُمَير بن عَوف الثقفي.

(٢) ثقيف أبو قبيلة من هوازن، واسمه قسي بن منبه بن بكر بن هوازن.

(٣) نهر بأرض العراق.

(٤) جمع دهقان: وهو زعيم فلاحي العجم ورئيس الإقليم فيهم.

(٥) أي الجند المسلمين.

(٦) في الأصل: ولا أنا.

(٧) هي الطرف الغالية الثمن.

فانهزم العرب جميعًا، ومات في الفرات أكثر ممن قُتِلَ بالسيف، وخالف أبو عبيدة سليطًا، وقد كان عمر أوصاه أن يستشيره ولا يخالفه.

وكان رأي سليط، لا يعبرون إليه، ولا يقطعون[١] الجسر، فخالفه.

وقال سليط: لا يمضى قولُه، ولولا أني أكره خلاف الطّاعة لانحزتُ بالنّاس؛ ولكن، أسمع وأطيع، وإن كنتَ أخطأتَ، وأشركني عمر معك.

فقال أبو عبيدة: تقدم أيها الرجل.

قال: أفعل.

فتقدما، فقتلًا معًا.

وقد كان أبو عبيدة يومئذٍ ترجل، فقتل من العرب معه ستة آلاف.

فدنا[٢] من الفيل ورمحه في يده فطعنه في عينه، فخبط الفيل أبا عبيدة بيده، ومال المسلمون، وتراجعت قلال فارس، فأخذ النّاس السيف لمَّا قُتل أبو عبيدة بآخر رجل من بكر بن وائل، والمثنى بن حارثة، فحمى النّاس حَتَّى عقد الجسر، فعبروا، ومعهم المثنى بن حارثة، وقد فقد في النّاسِ أربعة آلاف غرقى وقتلى.

وكان عَلَىٰ جيش فارس في هذا اليوم حادويه، ومعه راية فارس التي كانت لأفريذون حَتَّى صار النّاس بالدهلك، وهي المعروفة بدرتس، رايتان، وكانتا من جلود النَّمر، طول كل واحدة اثنا عشر ذراعًا في عرض ثمانية أذرع عَلَىٰ خشب طوال توصل، وكانت فارس تتباشر بالرَّاية الأفريذونية، وتظهرها في الأمر الشديد.

ولما قُتل أبو عُبيدة شقَّ ذلك عَلَىٰ عمر وعلى سائر المسلمين، فخطب عمر النّاس، وحضّهم عَلَىٰ الجهاد، وأمرهم بالتَّأَهُّبِ لأرض العراق، وعسكر عمر بصراط[٣]، وهو يريد الشخوص[٤].

وقد استعمل عَلَىٰ مقدّمته طلحة بن عبيد الله، وعلى ميمنته الزُّبير بن العوّام، وعلى

(١) في الأصل: لا يعبروا، ولا يقطعوا.

(٢) في الأصل: فدنى.

(٣) الصراط: هو الطريق.

(٤) أي الذهاب إلى جيش المسلمين بفارس.

ميسرتـه عبدالرحمن بن عوف، ودعا النّاس، فاستشارهم، فأشادوا عليه بالسير. ثم قال لعليّ: مَا ترى يا أبا الحسن، أأسير أم أبعث؟

فقال: سِر بنفسك، فإنّه أهيب للعدو وأرهب.

وخرج من عنده، ودعا بالعباس في حلة[١] مشيخة قريش، فشاورهم.

فقالوا: أقم، وابعث غيرك؛ لتكون للمسلمين، إذا انهزموا، فئة.

وخرجوا، ودخل عليه عبدالرحمن بن عوف، فاستشاره، فقال عبدالرحمن: ما فديت بأبي وأمّي واحدًا بعدك، أقم، وابعث، فإنّه إذا انهزم جيشك فليس ذلك كهزيمتك، وإنّك إن تهزم أو تقتل يكفر المسلمون لا إله إلا الله أبدًا.

قال: أشر عليَّ من أبعث.

قال: سعد بن أبي وقاص.

قال عمر: قد أعلم أنّ سعدًا رجلًا شجاعًا؛ ولكن أخشى ألا يكون معه تدبير الحرب.

فقال عبدالرحمن: هو عَلَىٰ مَا تصف، وقد صحب رسول الله ﷺ، وشهدَ بدرًا، فاعهد إليه عهدًا، وشاورنا فيما أردت أن تحدث إليه، وأنَّه لم يخالف أمرك.

ثم خرج، فدخل عليه عثمان بن عفان فقال له: يا أبا عبدالله، أشر عليَّ، أسر أم أقم؟

فقال عثمان: يا أمير المؤمنين، ابعث الجيش، فإنّي لا آمن عليك آت[٢] أن ترجع العرب عَنْ الإسلام؛ ولكن ابعث الجيوش وأدرك بعضها بعضًا، وابعث رجلًا له نجدة في الحرب، وبصر بها[٣].

قال عمر: ومن هو؟

قال: عليّ بن أبي طالب.

قال: فالقه وكلمه، وذاكره ذلك فهل تراه ينزع إليه أم لا؟

وخرج عثمان، فلقى عليًا، فذاكره ذلك، فأبى عَليّ ذلك وكرهه.

وعاد عثمان إلى عمر، فأخبره، فقال له: فمن ترى؟

(١) الحلة بالفتح وبالكسر هيئة الحلول أو جماعة بيوت النّاس، والمشيخة الشيوخ.

(٢) كذا في الأصل: والمعنى مَا يأتي، ويصير إليه أمر المسلمين.

(٣) أي دراية وتبصر.

قال: سعيد بن زيد بن نفيل.

فقال عمر: ليس بصاحب ذلك.

فقال عثمان: فطلحة بن عبيدالله.

فقال عمر: أين أنت عَنْ رجل شجاع، ضروب بالسيف، رامٍ بالنبل؟ ولكني أخشى ألا يكون معه تدبير.

قال: من هو؟

قال: سعد بن أبي وقاص.

قال عثمان: هو صاحب ذلك؛ ولكنّه رجلٌ غائبٌ، وَمَا يمنعني عَنْ ذكره إلا أنّه كما(١) قلت رجلٌ غائبٌ في عمل.

فقال عمر: أرى أن لو أوجهه، وأكتبُ إليه أن يسير من وجهه ذلك.

قال عثمان: ومره، فليشاور قومًا من أهلِ التجربة والبصر بالحرب، ولا يقطع الأمور حَتَّى يشاورك.

ففعل عمر ذلك، وكتب إلى سعد في التوجه إلى العِراق(٢).

وقد كان جرير بن عبدالله البجلي قدم عَلَىٰ عمر، فاجتمعت إليه بجيلة(٣)، فسرحه نحو العِراق، وجعل لهم ربع مَا غلبوا عليه من السَّواد(٤)، وساهمهم مع المسلمين.

وخرج عمر فَشَيَّعَهُم.

ولحق جرير بناحية الأبلة، ثم سار إلى ناحية المراد.

وبلغ قدوم جرير إلى مرزبان السّواد، وكان في عشرة آلاف من الأساورة، وذلك بعد يوم الجسر ومقتل أبي عبيدة وسليط.

---

(١) زيادة من المحقق.

(٢) يروى بعض المؤرخين العرب أن عمر بن الخطّاب استحضر سعد بن أبي وقاص، وولاه حربَ العراق، وسلم الجيش إليه، فسار سعد بالنّاس، وسار عمر معهم عدة فراسخ، ثم وعظهم وحثهم عَلَىٰ الجهاد وودعهم، وانصرف إلى المدينة، وتوجه سعد، فجعل يتنقل في البرية التي بين الحجاز والكوفة.

(٣) حيٌّ باليمن من معد، منهم جرير.

(٤) أي من الأرض الزراعية.

فقالت بجيلة لجرير: اعبر الدجلة إلى المراد.

فقال جرير: ليس ذلك بالرأي، وقد مضى لكم في ذلك عبرة من قتل إخوانكم يوم الجسر؛ ولكن أمهلوا القوم، فإن جمعهم كثير، حَتَّى يعبروا السكّة، فإن فعلوا فهوَ الظّفر، إن شاء الله تعالى.

فأقامت الفُرس أيّامًا في المراد، ثم أخذوا في العبور، فلمَّا عبر منهم النصف أو نحوه حمل عليهم جرير فيمن شرع معه من بجيلة، فثبتوا ساعة، فقتل المرزبان، وأخذهم السيف، وغرق أكثرهم في دجلة[١]، وغنم المسلمون في عسكرهم.

وسار جرير، فاجتمع مع المثنى بالحيليلة، فأقبل إليها مهران، في جيوش من فارس فامتنع المسلمون من العبور إليهم، فعبر مهران، وبغى عَلَىْ المسلمين فالتقوا، وصبر الفريقان جميعًا.

ثم انهزم مهران، فقتله جرير بن عبدالله، وطعنه الطى[٢] وفاز جرير بمنطقته وسيفه.

وقد تنازع جرير وحسّان في أيهما القاتل.

وقد تنازع أهل الأخبار والسِّيَر في جرير والمثنى، فمنهم من ذهب، أن جريرًا[٣] كان المولّى عَلَىْ الجيش، ومنهم من رأي أن جريرًا كان عَلَىْ قومه، والمثنى عَلَىْ قومه.

ولَمّا قتل مهران عظّمت الفرس ذلك، وسار شيرزاد في جمع فارس العظيم، وكبشه أبرواز، وقد كان جمهور الأساورة[٤]. وتقدم أمامهم رستم.

فتنحّى المسلمون لَمّا بلغهم سيره.

ولحق جرير بكاظمة[٥] ونزلها، وسار المثنى في قومه من بكر بن وائل، فنزل سيراف، وهي آبار كثيرة من الكوفة عَلَىْ ثلاثة أميال من المنزل المعروف بواقصة[٦]، وقد أُصيب بجراحاتٍ كثيرةٍ في يده من أوّل الجسر، فمات بسيراف.

(١) نهر بأرض العراق

(٢) البطن.

(٣) في الأصل: جرير.

(٤) هم قوم من العجم نزلوا بالبصرة كالأحامرة بالكوفة.

(٥) موضع.

(٦) موضع بطريق الكوفة دون ذي مرخ.

ولـمَّـا بلـغ كتاب عمر - رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ - عَلَىٰ سعد بن أبـي وقاص، فنزل زيالة بحسب مَا أمره عمر، ثم أتى سيراف، وأتى النّاس من الشّام وغيرها.

ثم سار فنزل العذنية، وهي عَلَىٰ فمِّ البرّ من طرفِ السّواد مما يلي القادسية[١].

والتقـى الجيشان، جيش المسلمين، وجيش الفُرسـ، وعلى جيش الفُرس رستم، والمسلمـون يومئِـذٍ في ثمانيـة وثلاثين ألفًـا، وقيل: إن مـن أسهم له ثلاثـون ألفًا، والمشركون في ستين ألفًا، أمام خيولهم الفيلة عليها[٢] الرّجال.

وخرج إليهم أقرانهم من صناديد[٣] فارس، فاعتوروا[٤] الطّعن والضّرب.

وخـرج غالب بـن عبدالله الأسدي فيمن خـرج ذلك اليوم، فخـرج إليه هرمز، وكان من ملوك الباب والأبواب، وكان متوّجًا.

فأسره غالب، فأتى به سعدًا، وكرَّ راجعًا إلى المطاردة، وحمي الوطيس[٥].

وخرج عاصم بن عمر، فنزل إليه عظيم من رؤسائهم، فجالا، ثُمَّ إن الفارسي ولّى، فاتبعـه عاصم، فلحقه حَتَّى لجأَ إلى صفوفهم، فأبرزوه، وغاص فيهم حَتَّى أَيِّسَ النّاس منه، ثم خـرج في حساب القلب، وَقُدامه بغلٌ عليه مقطّعات ديباج وقلنسوة مذهبة، وإذا هو خبّازُ الملك، وفي الصّناديق لطف[٦] الملك من الأخبصة[٧] والعسل المعقود.

فلمّـا نظـر فيه سعد قـال: انطلقوا به إلى أهـل موقفه، وقولوا لهـم: إن الأمير قد قفّاكم[٨] هذا، فكلوه.

وفي رواية أُخرى: أن وقعة القادسية كانت في المحرم سنة أربع عشرة[٩].

---

(١) بلد مشهور قرب حمص بالجمهورية السورية.

(٢) في الأصل: على.

(٣) جماعة العسكر.

(٤) أي تداولوه بينهم.

(٥) حمي الوطيس: أي اشتدت الحرب.

(٦) أي وسط الجنود.

(٧) المعمول من التمر والعسل.

(٨) أي آثركم.

(٩) الموافقة لسنة ٦٣٥م

ومـع كُلِّ فيل عشرة قبلـه، ومع كُلِّ فيل، عشرون رَجُـلًا، وعلى الفيلة تحافيف الحديد والقرون محللة بالديباج، وتحمله الفيلة، والرجال[١] والخيول.

فبعث سعد إلى بني أسد لَمَّا نظر إلى الموكب والخيول قادمات عَلَىٰ بجيلة، فأمرهم أن يمنعوهم.

ومالت نحو عشرين من الفيلة نحو القلب[٢].

فخـرج طلحة بن خويلـد الأسدي مع فرسان من بني أسـد، فباشروا قتال الفيلة حَتَّى أوقفوها، واشتدَّ القتال عَلَىٰ بني أسد في هذا اليوم، فقتل منهم خمسمائة رجل دون من قتل في هذا من سائر النّاس، وهذا اليوم يعرف بيوم أغواث.

فلمَّـا أصبح النّاس في اليوم الثاني أشرف عَلَىٰ النّاس خيول المسلمـين من الشّام، والأمراء سائرة وقد عظمت راياتها، عليها هاشم بن عتبة المرقال في خمسة آلاف فارس من ربيعة ومضر، وألف من اليمن، ومعه القعقاع بن عَمْرو، وذلك بعد فتح دمشق.

وقـد كان عمر كتب إلى أبي عبيدة بن الجـرّاح بصرف أصحاب خالد بن الوليد إلى العراق، ولم يذكر في كتابه خالدًا فسمح أبو عبيدة تخلية خالد بن الوليد ابن خالة عمر.

فتقدّم القعقاع ونادى بأعلى صوته في أول المرد، فأيقن أهل القادسية بالظّفر عَلَىٰ فارس، وزال عنهم مَا لحقهم بالأمس من الفشل والجراح.

وبرز القعقاع حين ورد أمام الصّف، ونادى بأعلى صوته، هل من مبارز؟

فبرز إليه عظيمٌ مِنْهُم.

فقال له القعقاع: من أنت؟

فقال: اسمي حادويه، وهو المعروف بذي الحاجب.

فنـادى القعقاع بالبراز، إذ أبو عبيدة وسليط يـوم الجسر، وقد كان ذو الحاجب القاتل لهم عَلَىٰ مَا ذكرنا.

فجالا، فقتله القعقاع.

---

(١) واو العطف زيادة من المحقق.

(٢) أي وسط الجيش والجنود

ويقال: إن القعقاع قتل في ذلك اليوم ثلاثين رجلًا في ثلاثين حملة، فقتل في كُلِّ حملة رَجُلًا.

فكان أشرف من قتل من عظمائِهم رجل يقال له: بزرجمهر.

واعتلَّ سعد، فتحصن في حصن العذيب، وقعد في أعلاه، وهو يشرف عَلَىٰ النّاس.

وتواقف الفريقان.

فلمَّا سمع ذلك سعد قال لمن كان عنده في أعلى القصر: إن تمادى النّاس فلا توقظوني فإنّي أقوى عَلَىٰ عددهم، وإن سكتوا فأيقظوني، فإن ذلك شرٌّ.

وكان أبو محجن الثقفي محبوسًا في أسفل القصر، فسمع انتماء النّاس إلى أناسهم وعشائرهم، ووقع الحديد، وشدة البأس، فتأسّف عَلَىٰ مَا يفوته من تلك المواقف، فجثا(١) حَتَّى صعد إلى سعد، يستعفيه ويستقيله، ويسأله أن يُخلّي عنه؛ ليخرج(٢).

فزجره سعد، وردّه.

فانزجر باكيًا، فنظر إلى سلمى بنت حفصة، زوج المثنى بن حارثة الثاني، وقد كان سعد خلّف(٣) عليها بعده.

فقال: يا ابنة حفصة، هل لكِ في خير؟

قالت: وَمَا ذاك؟

قال: تحدين عنّي، وتعيرينني البلقاء(٤)، ولله عَلي إن سلمني الله، أن أرجع إليكِ حَتَّى أضع رجلي في قيدي.

فقالت: مَا أنا وذاك.

فرجع يرسف(٥) في قيده.

(١) جثا: مثل دعا جثوا بالضم جلس عَلَىٰ ركبتيه أو قام عَلَىٰ أطراف أصابعه، والمراد زحف.

(٢) بعده في الأصل: فجثى حَتَّى صعد إلى سعد يستعفيه ويستقبله ويسأله أن يخلى عنه ليخرج، وهو مكرر، وفد أسقط لتكراره دون حاجة.

(٣) أي تزوجها من بعده.

(٤) في الأصل: البقاء، والبلقاء فرس يجمع لونها بين السواد والبياض.

(٥) يمشي وهو مقيد.

فقالت سلمى: إنّي استخرت الله، ورضيت بعهدك.

فأطلقته، وقالت: شأنك وَمَا أردت.

وبلغ سعد[١]، وأخرجها من باب القصر مما يلي الخندق، فركبها، ثم دبَّ عليها حَتَّى إذا كان حيال الميمنة من المسلمين كَبّر، ثم حمل ميسرة القوم، وجعل يلعب برمحه وسلاحه بين الصّفين، فأوقف ميسرتهم، وقتل رجالًا كثيرًا، وانكسر آخرون، والفريقان يرمقونه[٢] بأبصارهم.

وقد تنوزع في البلقاء، فمنهم من رأي أنّهُ ركبها عرية، ومنهم من رأي أنّهُ ركبها لسرج.

ثم غاص في المسلمين، فخرج في ميسرتهم، وحمل عَلَىْ ميمنة القوم، فأوقفهم، وجعل يلعب برمحه وسلاحه، لا يبرز إليه فارس إلا هتكه، فأوقفهم، وهابته الرجال.

ثم رجع وغاص في قلب المسلمين، ثم برز أمامهم بإزاءِ قلب المشركين، ففعل مثل أفعاله في الميمنة والميسرة[٣]، وأوقف القلبَ حَتَّى لم يبرز إليه منهم فارس إلا اختطفه، وحمل عَلَىْ المسلمين.

فتعجّب النّاس منه، وقالوا: من هذا الفارس الَّذِي نَراه في قومنا.

قال بعضهم: هو بعض من قدم علينا من إخوتنا بالشّام من أصحاب المرقال.

وقال بعضهم: إن كان الخضر[٤] يشهد الحرب فهذا هو الخضر، قد منَّ اللهُ بهِ علينا، فهو عَلَمُ نصرنا عَلَىْ عَدوّنا، وبهِ قال قائل منهم: لو أن الملائكة لا تباشر الحرب قلنا هو ملك.

وأبو محجن يرى كأنّه الليث الضرغام، قد هتك الرجال كالعقاب[٥] يجول عليهم.

ومن حضر من فرسان المسلمين مثل: عَمْرو بن معدي كرب، وطلحة بن خويلد، والقعقاع بن عَمْرو، والمرقال، وسائر فتّاك العرب وأبطالها ينظرون، وقد حاروا في أمره.

---

(١) كذا في الأصل: ولعل الجملة منفية بحرف ما، وقد سقط، حيث يكون معنى الكلام مستقيمًا.

(٢) رمقه: أي لحظه لحظًا خفيفًا.

(٣) في الأصل: المسيرة.

(٤) الخضر هو صاحب أهل الكهف المذكور في القرآن.

(٥) العُقاب: بالضم طائر ضخم وقوي.

وجعل سعد يُفكّر ويقول، وهو مشرف عَلَىٰ الباب من فوق القصر: لولا محبس أبي محجن لقلتُ هذا أبو حجن، وهذه البلقاء.

فلمَّا انتصف النّهار، وتحاجز النّاس، وتراجعت الفُرس عَلَىٰ أعقابها، وتراجع المسلمون عَلَىٰ مواضعهم عَلَىٰ تعبئتهم ومصافهم أقبلَ أبو محجن حَتَّى دخل القصر من حيث خرج ولا يعلم به، فردَّ البلقاء[١] إلى مرابطها، وعاد إلى محبسه، ووضع رجله في القيود.

فقيل له: يا أبا محجن، في أي شيء حبسك هذا الرّجل؟ يعني سعدًا.

فقال: والله مَا حبسني في حرام أكلته ولا شربته؛ ولكني كنت صاحب خمرٍ في الجاهلية، وأنا امروٌ شاعرٌ، يدبُّ الشعر عَلَىٰ لساني، وأصف القهوة، وتداخلني أريحية[٢] فألتذ بمدحي إيّاها؛ لذلك حبسني إذ قلت شعرًا:

إِذَا مِتُّ فَادْفِنِّي إِلَىٰ أَصْلِ كَرْمَةٍ تُرَوِّي عِظَامِي بَعْدَ مَوْتِي عُرُوقُهَا[٣]
وَلا تَدْفِنَنِّي فِي الفَلاَةِ فَإِنَّنِي أَخَافُ إِذَا مَا مِتُّ أَن لاَّ أَذُوقَهَا[٤]

وهي من أبيات.

وقد كان بين سلمى وسعد كلام أوجب غضبه عليها لِذكرِهَا عند مختلف القنا، فكانت مغاضبةً له عشية أغواث، وليلة الهرير، وليلة السوداء، حَتَّى إذا أصبحت أتته فترضته، وصالحته، ثم أخبرته أمرها مع أبي محجن.

فدعا به، فأطلقه. وقال له: اذهب، فَمَا أنا مؤاخذك لشيءٍ تفعله.

قال: لا جرم[٥]، والله، لا أجبت لساني إلى صفة قبيح أبدًا.

وأصبح النّاس في اليوم الثاني، وَهُمْ عَلَىٰ مواقفهم، وهو يوم عمواس.

---

(١) في الأصل: ولا يعلم به من رد البلقاء.

(٢) أي ميل ورغبة.

(٣) الكرمة: شجرة العنب

(٤) الفلاة: الصحراء.

(٥) لا جرم: أي لابد أو حقًا، أو لا محالة، وهذا هو أصله، ثم كثر استعماله حَتَّى تحول إلى معنى القسم، ولذلك يجاب عنه باللام، فيقال، لا جرم لآتينك.

وأصبحت بين الفريقين، كالدجلة والفرات في عرض بين الصفين.

وقد قتل من المسلمين ألفان وخمسمائة رجل، وقتل من الأعاجم من[١] لا يحصى عددهم غير الله.

فقال سعد: أيها النّاس! من شاءَ غسل الشهداء.

ويحملون الزيت إلينا فيعالجون المكلوم[٢].

وكان بين موضع الوقعة مما يلي القادسية وبين حصن العذيب.

فإذا حمل الجذع وفيه تميز[٣] ونظر إلى تلك[٤] النخلة، ولم يكن هناك يومئذٍ نخلة، واليوم بها نخلٌ كثيرٌ.

فقال لحامله: قد قربت من السّواد فأريحوني تحت هذه الشجرة وهذه النخلة، فيراح تحتها.

فسمع رجل من الجرحى، يقال له: بحير بن علي، وهو يجود بنفسه، يقول[٥] شعرًا:

أَلاَ يَا سُلَيْمَى نَخْلَةٌ بين فارسٍ ... وبين عُذَيْب لا يجاوِرُك النخلُ

وسمع آخر من تيم الله، وقد أريح تحت نخلة، وقد أشرف به جرحه عَلَىٰ الهلاك، وهو يقول:

أَيَا نَخْلَةَ الْجَرْحَى ويا حَرْجَةَ العِدَى ... سقتْكِ الغَوَادي والغُيُوثُ الهَواطِلُ[٦]

وأصبح النّاس صبيحة ليلة القادسية، وهي صبيحة ليلة الهرير[٧]، وتسمَّى القادسية[٨] من تلك الأيام، والنّاس حيارى لم يغمضوا ليلتهم كلها.

---

(١) لفظ من زيادة من المحقق.
(٢) المجروح.
(٣) كذا في الأصل.
(٤) في الأصل ذلك.
(٥) لفظ يقول إذا اشتد عليه فجعله يصوت.
(٦) الهواطل: أي الممطرة.
(٧) هره البرد: إذا اشتد عليه فجعله يصوت.
(٨) كانت القادسية الباب إلى مملكة الفُرس.

وعرض رؤساء العرب عشائرهم، واشتد الجلاد[١] إلى أن حان وقت الزوال، فكانت أوّل من زال حين قائم الظهيرة، ونما التقطع، وهبت ريح عاصف، فقطّعت طيارة رستم، فهوت في بحر العتيق والريح دبور.

فمال الغبار إليهم، وانتهى القعقاع وأصحابه إلى سرير، فعثروا به، وقد قام رستم عنه حين أطارت الريح الطيارة إلى بغال قدمت عليه بمال يومئذٍ وهي واقعة فلاذ ببغل حذاءه جمل.

فضرب هلال بن علقمة الجمل الَّذِي رسم تحته فقطعه، ووقع عليه أحد العدلين[٢]، وهلال لا يراه ولا يشعر به، فأزال قفا ظهره، وضربه هلال ضربة فنفحت مسكًا، فمضى رستم نحو نهر العقيق، فرمى بنفسه فيه، واقتحم عليه، فتناوله برجله، ثم خرج به إلى الخندق، فضربه بالسيف حَتَّى قتله.

ثم جاء به يجره حَتَّى رماه بين أرجل البغال، وصعد السرير، ونادى، قتلتُ رسمتًا، وربِّ الكعبة.

فولّى[٣] المشركون وانهزموا، فأخذهم السيف، ممن قتل وغرق.

وقد كان منهم ثلاثون نفسًا، قربوا أنفسهم، بعضهم إلى بعض بالسلاسل والحبال وتحالفوا بالنور[٤] وبيوت النيران ألا يبرحوا حَتَّى يفتخروا أو يقتلوا.

فجثوا عَلَىْ الركب، فقتلوا جميعًا.

وقد تُنوزِعَ فيمن قتل رسمتًا، فذهب الأكثر أن قاتله هو هلال بن علقمة، ومنهم من رأي أنه قتله رجل من بني أسد.

فأخذ ضرار بن الخطّاب في ذلك اليوم السرية العظمى، المقدم ذكرها، أنّها من جلود النمور، المعروفة بدرقس، وكانت مرصعة باليواقيت واللؤلؤ، وأنواع الجواهر.

فعوّض عنها بثلاثين ألفًا، وكانت قيمتها ألف ألف ومائتي ألف.

---

(١) أي القتال.

(٢) العِدل: بالكسر نصف الحمل.

(٣) في الأصل: فولت المشركون.

(٤) أي أقسموا بآلهتهم التي يعبدونها، وهي النار.

وقتل في ذلك اليوم حول هذه الرّاية غير مَا ذكرنا من المقرّبين، وغيرهم عشرة آلاف.

وقد تنازع النّاس ممن سلف وخلف في عام القادسية.

فذهب كثيرٌ من النّاس إلى أن ذلك كان في سنة ستّ عشرة، من قول الواقدي في آخرين النّاس.

ومنهم من ذهب إلى أن ذلك كان في سنة خمس عشرة، وهو قول الواقدي، كما ذكرنا.

ومنهم من ذهب إلى ذلك في سنة خمس عشرة.

والذي قطع عليه محمّد بن إسحاق إِنَّمَا كان في سنة خمس عشرة، والله أعلم.

وذهب كثير من النّاس، أن عمر بعث عتبة بن غزوان في سنة أربع عشرة إلى البصرة، فنزلها، ومصّرها.

وذهب كثير من أهل السِّيَر أنها مصّرت في سنة ست عشرة، وأن عتبة بن غزوان إِنَّمَا خرج إليها من المدائن، يرايح سعد بن أبي وقاص من حرب جلولاء، وتكريت، وأَن عتبة قدم البصرة وهي تدعى أرض الهند، وفيها حجارة بيض، فنزل موضع المدينة.

ومصّر[١] سعد بن أبي وقاص الكوفة في سنة خمس عشرة، ودلهم عَلَىْ موضعها ابن نفيلة الغسّاني، وقال لسعد: أدلك عَلَىْ أرضٍ ارتفعت عَلَىْ الأرضِ وانحدرت عَنْ الفلاة[٢]

فدلّه عَلَىْ موضع الكوفة.

قال[٣] المسعودي: وكان عمر لا يترك أحدًا من العجم يدخل المدينة.

وكتب إليه المغيرة، أن عندي غلامًا نجارًا، نقّاشًا حدّادًا، فيه منافع لأهل المدينة، فإن رأيت أن تأذن لي في إرساله إليك فعلت.

فقال أبو لؤلؤة[٤]: والله لأصنعنَّ رحى تتحدّثُ بها النّاس، ومضى.

---

(١) أي جعلها مصرًا وبلدًا.

(٢) الفلاة: هي الأرض لا نبات فيها، أي الصحراء.

(٣) يعود الحديث إلى حادثة مقتل عمر بن الخطاب.

(٤) عود إلى مقتل عمر بن الخطاب.

فقال عمر: أمّا العبد فقد توعدني آنفًا.

فلمَّا أزمع عَلَىٰ الَّذِي أزمع عليه أخذ خنجرًا، فاشتمل عليه، ثم قعد في زاوية من زوايا المسجد في الغلس[(١)].

وكان عمر يخرج إلى المسجد، فيوقظ النّاس إلى الصلاة، فمرَّ بِهِ، فثار له، فطعنه ثلاث طعنات: إحداهنَّ تحت سِرَّته، وهي التي قتلته، وطعن اثنى عشر رجلًا من أهل المسجد، فمات منهم ستة، وبقي منهم ستة، ونحر[(٢)] نفسه بخنجره، فمات.

فدخل عليه ابنه عبدالله بن عمر، وهو يجود بنفسه، فقال له: يا أمير المؤمنين، استخلف عَلَىٰ أُمّة محمّد، فإنه لو جاءك راعي إبلك أو غنمك، وترك غنمه أو إبله لا راعي لها للمتهُ، وقلتَ: كيف توكف أمانتك ضائعة، فكيف يا أمير المؤمنين بأمة محمّد، فاستخلف عليهم.

فقال: لئن استخلفت عليهم فقد استخلف عليهم أبو بكر، وإن تركتهم فقد تركهم رسول الله ﷺ.

فيئس منه ولده عبدالله حين سمع ذلك منه.

وكان إسلام عمر قبل الشجرة بأربع سنين، وكان له من الولد عبدالله، وحفصة - زوج النبي ﷺ- وعبدالله وعاصم وفاطمة وزيد من أمّ، وعبدالرحمن وفاطمة، وعبدالرحمن الأصغر، وهو المحدود[(٣)] في الشراب المعروف بأبي شحمة، من أمّ.

وذكر عبدالله بن عبّاس، أن عمر أرسل إليه فقال:

يا ابن عبّاس، إن عامل حمص هلك، وكان من أهل الخير، وأهل الخير قليل، وقد رجوت أن تكون منهم، وهو في نفسي منك شيء لم أرضك[(٤)]، وإحسان عليك، فما رأيك في العمل؟

فقال: لن أعمل حَتَّى تخبرني بما في نفسك.

فقال: وما تريد في ذلك؟

---

(١) الغلس: ظلمة آخر الليل.

(٢) أي انتحر أبو لؤلؤة بذبح نفسه.

(٣) أي الَّذي أقيم عليه حد شرب الخمر.

(٤) كذا في الأصل.

قلت: أريده، ما لشيء أخاف منه عَلَيْ نفسي خشيت عليها الَّذِي خشيت، وإن كنت بريئًا من مثله علمت أن ليس لي من أهله، فإني قلَّ مَا رأيتك ظننت شيئًا إلا عاجلته.

قال: يا ابن عبّاس، إني خشيت أن يأتي عليَّ الَّذِي هو آت، وأنت في عملك، فتقول: هَلُمَّ إلينا، ولا هَلُمَّ إليهم دون غيركم، إني رأيت رسول الله ﷺ استعمل النّاس تتركم.

قال: قد رأيت؟

قال: قد رأيت والله من ذلك مَا رأيت، أن يبايعوا لمنزلتكم منه، فيقع العتاب، ولابُدَّ من عتاب، وقد عرفتُ لك فما رأيك.

قال: قلت: الرأي لا أعمل لك.

قال: ولم؟

قلت: إن عملت لك وفي نفسي مَا فيها لم أبرح قَذَى[1] في عينك.

قال: فأشر عليَّ.

قلتُ: أرى أن تستعمل صحيحًا منك صحيحان[2].

وذكر علقمة بن عبدالله المدني عَنْ معقل بن سَيّار، أن عمر بن الخطّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، شاور الهرمز في فارس وأصبهان[3] وأذربيجان[4] فقال له: فارس الرأس، وأذربيجان الجناحان، فابدأ بالرأس.

فدخل المسجد، فإذا هو بالنّعمان بن مقرن يُصلّي، فقعد إلى جنبه، فلمّا قضى صلاته قال: مَا أرى إلا أن أستعملك جابيًا أو غازيًا.

قالَ: أما جابيًا فلا؛ ولكن غازيًا.

قال: فإنَّك غازٍ.

---

(١) القذى: هو مَا يقع في العين.

(٢) كذا في الأصل.

(٣) اسمها القديم اسبدانا، وتقع في وسط إيران بين طهران وشيراز، وقد فتحها المسلمون حوالي عام ٦٤٠م.

(٤) ولاية مشهورة من ولايات الدولة الفارسية

فوجهه، وكتب إلى أهل الكوفة يمدّونه، وبعث معه[١] الزُّبير بن العوام، وعَمْرو بن معدي كرب، وحذيفة وابن عمر، والأشعث بن قيس.

فأرسل النّعمان المغيرة بن شعبة إلى ملكهم، وهو يقال له ذو الجناحين.

فقيل لذي الجناحين: إن رسول العرب ها هنا.

فشاور أصحابه، وقال: ما ترون أأقعد له في بهجة الملك، أو أقعد له في بهجة الحرب؟

قالوا: بل اقعد له في بهجة الملك.

فقعد عَلَىٰ سريره، ووضع التّاج عَلَىٰ رأسه، وأقعد أولاد الملوك شماله، عليهم الأقراط[٢]، وأساور[٣] الذهب والديباج[٤]. وأذن للمغيرة، فأخذ بضبعه رجلان، ومعه رمحه وسيفه.

قال: فحمل المغيرة، وجعل يطعن برمحه في بسطهم، ويخرقها؛ ليغيظهم بذلك، فقام بين يديه، وجعل الترجمان يترجم بينهما، فقال: إنّكم معشر أصابكم جهل، فإن شئتم مررناكم ورجعتم.

فَتكلّم المغيرة، وأثنى عليه، ثم قال: إنا معشر العرب: كنّا أذلةً يطوئنا[٥] النّاس ولا نطوؤهم، ونأكل الكلاب والجيف، ثم إن الله بعث فينا نبيًّا في شرفٍ مِنّا، أوسطنا حسبًا، وأصدقنا حديثًا، وبعث النبيّ ﷺ بعثه، وأخبرنا بأشياء، وجدناها كما قال، وأنّه وعدنا فيما وعدنا بأمر، أنّا سنملك مِمَّا هَا هُنَا، ونغلب عليه، وإنّي أراها برّة، وهي مَا من خلفي بتاركِها حَتَّى يصيبوها أو يموتوا.

قال: فقالت لي نفسي: لو جمعت جراميزك[٦]، ووثبت، فقعدت مع العلج[٧] عَلَىٰ سريره حَتَّى ينظر، فوثبتُ وثبةً، فإذا أنا معه عَلَىٰ سريره.

---

(١) في الأصل: مع.

(٢) الأقراط: جمع قرط بالضم وهو مَا يعلق في شحمة الأذن.

(٣) في الأصل أسرة، والصواب أساور جمع سوار بالضم، وهو الذهب الَّذِي يتحلى به البلد.

(٤) ملابس تنسج من خيوط الحرير.

(٥) وطئة: بالكسر يطوه داسه، وفي الأصل يطوئنا النّاس ولا نطائهم.

(٦) الجرامز: قوائم الحيوان الوحشى وجسده وبدن الإنسان.

(٧) العلج: هو الرجل من كفار العجم.

فجلعوا يلكزونني بأرجلهم، وينخسونني بأيديهم.

فقلتُ لهم: إليكم.

فقطعنا إليهم.

قال: فَتَسَلَّلُوا كُلّ خمسة، وستة، وسبعة حَتَّى لا يغزوا.

فعبرنا إليهم، فصادفناهم، واستووا فينا.

فقال المغيرة للنعُمَان: إنّهُ قد أسرع، وقد خرجوا، فلو حملت.

فقال النّعمان: إنّكَ لذو مناقب، وقد شهدت مع رسول الله ﷺ، فكان إذا لم يقاتل أوّل النهار انتظر حَتَّى تزول الشمس وَتَهُبَّ الرّياح وينزل النّصر.

ثم قال: إنّي هازٌّ لِوائي، ثلاث مرّات، أمّا أوّلُ مَرّة: فليقض الرّجُلُ حاجته، وَأَمّا الثانية: فلينظر الرّجل سيفه وسلاحه، فإذا هَزَزتُ الثلاثة: فأحملوا، ولا يلوين أحدٌ على أحدٍ.

وإن قتل النّعمان فإنّي رائحٌ إلى اللهِ بدعوة فَأقسمْتُ عَلَىٰ كُلِّ امرئٍ منكم لَمَّا أمرهُ عليها.

ثم قال: اللّهم ارزق النّعمان اليوم شهادةً في نصرٍ وفتح عَلَىٰ المسلمين.

فهزَّ ثلاث مرات، ثم ثنى درعه، وحمل عَلَىٰ النّاس، فكان أوّل صريع.

قال معقل: فأثنيتُ عليه، وذكرتُ عزمه، لا أقف عليه، وأعلمت من أعلمت لأنحرف مكانه، وأمعنّا[١] القتل فيهم، ووقع ذو الجناحين عَلَىٰ بغلةٍ شهباء[٢]، فانفتق بطنه، وفتح اللهُ عَلَىٰ المسلمين.

فأتيتُ إلى مكان النّعمان، فصادفته، وبه رمق[٣] فأثبته بأدواه، فغسلتُ وجهه، فقال: من هذا؟

قلتُ: معقل بن سيّار.

فقال: مَا فعل المسلمون؟

فقلتُ: فتح اللهُ لهم.

(١) أمعن في الأمر أبعد.

(٢) الشهب: محركة بياض يتخلله سواد.

(٣) الرمق: محركة بقية الحياة.

قال: الحَمْدُ للهِ كثيرًا، اكتبوا بذلك إلى عمر. وفاضت روحه.

واجتمع النّاسُ إلى الأشعث بن قيس وأرسلوا إلى أُمِّ ولده، هل عهد إليك النّعمان أم عندك كتاب؟

قالت: بل سقط منه كتاب، وأخرجوه، فإذا فيه، إن قتل النّعمان ففلان، وإن قتل فلان فعلان، فامتثلوه، وفتح الله للمسلمين.

قالَ المسعودي، وهذه وقعة نهاوند[١]، وقد كان للأعاجم فيهَا جمعٌ كثيرٌ، وقتل من المسلمين خلقٌ كثيرٌ، منهم النّعمان، وعَمْرو بن معدي كرب، وغيرهم.

وقبورهم معروفة عَلَىْ فرسخ من نهاوند، فيمَا بينها وبين الدينور[٢].

وذكر مخنف بن لوط بن عيسى قالَ: لمَّا قدم عَمْرو بن معدي كرب من الكوفة عَلَىْ عمر بن الخطّاب رحمه الله، فسأله عَنْ سعد بن أبي وقاص، فقال فيه مَا قال من الثناءِ الحسن.

ثم سأله عَنْ قومه، فقال له: أخبرني عَنْ قولك مذحج[٣].

قال: سلني عَنْ أيهم شئت.

قال: أخبرني عَنْ عليّ بن مجلد.

قال: هُمْ فرسان أعراضنا، وشفاة أمراضنا، وهم أعتقنا وأنجبنا، وأسرعنا طلبًا، وأقتلنا ضربًا، وهُمْ أهل السّلاح والرّماح.

قال عمر: فما أتيت المراد.

قال: هُمْ أوسعنا دارًا، وخيرنا قرارًا، وأبعدنا آثارًا، وهُمْ الأتقياءُ البَرَرة، السّارعون الفخرة.

قال: أخبرني عَنْ بني زبيد.

---

(١) مثلثة النون، وهي بلد من بلاد الجبل جنوبي همذان، ويقول الفيروز أبادي صاحب القاموس المحيط، إن أصل الكلمة نوح آوند؛ لأنه هو الّذي بناها، والمسعودي واحد من مشاهير مؤرخي العرب.

(٢) مدينة من مدن الجبال (ميديا) في العصور الوسطى، وهي الآن أطلال، وقد فتحها العرب سنة ٦٤٢م بعد معركة نهاوند، ومنها أبو حنيفة أحمد الدينوري المؤرخ العربي، مؤلف كتاب الأخبار الطوال، وكتاب النبات.

(٣) مذحج أكمة، ولدت مالكا وطيئا أمهما عندها فسموها مذحج.

قال: إنّا عليهم راضون، فلو سألت عنهم النّاس لقالوا، هم الرأس، والنّاسُ الأذناب.

قال: فأخبرني عَنْ طيء.

قال: خُصُّوا بالجُود، وهُمْ بعد جمرة العرب.

قال: فمَا تقولون في بني عبس؟

قال: حجمٌ عظيم، وذنبٌ أبتر(١).

قال: أخبرني عَنْ حمير.

قال: رعوا العفو وشربُوا الصّفو.

قال: فأخبرني عَنْ همذان.

قال: أبناءُ الليل، وأهل النّيل، يمنعُون الجار، ويواصلون الذّمار، ويطلبون الثّأر.

قال: أخبرني عَنْ كندة.

قال: سَاسُوا العباد، وتمكّنوا في البلاد.

قال: فأخبرني عَنْ الحارث بن كعب.

قال: هم العسكر المعسكر، تلقّوا المنايا عَلَىْ أطرافِ رِمَاحهم.

قال: أخبرني عَنْ لخم.

قال: أعزّنا ملكًا، وأوّلنا هلكًا.

قال: أخبرني عَنْ جذام.

قال: أولئك كالعجوز.

قال: أخبرني عَنْ الأوسِ والخزرجِ.

قال: هُمُ الأنصار، وَهُمْ أعزُّنا دارًا، وقد كفانا الله مدحهم، إذ يقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾(٢)

---

(١) أي ذيل مقطوع.

(٢) الآية رقم ٩ من سورة الحشر.

قال: فأخبرني عَنْ خِزَاعَة:

قال: أولئِك مع كنانة سلبهم، ولهم نصرتهم.

قال: فأيُّ العرب أبغض إليك أن تلقاهم؟

قال: أمَّا من قومي فوادعة من همدان، وغطيف من نزار، والحارث من مذحج، وأَمَّا من معد فعدى عَنْ قرادة، ومُرَّة من ذبيان، وكلب من عامر، وشيبان من بكر من وائل، وشقّ من عبدالقين، والأراقم من تغلب بن وائل.

ثم لو قلت بعد بني عليّ حياة معد مَا خففت، بفتح آخر مَا لم يبلغني حُرَّاهَا أو عَبدُاهَا.

قال: ومَنْ حُرَّاها ومَنْ عبداها؟

قال: أمَّا حُرَّاهَا فعامر بن الطفيل، وعتبة بن الحارث بن شهاب التميمي؛ وأمَّا عَبدُاها فغير من سليك المناقب.

فقال له عمر رحمه الله:

أبا ثور، صف لي الحرب.

فضحك، ثم قال: سلّ عنها أخبر منّي - واللهِ - يا أمير المؤمنين، مُرَّةُ المذاق إِذَا شَمَّرتْ عَنْ ساق، من صَبرَ فِيْهَا غَرِق، ومن ضعف فيها تَلِف، وَلقد قالَ واصفها فأجادَ شعرًا:

الحربُ أوّلُ مَا تكونُ فُتيَّةً ... تُسْلَى بَها الفِتْيانُ كُلَّ مَهُولِ
حَتَّى إِذَا جنَّتْ وَشَبَّ ضِرَامُهَا ... عَادَتْ عَجُوزًا لَمْ تَرُقْ لِخَليلِ
شَمْطَاءُ جزَّتْ شَعْرَهَا وَتنكَّرتْ ... مَكرُوهةً لِلَّثمِ وَالتَّقْبيلِ(١)

ثم سَأَلهُ عَنْ السلاح، فأخبره بما عرف فيها حَتَّى إذا بلغ هنالك قال: قارعتك أمُّك الثكلاء(٢) يا عمر، فَعَلاهُ(٣) عمر بالدُّرةِ، وقال له: بل أمُّك قارعتك عَنْ ثكلها،

---

(١) الشمطاء: هي العجوز، والشمط محركة بياض الرأس يخالطه سواد.

(٢) يقال للمؤنث ثكلى وثكلانة، والشكل بالضم ثم السكون الموت والهلاك وفقدان الحبيب أو الولد.

(٣) أي ضرب رأسه.

وهَا أنا[١] ذا لأهم أن أقطع لسانك.

فخرج عنه، وهو يقول شعرًا:

أتـضربُـنـي كَـأَنـك ذُو رُعـيْـن ... بِـأَنْـعَـمِ عِـيشَـةٍ أو ذُو نُـوَاسِ[٢]
وَكَـمْ قَـدْ كَـانَ قبلَك مِـنْ مُلَيْكٍ ... عظـيـمٍ ظـاهِـر الخـيـراتِ راسِـي
فَـأَصْـبحَ أهـلَـهُ بـادُوا وَأَمْـسَـى ... يُـنـقَّـلُ مِـنْ أنـاسٍ إِلَىْ أُنَـاسِ
فـلا يـغـررْكَ مُـلـكٌ كـلّ ملـكٍ ... يصيرُ مُـذَلَّـلًا بَـعْـدَ الشَّمَاسِ[٣]

قال: واعتذر إليه عمر، وقال: ما فعلتُ ذلك؛ إلا لتعلم أن[٤] الإسلام أعزُّ وأفضلُ من الجاهلية.

وقد كان عمر أسنَّ عُمرًا، فأقبل يذاكره ويسأله الحروب وأخبارهَا في الجاهلية.

قال: والله يا أمير المؤمنين، مَا كنت لأنتحلُ الكَذبَ في الجاهلية، فكيف انتحله في الإسلام، لأحدثك بحديثٍ مَا حدّثتُ به أحدًا قبلك.

خرجتُ في جريدة خيل لبني زبيد أريد بني كنانة، فأتينا قومًا سراة[٥].

قال عمر: كيف علمتهم، أنّهم سراةً؟

قال: قد رأينا مذاود[٦] خيل، وقدورًا مكافات[٧]، وقباب أديم[٨]، حُمرًا، رائعةً كثيرًا، وشاءً[٩].

قال: وإذا بامرأةٍ فائقة الجَمال عَلَىْ فرسٍ لهَا، فلمَّا نظرت إليها وإلى الخليل

---

(١) في الأصل: وها أنا.

(٢) ذو رعين: هو ملك حمير، ورعين كان حصنًا له أو جبلًا فيه الحصن، وذو نُواس بالضم هو زرعة بن حسان من أذواء اليمن، لذؤابة كانت تنوس عَلَىْ ظهره، والذؤابة شعر أعلى الرأس، وتعنى الشرف والعز.

(٣) الشماس: الامتناع.

(٤) لفظ أن زيادة من المحقق.

(٥) في الأصل: سرانا، والسراة اسم جمع، وهم ذوو الشرف والمكانة.

(٦) جمع مذود وهو معتلف الدابة.

(٧) جمع قدر وهو الإناء.

(٨) أي قباب من الجلد.

(٩) الغنم.

استعبرت(١)، فقلتُ: مَا يبكيك.

قالت: والله مَا أبكي عَلَىْ نفسي؛ ولكن أبكي عَلَىْ بنات عَمّي، سبين(٢)، وأيستُ منهن.

فظننت، والله، يا أمير أنَّها صادقة.

فقلتُ: وأين هُنَّ؟

قالت: في هذا الوادي.

فقلت لأصحابي: لا تحدثوا شيئًا حَتَّى آتيكم.

ثم غمزتُ فَرسي حَتَّى علوت كثيبًا(٣)، فإذا بغلامٍ أصهب(٤) الشعر، هدب(٥)، يخصف(٦) نعلًا له، وسيفه بين يديه وفرسُهُ أمَامَه.

فلمَّا نظر إليَّ شَدَّ النّعل من يده، ثم قام غير مكترث، وأخذ سلاحه، فأشرف عَلَىْ بيته، فلمَّا رأى الخيل محيطةً بِهِ أقبل نحوي، وهو يقولُ:

أَقُولُ لَمَّا مَنَّحَتْنِي فَاهَا ... وَأَلْبَسَتْنِي بُكْرَةً رِداهَا(٧)

لَلْحربُ لي إن أَجْهرت وَغَاهَا ... أَيُّ شَاهِد اليَوْم الَّذِي رَمَاهَا(٨)

فحملتُ عليهِ فإذا هُوَ أروغُ من هرٍّ(٩)، ثم حمل عليَّ فضربني بسيفه ضربةً جرَحَتني.

فلمَّا أَفَقْتُ من ضربتي جلتُ عليهِ، فراغ، ثم حمل عليّ فصرعني، ثم استاق مَا

(١) سقطت من عينيها العبرات وهي الدموع.
(٢) أي وقعن في السبي.
(٣) الكثيب: هو التل من الرمل.
(٤) الصهب: حمرة الشعر.
(٥) أي طويل شعر الهدب.
(٦) خصف نعله: أي خرزها.
(٧) رداها: أي رداءها، وهو الثوب.
(٨) الوغى: شدة القتال.
(٩) راغ الرجل والثعلب مال وحاد عَنْ الشيء، والمراوغة المصارعة، والهر هو القط.

بأيدينا، فاستويتُ عَلَىٰ فرسي، فلمَّا رآني أقبل، وهو يقول:

أَنَــا عُـبَـيْـدُ اللهِ مَحْـمُـودُ الشَّيَمْ   وَخَـيْـرُ مَـنْ يَمْشي بِسَاقٍ وَقَـدَمْ(١)

قَـوْلِي نَـعَـم لِصَاحِبِي كُـلُّ النَّعَمْ   أفـديـه بـالآلاءِ مِـنْ كُـلِّ النِّـقَـمْ(٢)

فحملت عليه حملة صادقة، وأنا أقولُ شعرًا:

أنا ابنُ ذِي الإِقْلِيـل في الشَّهر الأَمِيم   أنـا ابـنُ ذِي الإِكْلِيـل قَيَّـادِ البَهَـمْ(٣)

مَنْ يلقني يُـودِي كما أَوْدَت إِرِم   أتركه لحمًا وهو في ظهر الوَصَمْ(٤)

فحملت عليه، فراغ عنِّي، ثم حمل عَليَّ فضربني أخرى، ثم صرخ صرخة، فرأيتُ المـوت، والله، يا أمير المؤمنين، ليس دونه شيء، وخفته خوفًا لم أخف أحدًا مثله قطّ إلا عامر بن الطفيل، فقلتُ: ثكلتك أمُّكَ، من أنت؟

قال: بل، أنت من أخبرني، وإلا قتلتك.

قلتُ: أنا عَمْرو بن معدي كرب.

قــال: وأنا ربيعة بن مكرم، اختر في ثـلاث خصال، إن شئت اجتلدنا حَتَّى يعجز الأعجـز منَّـا، وإن شئت اصطرعنـا، وإن شئت السلم، وأنت يـا ابن أخي حدث، ولقومك إليك حاجة.

قلت: اخترتُ السلم.

قال: انزل عَنْ فرسك.

قلتُ: يا ابن أخي، قد جرحتني جراحتين، ولا نزول إليّ.

فوالله مَا كفَّ عني حَتَّى نزلتُ.

فأخذ بعنان خيلي، ثم أخذ يدي بيده، وانصرفنا إلى الحيّ، وأنا أجرر رجلي حَتَّى طلعنا عَلَىٰ الجبل.

---

(١) الشيم: جمع شيمة، وهي الطبيعة والخلق.

(٢) الآلاء: هي العطايا، والنقم: جمع نقمة.

(٣) ذو الإقليل: أي صاحب العون، والشهر الأميم: هو شهر المحرم، والبهم: جمع بهمة وهي أولاد الضأن والمعز والبقر، أما البهيمة فجمعها بهائم، وهي كل ذات أربعة قوائم.

(٤) يودي: أي يموت ويهلك، وأرم: هي قبور قوم عاد، والوصم: هو العار.

فلمَّا رَأوني أقبلوا بخيولهم نحوي، فناديتهم إليكم، إليكم.

وأرادوا ربيعة فقطّ.

فأقبل عليهم كأنَّه ليث حَتَّى سَفّهم(١)

ثم أقبل علي، وقال: يا عَمْرو، كأنَّ أصحابك يريدون غير الَّذِي تريد.

فَصَمَت - والله - القوم، فما نطق واحد فيهم، وأعظموا مَا رأوا منه.

فقلت: يا ربيعة، مَا يريدون إلا خيرًا، وإِنَّمَا سَمّيته ليعرفه القوم.

فقال: مَا تُريدون؟

قالوا: وَمَا نريد، وقد جرحت فارس العرب، وقد أخذت سيفه وفرسه ومضينا معه حَتَّى نزل.

فقامت إليه صاحبته، وهي ضاحكة، تمسح وجهه.

ثم أمر بإبل، فَنُحِرت، وضرب عليها قباب.

فلمَّا أمسينا جاء الرعاة، ومعهم(٢) أفراس لربيعة لم أرَ مثلها قط.

فلمَّا رآني أنظر إليها قال: كيف ترى هذه الخيل؟

قلت: لم أرَ مثلها.

فقال: أمَا إنّه لو كان عندي بعضها مَا لبثتُ في الدنيا إلا قليل.

فضحكتُ، وَمَا ينطق أحد من أصحابي.

فأقمنا عنده يومين، ثم انصرفنا.

قال: وكان عَمْرو بن معدي كرب بعد ذلك اليومين أغار عَلَىْ كنانة في صناديد(٣) قومه، فأخذ غنائمهم، وأخذ امرأة ربيعة بن مكرم.

فبلغ ذلك ربيعة، وكان بعيدًا.

فطلبَ القوم عَلَىْ فرس عربي، ومعه رمح بلا سنان، فلمَّا لحقهم قال: يا عَمْرو، خلِّ الظعينة(٤) وَمَا معك.

---

(١) أي هربوا منه خوفًا من بطشه بهم.

(٢) في الأصل: ومعها.

(٣) أي الشجعان.

(٤) الظعينة: المرأة مَا دامت في الهودج.

فلم يلتفت إليه أحدٌ.

فقال: يا عَمْرو! إمَّا أن تقف لي، وإمَّا أن أقف لك.

فوقـف عَمْرو، وقال: قد أنصف القارة[١] من رماها، قف لي يا ابن أخي، فوقف ربيعة، فحمل عليه عَمْرو، وهو يقول شعرًا:

أنـا أبـو ثَـوْر ووقّـاف الـزَّلَـق … لستُ بِـعَـرّاد ولا فتى خَـرَقْ[٢]

أسـدِّدُ الـقـوم إذا احـمـرَّ الحَـدَق … إذا الرجال عضّهم خوفُ الخَرَقْ[٣]

وجدتَني بالسّيف قطّاع الحلَق … وَقَائِعي في مَنْ عَتَا عَلَىْ نَسَقْ[٤]

وحمل عليه حَتَّى ظنَّ أنَّه خالطه السنان، فمرَّ السنان عَلَىْ ظهر الفرس.

ثم حمل عليه ربيعة وهو يقول شعرًا:

أنـا الـكِـنـانِيّ الـغـلامُ لا قَـدَحْ … كـمْ من عَـدٍ وَخَـزْتُـهُ حين نَـزَحْ[٥]

فقـر ع بالرمح رأسه، ثم قـال: خذها، إليك يا عَمْرو، ولـولا أني أكره قتل مثلك لقتلتك.

فقال عَمْرو: فلا ينصرف أحدنا، قف لي.

فوقف له.

فحمل عليه حَتَّى إذا ظنَّ أنه خالطه السّنان، فإذا هو حزام فرسه.

ومرَّ السّنان عَلَىْ ظهر الفرس.

ثم حمل عليه ربيعة فقرع رأسه بالرمح، وقال: العفو مرتان.

وصاحت به امرأته، السنان، لله درّك.

---

(١) أي القوس.

(٢) وقاف الزلق: أي أقف حيث لا يستطيع النّاس الوقوف، والعَرْد: بفتح العين وسكون الراء الصلب الشديد، والخرق الأخرق: هو الأحمق أو من لا يحسن الصنعة.

(٣) الحدق جمع حدقة بالتحريك وهي سواد العين.

(٤) الحلق: جمع حلقة وهي الدروع، والنسق هو مَا كان عَلَىْ نظام واحد.

(٥) القدح :هو الشتم، والترح: هو البعد.

فأخرج سنانًا من من[١] إزاره كأنّه شعلة نار، فركبهُ عَلَىْ رمحه.

فلمّا نظر إليه عَمْرو وذكر، طعنة بلا سنان.

فقال له: يا ربيعة، خذ الظّعينة.

قال: دعها، وانج.

فقالت بنو زبيد: أنترك غنيمتنا لهذا الغلام.

فقال عَمْرو: يا بني زبيد، والله لقد رأيتُ الموت الأحمر في سنانه، وسمعتُ بصريره في تركيبه.

فقالت بنو زبيد: لا تتحدّث بنا العرب، بأنّا قوم من بني زبيد، فيهم عَمْرو بن معدي كرب، تركوا غنيمتهم لمثل هذا الغلام.

قال عَمْرو: لا طاقة لي ولكم به، وَمَا رأيتُ شجاعًا مثله قطّ، وأنتم مثلي فانصرفوا عنه.

وأخذ ربيعة امرأته، وعاد إلى قومه.

قال المسعودي في مروج الذهب: ولعمر بن الخطّاب - رحمه الله - أخبارٌ كثيرةٌ وأشعارٌ في الجاهلية والإسلام، إلى الشام والعراق مع كثير من ملوك العرب والعجم وسائر بلاد[٢] الإسلام، وسياسات حسان، وَمَا كان في أيامه من الكواين[٣] وفتوح مصر والعراق، وغير ذلك من الأمصار.

وبهذه الكفاية، انتهى قولُهُ.

(١) المن: هو الجراب.

(٢) كلمة بلاد غير مذكورة في الأصل.

(٣) الحادثات الكائنة.

رجعنا إلى القصيدة وشرحها:

قولُهُ:

فَـمَـاتَ مُـشَـيَّـعًـا حَـمْـدًا عَـلَـيْـهِ دُمُـوعُ الشَّهْمِ تَنْسكِبُ انْسِكَابَا

يقـول: فمـات الإمام ناصر بن مرشد - رحمـه الله - مُشيَّعًا حمدًا، أي شيّع بالحمد، وهو المدح، وحصول المعنى الكلّي، أنّه لا أحدٌ من أهل الفضلِ تكلم بذمّه في محياه ومماته.

وعليه لمَّا مات دموع كلِّ شهم تنسكبُ انسكابا عَلَىْ فراقه، اكتئابًا.

ومراده بالشهم كلّ شهم، فلفظة الواحد أراد بهَا الجملة المخصّصة لمن له شهامة، إذ الاعتبار بأهل الاعتبـار لا بأهل غير الاعتبار، فإن موت الأخيار ترح[1] للأخيار، فرح للأشرار.

قولُهُ:

بَـكُـوا أَهْـلُ الـهُـدَى طُـرًّا عَـلَـيْـهِ وَمَـنْ ضَلُّوا أَضَـلُّـوا الاكْـتِرابَـا[2]

هـذا البيت لا يخفى عَلَىْ البصير الخبير، أنّه التفات لمعنـى البيت الأول، وتقرير لبيانه، فإنه يقول في البيت الأول:

فَـمَـاتَ مُـشَـيَّـعًـا حَـمْـدًا عَـلَـيْـهِ دُمُـوعُ الشَّهْمِ تَنْسكِبُ انْسِكَابَا

وفي هـذا البيت لا يخفى على البصير الخبير أنّه التفات لمعنى البيت الأوّل وتقرير لبيانه فإنه يقول: بكى أهل الهدى طُرًّا عليه... إلى تمامه.

أي: لمَّـا مـات هذا الإمام بكى أهل الهدى كُلُّهم عليـه، بقولُه طرًّا، فاقتضى قولُه الكُلّية المخصّصة، كما ذكرنا أوّلًا، أهل التخصّص بالهدى، بقولُه، بكى أهل الهدى طُرًّا عليه، وأخبر عَنْ الذين سرّهم موته فيه، وهُمْ أهل الضّلال، فحصلت له المقابلة[3] بالأضداد في البيت، إذ الهُدى ضدّه الضّلال.

---

(١) الترح: هو الحزن، والأخيار: جمع خير.

(٢) كذا في الأصل بكوا أهل الهدى، والصواب حذف واو الجماعة لولا ضرورة الشعر، وطرًا: أي جميعًا، وفي الأصل: أضلوا الاكتئابا، وفي شرح البيت استعمل ابن رزيق لفظ الاكتراب بدل الاكتئاب مكررًا، مما يدل عَلَىْ أنه يريده.

(٣) ويعنى بها الطباق، وهو نوع من أنواع المحسنات البلاغية.

وقولُـهُ: أضلّوا الاكتراب، أن أهل الضّلال الذيـن سرّهم موت هذا الإمام غيبوا الاكـترابَ، أي لم يحضروه لقلوبهم التي استحـوذ عليها الشيطان الرجيم، وتكاثف عليهـا الرين[١] الرميم، والاكتراب مَصدر كـتربَ[٢]، والواو واو الاستئناف بقولُه، ومَنْ ضلّوا.

والمعنى الكُلّي لهذا البيت، بكى أهل الهدى كلهم عَلَىْ هذا الإمام، المُسقى كأس الحِمـام، ومَنْ ضلّوا عَنْ الهدى أضلّوا الاكـتراب، أي: غيبوه عَنْ قلوبهم، لفرحهم الّذِي لهم حلا بترح أهل الهدى عَلَىْ فقد الإمام، المُحَامي عن الدين والإسلام.

القِصّةُ:

اتفق أهلُ العلم بالسِّيَر والتواريخ من أهل عُمَان، فاختلفوا الفظًا، وائتلفوا معنى عَلَىْ أنّه لمَّا كثر في عُمَان من جورتها الظلم والطغيان، والبغي والعدوان، وبلغت جبابرتها غايـة النهاية في سلـب أموال من ضعفوا من منازعتهـم، ومدافعتهم، فاصطلموا[٣] أموالهـم ظلمًا، وسفكـوا دماءهم إثمًا، وفشت منهـم الفواحش في المخدرات[٤]، ونمـا منهم سلب الأموال المحظورات، اجتمع أكابر الرستاق وعلماؤهم الحذاق[٥]: فتشاوروا في نصب الإمامة لمن يستحقها.

وكان قـدوة أهـل الرستاق[٦] يومئـذٍ عَلَىْ الإطـلاق: الشيخ خميـس بن سعيد الشقصي.

فانتظمـت آراؤهم في نصـب الإمامة لناصر بن مرشد، فمضـوا إليه، وطلبوا منه ذلك، ورغبوه في الأمر بالمعروف والنهي عَنْ المنكر.

فأجابهم بعدما اعتذر عذرًا طويلًا.

---

(١) ففي الأصل: الران، والصواب الرَين بفتح الراء وهو الطبع.

(٢) اكترب وكرب بمعنى: وهو الحزن يأخذ بالنفس.

(٣) اصطلم: بمعنى إستأصل، والمعنى المراد نهبوا وأخذوا أموالهم.

(٤) المخدرات: هُنَّ النساء المستورات، ويعنى بهن الحرائر من النساء، والخِدر: بالكسر ستر يمد في ناحية من البيت.

(٥) مع حاذق.

(٦) إحدى مدن منطقة الحجر الغربي.

فعقدوا له الإمامة في عام أربع وثلاثين بعد الألف[١].

وكان مسكنه يومئذٍ بقصرى من الرستاق، والمالك لحصن الرستاق وقلعتها يومئذٍ مالك بن أبي العرب اليعربي.

فمضى إليه الإمام ناصر المذكور، ومَنْ معه من رجال اليحمد وغيرهم.

فأخرجه من الحصن، واستولى عليه الإمام الأشد، ناصر بن مرشد.

ثـم توجه إلى قرية نخـل، وكان المالك يومئذٍ لنخل عمُّـهُ سلطان بن أبي العرب، فحاصره أيّامًا، ثم أخرجه من الحصن.

وصارت نخل في طاعة الإمام.

فلمّـا رجـع إلى الرستاق أتاه آتٍ من خاصّته، فأخـبره باستنكاف أهل نخل عنه، وأنّهم قد حصروا حصنها.

فمضـى إليهم سـريعًا، وقد اشتملت[٢] عليه برجال المعاول وغيرهم، فأذعن[٣] له أهل نخل، وعفا عنهم عمّا كان منهم من الاستنكاف[٤] عليه.

فلمّـا رجـع إلى الرستاق أتاه الشيـخ سليمان بن أحمد الرواحـي في جماعة من قومه[٥]، ورجال من أصحاب مانع بن سنان العميري يدعونه إلى ملك سمائل.

فسار برجال من اليحمد وغيرهم.

فلمّا وصل إلى سمائل خلص له حصنها، واتفق هو ومانع بمسيره إلى نزوى.

فـترك بعضـ قومه عند مانع بن سنـان العميري المذكور، ومضـى ببقية القوم إلى نزوى، ومعه الشيخ خميس بن سعيد الشقصي.

فلمّـا وصل إلى وادي بني رواحة اشتمل عليه الشيخ سليمان بن أحمد الرواحي، ومَنْ معه من رجال بني رواحة.

---

(١) أي عام ١٦٢٤م.

(٢) أي أحاطوا به وناصروه وتبعوه.

(٣) في الأصل: فأذعنوا له أهل نخل؛ والإذعان: هو الخضوع والأنقياد.

(٤) الاستنكاف: الاستكبار.

(٥) هم بنو رواحة.

فلمّا وصل إلى إزكي فتح حصنها بغير حرب، وصحبه[١] رجال إزكي: يمن، ونزار.

فمضى بالقوم إلى نزوى.

فلمّا وصلها التقاه[٢] أهلها بالطاعة والكرامة، وأدخلوه حجرة العقر، فأقام العدل والإنصاف في نزوى.

ثم اجتمعت آراء رجال من بني سعيد، وهم رؤساء العقر عَلَىْ إخراجه من العقر، والاستنكاف عَنْ طاعته، فأخبر عنهم.

فلمّا تحقق معه ذلك، نفى من اجتمع عَلَىْ إخراجه منهم، ونهى عَنْ قتلهم والبطش بهم.

فتفرقوا في البلدان والتجأ جمهورهم إلى مانع بن سنان.

وقد كان مانع قد عاهد الإمام عَلَىْ اتباع الحقّ والإنصاف، فنقض العهد.

وفرقة منهم التجأت إلى بني هناءة، القابضين لبهلا، وكان رئيسهم يومئذٍ سيف ابن محمّد الهنائي، فأمر الإمام بتأسيس[٣] حصن في عقر نزوى، وكان قديمًا، وقد بناه الإمام الصَّلْت بن مالك، فانهدم.

فلمّا تمّم بنيانهُ أتاه أهل منح، يدعونه إلى إقامة العدل، فمضى إليهم، وخلص له حصنها، وأظهر العدل فيها، ثم رجع إلى نزوى.

فأتاه أهل سمد الشان، وكان المَالِكُ لها يومئذٍ عليّ بن قطن الهلالي، فوجّه الإمام لهَا جيشًا، أميره الشيخ مسعود بن رمضان، فافتتحها، وصار حصنها للإمام.

ثم أتاه أهل إبراء[٤]، وكان المالك لها يومئذٍ محمّد بن جفير بن جبر الجبري، فبعث إليهَا بواعث، فافتتحوها لهُ، ودانت له سائر الشرقية، وجعلان.

وأمّا صور وقريات، وَمَا اعتلق عليهما من القُرى الساحلية فهمَا يومئذٍ بيد برتكيس النَّصارى، وكذلك مسقط ومطرح.

---

(١) في الأصل: وصحبته.

(٢) في الأصل: التقته.

(٣) في الأصل: بتئسيس.

(٤) أكبر مدن المنطقة الشرقية.

ثـم إنَّ الإمـام جهّز جيشًا إلى بهلا، فلمّا وصل جيشه إلى قاع المرخ وحشَّ بكثرة القـوم الذين اجتمعوا ببهلا عند سيف بـن محمّد الهنائي، وكانوا جيشًا عَظيمًا، كثير العدد، من بني هناءة، وحلفائهم، ومن اعتلق[١] عليهم وشايعهم عَلَىْ حرب الإمام، فرجع جيش الإمام إلى نزوى.

ثـم إن الإمام جمع رجالًا كثيرةً من الشـرقية وجعـلان وإزكي ونزوى، فاجتمع معـه جيشٌ خِضْرم[٢]، وجعل الأمير عليه خميس بن رويشد الضنّكي، وأمره بالمسير إلى الظّاهرة.

فلمّـا وصلهـا فتح قرية فـدى[٣]، فبنـى حصنها القـديم، وانضـاف[٤] إليه أهل ضنك[٥]، ورجال الفيالين والوحاشا.

فلمّا رجع خميس بن رويشد بوجود المطلوب إلى الإمام جعل الإمام يطوف عَلَىْ البلـدان التي ملكها حَتَّـى وصل إلى سمد الشان، ثم رجع إلى الرستاق، ومعه رجال عدّة من بني ريام وغيرهم.

فلمّـا مكث بالرستاق دلف محمّد بن جفير الجبري إلى قرية نخل، ومعه من شايعه عَلَىْ حرب الإمام، فحصر حصن نخل.

فلمّا سمع به الإمام مضى إليه، وانضافت إليه رجال اليحمد والمعاول.

فلمّا سمع محمّد بن جفير بقدوم الإمام عليه انهزم وتفرق جمعه أيادي سبأ[٦].

فدخـل الإمام نخل، وفاته محمّد بن جفـير بانهزامه قبل وصوله إليه، ولم يرَ الإمام من أهل نخل إلا الطاعة والإذعان إليه.

فلمّا رجع إلى الرستاق أتاه الشيخ خميس بن رويشد الضنّكي، فأشار عليه بالمسير إلى الظّاهرة.

(١) اعتلق وتعلق بمعنى.

(٢) الخِضْرم: الكثير من كل شيء، وهو بكسر الخاء وسكون الضاد.

(٣) إحدى قرى وادي فدى، وهو أحد أودية محافظة الظاهرة.

(٤) في الأصل: وانضافت.

(٥) واحدة من مدن محافظة الظاهرة، وعندها وادٍ فيه ماء وحوله الزراعات، وبها سمّي أحد أودية الحجر.

(٦) أي تفرقة كبيرة.

فجهز الإمام جيشًا أميره أخوه جاعد بن مرشد، فلمّا وصل جاعد إلى الصخبري من الظّاهرة انضاف إليه رجال من أهل السّر والضحاحكة.

فلمّا أتى إلى الغبِّي، وفيها يومئذٍ جمهور آل هلال، ومعهم من الحضر والبدو خلق كثير، فاستقامت الحرب بينهم عَلَىْ ساق.

فقتل جاعد بن مرشد أخو الإمام، ورجع جيش الإمام بعد مَا قُتِلَ جاعد إلى الرستاق.

ثم إن الإمام جمع جيشًا كثير العدد، ومضى بالجيش بنفسه، ففتح عبري[1] والغبِّي، ورجع إلى نزوى.

وقيل: إن الإمام قد صحبه أخوه جاعد إلى الغبِّي، فواقع بني هلال، وكانت بينهم ملحمة شديدة، فقتل من قوم الإمام أخوه جاعد المذكور، ومن سائر قومه بعض الرجال، وقتل من بني هلال وشيعتهم كثير، فتحصن من بقى من الفئة الباغية في حصن الغبِّي.

فمضى الإمام إلى عبري، فافتتحها، ثم رجع إلى الصخبري فأطلعه كل من عصاه، ثم رجع إلى الغبِّي، فحصر قابضي حصنها، وهُمُ آل هلال كما ذكرنا.

فلمّا يئسوا من الانتصار طلبوا الصّلح منه عَلَىْ خروجهم من الحصن، وَمَا بأيديهم من السلاح، فأنعم لهم بذلك.

فلمّا خرجوا من الحصن جعل واليًا فيه من قبله الشيخ خميس بن رويشد.

وهذا الخبر أصحّ من الأوّل عَلَىْ مَا سمعته من غير واحد من المشايخ المُسنّة من أهل عُمَان، والله أعلم.

ثم إن الإمام مضى إلى بات[2]، ففتحها، وولّى عليها الشيخ محمّد بن أحمد الرستاقي، وجعل معه محمّد بن سيف الحوقاني.

وأمر الإمام الوالي محمّد بن أحمد أن يشاور الشيخ محمّد بن سيف في أمور الحرب وسياساتها، ورجع هو إلى نزوى.

---

(١) عبري: إحدى مدن محافظة الظاهرة.

(٢) قرية من قرى محافظة الظاهرة، وفيها آثار قديمة.

ثـم إن آل هلال أكثروا المغازي عَلَىٰ القرى التـي صارت في حكم الإمام، وكان مقامهم يومئذٍ بناحية الأفلاج من ضنك.

فسار إليهم خميس بن رويشد ومحمد بن سيف فالتقوا بالمدير، فانفض حزب آل هلال، وأخذ الواليان إبل قطن بن قطن؛ لينتصرا بها عليهم.

وحاصرا حصن قطن بن قطن، وهو حصن شاهق، بناه في الأفلاج.

فركـب قطن بـن قطن إلى الإمام ناصـر ناقته، ففدى إبله بتسليـم حصنه، فأجابه الإمام عَلَىٰ ذلك، وسلم الحصن فأقام الإمام فيه واليًا من طرفه.

ثم توجه خميس بن رويشد ومحمّد بن سيف إلى حصن مقنيات[1] بمن معهما من القوم، وكان به وزير من قبل الجبور[2].

فلمّا حصـروه جيشت الجيوش من بني هلال، البـدو والحضر، واشتملت عليهم أولاد الريس، فتصدوا مقنيات، فأخبروا بكثرة قوم الإمام المحاصري حصنها، فمالوا إلى بات.

فخـاف الواليان المذكوران عليهما، فتركوا الحصار، وقصدوا باتًا، ولم يشعر بهم الجبور وأحزابهم إلا هما ومن معهما قد هجموا عليهم.

فوقـع القتال بينهم من صلاة الفجر إلى نصف النهار، ثم انكشف جيش الجبور، وكثر القتل في أحزابهم.

فعن غير واحدٍ: أنّهم عجزوا عَنْ دفن قتلاهم، فكانوا يلقون السبعة والثمانية من قتلاهم في حفرةٍ واحدةٍ، وثبت الله المسلمين الاستقاميين.

فلمّـا بلغ الإمام ذلك جهّز جيشًا، ومضى به إلى بهلا، فكان دخوله فيها ليلة عيد الحـجّ، فحاصرها شهرين إلا ثلاثة أيّام، ثم أقبل جمـع للجبور نجدة لسيف بن محمّد الهنائي.

فالتقاهم الإمام بمن معه من القوم، فاقتتلوا قتالًا شديدًا.

فقتل من رؤساء الجبور قاسم بن مذكور الدهشمي، وقتل معه من قومه خلق كثير.

---

(١) مقنيات: إحدى قرى محافظة الظاهرة.

(٢) إحدى القبائل العدنانية، ومقرها سفالة سمائل وإزكي.

فرجع من سلم منهم هزيمًا إلى الظّاهرة، وبقى سيف بن محمّد الهنائي ومن معه في الحصن محصورين.

فلمّـا طال عليهم سلم سيف الحصن إلى الإمام، فأقام الإمام واليًا فيه من[1] طرفه، ورجع هو إلى نزوى، ثم هبط إلى سمائل لمحاربة مانع بن سنان العميري.

فلمّا سمع مانـع بتوجهه إليه خافه الامتناع، فصالحه عَلَىْ ألا يخرجه من حصنه، بل يكون فيه تابعًا للحقِّ، فأجابه الإمام عَلَىْ ذلك.

ثم إن الإمام أمر ببناءِ حصن سمائل القديم، فلمّا تمم بنيانه ولّى فيه الشيخ محمّد بن إبراهيم.

ورجـع نزوى فلمّـا وصلها جهّز جيشًا إلى مقنيات، وسـار بالجيش بنفسه، فلمّا وصلها وقعت بينه وبين البغاة المسؤولية عَلَىْ حصن مقنيات حروب شديدة، فنصره الله عليهم فما لبثوا في حصنهم إلا ثلاثة أيام، فلمّا فتحه جعل واليًا فيه من قبله محمّد ابن عَلي بن محمّد.

ولم يـزل سعيد الخيـالي وجماعته مُسرين البغضـاءَ والعداوةَ للإمـام، ويكاتبون الجبـور حَتَّى أدخلوهم قرية الصخـبري، فقتلوا رجالًا مـن الضحاحكة، وناسًا من شـراة الإمام.

فلمّا بلغ الوالي محمّد بن سعيد مَا فعلوه وثبَّ عليهم من مقنيات بمن معه من القوم، فدخل الغبّي من غير عِلم من الفئة الباغية به، فوضع فيهم السيف، وأكثر فيهم القتل، فتفرق هزيمهم في الفيافي[2]، ومنهم من قصد ينقل[3]، وحصنها يومئذٍ بيد ناصر بن قطن الجبري، ورجع الوالي محمّد بن سعيد إلى مقنيات.

ثم إن ناصر بن قطن جعل يكاتب سيف بن محمّد الهنائي سرًّا عَلَىْ نكث العهد بينه وبـين الإمام فأجابه سيف عَلَىْ ذلك، فجمع أقوامًا كثيرة من البغاة فدخل بهم نزوى، ولم يخل من بعض أهل نزوى الدخول في شأن سيف بن محمّد للاستنكاف عَنْ الإمام.

فاحتـووا العقر وحصـروا الإمام في حصنها، وأحاطـوا بالحصن من كل جانب، وعزموا أن يثقبوا جدار الحصن؛ ليدخلوا عَلَىْ الإمام ومن معه.

---

(١) لفظ من زيادة من المحقق.

(٢) الفيافي: جمع فيف يكون الياء، وهي الصحاري.

(٣) إحدى مدن محافظة الظاهرة.

فبينمـا هُـمْ عَلَىٰ ذلـك إذ جاءت رجالٌ مـن إزكي وبهلا وبني ريـام، أهل الجبل الأخضر، نصرة للإمام، فنازل بهم الإمام الفئة الباغية، فنصره الله عليهم، فقتل من قتل منهم، وهرب من سلم من القتل عَلَىٰ وجهه، طائش قلبه وعقله.

فاشتدت شوكة الإمـام، وسرت هيبته في عُمَان فوق الهيبة الأولى، شرقًا وغربًا في عُمَان وغيرها.

وأشار عليه[(١)] أهل العلم والحلم بهدم حصن مانع بن سنان العميري، فجهّز جيشًا كثير العدد، فمضى به إلى سمائل، فلمّا علم مانع بذلك ترك حصنه خاليًا، وانهزم إلى فنجا[(٢)]، فلمّا وصل الإمام إلى سمائل هدم ذلك الحصن.

فلمّا علم مانع بذلك هرب من فنجا إلى مسقط، فلاذ بالنّصارى القابضين معاقل مسقط.

ثم إنّه فارقهم، فهرب إلى لوى[(٣)] صحار، فلاذ بمحمد بن جفير فلمّا رجع الإمام إلى نزوى جهّز جيشًا كثير العَدد لبلاد سيت[(٤)] من قرى بني هناءة السيفيمة، وجعل أميرًا عَلَىٰ ذلك الجيش الشيخ عبدالله بن محمّـد بن غسان، مُؤلِـف كتاب (خزانة الأخيار في بيع الخيار).

فلمّـا وصل جيش الإمـام بلادسيت خرج سيف الهنائي من الحصـن هاربًا عَلَىٰ وجهه، وأمر الشيخ عبدالله بن محمّد بهدمه.

وأتى سيف الهنائي إلى الإمام يستقيله[(٥)] من جنايته؟ فأقاله بغير معاقبة.

فلمّـا رجع الشيخ عبدالله بن محمّد إلى الإمـام جهّز الإمام جيشًا لمحاربة ناصر بن قطـن، وكان ناصر يومئذٍ بينقل وفـي يده جُلُّ[(٦)] البلاد وعقدهـا، فمضى إليه ومعه الشيخ العالم خميس بن سعيد الرستاقي الشقصي.

(١) في الأصل: وأشارت إليه أهل العلم.
(٢) بلدة في وادي سمائل، تقع إلى الجنوب من السيب.
(٣) بلدة تقع عَلَىٰ الساحل شمالي صحار.
(٤) بلاد سيت: قرية تقع في الناحية الشمالية بين تنوف ونجد البرك.
(٥) أي يطلب منه الإثالة، ويسأله الصفح والعفو، والمراد بالجناية: الذنب.
(٦) جُلُّ البلاد: أي أكثرها.

فلمَّـا وصل إلى ينقل حصر حصنها أيّامًا يسيرة، ثم فتحه، فجعل فيه واليًا من قبله الشيخ بجاد بن حمحام العبري، وأمره بالعدل والإحسان للرعية، ورجع إلى نزوى، وقيل إلى الرستاق.

ثـم جمع أقوامًا، وجعل عليهم الأمير الشيـخ عبدالله بن محمّد بن غسّان الكندي النزوي، المقدم ذكره، وأمره بالمسير إلى توأم الجوف، المعروفة بالبريمي.

فلمَّا وصل بجيشه إلى ضنك صحبه الشيخ خميس بن رويشد الضنكي، وحافظ ابن جمعة الهنوي، ومحمّد بن سيف ومحمّد بن علي، ومن معهم من القوم.

فلمَّـا وصلـوا إلى توأم(١) وقع بينهم وبين الفئة الباغية قتـال شديد، فنصر الله أهل الاستقامة عليهم، وصارت توأم في طاعة الإمام بعد طاعة الله العلام.

وولى الشيخ عبدالله بن محمّد أحمد بن خلف، وملّكه زِمَام حصنها، وأمره بالعدل والإنصاف بين الرعية.

فلمَّا رجع الشيخ عبدالله بن محمّد إلى الإمام وقع شقاق بين الجبور لمَّا قتل محمّد بن جفير، فأقوي بذلك قوى بني هلال، وأشـرف نظام عقدهم إلى الإنحلال.

وقـال لسان الحال، مع الزيـال أنقرضت دولة البغي والشماس(٢)، وتلك الأيام نداولها بين النّاس.

وكان المالك منهم يومئذٍ لحصن لوى سيف بن محمّد بن جفير.

فكتب الوالي محمّد بن عَلي إلى الإمام بما جرى بين الجبور من النفور.

فلمَّا بلغ كتابه الإمام كتب الإمام إليه، أن أحرب حصن لوى، وشدّد الحصر عليه، فلمَّا وصل كتابه إليه جمع رجالًا كثيرين(٣) ومضى بهم إلى لوى، فأحاط بسيف بن محمّد بن جفير، وحصره في حصنه أشدّ حصرًا.

وأمّـا أخوة سيف المذكور ووزراؤه؛ لعدم الانتصار، لجأوا إلى النَّصارى بصحار، فكانوا هم ومانع بن سنان العميري يغزون أصحاب الإمام الحاصرين حصن لوى.

(١) اسم قصبة عُمَان مما يلي الساحل وصحار.

(٢) أي الامتناع.

(٣) في الأصل: رجالًا كثيرة.

وجعل أبناءُ محمّد بن جفير يسعون في الصّلح غدرًا، ويمدون شيعتهم المحصورين في حصن لوى بالطعام وآلة[١] الحرب.

فلمّا علم بذلك الوالى محمّد بن عَلي بعث جواسيسه ليلًا، فوجدهم مجتمعين بالمنقل مما يلي جنوب الحصن عَلَىْ ساحل البحر.

فلمّا أخبروا محمّد بن عَلي عَنْ شأنهم، وَمَا سمعوه من لسانهم ركض عليهم برجال الجلاد، وضياغم[٢] الجهاد، فناجزهم بالبيض والسمر الصِعَاد[٣]، فقتل منهم جملة، وتفرق من سلم منهم من القتل أيادي سبأ.

فلمّا رجع إلى المعسكر شدّد الحصار عَلَىْ الحصن، والتف معه عَلَىْ الفئة الباغية ناصر بن قطن، ورجال العمور، فلمّا طال عَلَىْ سيف بن محمّد الحصار، وتعذّر إليه الانتصار سلم الحصن لوالي الإمام، محمّد بن علي، فكتب محمّد بن عليّ للإمام بفتح الحصن، ثم مضى إليه، فشكر الإمام صنيعه، وأمره بالرجوع إلى لوى، وبشدة الحرص؛ لئلا يغفل عَنْ مكر الفئة الباغية.

فلمّا رجع امتثالًا للإمام حَشَدَ الإمام جيشًا كثيرًا، وجعل عليه أميرًا، مسعود بن رمضان، وأمره أنّ يقصد بالجيش إلى مسقط لمحاربة النَّصارى.

فلمّا مضى به أقام ببئر الرولة[٤] من بلدة مطرح.

فدارت رحى الحرب بين المسلمين وبين النَّصارى، فنصر الله جيش الإمام، فهدموا من مطرح ومسقط بروجًا باذخة ومباني شامخة، وقتل من المشركين خلق كثير.

ثُم إنَّ النَّصارى طلبوا الصّلح، فصالحهم مسعود بن رمضان عَلَىْ فكِّ مَا بأيديهم من أموال العمور والشيعة الساكني صحار، فأذعنوا بالطاعة وآمنهم عَلَىْ ذلك، وأخذ منهم العهود عَلَىْ الوفاء، ورجع إلى الإمام، فأخبره الخبر كله، فشكر صنيعه.

ولم يزل مانع بن سنان العميري كامِنًا العداوة للإمام، قادحًا[٥] في ملكه، وفساد

(١) من الزاد والسلاح.

(٢) جمع ضيغم وهو الأسد، والمراد الشجعان.

(٣) أي السيوف والرماح، والصعاد: جمع الصَّعْدَةُ: وهي القَناةُ تَنْبُتُ مستويةٌ فلا تحتاجُ إلي تثقيف

(٤) الرولة: شجرة معروفة.

(٥) القدح: هو الذم والسب.

دولتـه، فاستأذن مدّاد بـن هلوان الإمام في قتـل مانع بن سنان بالخديعـة، فأذن له، فجعل مدّاد يكاتب مانع بتسليم حصن لوى إليه وأطعمه بلطف كلامه في ذلك.

وكان الوالي بحصن لوى من قبل الإمام يومئذٍ حافظ بن سيف، ومدّاد هو المتقدم عَلَىٰ عسكر الوالي حافظ كلهم.

وفي كُلِّ كتـابٍ يبعثـه لمانع فيه تلطّـف، وإظهار مودة منه لـه، وأيمان[(١)] مكرّرة، ففـرح بذلك مانع فرحًا شديـدًا، وكان مسكنه في ذلك الزمان في قرية دبا[(٢)]، فأتى إلى صحـار، فمكـث بها أيّامًا ينتظر مَا وعـده به مدّاد، وجعل مداد يُجـدّدُ له عَلَىٰ الوعد العهود، ووقت له إنجاز الوعد في ليلةٍ معلومةٍ، فأجابه مانع عَلَىٰ ذلك.

فلمّا كانـت تلك الليلة أخبر مدّاد الوالي الخبر عَلَىٰ التمام، ففرّق الوالي العسكر في تلـك الليلة يـدورون في البـلاد لقبض مانع وقتالـه إذا قالتهـم، وكمنوا له في مشـرق البلاد وغربها، وسهيلها[(٣)] ونعشها، فبينما هم بذلك إذ أقبل مانع ومن معه من الرجـال، فتصايحوا[(٤)] عليه، وثارت عليه الكوامـن[(٥)]، فأحاطوا به، وأوقعوا السيف في شيعتـه، فقتلوا منهم رجالًا عدّة، وأخذوه هو أسيرًا، فلمّا كان حذاء[(٦)] الحصن قُتِل صبرًا[(٧)].

فكتـب الوالي حافـظ بن سيف للإمام عمّا جرى عَلَىٰ مانـع بن سنان وشيعته من الشأن، فلمّا وصله كتابه شكر صنيعه.

ثُـمَّ إنَّ الإمام جمع جيشًا لحرب جلفار[(٨)]، المعروفة بالصّير، وجعل أميره عَلي بن أحمد، ومعه عدة رجال من بني يعرب.

---

(١) جمع يمين، وهو القسم الَّذي يحلف به لتوكيد الكلام.

(٢) قرية تقع عَلَىٰ الساحل عند نهاية وادي القلدى.

(٣) في الأصل: سهيليها، ولعل المراد، سهلها، والنعش والنفش بمعنى المنع، والمراد الأرض الصحراوية التي تمتنع عَنْ سالكها.

(٤) أي تنادوا.

(٥) جمع كامنة، والمراد القدم الذين يكمنون له.

(٦) أي قبالته.

(٧) أي حبس ورمي بالحجر حَتَّى مات.

(٨) جلفار: الصّير هي رأس الخيمة، الإمارة المعروفة.

وكان ملـك جلفار الصّير يومئـذٍ ناصر الدين العجمي، وعنـده عدّة من عساكر العجم.

فلمّا وفـد عليهم عَلي بن محمّد بالأجناد جالدهـم بالسيوف وطاعنهم بالرماح، وتفاقـم بينهم الضِّراب والطِّعان، فثبّت الله قدم المسلمين الاستقاميين، ونصرهم عَلَىٰ أهل الخلاف. فحصروهم في حصن جلفار وسائر بروجه.

وكان لهـذا الحصن المذكور بـرج خارجة، جدرة من جدره العليـة، وبه فئة من عسكر ناصر الدين، وللنصارى سفنٌ تدافع بمدافعها المسلمين، وتذودهم برصاصها عَنْ الحِصن الحصين.

فلمّـا كانت ذات ليلة حالكة الجلباب(١) ركض(٢) المسلمون عَلَىْ البرج المذكور، دخلـوه، ومـن وجدوه فيه قتلـوه، ثُمَّ مالـوا عَلَىْ الحصـن المشيد بالجبـال الحديد، فاصطلموه بعون القادر الحميد.

فلمّـا خلص الحصن للإمـام جعل الشيخ عَلي بـن محمّد واليًا فيه مـن قبل الإمام العنبوري عبدالله بن محمّد.

وكان بجلفـار حصن ثانٍ(٣) للنّصارى عَلَىْ ساحل البحر، فشبَّ أهله نار الحرب عَلَىْ المسلمين.

وأقبـل خميس بن مخزوم الدهشمي بعِدّةٍ وعدد، نصـرةً للإمام، فلمّا انضافوا إلى عبـدالله بن محمّد العنبوري سرَّ قدومهم قلب عَلي بن محمّد، فأمر ببناءِ حصن مقابل حصن النَّصارى.

فلمّـا تمَّ جنح(٤) النَّصارى إلى السلم، فَسَلّمُـوا حِصنهم إلى الوالي عَلي بن محمّد، فـترك فيه بعض رجالـه، ومضى هو إلى نـزوى، فشكر الإمام وأمـره بالرجوع إلى جلفار بالعدل والإنصاف بين الرعية، فامتثل أمره، ورجع إلى جلفار، ووضع ميزان العدل بين الرعية.

(١) الجلباب: هو الثوب، والمراد شديد السواء والظلمة.
(٢) في الأصل: ركضت المسلمون.
(٣) في الأصل: حصن ثاني، والصواب حذف ياء الاسم المنقوص في حالة الرفع.
(٤) في الأصل: جنحت النَّصارى، والمعنى مالوا إليه.

ثـم إنَّ الإمام كتب إلى حافظ بـن سنان والي لوى، أن يمضي إلى صحار ويبني بها حِصنًا شديدًا، فلمّا وصله الكتاب شرع في جمع جيش لُهام[١].

فاشتملـت عليه من بني خالد والعمور وبني لام جنود كثيرة، وكان قبل ذلك من أهـل صحار رجال جمّة يكاتبون الإمام عَلَىْ حرب المشركين، وأنّهم إليه كالسيف والكفِّ اليمين.

فلمّا مضى إليها حافظ بات بالعمق[٢]، وانحدر إلى صحار في أوّل النهار، وكان ذلك الشأن آخر شهر المحرم سنة ثلاث وأربعين بعد الألف[٣].

فأقـام بالبدعـة، فاشتدّت الحرب بـين المسلمـين والمشركين، وتواتـرت بينهم الحمـلات والدلفات حَتَّى تفرّقت المرافق بالبوارق، وتخرّقت الصدور بالعواسل[٤] والبنادق.

فجعـل[٥] المشركون يضربـون[٦] المسلمين مـن الحصن برصاصِ المدافع حَتَّى تأخّروا من المكان الَّذِي أقاموا به إلى مكانٍ ثانٍ[٧] غير بعيد من الحصن.

وجـاءت رصاصـةُ من مدفـع حصنهم فأصابـت الشيخ راشد بـن عبّاد، فمات شهيدًا، رحمه الله.

ثـم إن الشيـخ حافظ بن سنان شـرع في بنيان الحصن حَتَّى أتمَّـه، ولم يزل يزلزل النَّصارى بوقائعه، ويقطعُ أصولهم وفروعهم بقواطعه.

وقـد بعث الإمام الشيـخ خميس بن سعيـد الرستاقي إلى حرب مـن بمسقط من النَّصارى.

(١) اللُهام: بضم اللام هو الجيش العظيم.

(٢) العمق: قرية على أطراف صحار.

(٣) الموافق ٨ أغسطس سنة ١٦٣٣م.

(٤) العواسل: جمع عاسل، هو الرمح.

(٥) في الأصل: فجعلت المشركون.

(٦) في الأصل: تضرب.

(٧) في الأصل ثاني، وصوابه الحذف الياء المنقوص في حالة الجر.

فلمّــا وصل إلى قرية بوشر(١) أتاه(٢) رسل نصارى مسقط تريد منه الأمان، فسار بقومه حَتَّى أناخ بأرض مطرح، فأتاه(٣) أكابر نصارى مسقط بالطّاعة والإذعان.

فصالحهــم عَلَىْ فكِّ مَا قبضتْ يدهم من مسقط ومطـرح من المعاقل من السور، وعلى رفع السيف عنهم من فئة الإمام، وعلى السياق لسوقهم مَا يشتهونه من الأمتعة المحلل بيعها، فلمَّا تم(٤) بينهم العقد عَلَىْ ذلك رجع إلى الإمام، فشكر سعيه.

ثم إن الإمام أنفذ إلى صور جيشًا كثير العَدد، والأمير عَلَىْ ذلك الجيش الشيخ مسعود ابن رمضان [النبهاني](٥). فلمَّا وصلها حصر حصنها حصرًا شديدًا أيّامًا، ثم فتحه.

وســار بالجيشِ إلى قُريات(٦)، وكان بهــا حصن للنّصارى، فبنـى مسعود حوله حِصنًـا، فانحصر(٧) النَّصـارى حصرًا، فلمَّا تجرعوا مُرَّ المـرام سلّموا الحصن إلى أمير جيش الإمام، الشيخ مسعود بن رمضان.

ومــا أبقى مسعود للنّصــارى معقلًا إلا أخذه، مَا خلا مسقط ومطرح، فلمَّا رجع إلى الإمام شكر سعيه، وأثنى عليه.

ولم يزل ناصر بن قطن يغزو أطراف عُمَان، ويدلف إليها من الحساء(٨)، بالركائب والركبان، يسلبُ من بواديها كرائم العيس(٩) ويقتل من قدر عليه، رئيسًا كان أو غير رئيس، ثم يرجع إلى الحساء.

---

(١) إحدى ولايات محافظة مسقط.

(٢) في الأصل: أتته رسل.

(٣) في الأصل: فأتته.

(٤) الفعل تم زيادة من المحقق.

(٥) في الأصل: الرمضاني. ويروى ابن رزيق في كتابه الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، أنَّ الأمير عَلَىْ هذا الجيش هو سلطان بن سيف بن مالك اليعربي، ابن عمّ الإمام.

(٦) مدينة ساحلية في منطقة الحجر الشرقي.

(٧) في الأصل: فانحصروا النَّصارى.

(٨) الحساء والأحساء بالقصر والمد مقاطعة شمال شرق المملكة العربية السعودية، تعرف بالمنطقة الشرقية وتشرف عَلَىْ الخليج العربي في الشرق، وتلتقى بالربع الخالي في الجنوب وتمتد إلى نجد في الغرب، وتقع عَلَىْ حدودها الشمالية دولة الكويت، وتشتهر الحساء بعيونها المائية الكثيرة، وبعضها ساخن المياه، وكانت قاعدتها الهفوف، ثم نقلت إلى الدمام بعد اكتشاف النفط، وسكانها بدو وحضر، وأشهر قبائلها العجمان وآل مرة وبنو خالد.

(٩) العيس: هي الإبل البيض يخالط بياضها شقرة.

فلمَّـا تواتـرت منه الغـارات، وتفاقمت منـه الدلفات كتب الإمـام إلى محمّد بن سيـف الحوقاني بالتجسس عنه، فإذا علم بقدومه إلى عُمَان فليسع له دونها بالأبطال والشجعـان، فلمَّا وصله كتاب الإمام بعث جواسيسه إليه، فلمَّا أخبرته بقدومه سار إليه بجيشٍ جرّار، من بدوي وحضري.

فلمَّـا علم ناصر بذلك انحصر في حصـن الظّفرة، وقد حمـاه[1] رجالٌ من بني ياس[2]، فحصره محمّد بن سيف في حصن الظفرة حصرًا شديدًا، فجعل ناصر يبعث رسلـه إلى محمّد بن سيف يطلب منـه الأمان، وليرجع مَا أخذه مـن عُمَان إلى ربعه، فصالحه محمّد بن سيف عَلَىْ ذلك؛ لعدم الزّاد، وابتعاد البلاد.

فلمَّا رجع إلى نزوى، وأخبر الإمام عمَّا كان بينه وبين ناصر بن قطن فقال له: الخير فيمـا وقع، ارجـع بسلام، وضع ميزان العدل بين الرّعيـة، ولا تستعمل للفئة الباغية التقية، فامتثل أمره، ورجع إلى ولايته.

ثـم تواترت عَنْ ناصر بن قطـن أخبارٌ صحاحٌ عَلَىْ أنّه جمـع رجالًا من الظّفرة؛ ليصطلـم بهم حصن الجوف مـن توأم[3]، وكان والي حصنهـا يومئذٍ من قبل الإمام أحمد بن خلف الجشمي[4]، ولمَّا دلف ناصر إلى توأم أعانه[5] بغاة[6] توأم عَلَىْ حرب والي الإمـام، فأطاعوا شيطانهم المريد[7]، وأعانوا ناصر العنيد، فحصروا الوالي بكثرة العدّة والعديد في الحصن المشيد.

ثـم أتت والي الإمام جنود من الباطنة والظاهـرة نصرة للإمام، فَركَضَ بهم الوالي أحمـد بن خلف عَلَىْ الفئـة الباغية، فنصر الله المسلمين عَلَىْ الناكثين[8]، فقتلوا منهم رجالًا جمّة، وانهزم من سلم منهم من القتل هاربًا عَلَىْ وجهه.

---

(١) في الأصل: وقد حمته.

(٢) بنو ياس: قبيلة عدنانية النسب مقرها منطقة ليوا ومراعي الظفرة وأبوظبي ودبي والعين.

(٣) هي المعروفة بالبريمي.

(٤) يذكر ابن رزيق في كتاب الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، أن الوالي يومئذٍ هو محمّد بن خلف الشقصي.

(٥) في الأصل: أعانته.

(٦) جمع باغ.

(٧) المتمرد العَاتي.

(٨) جمع ناكث: وهو الناقض لعهده.

ثـم أتى الشيخ عبدالله بن محمّد الكندي والي الإمـام بنزوى بجيش خضرم، فلمّا فاتـه جلاد جيش الناكثين هَـدَمَ حصون الجوف كلها، ولم يبق بتـوءام حصن مَا خلا حصن الإمام.

وكان عبدالله بن محمّد المذكور كبير ولاة الإمام كلهم عَلَىْ المشهور.

ولـمَّـا نـأت[١] فئة الطّغاة عَنْ توءام، ورجع عبدالله بن محمّـد إلى الإمام تفرّقت شيع ناصـر بن قطـن في البلاد، فلجأ هو مع النَّصارى بصحـار، والتأم به عمير بن محمّد، وذهبـت طائفة منهم بالفرار إلى عقبة جلفار، فكانوا يقطعون السبيل، ويكثرون من المسلوبة والمسلوب العويل، وجعل يغازيهم الوالى محمّد بن خلف[٢].

وغزا ذات مرة ناصر بن قطن الباطنة، فأخذ جملة من إبل بني خالد وبني لام[٣]، وسلب كثيرًا من الحلي والكساء من النّساء، ثم رجع إلى الحساء.

وغـزا ثانيـة عُمَان، فقصـد طريق ساحلها، فلمَّـا شاع خبره إلى الإمـام أنفذ إليه جيشًا أميره علي بن أحمد العبري[٤]، ومعه أحمد بن بلحسن البوشري، ومحمد بن الصَّلْت الريامـي، ومراد بن راشد، فصادف جيشهم جيشه بأرض لوى، فكشفوه، ثم مال بجيشه إلى مجيس، فكشفه عَلي بن أحمد العبري.

فلمَّـا تنضد[٥] جيشه من اليمين[٦] والشمال قصـد ببقية قومه أرض الخروس من ناحية الشمال، فلحقه أحمد بن بلحسن، ومراد بن راشد، ومن معهما من القوم.

فوقع بينهم القتال في أرض الخروس، فوقع القتل في المسلمين، ولم يسلم منهم أحد، فلمَّا وصل جيش الإمام، ورأوا أصحابهم صرعى، وقد فاتهم العَدوّ دفنوا أصحابهم، وصلّوا عليهم، ورجعوا إلى الإمام، فأخبروه بما جرى عَلَىْ قومه من الفئة الباغية.

---

(١) أي بعدت.

(٢) سبق أن ذكر المؤلف اسم الوالي أحمد بن خلف، ولعل فيما ذكره أوّلًا تحريفًا، كما سبق التنويه عنه.

(٣) كلمة بني زيادة من المحقق.

(٤) ذكر المؤلف الاسم فيما رواه عَنْ هذا الجيش في كتابه الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، أنّه علي ابن محمّد العبري، وأنَّ الأمير عَلَىْ هذا الجيش هو عَلي بن أحمد العلوي، وكان عَلي بن محمّد العبري أحد معضديه ومعاونيه.

(٥) أي جمعه.

(٦) في الأصل اليمن.

ثـم إنَّ محمّـد بن عثمان، ويسمى حميد بن عثمان غزا بـلاد السّر، والوالي يومئذٍ عليهـا محمّد بن سيف الحوقـاني، وبها يومئذٍ سعيد بن خلفـان. فطلب من محمّد بن عثمان المواجهة[١]، فتواجها بمسجد الشريعة، فأسر، وسأله الوالي محمّد بن سيف أن يرد مَا أخذه، فأبى، فأمر عليه بالقيد، فقيد في حصن الغبّي.

وقيـل: إنَّه لمَّا غزا أرض السّر بعث إليه الوالي محمّد بن سيـف رجالًا عَلَىْ نياق سباق، فلمّا صادفوه أحاطوا به عَنْ يمين وشمال، فأسروه، وأتوا به إلى الشيخ محمّد ابن سيـف، فسأله أن يرد مَا كسبه ظلمًا. فأبى، فأمر بقيده، فقيد في حصن الغبّي، ومضى محمّد بن سيف إلى الإمام فوجده في الرستاق، وهذا الخبر أصح من الأوّل، والله أعلم.

فلمّا أخبر محمّد بن سيف الإمام عَنْ الموضوع والمحمول، والفروع والأصول من قبل محمّد بن عثمان المكبول[٢] أمر الإمام بإلمامِهِ إليه، فلمّا حضر لديه أمر بحبسه في سجن حصن الرستاق، فلبث فيه شهرًا، ثُمَّ توفي.

ثُـمَّ إن الإمـام جهَّزَ جيشًـا كثير العدد، وجعـل الأمير عليه سعيـد بن خلفان، وعضـده بعمير بن محمّد بـن جفير، وأمره أن يمضي بالجيش إلى الظّفرة؛ لأخذ إبل ناصر بن قطن الهلالي.

فلمّـا مضى التقـاه[٣] بنو ياس برجالٍ كثـيرةٍ بموضع يسمـى الشعب، قريب من الظّفـرة، فتصاحفـوا بالصّفـاح[٤]، وتخاطبـوا بالرّمـاح، فسجدت حينئذٍ الجباه بالمشرفيّة[٥]، وخرت الأذقان بالسمّهريّة[٦].

وكان لبني ياس يومئذٍ الرئيس سقير بن عيسى، فنصر الله أهل الاستقامة على أهل الظّلامة، فقتل سقير وأخوه محمّد بن عيسى، ومن قومهما جملة رجال.

---

(١) في الأصل: المواجه، والمواجهة اللقاء والمقابلة.

(٢) أي المقيد.

(٣) في الأصل: التقته.

(٤) أي تقاتلوا بالسيوف العريضة.

(٥) هي السيوف، ومنها مَا كان يصنع في قرى عَلَىْ مشارف الشام من أرض العرب تدنو من الريف ولذا سميت مشرفية.

(٦) هي الرماح الصلبة، وقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى سهر زوج ردينة، وكانا من المثقفين للرماح، أو نسبة إلى بلدة بالحبشة.

وقـد فاتتهم إبل ناصر بن قطن، فلـم يروا لها أثرًا، فرجعـوا إلى الإمام، وأخبروه الخبر كله، فحمد سعيهم، وشكر صنيعهم.

ثم أمر الإمام سعيد بن خلفان أنَّ يمضي بمن معه من الرّجال عَلَىْ نياق سباق، لأخذ إبـل ناصر بن قطن المذكور، وقـال له الإمام: التمسها بدعفس، وهو مورد بالظفرة، فلمَّـا مضى إليها وجدها سعيـد بن خلفان سائمة في ذلك المكان، فلمَّا أخذها سعيد تركها عند عمير بن محمّد أمانة، وحذره الخيانة.

فلمَّـا رجع سعيد ترك عمـير الإبل التي استأمنها عند أخيـه عليّ بن محمّد، فخان الأمانة، وأرسل الإبل إلى ناصر بن قطن.

فمـا زال ناصر يغزو بها أطراف الظّاهرة، فأوحشها بآفاته ودلفاته، ثم دلف دلفة أخـرى، فأقام بقليب دعفس، فبعث الغـارات عَلَىْ الظاهرة، فلمَّا شاع خبره للإمام بعـث عليه جيشًا، أميره سيف بن مالك اليعربـي، ومعه من مشاهير جماهير العرب حزام بن قمقام، وسيف بن أبي العرب.

فهجـم عليه أوّل الرؤساء حزام بن قمقام فتفلّقت من أحزاب ابن قطن الجماجم، وتخرقت بالطعان منهم الأكبـاد، والغلاصم[1]، فنصر الله أحزاب الإمام عَلَىْ القوم الباغـين، فقتل ناصر بن قطن مع أحزابه أجمعـين، وَمَا سلم منهم أحد، ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2].

فلمَّـا قتل ناصر بن قطـن ومن معه رجعت أحزاب الإمـام إلى أوطانهم، ونما بعد الخوف أمانها، وانطفأت من البغاة النّائرة[3] والشـرور، ونما لعُمَان السـرور.

وقـد خلص بعد ذلك للإمـام حصن صحار، من يد النَّصـارى بالحصار، ولم يبق بعُمَـان وأطراف عُمَان لأهـل الضّلال أفيـاءُ[4] ظِلال، ولا لأخـذ يمينهم والشمال

---

(١) جمع غلصمة بفتح الأول وسكون الثاني، وهي اللحم بين الرأس والعنق، أو رأس الحلقوم.

(٢) من الأية ٤٤ من سورة هود.

(٣) النائرة والنايرة: الشر.

(٤) الأفياء: جمع فئ كفيع، وهو الأصل أو الأثر.

أرقـال[١] مُشمعلة[٢] شِمــلال[٣] حَتَّى قال الشكور لله الغفور، لَمَّا عمَّ عُمَان من أمان الإمـام الَّـذي النّامي له النـور، بلدةٌ طيبـةٌ وربٌّ غفور، ولم يبق مـن المقطبين بوجه عبوس، المستنكفين عَنْ طاعة الإمام، المُؤيّد بالنّاموس[٤]، بقلاع مسقط ومطرح غير النَّصارى الطّموس[٥].

فإنَّهـم مَا برحـوا في الحصرة في حسـرة، وبالفكرةِ في فـترة، يلوكون ضريع[٦] النّكال، بأسنان كِلال[٧]، ويرتشفون سمَّ صِلال[٨] الزّئال[٩]، بالغدوِّ والآصال[١٠]، وكُلُّ واحدٍ منهم بسمِّ حيّـاتِ الجباةِ تكادُ نفسُهُ تغيظ، ﴿وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٞ﴾[١١].

يلقـون السّمع إلى الذّعـر الدّالف إليهم، يحسبون كُلَّ صيحـةٍ عليهـم، يُخاطبهم لسان الحال في الغُدُوِّ والآصال، إذا تعلَّلوا بالعديد والآلات المُعدَّدة، ﴿أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ﴾[١٢].

ألا إنَّما الشركُ شـركٌ، لا يرى الكافر له به النَّجاةَ والمغفرة، ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ﴾[١٣]، فَهمُ إذا نظروا رَادًا أو أصيلًا لم يروه إلا ظلامًا مستحيلًا.

يقول لسـان حالهم إذا أخذت أضواء أعينهم الطّامـورةُ[١٤] الهمّ التي بظلماتهم

---

(١) الأرقال: جمع رقلة جمع تكسير، والرقلة: هي النخلة فاتت اليد.

(٢) اشمعل: أي أشرف، والمشمعلة: الطويلة.

(٣) الشملال: بالكسر كالشمال ضد اليمين.

(٤) الناموس: هو صاحب السر المطلع عَلَىْ باطن الأمر، أو صاحب سر الخير.

(٥) طمس الشيء إذا استؤصل أثره.

(٦) الضريع والضرع بمعنى: وهو ثدي الحيوان، وناقة ضريع غطيمة الضرع، ويلوكون أي يمضغون في شدة.

(٧) الأسنان الكلال: الضعيفة التي لا تقطع.

(٨) الصلال: جمع صل بالكسر والتضعيف، وهو الحية الصفراء.

(٩) في الأصل: الزيال، والزئال هو ميل الشمس عَنْ كبد السماء.

(١٠) الآصال: جمع أصل بضمتين وهي العشى.

(١١) من الأية ١٧، من سورة إبراهيم.

(١٢) من الأية ٧٨، من سورة النساء.

(١٣) الأية ١٧، من سورة عبس.

(١٤) الطامورة: أي المرتخية.

تمور، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾[١]

فَهُمُ إذا اضطجعوا عَلَىٰ الديباج استحالَ شوك القتاد[٢]، فأنَّى لَهُمْ بالرقَاد، وإذا قَضمُوا سُكرِّ الأهواز[٣] استحالَ هبيدَ حنظل الأقوار[٤]، فأنى لَهُمْ بمَري المُراد. وبالجُملة لو دَبَّت عَلَىٰ أحدهم رجلُ نملة عَلَىٰ اليسار أو اليمين توهَّما من الذّعر كَرْكَدن[٥] الصين.

وأمَّا عُمَان بأمانِ الإمام المؤيد، ناصر بن مرشد تُجُرُّ وشائعها[٦] الشائعة بالأنوار، وتسري دقائقُ أسرارِهَا بأنواعِ أنوارها، إلى الدانية والشاسعة[٧] من القُرى والأمصار.

يقولُ لسانُ حَالِهَا، والحديثُ ذو شُجون[٨]، ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾[٩] فلله دَرُّهُ[١٠] من إمام عادلٍ ناسكٍ، لَهُ في مَلاحب[١١] الفَضْلِ مَشَاعرٌ ومناسك، وناهيكَ من وَلِي قد أحيا الهُدى بِصَالح الأعمال، وأمات بعدلِهِ جرثومَةَ البغي والضَّلال.

يقول النّاسك إذا نأي أو دنا منه رضي الله عنه، وكفى عمَّا في الصدورِ مِنْ حمده في السطور.

كَيْفَ لا، وفخره بعد وفاته كفخره أيَّام حياته شعرًا:

إنَّما الأولياءُ يَشْرُقُ في المحْيَا لَكَ اللهُ، نُورُهُم والمماتِ[١٢]

---

(١) من الآية ٤٠، من سورة النور.

(٢) القتاد: شجر صلب له شوكة كالإبر، والديباج الحرير.

(٣) الأهواز سبع كور بين البصرة وفارس، لكل كورة منهم اسم، ويجمعها الأهواز لا مفرد لها.

(٤) الهبيد: هو الحنظل والأقوار شجر مر.

(٥) الكركدن حيوان عظيم، وفي القاموس المحيط، الكركدن دابة تحمل الفيل عَلَىٰ قرنها.

(٦) الوشائع: جمع وشيعة وهي كل لفيفة.

(٧) أي القريبة والبعيدة.

(٨) كلمة ذو زيادة من المحقق، والحديث ذو شجون أي فنون وأنواع.

(٩) الآية ٦١، من سورة الصافات.

(١٠) الدر: هو اللبن، والله دره، أي عمله.

(١١) الملاحب: جمع محلب وهو الطريق الواضح.

(١٢) أي أن أولياء الله يشرق نورهم في الحياة وفي الموت، فلهم الله.

عَمَرُوا الشرقَ والمغاربَ بالعَدْ ... لِ فأضْفُوا البلادَ بالبركاتِ
إنَّما ناصرُ بنُ مُرْشِدٍ قَدْ حَا ... زَ ثناءً في موْتِه والحَياةِ
فِيْ صُدُورٍ وفِيْ سطُورٍ لهُ حَمْدٌ ... أَنَارَتْ بهِ ثُغُورُ الثِّقَاتِ[1]

فَلِلّهِ درُّه، عاش تقيًّا، ومات وليًّا، فعنه أهلُ الاستقامةِ راضون، ولَهُ مُوالُون مُتَوَلُّون.

وكَانَت وفاتُهُ بنزوى يوم الجُمعةِ لعشرٍ خلون من ربيع الآخر سنة تسع وخمسين بعد الألف[2]، ومدّة أيّام دولته ستّ وعشرون سنة.

وقد رثاه[3] شعراءُ عصره بعدة قصائد فائقات، مَطّولات، ومختصرات.

ورثيته أنا بهذه القصيدة الدَّالية[4]، المشرقة اللألائية[5]، وقلت شعرًا:

حَوَى مَحْضَ وَمْضِ النُّورِ قبرُ ابنِ مُرشِدِ ... خَلا وَلَهُ لَمْ يَخلُ حَمْدٌ بِمَشْهَدِ[6]
فلِلّهِ مِنْ نَدْبٍ تَأَلّقَ سَعْيُهُ ... بِنُورِ هُدًى يَسْعَى بِهِ كُلُّ مُهْتَدِ
إِمَامٌ لَهُ يُعْزَى لِواءُ وِلَايَةٍ ... فَمنْ نَشْرِهِ نشرُ الألوّة يَجْتَدِي[7]
فكَمْ قائلٍ مِثْلِي أَلَا هَلْ سَمِعْتُمُ ... ثَوَى قَبْلَ أَنْ أَوْدَى خِضَمٌّ بِمَلْحَدِ[8]
وهَلْ قبلَهُ شَاهَدْتُمُ أيُّها الوَرَى ... بِشَمْسٍ توارَتْ تحتَ تُرْبٍ وَجَلْمَدِ[9]
لَكَ اللهُ قُلْ فَليَبْكِهِ كُلُّ فاضِلٍ ... بِدمْعِ الحيَا في كُلِّ رَبْعٍ وَمَعْهَدِ
بَكَى النَّصرُ لَمَّا مَاتَ ناصِرُ وَالهُدَى ... وَأَضْحَى يُبَاكِي الغِمْدَ كُلُّ مُهَنَّدِ[10]

(١) الثغور: جمع ثغر وهو الفم، أو البلد.
(٢) الموافق ٢٤ من إبريل سنة ١٦٤٩م
(٣) في الأصل: رثته شعراء
(٤) قافيتها حرف الدال.
(٥) أي اللامعة.
(٦) في الأصل: لم يخلو، بإثبات حرف العلة الجازم، والصواب الحذف.
(٧) الألوّة: جمع لوة بالضم، وهي العود الَّذي يتبخر به، واجتداه أي سأله حاجة.
(٨) ثوى: أي أقام ونزل، وأودى: هلك، والخضم: السيد الحمول المعطاء، والملحد: من ألحده أي قبره.
(٩) الورى النّاس: وتوارت غربت واختفت، والجلمد: هو الصخر.
(١٠) الغمد: جراب السيف، والمهند: هو السيف.

وقالَ لِسَانُ السُّمْرِ هل كفُّ طاعِنٍ ... أَسلَّ بها مِنْ بعده قَلْبَ مُعْتَدي(١)
لَقَدْ مَاتَ حُرُّ الضَّرْبِ والطَّعْنِ بعدَهُ ... أَمَا مِنْ جِهَادٍ بعدَه لِمُؤيَّدِ
عَلَىٰ نَاصِرٍ يَبْكي دَمًا كُلُّ منْبَرٍ ... عَلَىٰ ناصرٍ يبكى جوًى كلُّ مَسْجِدِ
لَهُ اللهُ مِنْ نَدْبٍ وَلِيٍّ يُجِلُّهُ ... وَيُثْنِي عَلَيْه كُلُّ عَقْلٍ مُجرَّدِ(٢)
لَقَدْ كَانَ عَدْلًا ناصرَ الدّين بالظُّبَا ... وَلَمْ يصطَحِبْهُ كُلُّ ذِي صارمٍ صَدِي(٣)
إِذَا مَا تَحلَّى لِلكِفاحِ بِعَزْمِهِ ... أَشَارَتْ بِهِ أَهلُ البَسالَةِ بِاليَدِ
لَقَدْ بَاعَ في سُوقِ الجِهَادِ حَشَاشَةً ... وَلَمْ يَكُ مَقْصُورًا بِقَصْرٍ مُشَيَّدِ(٤)
وَلِيٌّ عَنِ الأعداءِ لَمْ يَلْوِ عَزْمَهُ ... فَصَمصَامُهُ عَنْ هَامِهِمْ غيرُ مُغْمَدِ(٥)
قَلَا صُرَّةَ الدينارِ إذ لا جَنَانُهُ ... إِلَيهِ وِدَادٌ في لُجَيْنٍ وَعَسْجَدِ(٦)
لَهُ ومضُ نُورٍ في نَدِيٍّ وَمَسْجِدٍ ... فَسَلْ كَرَةَ المحرابِ عَنْهُ أَوِ النَّدِي(٧)
بَراهينُهُ تُرْوَى، فَسَلْ كُلَّ ناطقٍ ... أَرِيبٍ، وَسَلْ عَنْهُنَّ كُلَّ مُجلَّدِ
فَفِيْ وَجْهِهِ الوضَّاحِ للنورِ مَبْزَغٌ ... فَإِنَّ الضِّيا مِنْ وَجْهِهِ المتوقِّدِ
يَكادُ عَلَيْهِ الغُصنُ يَنْثَنِي إذا انثنَى ... وَيَتْلُو إليهِ الحمدَ كُلُّ مُغرِّدِ
مُقِلٌّ مِنْ الدينارِ مُثْرٍ مِنَ الهُدَى ... يَبِيدُ الأعادِي في رُبُوعٍ وَفَدْفَدِ(٨)
مُهِيبٌ لَهُ بيْنَ الصِّحابِ بَشَاشَةٌ ... لَهَا في العِدا وَخْزٌ بِنَحْرٍ وَأَكْبُدِ(٩)
سَمَا بِفَخَارٍ دُونَهُ كُلُّ سَيِّدٍ ... فَمَا سَيِّدٌ يحْكِيه في فخرِ سُؤدَدِ

---

(١) أسل بها: أي انتزع بها القلب وأخرجه

(٢) الندب: الرجل الخفيف في الحاجة لظريف النجيب، والمراد بالعقل المجرد الخالي من الحقد.

(٣) الظبا: جمع ظبة، وهي حد السيف أو السنان ونحوه، وصدى: صفة مشبهة من صدأ، والصدأ: هو الوسخ في المعادن.

(٤) الحُشاشة: بالضم بقية الروح.

(٥) الصمصام: هو السيف الّذي لا ينثني، والهام: جمع هامة رأس كل شيء، والمراد الرؤوس.

(٦) قلا: أي كره، وصرة الدينار: المراد بها المال، والجنان: القلب، واللجين: الفضة، والعسجد: الذهب.

(٧) الندي: هو النادي الذي يجتمع فيه النّاس، والمحراب: القبلة من المسجد.

(٨) في الأصل: مثرى بإثبات الياء، والصواب الحذف، والفدفد: الصحراء.

(٩) النحر: هو الرقبة، والأكبد: جمع كبد.

مَحَا بِضِيَاءِ الدِّينِ كُلَّ ضَلالَةٍ ... فَأَصْبَحَ مِنْهُ أَبْيَضًا كُلُّ أَسْوَدِ
يَرَى عَسَلًا طَعْنَ العَوَاسِلِ فِي الوَغَى ... وَرِيْقَ الحُسَامِ العَضْبِ رِيقَةَ خُرَّدِ(١)
إِذَا ذُكِرَتْ يَوْمًا إِمَامَتُهُ انْبَرَى ... إِلَى ذِكْرِهَا نُورٌ كَثِيرُ التَّوَقُّدِ
لَقَدْ فَاقَ فِي حِلْمٍ وَعِلْمٍ وَهَيْبَةٍ ... وَعَدْلٍ وَإِحْسَانٍ وَنُسْكٍ وَمَحْتِدِ(٢)
إِمَامٌ لَقَدْ أَوْلَى عُمَانًا أَمَانَهُ ... فَخَافَ بِهِ السَّرحانُ سُخْطَ الْخَفَيْدَدِ(٣)
يَبِيتُ يُنَاجِي السيفَ عَنْ ضَرْبِهِ بِهِ ... رُؤوسَ العِدَا أَوْ فِي مَكَانِ الْمُقَلَّدِ
وَإِنْ أَمَّ مِحْرَابًا تَأَلَّقَ وَجْهُهُ ... إِلَى مَنْ تَدَانَى شَخْصُهُ وَالْمُبَعَّدِ
تَفَرَّدَ فِي نُسْكٍ وَعَدْلٍ وَهيبةٍ ... وَجِدٍّ بِمَجْدٍ سَامِكٍ مُتَفَرِّدِ
لَقَدْ كَانَ فِي التَّقْوَى وفي الدين قُدْوَةً ... بِهِ كُلُّ مَنْ يرضَى بِهِ الدينُ يَقْتَدِي
إِذَا فَازِعَاتُ الدَّهْرِ هَبَّتْ بِنَكْبَةٍ ... تَمَاسَكَ عَنْ مَيْلٍ وَلَمْ يَتَأَوَّدِ
أَلا إِنَّ رَضْوَى فِي الشَّدَائِدِ دُونَهُ ... ويخشاه إِنْ جاشَ الوغَى كُلُّ مُزْبِدِ(٤)
فَلَمْ يُبْقِ فخرًا فِي الثَّوابِ لِنَاسِكٍ ... وَلَمْ يُبْقِ مَجْدًا فِي العُلا لِمُمَجِّدِ
غَدَا الدينُ طَلْقًا بَاسِمًا فِي حياتِه ... وَلَمْ يمشِ بالإنصافِ مَشْيَ المقَيَّدِ
لَقَدْ فَقَدَتْهُ النَّاسُ والبَاسُ والوَغَى ... وَكُلٌّ عَلَيْهِ وجدُهُ لَمْ يُصَرَّدِ(٥)
وقالوا: عَلَيْهِ رَحمةُ اللهِ، إِنَّهُ ... لَقَدْ كَانَ طُهْرًا قُدْوَةَ الْمُتَعَبِّدِ
بِهِ تُورِقُ البَيْدَاءُ وَهو سُمَيْدَعٌ ... إِذَا غَرَّدَ الهِنْدِيُّ لا بِمُعَرِّدِ(٦)
لَهُ الحمدُ مِنْ ثَغْرِ الوَرَى فَمُحَمَّدٌ ... بِسِيرَتِه يَرْضَى وربُّ محمَّدِ

وكان قبره بنزوى عند مساجد العبَّاد، عليه رحمةُ ربِّ العباد.

(١) العواسل: هي الرماح، الخرد: هن الحسان.

(٢) المحتد: هو الأصل.

(٣) السرحان: هو الذئب، والخفيدد: هو الظليم، الذكر: من النعام.

(٤) رضوى: جبل بالمدينة المنورة، والمزبد: هو المتشدق بالكلام.

(٥) الوجد: هو الحزن، ويصرد: أي يضعف.

(٦) البيداء: هي الصحراء، والسَّمَيدع: بفتح السين والميم هو السيد الكريم الشريف، كما يقول صاحب القاموس، ويقول الجوهري، وابن سيده والصاغاني: السميدع: بالدال لا بالذال، وبعض اللغويين يرى أن إعجام الذال خطأ. والهندي هو السيف، والمراد بتغريد السيف: صوت الضرب به، وعرد الرجل تعريدًا إذا هرب، أو ترك الطريق.

الإمام سلطان بن سيف الأول [(١)]

رجعنا إلى القصيدة:

قولُهُ:

وَسُلطَانُ بنُ سَيْفٍ مُذْ حَوَاهَا بِهِ مَنْ أَشْرَكُوا أَلِفُوا الذَّهَابَا

سلطان هذا، ابن سيف بن سلطان بن مالك بن أبي العرب بن محمّد بن يعرب بن سلطان بن حمير بن مزاحم بن يعرب بن محمّد بن يعرب بن مالك بن أبي العرب.

وقولُهُ: مذ حواها، أي: مذ حوى الإمامة به من أشركوا، يعني النَّصارى، القابضين[(٢)] بلدة مسقط.

وقولُهُ: ألفوا الذهاب، أي ألفوا في دولته الذهاب بمجاهدته لهم في سبيل اللهِ وقولُهُ:

فَرَوَّى لِلإِمَامَةِ سَيْفَ عَدْلٍ وَدَكَّ لِعُصْبَةِ الشِّرْكِ العِقَابَا

أي: فروّى لإمامته سيف عدله بدم عصبة الشرك، وهم النَّصارى المذكورون، ودكَّ بعدله عقابهم، جمع عقبة، الكامن[(٣)] فيها جنودهم، إذ هم قد جعلوا في كُلِّ عقبة من عقاب مسقط كمينًا بعد الإمام ناصر بن مرشد، رحمه الله، خوفًا من الإمام سلطان بن سيف المذكور لمَّا سمعوا عنه أنَّه صار بعد الإمام ناصر، هو إمام أهل عُمَان وانقادت له قبائل عُمَان، فما استنكف عليه أحدٌ مِنْهُم.

قولُهُ:

وَزَلْزَلَهُم فَلَمْ تَقِهِمْ بُرُوجٌ يُطَاوِلُ سُمْكُهَا السُّحْبَ الرَّبَابَا

أي: وزلزلهم سلطان بن سيف بحروبه، فلم تقهم، أي: فلم تمنعهم عنه بروج، يعني معاقل مسقط ومطرح.

وقولُهُ: يطاول سمكها، أي: يناظر علوّها وارتفاعُهَا، يعني البروج المقدم ذكرها، والسحب والرباب بمعنى، وقيل: الرّباب السّحب البيض الأدني إلى الأرض من سائر السحب.

---

(١) العنوان زيادة من المحقق.

(٢) في الأصل: القابضي.

(٣) في الأصل: الكامنين فيها جنودهم.

قال الضبعي شعرًا:

دَانـى الرَّبَابُ يَكَادُ الـبَرْقُ مِنْهُ إِذَا مَا غَنَّ في الجَـوّ لِلْأَبْصَارَ يَصْطَلِمُ

يقال: شمتُ برق ربابة، أي: نظرتُ برق سحابة بيضاء دانية من سائر السحب.

وقال الغُزي:

مَـنَـازِلُ أُنْـسٍ مِـنْ رَبَـارِبِ مَـازِنٍ أَلَّـتْ ربـابُ الْمُـزْنِ فِيهِنَّ سَاكِبَا

قولُه:

وَمَـنْ سَقَطُوا بِمَسْقَطَ مِنْهُ صَارُوا كَضَـأْنٍ في الـفَـلاةِ رَأَتْ ذِئَـابَـا

مَنْ هَا هُنَا اسميّة، وسقط الشيء يسقط إذا وقع من الأعلى عَلَىْ الأسفل، ومسقط معروفة، والعامة تسميها مسكدًا غلطًا، وهي بالطاءِ المهملة، لا بالدّال، التي لم تنقط.

عمرتهـا بعض عرب عُمَان، وهم يمن الأنساب، فغرسوا فيها نخلًا وأشجارًا تسقيهـا آبـار، وآثار هذه الآبـار باقية إلى هـذه الغاية، سنة الخمس والسبعين والمائتين والألف[(١)].

ثم اشتراهـا[(٢)] النَّصارى البرتكيسية منهم، فسوروهـا[(٣)] من حدِّ جبل المكلا إلى جبل السعالي، وأحدثوا فيها حصنين كبيرين، شـرقيًّا وغربيًّا.

فلمّـا اصطلمها[(٤)] العرب منهم سَمُّوا حصنهـا الشرقي الجلالي، وَسَمُّوا الحصن الغربي الميراني.

وأحـدث[(٥)] النَّصارى أيضًا فيها صيرتين، عَلَىْ وجه البحر الَّذِي يقع به الحصنان المذكوران.

وأحدثوا[(٦)] فيها بروجًا عَلَىْ السّور، وأبنيةً عَلَىْ رُؤوس جبالها، وخمس عقبات: الأولى: من أوّل مطرح إلى أوّل ريام، والثانية: من آخر ريام إلى أوّل مسقط، والثالثة:

(١) يوافق ١٨٥٨-١٨٥٩م.
(٢) في الأصل: اشترتها، والنَّصارى البرتكيسية: هم البرتغاليون.
(٣) في الأصل: فسورتها.
(٤) اصطلم: أي استأصل، والمراد طردوهم واستولوا عليها.
(٥) في الأصل: وأحدثت.
(٦) في الأصل: وأحدثت.

مـن آخِر كلبوه إلى أوّل مسقط، والرابعة: من آخر سداب إلى أوّل مسقط من جانب سهيل، والخامسة: من آخر جبال مسقط إلى أول الوادي الَّذِي يفضي إلى دارسيت.

والضـأن معروفـة، وكذلـك الفـلاة، كالفـلا، ورَأت، أي نظـرت، والذئـابُ واحدها[١] ذِئبٌ، وهي[٢] كلاب البرِّ.

والمعنـى: أنَّ النَّصارى الذيـن سَقَطُوا بمسقط بهظهم[٣] الإمـام سلطان بن سيف خوفًا وارتعابًا، فَصَارُوا كالضَّأنِ التي رأت في الفلاة الذئاب.

قولُهُ:

وَمَـا هُـوَ لِلْمَـلاحِمِ غَـيْرُ لَيْـثٍ يَـرَى ضِيقَ الصِّعَابِ لَـهُ رِحَـابَـا

هَاءُ هو راجعٌ ضميرها للإمام سلطان بن سيف المذكور، والملاحِمُ جمع ملحمة، وقـد مضى فيها الكلام، واللّيث الأسد، ويـرى، أي: ونظر، والصّعاب واحدها[٤] صعبٌ، ومع التأنيث واحدها[٥] صعبة، وهو ضِدُّ السَّهْل، والرّحاب المُتّسعات.

والمعنـى: أَنَّ الإمـام سلطان بن سيـف مَا هُوَ إلا أسد حـرب، يرى ضِيق صعاب الأمور، يوم مثار المور[٦] مُتّسِعاتٍ للمرور خلاف مَا يراها[٧] غيره.

ولله درُّ المتنبي، حيث يقول شعرًا:

وَتَعظُمُ في عَيْنِ الصَغيرِ صِغارُها وَتَصغُـرُ في عَـينِ العَظيـمِ العَظائِـمُ

قولُهُ:

أَبَـادَ الْمُشْرِكِينَ وَزَلْـزَلْـتْـهُـمْ زَلَازِلُـــهُ وَطَـفْـلَـهُـمْ أَشَـابَـا

(١) في الأصل: واحدهن.

(٢) في الأصل: وهن كلاب، ويعنى بكلاب البر أن شكل الذئاب مثل شكل الكلاب غير أنها متوحشة لا تستأنس، وهي تخاف من الكلاب.

(٣) بهظه الأمر: ثقل عليه وبلغ به مشقة.

(٤) في الأصل: الفلات، بالتاء المفتوحة.

(٥) في الأصل: واحدهن.

(٦) المور: بفتح أوله وسكون الثاني الموج والاضطراب.

(٧) في الأصل: خلاف مَا يرهن غيره.

أبَادَ فعلٌ لازمٌ[١]، والمشركين، يعني النَّصارى المذكورين، وزلزلتهم زلازله، أي: لَمَّا ركض عليهم بالأحزاب، وسلَّ عليهم حدَّ السّيف القِرضاب أتاح لهم التباب[٢]، وطفلهم أشابه[٣] بالأرتعاب.

وفي هذا البيت، يعني النَّصارى الذين زلزلهم بمسقط وغيرها، وهم المعروفون بالبرتكيس، وغيرهم من النَّصارى، الذين هم شيعة وحزب لهم.

قولُهُ:

فَكَمْ دَارٍ لَهُمْ لَمَّا غَزَاهَا ... بِهِمْ أَقْرَى القَشَاعِمَ والعِقَابَا

كَمْ ها هنا عددية، وهي تأتي عَلَىٰ ثلاثة وجوه: استفهامية، وعددية، وخبرية.

أمَّا العددية فتخفض[٤] مَا بعدها، والاستفهامية تنصب، مَا بعدها، والخبريّة ترفع.

وفي المنطق[٥] الكمُّ عرضٌ، وهو عبارة عَنْ المعنى المفيد، الَّذِي يقبل التجزّي والمساواة، ويقبلها لذاتها، فالمساواة مع المناظرة، والتفاوت والتجزّي من لواحقِ الكم، فإن لحق غيره فبواسطته، لا من حيث ذات ذلك الغير.

وهو ينقسم إلى الكمِّ المُتصل إلى الملائم والمنفصل.

أَمَّا المُتصلِ: فهو كُلُّ مِقدار يوجد لأحزائه حدّ، وهو مشترك، يتلاقي عند طرفيه، كالنّقط للخطِّ، والخطُّ للسّطح البسيط، والآن الواصل إلى الزمان الماضي والمستقبل، ينقسم إلى مَا ذي الوضع، وإلى مَا ليس بذي وضع، وذو الوضع: الَّذِي يُوجد لأجزائه اتّصال وثبات، وتساو[٦] في الوجود معنى، بحيث يمكن أن يشار إلى كُلِّ واحدٍ منهما، أين هو من الآخر.

فمن ذلك مَا يقبل القسمة في جهةٍ واحدةٍ فقط كالخطِّ، ومنه مَا يقبل إلى جهتين متقاطعتين عَلَىٰ قوائم، وهو السّطح، ومنه مَا يقبل إلى ثلاثة جهات، قائمٌ بعضها

(١) يعني المؤلف أن فعله المجرد لازم؛ ولكنه يتعدى بالهمزة.

(٢) التباب: الخسار والهلاك.

(٣) أي أبيض شعره من الخوف والرعب.

(٤) أي يكون مَا بعدها مجرورًا، والفاء في جواب أما زيادة من المحقق.

(٥) علم المنطق.

(٦) في الأصل: وتساوي.

عَلَىٰ بعض، وهو الجسم، والمكان أيضًا ذو وضع؛ لأنه السّطح الباطن من الحاوي، فإنه يحيط بالمحوي، وهو مكانه.

وفريقٌ يقولون: مكان الماءِ من الإناءِ الفضاء الَّذِي في الإناءِ الَّذِي يُقدّرُ خلاصه.

قالوا: فارقه الماء، ولم يخلفه غيره.

وهو أيضًا عند القائلِ به من جملة الكمّ المتّصل؛ لأنه ذو مقدار مَا يقبل الانقسام والمساواة والتفاوت، وأَمَّا الزّمان، وهو مقدار الحركة إلَّا أنَّه ليس له وضع، إذ لا وجود لأجزائه معًا فإنّه لا ثبات له، وإن كان له اتصال، إذ ماضيه ومستقبله يتحادان بطرفِ الآن.

وأَمَّا المنفصل: فهو الَّذِي لا وجود لأجزائه لا بِالقوّة ولا بالفعل، شيءٌ مُشترك يتلاقى[١] عنده طرفاه، كالعدد والقول.

فإن العشرة مَثَلًا لا اتصال لبعض أجزائها لبعضٍ، فلو جعلت خمسةً من جانب وخمسةً من جانب لم يكن بينهما حَدٌّ مُشترك يجري مجرى النقطة من الخطِّ، والآن من الزّمان. وإلّا فأولئك أيضًا من جملة مَا يتعلق بالكمّية، فإنَّ كُلَّ[٢] مَا يمكن أن يُقدّر ببعض أجزائه فهو ذو قدر، إذِ العشرة يُقدّرها الواحد بشعر مرّات، والإثبات بخمس، وَمَا من عدد إلا وَيُقدّر ببعض أجزائه.

وكذلك الزّمان، فإن الساعة تُقدّر باللّيل والنّهار، والنهار والليل ويُقدّر بهما الشّهر، وبالشهر السنة، فهذه أمور تجري مجرى الأذرع في الأطوال.

وكذلك الأقاويل يقدر بعض أجزائها كما يُقدّرُ في العروض، إذ به تُعَرفُ الموازنة والمساواة والمُزدحف، والمتفاوت.

فهذه أقسام الكلية للكَمّية ممّا قال أبو حامد في الخيار[٣]. انتهى.

(١) في الأصل: يتلاقيا.

(٢) في الأصل: فإن كلما يمكن.

(٣) أي بيع الخيار، وأبو حامد: هو الغزالي المعروف.

وغزا يغزو، وغزا يغزي لا فرق في التّصريف.

وقولُهُ: بهم أقرى[١] القشاعِمَ والعِقابا، هَاءُ بِهِ راجعٌ ضميرُهَا إلى الإمام سلطان بن سيف[٢]، أي يضرب السّيفِ ضيّف بهم القشاعم والعقاب.

فالقِرى بكسر القاف الضيافة، أي: ضيّف الإمام القشاعم والعقاب النّصارى الذين حاربهم، والقَشاعم واحدها قشعم، وهو ها هنا الذّئب[٣]، إِذِ العقاب كذلك[٤] يقال لها قشعم.

قال الشاعر:

لَوْ أَنَّ جَعْفَرَ خافَ أسبابَ الرَّدى ... لَنَجا بِهِ يَوْمًا طِمرٌّ مُلْجَمُ[٥]
وَلَكانَ مِنْ حَذَرِ المَنِيَّةِ خَيْتَلًا ... يَرْجُو اللحاقَ له العُقابُ القَشْعَمُ[٦]
لكنَّهُ لَمَّا أتاهُ يَوْمُهُ ... لَمْ يدفَعِ الحَدَثَان عَنْهُ منجَّمُ[٧]

وهو يرثي بهذه الأبيات جعفر بن يحيى البرمكي[٨]، والعقاب: طيرٌ معروفٌ سريع الطّيران.

وقال المتنبي أحمد بن الحسين شعرًا:

تَمُرُّ عَلَيْهِ الشّمسُ وهْيَ ضَعِيفَةٌ ... تُطالِعُهُ مِنْ بَينِ رِيشِ القَشَاعِمِ

قولُهُ:

وَكَمْ فُلْكٍ لَهُمْ أَضْحى إِلَيْهِ ... غَداةَ تَوَهَّمُوا النَّقْعَ الضَّبَابَا

---

(١) في الأصل: أقرا القشاعم.

(٢) كذا في الأصل: وفيه لبس وقع فيه المؤلف ابن رزيق، حيث إنَّه لا يوجد في البيت ضمير الهاء حَتَّى يمكن إرجاعه إلى الإمام سلطان بن سيف، وإنَّما الضمير الموجود في البيت هو هم، وضميرهم يرجع إلى المشركين في البيت قبله؛ ولذا لزم التنويه مع ترك مَا ذكره ابن رزيق عَلَىٰ حاله.

(٣) القشعم: هو النسر، وهو المراد.

(٤) العقاب: طائر ضخم أكبر من النسر، ولا يقال له قشعم كما يذكر ابن رزيق.

(٥) الطمر: هو الفرس الجواد.

(٦) الخيتل: ولد الظبي، وليس هذا الشعر مما يحتج به فضلًا عَنْ عدم دلالته، فالعقاب أقوى من القشعم، والصفة توضح الموصوف أو تزيده وصفًا، وليس الحال في البيت مَا يفيده.

(٧) الحدثان من الدهر نوبه كحوادثه، والمنجم هو قارئ النجوم ومستطلعها.

(٨) وزير هارون الرشيد، وقد أمر الخليفة العباسي هارون الرشيد بقتله، لَمَّا بدر منه، مما لا مجال لذكره.

لقد مَضى الكلام في كَم، والفُلكُ السفينة العظيمة، أي: وكم سفينةٍ للنَّصارى صارت للإمام سلطان بن سيف، وأضحى نقيض أمسى، والغداة وغد سيَّانِ في المعنى يطلقان عَلَىٰ الماضي من الزّمانِ، كأمس. والوهم: الظّنُ.

وفي المنطق الوهميات الصّرفة هي قضايا[١] يقضي بها الوهم الإنساني قضاءً جزميًّا بريئًا عَنْ مقارنة ريب وشك لحكمه في ابتداءِ فطرته باستحالة موجود الإشارة إلى جهته، وإنّ موجودًا قائمًا بنفسه لا يتّصلُ بالعَالم ولا ينفصل عنه، ولا يكون داخل العالم ولا خارجه مُحال.

وهذه القضايا تشبه العقلية مثل القضاء بأنَّ الشخص الواحد لا يكون في مكانين، والواحد أقلُّ من الأثنين، وهو أقوى من المشهورات التي تقال بأنَّ العدل جميل، والجورُ قبيح، وهي مع هَذِهِ القُوّة كاذبة، أي: القضايا الوهميّة باستحالة الموجود، وهو موجود الإشارة إلى جهته، لا داخل العَالم ولا خارجه، ولا مُتّصلٌ بهِ، ولا منفصل عنه[٢].

وهي -لا محالة- قضيةٌ كاذبةٌ[٣]، مع أنَّها تشبه الأوليّات في القوّة مهما كانت في أمورٍ مُتقدّمةٍ عَلَىٰ المحسوسات منها؛ لأن[٤] الوهم أنَسُ بالمحسوسات، فيقضي دأبه غير المحسوس بمثل مَا ألّفه في المحسوس، وَعُرف كونه كاذبًا بلزوم الكذب عَنْ المُقدّمات الأوليّة، التي تُصدق الوهم بآحادها؛ ولكن لا يذعن للنّتيجة، إذ ليس في قوّة الوهم إدراك مثلها، إذ هي أقوى المُقدّمات الكاذبة، فإنَّ الفطرة الأوليّة تحكم بها بحسب حكمها في الأوليّات العقلية.

(١) جمع قضية، والقضية في علم المنطق: هي القول المفيد الَّذي يحتمل الصدق والكذب لذاته، وهي مَا يسميه النحاة جملة. ولكل قضية ثلاثة أجزاء، الموضوع والمَحمول والرابطة، أي: المحكوم عليه والمحكوم به واللفظ الدال عَلَىٰ الصلة بينهما.

(٢) يلاحظ في هذا الاستطراد الَّذي لا تربطه بالمجريات التاريخية السابقة روابط تتطلبه أن ابن رزيق يعمد في مؤلفاته إلى ذكر بعض من مَعارفه في شتى العلوم، إظهار لقدراته ومدركاته، وأن مَا نقله من الغزالي هو سرد يحتاج إلى كثير من الإبانة والتوضيح؛ ليستفيد القارئ منه، وليس هذا مجاله.

(٣) القضية الكاذبة هي التي يكون فيها الموضوع أعم من المحمول مثل، كل المعدن ذهب، ولا شيء من المعدن بذهب؛ لأن المعادن منها الذهب وغيره، ولأن بعض المعادن ذهب، وهو مَا يسمى في علم المنطق بالتضاد.

(٤) في الأصل: لئن.

وكذلـك إذا كانت الوهميـات في المحسوسات فهي صادقةٌ يقينيـةٌ، والاعتمادُ عليها كالاعتماد عَلَىْ العقليات المحضَة.

والثـاني: مَا يشبه المظنونـات، وإذا بحث عنه محا الظنَّ، كقـول القائل، ينبغي أن تنصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا، وهذا يشبه المشهورات والمظنونات.

ومَا يتوافق عليه الخصمان في المُناظرة من المُسلّمات، إمَّا عَلَىْ سبيل الوضع، وإمَّا عَلَـىْ سبيل الاعتقاد؛ ولكن إذا تكرّر تسليمها، وتكرّر عَلَىْ أسماع الحاضرين فإنّهم يأنسـون بهـا، وتميل أنفسهم إلى الإذعـان إليْهَا أكثر من الميـلِ إلى التكذيب، فيعتقد أن ذلـك الميل؛ لأنَّ معنـى الظن ميلٌ في الاعتقاد؛ ولكنّه ميـلٌ السبب، يقتضي الميل ويناسبه كاعتقادك أنَّ من يخرج بالليل فيخرج لريبة، فإنَّ ميل النفس إلى هذه التهمة لسبـب ولـو تكرّرَ عَلَىْ سمع جماعـة، وأنَّ الأزرق الأشقر مثـلًا لا يكون إلا خائنًا خبيثًـا، فـإذا أوردوه كان ميل نفسوهم إلى اعتقاد الخيانة أكـثر من الميل إلى الصّيانة، وذلك من غير سبب مُحقّق، بل خيالٌ محض؛ بسبب السماع.

ولذلك قيل: من سمع بخل، أي من سمع شرًّا يظنُّ به، والمثل للعرب.

وأخذه البحتري ونظمه.

ويقـربُ هذا من المُخيّلات، وهي تشبيه الشـيء بالشيء المستقبح، أو المستحسن لمشاركته إيّاه في وصف ليس هو سبب القبح والحسن، فتميل النفس بسببه ميلًا.

وليـس ذلك من الظنِّ في شيءٍ، وهـو هذا، مع أنّه أخسّ الرَّبـت[1]، فهو يُحرّكُ النفس إلى أكثر الأفعال، وعنه يصدر أكثر تصرف الخلق إقدامًا وإحجامًا.

وهي المُقدّماتُ الشعرية، ولا نرى عاقلًا عَنْ التأثير بها حَتّى إن المرأة التي يخطُبُهَا الرجـل إذا ذكر اسمها بعضَ الهنود أو السّودان المستقبحـين نَفر الطمع عنها لقبح الاسـم، فيقاوم هذا الجمال الموجود، ويورث نفـرة، حَتّى إن علم الحساب والمنطق الَّـذِي يعرضُ للمذاهـب بالنّفي والإثبـات إذا قيل له من علـوم الفلاسفة الملحدين والمَنطق نفرت طبائعُ أهل الدين عنه.

وهـذا الميـل والنّفرة الصّادران عَنْ هذا الجنس ليس بظـن ولا علم، فلا يصلح أن يجعل مُقدّمة في الفقهيات.

---

(١) الرَّبت: بالفتح هو الاستغلاق، وفى الأصل بضم الراه، والصواب الفتح.

الثالثُ: الأغاليط الواقعة، أَمَّا عَنْ اللّفظ المغلط، وإمَّا عَنْ المعنى الواقع مِن اللفظ، كما يحصـل عَنْ مُقدّمات صادقة في مُسمّى، باسم مشتركٍ، فينقله الذّهن من المُسمّى بذلك الذّهن إلى وجه آخر يدق درك وجه الاشتراك، كالنّور إذا وجد تارة بمعنى الضّوء المبصر، وأخرى لمعنى الَّذي هو المُراد بقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1]، وكذلك قـد يكون مِن الذهول عَنْ موضع وقف الوقف عَلَىٰ الكلام كقولُه تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾[2] فـإذا أهمـل معنى الوقف عَلَىٰ الله انعطف قولُه، والراسخون في العلم، وحصلت مُقدّمة كاذبة.

وقـد يكون بالذهول عـن الإعراب، كقوله تعـالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾[3]، فالغفلـة عـن لام رسوله مـن الرفع إلى الكسر تحصـل مقدمة كاذبة، ونظائر ذلك من حيث اللفظ كثيرة.

وأمَّـا مـن حيث المعنى، فمنه مَا يحصـل من تخيّل العكس، فإذا قيـل كُلُّ قَودٍ[4] فَسَببُـهُ عمد، فيظن كُلّ عمـدٍ فهُوَ سبب قود، فإِنَّ العمـد أرى ملازمًا للقود، وهذا الجنس مساق إلى الفهم.

ولا يزال الإنسان مَعَ التنبّه لأهله ينخدعُ به، ويسبق إلى تخيله من حيث لا يدري أن ينتبه بشـركته.

ومنهـا مَا يسببه تنزيل لازم الشيء منزلة الشيء حَتَّـى إذا حكمَ عَلَىٰ شيء بحكم ظـنّ أنّه يصحّ عَلَىٰ لازمة، فإذا قيل: الصلاة طاعـة، وَكُلُّ صلاة تفتقر إلى نيّة، فتظن أن كل طاعـة تفتقر إلى النية، من حيث أنَّ النية الطاعة لازمة لها، وليس كذلك، فإِنَّ أصل الإيمان ومعرفة الله تعالى طاعة، ويستحيل افتقارها إلى النية؛ لأنَّ النية زائدة في التقرب إلى المعبود، لا تتقدَّمُ عَلَىٰ معرفة المعبود.

وهذا أيضًا كثير التّغليط في الفقهيات والعقليات، وأسباب الأغاليط مما يعسر إحصاؤها.

(١) الآية ٣٥ من سورة النور.
(٢) من الآية رقم ٧ من سورة آل عمران.
(٣) الآية رقم ٣ من سورة التوبة.
(٤) القود هو القصاص.

فإن قيل: في ماذا تخالف العقليات الفقهيات؟

قيل: لا مخالفة بينهما في صورة القياس[1]، وإنّما تخالفهما في المادة، ولا في كُلّ مادة، بل مَا يصلح أن يكون مُقدّمة في العقليات فيصلح أيضًا في الفقهيات؛ ولكن قد يصحّ للفقهيات ما لا يصلح للعقليات، كالظنّيات.

وقد يوجد مَا لا يصلح لهما جميعًا كالمُشبّهات والمغلّطات، ويخالفهما في كيفية مَا تصير بهِ المقدّمة كلّية، فإنَّ المقدمات الجزئية في الفقه يتسامح بجعلها كلية.

وإنّما يدرك ذلك من أقوال صاحب الشرع وأفعاله، وأقوال أهل الإجماع، وأقوال آحاد الصّحابة، إن رأى ذلك حُجّة عَلَىٰ مَا يستقصى ذلك في أصول الفقه.

والجاري منها مجرى الأوّليات من العقليات مَا هُوَ صريح في لفظه، بَيّنٌ في طريقه كاللفظ الصّريح المسموع من الشّارع، والمتواتر كالمسموع.

فقوله تعالى: ﴿ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ﴾[2] صريح في لفظه، أي: في إفهام كونه عشرة، بيّن في طريقه عَلَىٰ أنَّ القرآن متواتر، وقد يكون بيّنًا في طريقه ظاهرًا في لفظه، غير بَيّن في طريقه، كالنّص الّذي ينقله الآحاد من لفظ صاحب الشرع، وقد يكون عادمًا للقوّة بيّنًا كالظّاهر الّذِي ينقله الآحاد.

وجملة الألفاظ الشرعيّة كقولك: كُلّ مسكرٍ حرام.

الثاني جزئية أريد بها جزئية، كقولك، في الذّهب والإبريسم[3]: هذان محرمان عَلَىٰ ذكور أُمّتي، فإنّه نفيٌ مختصٌّ بالذكور، ولم يتعَدَّ إلى الإناث.

الثالث كلّية أُريد بها جُزئية، كقوله تعالى: ﴿فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا﴾[4] أراد به بعض السّارقين، فإذا أريدَ أن تحول هذه كلّية ضمًّا إليها الأوصاف التي بان اعتبارها فيه.

---

(١) القياس: هو القول المركب من قضايا متى سلمت لزم عنها لذاتها قول آخر مثل الحديد معدن، وكل معدن عنصر فيكون الحديد عنصرًا، فهو عبارة عَنْ الموازنة بين شيئين بتوسط أمر ثالث.

(٢) الآية ١٩٦ من سورة البقرة.

(٣) هو الحرير.

(٤) الآية رقم ٣٨ من سورة المائدة.

وقيل مثلًا: كُلُّ من سرق نصابًا كاملًا من حرز مثله، لا شبهة له فيه، وهو بالغٌ عَاقلٌ، ملتزم لأحكام الشرعية الإسلام، وطالب المسروق منه بذلك فيقطع، مثلا في الَّذِي سرق الأشياء الرّطبة مثلًا بهذه الصّفة، فيقطع، هذا هو العادة، والصّواب في رسم الحدِّ في الفقه.

والأولى أن يترك اللفظ العام[١] عَلَىْ عمومه، ولا يُخصّص منه شيء[٢] إلا بدليل يرجح عَلَىْ العموم، من أن الخصوص قد يتطرق إلى العموم، فليس مانعًا من التمسك بالعموم عَلَىْ اصطلاح الفقهاءِ، وإذا اصطلحوا عَلَىْ هذا فالتّمسك به أولى.

ومن إيراده في شكل قياس؛ لأنَّهُم يقولون بتخصيص العِلة.

ومهما قلتُ: مَنْ سرق نصابًا كاملًا من حرز مثله قطع منع منه الخصم، وقد أهملت وصفًا، وهو ألا يكون المسروق رطبًا، فما الَّذِي عرّفك، أن هذا غير معتبر، فلا يبقى لك ألا أن تعود إلى العموم، وتقول: هو الأصل، ومَنْ زاد وَصْفًا فعليه الدّليل، فإذا التّمسك بالعموم أولى إذا وجدته.

الرّابعُ: هُوَ الجُزء الَّذِي أُرِيدَ به الكُلّي، فكما يُعبّرُ عَنْ الخَاص بالعام، كقولك ليس في الأصدقاءِ خير، وتريد به بعضهم، فقد يطلقُ الخَاصُ وَيُرَادُ به العّام، كقولُه تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾[٣]، فإنه يريدُ بهِ سائر أنواعِ ماله.

وكقولُه تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾[٤]. فتعبّر بالقليل عَنْ الكثير.

وكقولُه تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾[٥].

---

(١) في الأصل: العالم.

(٢) في الأصل: شيئًا.

(٣) الآية رقم ٧٥ من سورة آلا عمران.

(٤) الآية رقم ٧ من سورة الزلزلة.

(٥) الآية رقم ٢٣ من سورة الإسراء، وفي الأصل: ولا تقل بالواو بدل الفاء.

وكقولُـه تعـالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾[١]، ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾[٢]، أراد بـه الإتـلاف الَّذي هو أعـمُّ من الأكل؛ ولكن يعبر بالكل عنه. فالمعنـى الكُلّي المراد به كُلَّ تـبرّم بالوالدين فهو حرام وكُلّ إتـلاف لمال اليتامى فهو حرام، فتحصل منه مُقدّمة كُلّية.

فإن قيل: فالمعلوم بواقعة مخصومة، هل كلّية يفتقر مخصّصها إلى دليل، أم هي جزئية يفتقر في تعميمها إلى دليل.

ذلك قولُهُ - ﷺ - لأعرابي أعتق رقبة، لَّما قال: جامعتُ أهلي في نهار رمضان، وكرجمـهِ ماعزًا[٣] لَّما زنا، فهل ينزل ذلك منزلة قولُهُ: ((كُلّ مَنْ زنا فارجموه، وَكُلّ من جامع زوجته في نهار شهر رمضان فليعتق رقبة)).

قيل له، هو كقولُهُ: كل مَا هو موصوف بصفة الأعرابي إذا هلك وأهلك، فجامع أهله في نهار رمضان: أعتق رقبة.

ثم صفة الجماع الَّذي هو وصفة السائل في رمضان، والمعتبر من صفات الأعرابي مَـا عرفـه رسـول الله - ﷺ- حَتَّى ينزل تـرك الاستقصار مع إمـكانِ الإشكال، كعموم المقال، حَتَّى إذا لم يعرف أنّه كان حُرًّا أو عبدًا. كان هذا كالعموم في حقِّ الحُرِّ فالعبد، وإن عرف كونه حُرًّا فالعبد ينبغي أن يتكلف إلحاقه بأن يظهر أنَّه لا يؤثر الرق في دفع موجبات العبادات.

وإنَّمـا أنزل هـذا منزلة العّام؛ لأنه قد كان، قال عليه السلام: ((حكمي في الواحد كحكمـي في الجامعة))، ولـو عُرف من عاداتـه أن يخصّ مـن كُلِّ شخص بحكم مخالف للآخر لَّما أقيم هذا مقام العّام. وفي هذا مزيد لا يحتمله كتاب.

وقـد بـيّن عند النّظر في صورة القياسِ، أنَّ الحُكمَ الخاصّ إنَّـما يُجعل كُليًّا بست طُـرق، وهي بيـان، أن مَا به[٤] الافتراق ليس بمؤثر، وإن مَـا فيه الاجتماع هو المؤثر والمناسب؛ ليكون مُنَاطًا، وهو بالغٌ في الكشف عَنْ الغرض.

---

(١) الأية رقم ٢ من سورة النساء، وفي الأصل: ﴿ولا تأكلوا أموال اليتامى﴾هذا التركيب ليس من آيات القرآن الكريم، كما وهم المؤلف.

(٢) الآية رقم ١٨٨ من سورة البقرة.

(٣) هو ماعز بن مالك.

(٤) في الأصل: إنما، متصلة.

وذلـك لأن مـن الجزئيّات مَا يُعلم المُـراد مِنْهَا كُلِيًّا(١)، ومنهـا مَا لا يعلم(٢)، ذلك كمـن لم يعلم من أصحـاب الظّواهر المراد بالجزئيـات الستة المذكورة في الربوبيّـات أمرًا أعـمّ منها، وعرف كافّة النّظار أن المراد بالـبُرّ ليس هو البُرّ، بل لمعنـى أعمّ منه، إذ أبقى البُرّ ربيويًّا بعد الطحـن، وصار دقيقًا، وفارقه اسم البُرّ، فعلم أن المراد به وَصْفًا عامًّا كُلِيًّا، اشترك(٣) فيه الدَّقيقُ والبُرُّ؛ ولكن الكُلّي العّام قد يُعرَفُ بالبديهةِ مِنْ غير تَأمُّلٍ، كمعرفتنا بِأنَّ المُحرّم هُوَ التزام العام دون البَاقي والخاصّ، وقد يُشكُ فيه كَالبُرِّ والدّقيقِ، فإن الدّقيقَ والبُرَّ مشتركان في كُلّيات، مثل الطعّم، والاقتيات والكيل والمالية، فإذا وقع الشكُ فيه لَمْ يَكُن إثباته إلّا بأحدِ الطُّرقِ السَتة التي ذكرناها. هكذا قال أبو حامد(٤) في المعيار. انتهى.

والنّقـع الغبـار كالعجاج والقسطـل(٥)، وقد مضى الكلام فيـه، والضَّبابُ بفتحِ الضّاد المعجمة سحابٌ أبيضٌ رقيقٌ كالدّخان لا مطَرٌ فيه.

وحصول المعنى الكُلّي من هذا البيت:

وكـم سفينة للنَّصارى صارت إلى الإمام سلطان بن سيـف بالسيفِ اغتنامًا غَدَاة توهموا النفع الَّذِي أثاره لجِلادِهم في بلادهم ضبابًا غمامًا.

قولُهُ:

فَـقَلْـعَـتُـهُ الَّـتِـي فِي عَـقْـرِ نَـزْوَى ... فَـمِنْـهُـم بَـعْـضُ مَـا غَـنِـمَ اسْتِلَابَـا

يقـول: فقلعَتُهُ التي بناها بعقر نزوى عُمَان، يعنى سلطـان بن سيف الإمام، فمن بعض مَا غنمه منهم، يعنى النَّصارى، استلابًا بالسيفِ الحسام، لِعزِّ دولة الإسلام.

---

(١) في الأصل: كلي، ولا يعلم المراد الكلي من الجزئيات إلا إذا كانت الجزئيات جميعها مشتركة في صفة عامة هي مفهوم الكلي، وهذا هو أساس الاستنباط.

(٢) لأن الجزئيات وإن كانت متحدة في الصفات المشتركة؛ ولكنها مختلفة في الصفات المفارقة.

(٣) في الأصل: اشتركا فيه الدقيق والبر.

(٤) هو أبو حامد الغزالي (١٠٥٩ - ١١١١م) الفقيه المتكلم، والفيلسوف الصوفي، والمصلح الديني والاجتماعي، وصاحب رسالة روحية، كان لها أثرها في الحياة الإسلامية، وله مصنفات كثيرة، أهمها كتاب إحياء علوم الدين.

(٥) القسطل والقسطال والقسطلان: بمعنى وهو الغبار.

قولُهُ:

يُـحَـيِّرُ سُمْكُهَا الـبَـازِي إِذَا مَا عَـلَـيْـهَـا حَـامَ مِـنْ عَـطَـشٍ وَلَابَـا

حَـيَّرَهُ يُحَـيِّرُهُ إذا تركه حيران[1] ضَـالًّا، قصده ومرده معـدّى. وحار هو يحورُ لازم، والسمْكُ العلوُّ والارتفاع، والبازي طيرٌ معروفٌ، وهو أقوى الطير نشاطًا في الطيران، وأسرعها انحدارًا إلى الأرض، فهو في القوة والإغرار في سائر الطير كقوة الأسد وإغراره في سائر الحيوان غير[2] النّاطق.

قال المتنبي شعرًا:

لَيْسَ كُلُّ الْبُزَاةِ بِالرَّوْدِ بَازِي وَلا كُلُّ مَـا يـطِـيرُ بِـبَـازِي

جمع بزاة، وحَامَ الطّائر إذا طاف في الهواءِ عَلَىٰ الشيء ولم يجاوزه كي يقع عليه، ولابَ للشرب إذا بعد حومته ووقع[3] عليه، أو دنا منه؛ ليقع عليه.

قال جرير:

فَـحَـامَ عَـلَـىٰ شَـرَائِـعِـهِ وَلَابَـا

والمعنـى: أنَّ عُلوَّ هذِه القلعـة يُحيِّرُ البازي إذا حام عليهـا ولاب من عطشٍ عَلَىٰ الموارد المقتربة إليها، فلا يدري هي في الحقائق غمامةٌ أم رأسُ جبلٍ شاهقٍ.

قولُهُ:

وَأَجْـدَى الـبُرْكَـةَ الْخَـضْـرَاءَ نَهرًا فَنَاجَى عَـذْبُـهُ الْقُضْبَ الرِّطَابَا[4]

أجـداهُ يجدى إذا أنعَم عليه وأعانه وأعطـاه، والبُرْكَةُ بضمِّ الباء وسكن الراء بلدة صغـيرة أمـام إزكي، وهي أقرب مـن إزكي إلى نـزوى، أكثر ساكنيها بنـو[5] ريام، والخضراء نقيض اليابسـة، والنّهرُ الفلج الكبير عَلَـىٰ الأشهر، والمُناجـاة المحادثة سِرًّا، والعذبُ السائغ من مـاءٍ وغيره، والقُضُبُ جمع قضيـب وقضبان، والرِّطاب المُخضرات نقيض اليابسات.

---

(١) في الأصل: حيرانًا بالتنوين، والصواب عدم الصرف.

(٢) في الأصل: الغير الناطق، والصواب عدم تعريف كلمة غير لاكتسابها التعريف بالإضافة إلى المعرفة.

(٣) ترتيب الجملة يقتضي تقديم الفعل وقع، فتكون الجملة، لا بد للشرب إذا وقع عليه أو دنا منه بعد حومته ليقع عليه، فاللوب هو استدارة الطائر حول الماء وهو عطشان لا يصل إليه.

(٤) في الأصل: فناجا.

(٥) في الأصل: بني ريام.

والمعنى الكُلّي من هذا البيت، أنَّ الإمام سلطان بن سيف جاد عَلَىْ البُرْكة الخضراء بنهرٍ عذبٍ، فناجى منها، لَمَّا انساب، الغصون الرطاب.

قولُهُ:

نَفَى الْجَبَرُوتَ فَهْوَ إِلَيْهِ لُطْفٌ ... بِمَنْ سَكَنُوا الْمَرَابِعَ وَالشِّعَابَا

نفاه ينفيه إذا أبعده عنه، وهو ضِدُّ الإثبات، والجبروت الكبرياء، واللطف الرحمة واللِّينُ والرقّةُ وضِدُّ الشدة، والسكون هُنَا المكث في المواطنِ والمرابع، والحلُّول بها والمرابعُ جمع مربع، يطلق عَلَىْ الدّيار المأهولة المعمورة، والشعاب جمع شعب، وهي الأماكن الضيقة الضنّكة المتفرقة من جبال ورمال غائرة.

والمعنى الكُلّي من هَذَا البيت، أنَّ الإمام سلطان بن سيف بكرم النَّاسُوتِيّة نفى شكاسة الجبروتيّة.

فهو له لُطف بمن سَكَنُوا المرابع التي تَتُوق والشعاب التي لا تروق.

الإمام بلعرب بن سلطان [١]

قولُه:

فَمَاتَ وَبَعْدَهُ أَضْحَى إِمَامًا بَلَعْرَبُهُ فَنَافَى مَا أَرَابَا

حصول المعنى الكُلّي لهذا البيت، فمات الإمام سلطان وبعده أضحى ابنه بلعرب إمام عُمَان، فَنَافَى بلعرب بالعدل في إمامته مَا أراب، وَمَا رأتِ الرعية منه عابا.

والنفي كما ذكرنا أوّلًا نقيض الإثبات، وحروفه، لا، ولن، وما، ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾[٢] - ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ﴾[٣] - ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[٤].

والريب مَا يريب القلوب، وفي المثل: دعَ مَا يريبك إلى مَا لا يريبك.

وفي الكتاب الكريم: ﴿وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾[٥].

القصة:

أخبرني غيرُ واحدٍ من المشايخ المُسنِّة، منهم الشيخ معروف بن سالم الصّائغي، والشيخ خاطر بن حميد البداعي وغيرهما عمَّا سمعوه من آبائهم المُسنِّة، فاختلف رواياتهم لفظًا، وائتلفت معنى.

قالوا: لمَّا مات الإمام ناصر بن مرشد، رحمه الله، نصب المسلمون سلطان بن سيف في اليوم الَّذِي مات فيهِ الإمام ناصر بن مرشد.

قالوا: وكان سلطان بن سيف أيّام الإمام ناصر بن مرشد للإمام ناصر بن مرشد سَيْفًا وكفًّا، يبيد بهِ الأعداءَ.

وقد بعثه الإمام ناصر بن مرشد أيّام دولته لحرب النَّصارى الَّذِين بمسقط ومطرح مرارًا، فزلزلهم بمن معه من القوم الاستقامية زلزالًا شديدًا، وهَدَم لهم مباني في

---

(١) العنوان زيادة من المحقق.

(٢) الآية رقم ٢٠ سورة الحشر.

(٣) من الآية رقم ١٧٢ من سورة النساء.

(٤) من الآية رقم ١٠٢ سورة البقرة.

(٥) من الآية رقم ٤٥ من سورة التوبة.

رُؤوسِ[١] جبال مطرح، ومسقط، وصرع بغاراته عليهم ودلافته إليهم رجالًا كثيرة، وأخذ منهم الجزية للإمام ناصر بن مرشد مرارًا.

فلمَّا مات الإمام ناصر بن مرشد نكث[٢] النَّصارى العهد وقطعوا[٣] الجزية، ومنعوا[٤] المسلمين عَنْ الوصول إلى مسقط، وعتوا عتوًّا كبيرًا.

فلمَّا صارت الإمامة بعد موت الإمام ناصر بن مرشد لسلطان بن سيف أقام العدل، وشمر، وجاهد في اللهِ، ونصب الحرب عَلَىٰ النَّصارى، أهل مسقط ومطرح، المعروفون بالبرتكيس.

وسار إليهم بنفسه بجمعٍ كثيرٍ، فأقام بطوي الرّولة من مطرح، وبلغ معسكره إلى سيح الحرمل[٥].

فجعل عسكره تارة يغزون مسقط، وتارةً يضربون من رُؤوسِ الجبال النَّصارى القابضين حصن مطرح.

وجعل[٦] النَّصارى عَلَىٰ رأس كُلِّ جبلٍ بمسقط أشدَّ رِجالهم، أهل التّفق[٧] فما قدر المسلمون عَلَىٰ دخولهم مسقط، واقتحامهم لخندق سورها من كثرة جنود المشركين، ورميهم للمسلمين بالمدافع والبنادق، وقد نصبوا سلسلة حديد في رأس الجبل المشرف عَلَىٰ ميابين، وعلى الوادي الَّذي يمر عَلَىٰ بئر زنجي إلى الجبل الَّذِي الآن به البرج المربع، وهو الجبل المشرف عَلَىٰ حلة الأوغان، وجعلوا عَلَىٰ هذه السّلسلة سُورًا من حديد، وأكمنوا فيها[٨] رجالًا من قومهم؛ ليصدوا المسلمين عَنْ الركضة للسُّورِ، وقد أترعوا[٩] الخندق بماءِ البحر الصغير الَّذِي هُوَ شرقي الباب الصغير، وأكمنوا عَلَىٰ السّور عَسَاكِر جمة من قومهم.

---

(١) في الأصل: وهدم لهم مبانيا في روس.
(٢) في الأصل: نكثت.
(٣) في الأصل: وقطعت.
(٤) في الأصل: ومنعت.
(٥) موضع بقرية روي ولاية مطرح.
(٦) في الأصل: وجعلت.
(٧) أهل البنادق.
(٨) في الأصل: فيهن.
(٩) ملأوا.

وكان للنَّصارى وكيلان من البانيان، أحدهما يُسمَّى سَكبيله، والثاني يسمَّى نروتم[١].

فخطب أمير النَّصارى القابض في الحصن الشرقي من مسقط بنتًا من بنات سكبيله، لمَّا سمع أن له بنتًا ذات جمال فائق، وبذل له من المهر مالًا كثيرًا من الذّهب والفضة وسائر الجواهر.

فكان جوابه له: لستم في القديم ولا في الحديث، أنتم تتزوجون بناتنا، ولا نحنُ، فهذا شيءٌ لا يمكن كونه.

فلمَّا أغلظ عليه النّصراني الكلام، وعلم أنَّه إن لم يطاوعه عَلَىْ مراده ليأخذ ابنته منه كرهًا.

قال له: أمهلني إلى كذا وكذا من الزمان حَتَّى أصوغ للابنة حليًّا يُصاغ لِكُلِّ عرسٍ من بناتنا الأبكار خاصّة، فإذا خلص، ووصلني دفعت إليك الابنة.

فأذعن النّصراني له بذلك، ورفع منزلته فوق المنزلة الأولى عنده.

فكان لا يحدث شأنًا إلا يشاوره فيه.

فلمَّا تمكن منه سكبيله كُلّية التمكين قال له: إنَّ الماءَ الَّذِي في برك الحِصنين قديمٌ، وقد اشتمل عليه الدّود، والحصر إخاله[٢] ليطول علينا من المسلمين فالرأي المرئ[٣] أن نخلوا الماء من البرك، وندخل عوضه فيها[٤] ماءً جديدًا، وكذلك البارود[٥]، لننزله منها[٦]؛ لُيدق ثانية، فإنه قد أظهر الفساد عَنْ حاله الأوّل بطول المدة. فأنعم له بذلك.

فلمَّا بلغ مراده منه، وفعل كما قال له، يخلو الماءِ والبارود من الحصنين كتب للإمام سلطان بن سيف بسرعة الوثبة عَلَىْ مسقط، وأخبره عمَّا كان من النصراني، وعمَّا كان منه له تفصيلًا وجملةً، ووقت له الوقت الَّذِي يركض[٧] فيه عَلَىْ مسقط بمن معه من المسلمين.

(١) في الأصل: نزوتم، ونروتم البانياني هو واحد من كبار الجالية الهندية.

(٢) أي أحسبه.

(٣) أي السديد الصائب

(٤) في الأصل: فيهن.

(٥) في الأصل: الباروت.

(٦) في الأصل: منهن.

(٧) في الأصل: ليركض.

وذلك في يوم الأحد عند طلوع الشمس في يوم العاشر من شهر رجب سنة تسع وخمسين بعد الألف[١].

وكان عيد النَّصارى في يوم الأحد، يشربون فيه الخمور، ويضعون فيه السلاح، ويشتغلون بطربهم وملاهيهم.

فركض عليهم سلطان بن سيف ومن معه من المسلمين، فدخلوا السور، وركضوا عَلَىٰ الحصنين، فأخذوهما في ساعةٍ واحدةٍ، وقتلوا من فيهما من النَّصارى.

فأخبرني غير واحدٍ، أن الإمام سلطان بن سيف ضرب واحدًا من النَّصارى حذاء الجزيرة، وهو قد لاذ بعمود مدفعٍ حديد، فقطع السيف الَّذِي ضرب النّصراني عصفور المدفع وفخذي النصراني.

فجعل يقول لمن يمر عليه من المسلمين، والله مَا هي إلا ضربة واحدة قطعت العصفور والفخذين منه، وَمَا فتر[٢] عَنْ ذلك حَتَّى مات.

وما بقى للإمام محاربٌ من النَّصارى إلا كبريته، وهو شجاعٌ من شجعانهم، قابضٌ للبرج المُسمّى باسمه إلى الآن (برج كبريته).

فجعل كبريته يحارب المسلمين كُلَّ يوم حَتَّى قتلوه في سوق البز[٣]، هو ومن معه كافّة.

وما بقى للإمام محاربٌ من النَّصارى غير الكامنين في حصن مطرح، وأهل مركبين من مراكبهم.

ثم ركض[٤] عليهم المسلمون في خشابٍ[٥] صغار، فنصرهم الله عليهم، فقتلوا من المشركين كثيرًا، وَمَا سلم منهم من القتل إلا قليل.

ثم سلم[٦] القابضون منهم حصن مطرح للإمام الحصن، فعبّرهم ومن بقى منهم إلى جَوَّة.

(١) الموافق: ١٨ يوليو ١٦٤٩م.
(٢) أي ظل يردد هذا الكلام حَتَّى مات.
(٣) البز: الثياب، أو متاع البيت من الثياب وغيرها.
(٤) في الأصل: ركضت.
(٥) سفن من الخشب.
(٦) في الأصل: سلمت.

ورفع الإمام الجزية عَنْ سكبيله ونروتم، وعيالهما الجزية[١]؛ لمناصحتهما له وللمسلمين.

ولم يزل الإمام يجالد النَّصارى البرتكيسية بحرًا وبرًّا.

فاستفتح من أملاكهم الدِّيو ودمره[٢]، وغيرهما، وملك كثيرًا من مراكبهم، وغنم كثيرًا من أموالهم.

فالتقت الرواة، أنَّ الإمام سلطان بن سيف بنى القلعة التي بعقر نزوى من غنيمة الديو، ولبث بنيانه لها إلى أن تمَّ اثنتى[٣] عشرة سنة.

وأحدث فلج البركة الَّذي بين إزكي ونزوى، وجعل في كُلِّ بلادٍ لغيره، وشهيرة بوجود التحف، رجلًا من ثقات المسلمين، يشترى له التحف الثمينة من خيل وأعنّة[٤] وسلاح، إعزازًا لدولة المسلمين عَلَىْ ذلِّ المشركين، وعلى الطاغين الباغين من أهل القبلة، وَرُبَّما تكلم متكلمٌ في إمامته؛ ولكنه غير ثقة في الحديث، ولا يُعدُّ من جهابذة[٥] المسلمين، فقال:

إنَّه قد صرف همّته إلى أسباب التجارات. والصحيح مَا ذكرناه.

واعتمرت عُمَان في دولته وزهرت واستراحت[٦] الرعية عصره، وربح[٧] أهل التجارات في دولته، ونمت الثمار ورخصت الأسعار.

وكان متواضعًا للرعية، غير محتجب عنهم، سائلًا عَنْ فقيرهم وغنيهم، ويخرج إلى الطّريق بغير عسكر، ويحدث الرعية، ويسلم عَلَىْ كبيرهم وصغيرهم، واضعًا ميزان العدل والإنصاف بينهم.

---

(١) كذا في الأصل: وهي زيادة.

(٢) الديو، ودمره: معقلين من معاقل البرتغاليين في الساحل الغربي للهند.

(٣) في الأصل: اثنى عشر سنة والصواب تأنيث العدد.

(٤) جمع عنان: وهو سير اللجام الَّذي نمسك به الدابة.

(٥) جمع جهبذ بالكسر، وهو النقاد الخبير.

(٦) في الأصل: واسترحت.

(٧) في الأصل: وربحت.

أخبرني غير واحدٍ من المشايخ المسنة عَنْ آبائهم المشرفين عَلَىٰ دولة الإمام سلطان ابن سيف، أنَّه بعث رجلًا إلى مُخَا[١] اليمن، يشتري له مَا يستحسن من التّحف الثمينة التي يحصل بها إعزاز المسلمين عَلَىٰ ذلِّ المشركين، وأنفذ له مالًا جزيلًا.

فلمَّا وصل المخا رأى دَلالًا ينادي عَلَىٰ عنان خيل وسرج، وذلك العنان والسرج مرصعان بالدرر، وأنواع الجوهر، فأقام عليه الزبون.

فلمَّا بلغ عشرة لكوكٍ[٢] طابت نفسه عَلَىٰ الدلال، وقال له، بعه عَلَىٰ مَا بلغك هذا الثمن، فأنا لالي وطرٌ فيه[٣].

فلمَّا رجع ذلك الرجل إلى الإمام سلطان بن سيف، وأخبره عَنْ العنان والسرج، وَمَا بلغا من القيمة، وتركه لهما.

قال له: مَا صنعت خيرًا، ارجع إلى المخا، واشتر من التجار الذين اشتروهما؛ لأجل الجواهر للتجارة.

فرجع ذلك الرجل إلى المخا، واشترى العنان والسرج من التاجر الَّذِي اشتراهما، وضاعف له الثمن.

فقيل: إنَّه قد أمره الإمام لمَّا رجعه إلى المخا بعد مَا يشتريهما أن يخرج الجواهر منهما، ويدق الجواهر في سوق المخا حَتَّى تصير كالزجاج المكسر، ثم يرميها في البحر. ففعل كما أمره به.

وقيل: إن أمره أن يأتي بها إليه، فأتى بها إليه بعد مَا ضاعف الثمن للتاجر، كما ذكرنا، وهذا أصح عن جملة أشياخ حديثهم على نسقٍ واحدٍ في هذه الرواية.

ولم يزل الإمام سلطان بن سيف قائمًا، مُشمِّرًا للاجتهاد والجهاد في سبيل ربِّ العباد، آمرًا بالمعروف ناهيًا عَنْ المنكر حَتَّى مات رحمه الله.

وكانت وفاته ضحى يوم الجمعة وثاني عشر يومًا من شهر شوال سنة التسع

(١) بلدة ساحلية باليمن.

(٢) جمع لك، عملة نقدية من الفضة.

(٣) أي لبس لى رغبة وحاجة.

والسبعـين السنة بعد الألف، عَلَىْ أصحِّ الروايات[١]، وقبر حيث قبر الإمام ناصر بن مرشد حول مساجد العُبّاد من نزوى.

وكان الإمام سلطان بن سيف يقال له صاحب الكاف، فمنهم من ذهب أنَّه سمى بذلـك لمعرفته بالكيمياءِ، لمَّا كثر معه المال، ومنهـم من ذهب، أنَّه سُمّي بذلك لأجل سمة ركابه، فإن سمتها كاف. وهذا عندي أصح، والله أعلم.

(١) الموافق: ١٥ مارس ١٦٦٩م. وفي كتاب الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين يذكر ابن رزيق أن وفاة الإمام سلطان بن سيف كانت ضحى يوم الجمعة وسادس عشر من شهر ذي القعدة سنة تسع وخمسين وألف سنة، أي ٢٢ نوفمبر ١٦٤٩م.

عودة إلى سيرة الإمام بلعرب بن سلطان [١]

قولُهُ:

وَمِنْهُ العَدْلُ شَاعَ لَهُ شُعَاعٌ وَمِنْهُ الْجُودُ مَا أَلِفَ انْتِضَابَا

العدل معروف، وقد مضى فيه الكلام، وشاع الشيء إذا ظهر، والشعاع النّور الَّذي تظهره الشَّمْسُ عند طلوعها إلى وقت غروبها؛ ولذلك سُمّيت الغزالة لمّا تظهره من النّور فيخال كأنَّها تغزله، والجود الكرم، ونضب الماءُ وغيره إذا جفَّ، فهو عَلَىْ الحقيقة جفافه، وجفاف غيره عَلَىْ المجاز.

والمعنى الكُلّي: أنَّ الإمام بلعرب بن سلطان بن سيف لمَّا بويع له بالإمامة، وصار مشهورًا بها عند الخاصّة والعامّة شاع نور عدله في البلاد، وَمَا جفَّ جوده المُنّهل عَنْ العباد.

قولُهُ:

بَنَى [٢] حِصْنًا بِيَبْرِينٍ وَفِيهِ قَدْ ارْتَحَبَتْ مَدَارِسُهُ ارْتِحَابَا

يقول: ولمّا تمكّن الإمام بلعرب في الإمامة بنى حصنًا بيبرين [٣]، وهي بلدة صغيرة مقتربة من بهلا، وقولُهُ: وفيه، أي: وفي ذلك الحصن أقام مدرسة للعلم، فارتحبت تلك المدرسة، أي: فاتسعت اتساعًا بجوده ولطفه لطَلبةِ العلم الشريفِ.

وبالجملة، إن حصن بيبرين لم يحكه بعُمَان حصن، حُسنًا قَطّ، ولو قلت: لم يحكه حصنٌ بعُمَان ولا بغيرها من البلدان حُسنًا وَقُوّةً لم يشرف قولي عَلَىْ هتر [٤].

والعامة تُسمّي يبرين جبرين بالجيم، والصواب، أنّها يبرين بالياءِ والباءِ والراءِ والياءِ والنّون.

وممّا أفرغ الإمام بلعرب عَلَىْ بنيانه أعظم مما أفرغ أبوه عَلَىْ قلعة نزوى من المال، وأكثر وأعظم وأكثر ممّا أفرغ عَلَىْ بنيان حصن الحزم، بعدما انفق مَا ورثه من أبيه سيف بن سلطان من أموال المساجد والوقوفات لكوكًا، والإمام بلعرب لم يقترض

---

(١) زيادة من المحقق.

(٢) في الأصل بنا بالألف.

(٣) بلدة معروفة باسم جبرين عَلَىْ بعد أربعة أميال إلى الجنوب الغربي من بهلا.

(٤) الهتر: بالكسر الكذب أو السقط من الكلام.

مـن أحد فلسًا، فضلًا عَنْ المائة والك، من أحـد، ولا أحد تكلّم أنّه ظلم النّاس فلسًا واحـدًا، فضـلًا عَنْ المئـين(١) واللكوك، وهذا الشـأن شائع من الإمـام بلعرب عند الجماهير، والعلماء النحارير من أهل عُمَان وغيرهم، أنّه مَا اقترض لبنائه حصن يبرين فلسًا ولا درهمًا ولا دينارًا.

قولُهُ:

فَـأَكْـرَمَ مَـنْ لِعِلْـمٍ سَـاقَ عِيسًا ... وَمَـنْ حَمَـلَ الْـهَـرَاوَةَ وَالْجِـرَابَـا

الكرم معروف، ومَـنْ ها هُنَا اسميّة، والعلم بحرٌ لا يستقصى، وفي فضله(٢) قال النبيُّ - ﷺ - ((اطلبوا العلم ولو في الصّين)).

وَسُئِلَ النبـيُّ - ﷺ - لابـن عباس، رحمـه الله، فقال: ((اللّهـم عَلّمهُ الحكمة وتأويل القرآن))، وفي بعض الروايات: ((اللهم فَقّهُ في الدين، وعَلّمه التأويل)).

وفي حديث آخر: ((اللّهُمّ زِدْهُ فقهًا وَعِلمًا))، وهي كلّها أحاديثُ صحاحٌ.

وقـال مجاهد عَـنْ ابن عباس، رَأيتُ جبريلَ الأمـين- عليه السـلام - عند النبي -ﷺ- ودعا لي رسول الله - ﷺ - بالحِكمةِ مرّتين.

وكان عمـر بـن الخطاب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - يقـول: ابن عباس فتى الكهول، لـه لسانٌ سود(٣)، وقلبٌ عقولٌ.

وروى مسروق عَنْ ابن مسعود قالَ: ترجمان القُرآنَ ابن عبّاس، لو أدرك إساءتنا مَا عاش منّا رجل.

وقـالَ عيينة عَنْ ابن أبي نجيح عَنْ مجاهد، مَا سمعت فتيا أحسن من فتيا ابن عبّاس إلا أنّ يقولُ قائلٌ، قالَ رسولُ الله - ﷺ -.

وقال طاوس(٤)، وإذا تكلم قُلتُ أفصح النّاس، وإِذَا تحدّث قلتُ أعلمُ النّاس.

---

(١) في الأصل: المايين.

(٢) استطراد من المؤلف حول العلم، وهذا عادته.

(٣) على وزن فعل بفتح الأول وسكون الثاني، صفة مشبهة من السؤود، وهو العظمة والإجلال، وفي الأصل: له لسان سودا.

(٤) هو طاوس بن كيسان اليماني، تابعي.

وذكر الحلوائي قال: حدّثنا أبو أسامة، حدّثنا الأعمش، حدّثنا شقيق بن وائل قال: خطبنا ابن عبّاس، وهو بالموسم، فافتتح بسورةِ النّور، فجعل يقرأ وَيُفسّر، وجعلتُ أقول: لا رأيتُ ولا سمعتُ كلامَ رجلٍ مثله، لو سمعته فارسٌ لأسلمت.

وقالَ طاوس: أدركتُ خمسمائة من أصحابِ رسول الله - ﷺ - إذا ذكروا ابن عبّاس تخلّقوه، فلم يزل يقررهم حَتَّى ينتهوا إلى ابن عبّاس.

وروى سعيد عَنْ الأعمش عَنْ أبي الضحى عَنْ مسروق أنَّه قال: إذا كنت رأيت عبدالله بن عباس قلتُ: أجمل النّاس، وإذا تكلم قلتُ: أفصح النّاس، وإذا تَحدّث قلتُ: أعلم النّاس.

وعن الأعمش قال: قال: حدّثنا يحيى بن آدم قال: حدّثنا أبو بكر بن عباس عَنْ عاصم عَنْ شقيق مثله.

وقالَ عَمْرو بن دينار، مَا رأيتُ أجمع لكل خير من مجلس ابن عباس في الحلالِ والحرام والعربيّة، وأحسبه قال: والشّعر.

ولقد كان عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - يعده للمعضلات، مع اجتهاد عمر ونظره للمسلمين.

وقال القاسم بن محمّد، مَا رأيتُ في مجلس ابن عبّاس باطلًا قطّ، وَمَا رأيت ولا سمعت فتوى أشبه بالسنّة من فتواه.

وكان أصحابه يُسمّونه البحر، ويُسمّونه الحَبر.

وعن الربيع بن حبيب قال أبو عبيدة: كان ابن عباس فَقِيهًا عالِمًا في زمانه، وكانوا يُسمّونَهُ من كثرة العلم، العَالِمُ الربَّاني.

وقيل: قعد ذات يوم مع أصحابه، فقال: اسألوني عمَّا دون السماءِ السابعة والأرضين السفلى أخبركم - إن شاء الله تعالى.

وفضائل عبدالله بن عباس في العلم كثيرة، تركت أكثرها طلب الاختصار. وفي المنطق قال أبو حامد في المعيار:

العلم ينقسم إلى علم بذواتِ الأشياءِ، كعلمك بالإنسانِ والشجرِ والسماءِ، وغير ذلك، ويُسمّى هذا العِلم تَصورًا، وإلى العلم بنسبة هذه الذوات المقصورة بعضها عَلَىٰ بعض، أَمَّا بالسّلب أو الإيجاب، كقولَك: الإنسان حيوان، والإنسانُ ليس

بحجـر، فإنّكَ تفهم الإنسان والحجر فهمًا تَصَورِيًا لذواتهما، ثم تحكم بأنَّ أحدهما مسلـوب[(١)] عَنْ الآخر وثابت له، وَيُسمّى هـذا تصديقًا، فإنَّهُ يتطّرقُ[(٢)] إليه الصّدقُ والتكّذيب.

فالبحـثُ النظريُّ للطّالب، إمَّا آت بنتيجـة إلى تَصور أو إلى التصّديق، فالموصول إلى التصور يُسمّى قولًا شارحًا، فمنه حدّ، ومنه رسم، والموصول إلى التصّديق يُسمّى حُجّة، فمنه قياس أو منه استقراء، وتمثيل وغيره.

قالَ: فإن قيل لك كيف يجهلُ الإنسانُ العِلمَ التصوري حَتَّى يفتقر إلى الحدِّ.

قُلتَ: بأن يسمع اسمًا لا يفهم معناه، كمن قال: مَا الخلا، وَمَا الملا، وَمَا الشيطان وَمَا العقار؟ فيقال: العقار هو الخمرُ، فإن لم يفهمه باسمهِ المعروف فهم بالحدِّ، وقيل: وهو الخمر شرابٌ مسكرٌ مُعتَصرٌ مِنْ العنبِ، فتحمل له عِلمًا تَصوريًا بذات الخمر.

وأما العِلمُ التصديقي فإنه، يجهل الإنسان مَثَلًا، أنَّ للعالم صانعًا أم لا؟ فسئِل هذا، هل للعالم صانعٌ؟ فيقال: نعم، وتعرفه بالحُجّة والبُرهان. انتهى.

وقـول الناظم: ساق عِيْسًا، ومن حمل الهراوة والجرابا، أي وأكرم الإمام بلعرب ابـن الإمام سلطان بن سيـف مَن لطلب العلم سَاق عِيْسًا، وهـي الإبلُ البيض، ومن حمل الهـراوة، الحمل: ضِـدُّ الوضع، والهِـراوة: بكسـر الهاءِ العصـا، والجرابُ: الإهابُ الَّذي يتأبطه الرَّاجل المُسَافر في سفره، ويضع فيه زاده.

قال الحريري[(٣)]: فلمَّا أزمعت للاغتراب وأعددت لَهُ العصا والجَراب.

وقولُـه أيضًا: أتظنني أرضاكَ إِمامًا لِمحرابي، أو بوّابًـا لِبابي ؟ لا، واللهِ، ولا عصًا لِجرابي.

والعامة تُسمّى باللغة الاصطلاحيّة الجراب الظّرف الَّذي يوضع[(٤)] فيه التّمر.

(١) في الأصل: مسلوبًا، وصوابه بالرفع خبر أن.

(٢) أي يحتمل الصدق والكذب.

(٣) هو صاحب المقامات المعروفة بمقامات الحريري.

(٤) في الأصل: يضع.

والمراد بالجراب هنا بما ذكرناهُ الإِهاب الَّذِي يتابَّطَه المسافر في سفره، ويضع فيه زاده.

قولُهُ:

فَمَا في الْجُودِ مَاثَلَهُ كَرِيمٌ وَعَنْهُ الوَفْدُ مَا شَهِدُوا احْتِجَابَا

معنى جملة هذا البيت، الإمام بلعرب بن الإمام سلطان بن سيف مَا ماثله في الجود، أي مَا حاكاه في الجود كريم، وعنه الوفد النّاضون[1] إليه الركاب مَا شهدوا احتجابا.

(١) نضى البلاد قطعها سفرًا.

الإمام بلعرب وأخوه سيف (١)

قولُهُ:

فَـلازَمَ عَـدْلَـهُ وَأَخُـوه سَـيْفٌ　　　أَحَـالَ الـشَّـرّ مِـنْـهُ لَـهُ الـشَّرَابَا

يقـول: فَلازمَ الإمام بلعرب عدلـه في الإمامة، وأخوه سيف بن سلطان بن سيف أحـال الشر منه له الشرب، أي: بحربه إليه وتعدّيه عليه، والواو للاستئناف بقولُهُ: وأخوه سيف، وفيه تقديم وتأخير، أي: وأخوه سيف أحال الشرب منه له الشر.

وَشَـبَّ عَـلَيْـهِ نَـارَ الْحَـرْبِ حَتَّى　　　أَحَـالَ إِلَـيْـهِ أَقْـسَـى الصَّخْرِ لَابَا

قولُهُ: وشبَّ عليه، أي: وأجّج عليه نار الحرب، ونار الحرب هنا استعارة.

وفي الكتاب العزيز: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ (٢).

وقولُـهُ: حتى، أي: أن أحال أخوه سيف إليه أقسى الحجر لابًا، وهو الطين الَّذِي يُصبُّ في القالب؛ ليبنى به البيوت، أي: أحال إليه من كان معه في الحرب أقسى من الصخر كاللاب الَّذِي يكسره المرءُ برجله إذا راكضه بها.

قولُهُ:

فَـلَازَمَ حِـصْـنَ يَـبْرِيـنٍ بِـحَـصْـرٍ　　　وَبِـالْإِحْـجَـامِ فِـيْـهِ الـظَّـنُّ خَـابَـا

يَقُـولُ: فَـلَازَمَ أخوه بلعرب حصنَ يبرين بحصرٍ من أخيـه سيف إليه، وبإحجامِهِ والحصر، وتقلّصه عَنْ مقاتلته خاب الظن فيه.

فـإِنَّ النّاسُ كَانُوا يظنونه (٣)، هُوَ أقوى من أخيه سيف، فصار ظنّهم بالضِدِّ فيه، لمَّا أحجم عَنْ منازلته وملاحمته.

والإحجام التقلّص والسكون والكفاف.

قال المتنبي شعرًا:

وَمَنْ مِثْلُ كافُورٍ إِذا الخَيلُ أَحْجَمَتْ　　　وكَانَ قليلًا مَنْ يَقولُ لَهَا اقْدِمِي (٤)

---

(١) العنوان زيادة من المحقق.

(٢) الآية رقم ٦٤ من سورة المائدة.

(٣) في الأصل: فإن النّاس كانت تظنه.

(٤) يعني كافور الإخشيدي، وكان حاكمًا عَلَىْ مصر زمن الدولة الإخشيدية.

الإمام سيف بن سلطان الأول (قيد الأرض)[١]

قولُهُ:

فَبُويِعَ سَيْفُ وَانْقَادَتْ إِلَيْهِ جُنُودُ عُمَانَ كُلُّهُمُ طِرَابَا

المعنى الكُلّي لِهَذا البيت: فلمَّا عجز بلعرب عَنْ منازلته لأخيه بويع أخوه سيف بالإمامة، فانقادت إليه جنود عُمَان كلهم طربًا وإذعانًا.

وكُلّ هَا هُنَا جزئية، والانقياد معروف، وكذلك الجنود جمع جند.

قولُهُ:

وَمَاتَ بِلَعْرَبٌ في ضِيقِ حَصْرٍ وَعَنْهُ الصَّحْبُ مَا فَرُّوا هِرَابَا

المعنى الكُلّي لِهَذا البيت: ومات بلعرب بن سلطان بن سيف في ضيقِ حصرٍ بعدم النّصر، وعنه صَحبُهُ المحصورون معه في الحصن مَا فَرُّوا هرابًا أيّام الحصر في القصر، بل لبثوا معه حَتَّى مات. هكذا في الروايات.

القِصةُ:

قد انتهت الروايات عَنْ الثقات من أهل عُمَان عَلَىٰ أنَّه لَمَّا عُقِدتِ الإمامة لبلعرب ابن الإمام سلطان بن سيف اليعربي وطأ أثر السّلف الصّالحين، وأظهر العدل والتواضع للرعية، ولم يستعمل في أحكامه مناديح[٢] التقية.

وكان الإمام بلعرب المذكور جوادًا كريمًا، شفيقًا بالمسلمين، رحيمًا.

وعَمَّر يبرين، وبنى فيهاحِصنًا شاهقًا بالجصّ[٣] والحجر، وأفرغ[٤] عَلَىٰ بنيانه لكوكًا، ولم يقترض من أحدٍ شيئًا من البيضاءِ والصَّفْرَاءِ[٥].

وانتقل من نزوى إليها، وأقام بحصنها مدرَسَةً شريفةً لِطَلبة العلم، فَدرس[٦]

---

(١) العنوان زيادة من المحقق.

(٢) جمع مندح، والمراد به المكان الَّذي يلزمه الإنسان طلبًا للتقية والحفاظ عَلَىٰ النفس.

(٣) جص البناء طلاء بالجص.

(٤) أي أنفق.

(٥) أي من الفضة والذهب، المحمدية والمشخص.

(٦) في الأصل: فدرسة.

العلماءُ الذين أقرَّهم فيها الطلبة عَلَىْ مراتبهم[١]، وأفاض عليهم بإحسانه.

فمنهم مَنْ يدرسُ في علم النّحو والصّرف، ومنهم مَنْ يدرسُ في علم المعاني والبيان والبديع، ومنهم مَنْ يدرسُ في علم الأدب واللغة العربية، ومِنْهم مَنَ يدرسُ في علم الفقه.

فمن الدارسين في علم الفقه ابن عبيدان، والشيخ خلف بن سنان الغافري وغيرهما.

ومن المدرسين في علم الأدب راشد الحبسي، والعزري، وغيرهما.

وكان ابن عُبيدان رَجَلًا أكولًا، ففرض له في كل يوم جديًا، ومورة أرز زبرة[٢] ليأكل مَا يقدرَ عليه من اللحم والأرز، ويرفع مَا يبقيه لسائر المتعلمين، فوق مَا تاتى إليهم من قبله من المآكل اللذيذة.

وكان ابن عبيدان المذكور رجلًا أعمى كالحبسي، فروى عنه، أنَّه بعد مَا انفصل عنه إلى نزوى، وهو كاملٌ في علم الفقه، فجعل يُدرّسُ النّاس في نزوى.

فزار الإمام بلعرب ذات مرّة، فأدخله في غرفته، وأكرمه، فجعل ابن عبيدان يجسُّ بيده بسط[٣] تلك الغرفة، فوقعت يده في بساطٍ من صوف، وهو الَّذِي تُسمِّيه العامّة، الزولية، بلسان الاصطلاحية.

فقال للإمام: مَا أحلى هذا البِساط وَمَا أعجبه..!!

فظنَّ الإمام بلعرب، أنَّه يُعرّض بأخذه منه، فسكت، ولم يردّ عليه جوابًا.

فلمَّا أراد أن يرجع إلى نزوى أمر الإمام بلعرب بطيٍّ ذلك البساط، وأن يُركض بهِ عَلَىْ ناقةٍ إلى نزوى. ويعطى أهل ابن عبيدان قبل أن يصل إليهم. ففعل به كما أمر.

فلمَّا وصل أخبره[٤] أهلُهُ الخبر. فقال: واللهِ، مَا طلبت منه؛ ولكن كرمه يربو عَلَىْ إكرام أهل زمانه، وشكر صنيعه، وزاره ثانيةً من نزوى إلى يبرين.

فقال له: منذ أكلت الطعام إلى هذا اليوم مَا أكلت ثمرة من ثمر الباطنة.

---

(١) أي درجاتهم.

(٢) الزيرة والزير بمعنى واحد.

(٣) جمع بساط، وهو مَا تفترش به الأرض، من صوف ونحوه.

(٤) في الأصل: فأخبروه أهله.

فظنَّ بلعرب، أنَّه يُعَرّضُ له بذلك.

فكتب إلى عامله بالدّيل[١]، أن يحصي التمر الَّذِي يحصل من زكاة الدّيل، ويقوم ثمنه، فينفذ الثمن إلى فقراءِ الدّيل وصحار، ويرسل التمر إلى نزوى لابن عبيدان، وأن يقول[٢] لحاملي التمر، يأتونه[٣] إلى يبرين؛ ليعطيهم[٤] الكراء[٥]، ولا يأخذوا من ابن عبيدان فلسًا واحدًا، فضلًا عَنْ الكثير. ففعل العامل بما أمر به.

وروي عنه، أن رجلًا من أهل البصرة كان ذا ثروةٍ ومالٍ جزيلٍ، فاستغرقه[٦] الدين، فمضى من البصرة إلى مسقط، ثم ارتفع إلى يبرين، فصادفَ الإمام فيها، ووجده مشتغلًا بالأمر بالمعروف، والنهي عَنْ المنكر.

فلبث بعض الأيّام بيبرين، ثم رجع إلى مسقط بغير علم من الإمام بلعرب، فلمّا وصل إلى مسقط ركب سفينة إلى البصرة.

وبعد أيّام من انفصاله عَنْ الإمام بلعرب سأل الإمام بلعرب عنه.

فقيل له: رجع إلى البصرة، ومن حالهِ كذا وكذا.

فكتب إلى واليه الَّذِي بمسقط؛ أن يجهز مركبًا إلى البصرة، ويحمل لكًا مِنْ الدراهم عَلَىْ يد من يثق به ذلك الوالي.

فإذا وصل إلى البصرة فليسأل عَنْ الرجل الَّذِي زاره من البصرة إلى يبرين، فإن وجده حيًّا فليدفع لَهُ المال المذكور، وإذا قيل له: إنَّه مات فليدفع المال إلى ورثته.

فلمّا وصل صاحب الوكيل إلى البصرة سأل عَنْ الرجل المذكور، فقيل له: مات. فدفع المال الَّذِي حمله إلى ورثته، وأخذ منهم كُتُبًا للإمام بوصول المَال.

فلمّا وصل إلى مسقط، وأخبر الوالي عَنْ التفصيل والجملة أمره أن يمضي إلى الإمام، وينفذ إليه كُتب ورثة الرجل المذكور، ويخبره الخبر كلّه.

---

(١) الديل: هي اليوم عدة قرى تتبع ولاية صحم.

(٢) في الأصل: وأن يقل.

(٣) في الأصل: يأتوه.

(٤) في الأصل: ليعطهم.

(٥) الكِراء: بالكسر أجرة المستأجر.

(٦) أيَ أخذ كل أمواله.

فلمَّا وصله وأخبره بما كان، وقرأ الكُتب، وعرف مَا فِيْهَا مِنْ الشأنِ شكر الإمام صنيعه.

وأخبار الإمام بلعرب في الكرم كثيرة، وكَانت الكرام لمكرمه تسميه[١] أبا العرب.

ولما جرى بينه وبين أخيه من التنافر والحروب والحصار سمّته لئام عُمَان بَلاء العرب.

فلم يزل الإمام بلعرب في العدل والكرم تضرب به الأمثال حَتَّى وقعت بينه وبين أخيه سيف فِتَنٌ شديدةٌ، وأصاب[٢] كثيرًا مِنْ فقهاءِ أهل عُمَان وأكابرهَا وأهل الورع والزُّهد عقوبات مِنْ سيف.

وشدّد سيف عَلَىْ أخيه بلعرب الحربَ، فخرج بلعرب من نزوى، وقصد ناحية الشمال، ثم رَجَعَ إلى نزوى، فمنعه[٣] أهلها دخولها، فسار إلى يبرين، فحصره أخوه سيف في حصن يبرين.

فلمَّا عجز بلعرب عَنْ ملاحمته اجتمع أكابرُ عُمَان، فعقدوا الإمامة لأخيهِ سيف، وكثيرٌ من أهل عُمَان دخل في البَيعةِ تقية. فعاقبهم سيف بعدم الرضى منهم بإمامته.

وخرج سيف عَلَىْ أخيه، فأخذ حصون عُمَان كافّة، ولم يبقَ في حكمه من حصون عُمَان إلا يبرين، فحصره فيه، وجعل يضرب الحصن بالمدافع.

وكان عند بلعرب رجال مشهورون بالشجاعة، فكلما اقترب جيشُ سيفٍ إلى الحصن خرجوا له وكشفوه.

فقتل في تلك الحرب من قوم سيف كثير[٤].

ثم تعاهد[٥] قوم سيف وبلعرب عَلَىْ الكفاف عَنْ الحرب وقالوا: الرأي السَّديد أن نغمد السيف عَنْ بعضنا بعضًا، فإذا اقتتل سيف وأخوه بلعرب، وقتل أحدهما أخاه[٦] صرنا له رعيةً وتبعًا، فإن أبيا عَنْ ذلك فيمكث كُلّ واحدٍ منا في المعسكر، فإذا طالت عَلَىْ ذلك المدة فليرجع كلّ واحدٍ منا عَلَىْ وطنه.

(١) زيادة من المحقق، إذ لا توجد في الأصل.

(٢) في الأصل: وأصابت.

(٣) في الأصل: فمنعته أهلها.

(٤) في الأصل: كثيرة.

(٥) في الأصل: ثم تعاهدوا قوم سيف.

(٦) في الأصل: أخوه.

فلمَّـا بلغ بلعرب مَا عوّل القوم عليه توضّأ وصلـى، نفلًا لله(١)، ركعتين، وسأل الله -عزَّ وجلَّ- أنْ يميته. فما فرغ من دعائه إلا وخر(٢) عَلَىْ البِساطِ الَّذِي صلى فيه مَيّتًا.

فعند ذلك خرج بعض خدامه من الحصن، فاخبروا أخاه سيفًا بوفاته.

فاتهمهم، وقال: أقتلتموه ؟ قتلكم الله.

فحلفوا له، أنَّه مَاتَ حتف أنفه.

ثم خرج(٣) أصحابه مِنْ الحصنِ كافة، ومضوا إلى أخيه سيف، فأخبروه عَنْ أخيه بلعرب، كما أخبره(٤) عبيده الذين أخبروه بوفاته.

فمضى سيف إلى الحصن، وغسّلَ أخاه بلعرب، وكَفَّنَهُ، وصلّى عليه، ودفنه قريبًا من الحصن، وقبره مشهور.

وخلصت عُمَان إلى سيف، ولم ينازعه فيها منازع.

وكان كثيرٌ من أهـل عُمَان المشهورين بالعلم متمسكـين بإمامة بلعرب وولايته، ويرون أن أخاه سيفًا باغٍ عليه.

قولُهُ:

وَسَـيْـفٌ لَمْ يُعَـاقِـبْـهُـمْ بِـسُـوءٍ ... غَـدَاةَ الْحِـصْـنُ صَـارَ لَـهُ اجْتِلَابَا

يعنـي: أصحاب الحصن الذين حصروا معه في الحصـن لم يعاقبهم سيف بعد مَا مات أخوه بلعرب، وصار الحصن بيده اجتلابا، أي: اجتلبه اجتلابا من أخيه بلعرب لمّا مات.

قولُهُ:

وَجَـرَّدَ سَيْفُ سَيْفَ الـعَـدْلَ لَمَّـا ... غَـدَا مَـنْ كَـالْحَـدِيـدِ لَـهُ مُـذَابَـا

يقولُ: وجرّد الإمام سَيْفُ بن سلطان بن سيف، سيف العدل، أي: لَمَّا خلصت له الإمامَةُ من الخَاصّةِ والعامّة، وعدا من قلبه كالحديد قاسٍ عليه من أهل عُمَان مُذابًا، أي بالهيبة والإذعان والحديد والمذاب داخلان بغير استنارةٍ في التشبيه وباب الاستعارة.

(١) النفل: هو الصلاة غير المفروضة.

(٢) وقع وسقط.

(٣) في الأصل: خرجوا.

(٤) في الأصل: كما أخبرته عبيده.

قولُهُ:

وَحَارَبَ مَنْ هُمُو صَارُوا نَصَارَى ... وَمَنْ يَسْعَى لِنَصْرِهِمُ اغْتِصَابَا

يقول: وحاربَ الإمامَ سيف بن سلطان بن سيف من صَارُوا نصارى، يعني البرتكيس، ومن مذهبهم كمذهبهم، ومن سعى لنصرهم من الكفرة متعصّبًا لهم عَلَىٰ حربه، ومستنكفًا عليه كاستنكافهم عليه.

قولُهُ:

لَهُ مُمْبَاسَةٌ صَارَتْ وصَارَتْ ... لَهُ الْخَضْرَا فَمَا لَبِسُوا الْجُبَابَا

يقول: له ممباسة[1] صَارتْ، أي بعد مَا كَانَت لهم، وهم النَّصارى المذكورون؛ وصَارتْ أي: كذلك الخضراء وصارت إليه منهم، وهي جزيرة الخضراء، فما لبسوا الجباب عَلَىٰ رؤوسهم، أي: الباقون منهم من شِدّة اكتئابهم عَلَىٰ مَنْ قتلوا من أصحابهم، والجُبابُ بضمِّ الجيم جَمعُ جُبّة.

قولُهُ:

وَكُلْوَةُ حَازَهَا مِنْهُمْ فَأَضْحَوْا ... لِنَارِ ذِبَابِ قَاضِبِهِ ذُبَابَا

كُلوة بلدةٌ معروفةٌ بناحية الزّنج[2]، كَانَت لِلنَّصارى قبلَ أنْ يملكها الإمام سيف ابن سلطان، وقولُه حازهَا، أي: اصطلمها منهم عُنوة بالسّيف، وقولُهُ: فأضحوا لِنارِ ذِباب قاضبه ذُبابا، الذِباب الأوّل: بكسر الذّال المعجمة حَدُّ السّيف، واستعار النار له للشرار الّذِي يتطاير منه عِندَ الضِّراب، والذُّبابُ الثاني: بضم الذّال المعجمة هذا القذرُ المتهاتف عَلَىٰ الطّعام الّذِي ذكره الله تعالى في كتابه العزيز فقالَ: ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾[3].

أي: فأضحى[4] النَّصارى بعد القُوّة والاقتدار بذِباب سيفه كذُباب في نار.

(١) مدينة شهيرة، تتبع حاليًا في كينيا، وهي ميناء عَلَىٰ المحيط الهندي، ومركز قديم للتجارة العربية، وقد استولى عليها البرتغاليون وسيطروا عليها حَتَّى عام ١٦٩٨م، وقد استردها منهم عرب عُمَان، ثم أصبحت بعد ذلك جزءًا من سلطنة زنجبار.

(٢) في شرق إفريقيا.

(٣) الآية رقم ٧٣ من سورة الحج.

(٤) في الأصل: فأضحوا.

القصة:

فَلَمَّا استقر الإمام سيف بن سلطان بن سيف في الإمامة أظهر العدل، وأذعنت له الرعيّة، وكان شُجاعًا نجيدًا ذا بأسٍ، مُهِيبًا، رَادًّا قويّ عُمَان عَنْ ضعيفها.

وهابته القبائل من عُمَان وغيرها، وأعمر عُمَان، وأجرى فيها الأنهار، وغرس فيها النخيل والأشجار، وجمع مالًا كثيرًا، وكان شديد الحزم عَلَىْ المال.

فملك من عُمَان ثلثها، وأحدث أفلاجًا جمّةً فيها، وفي ظاهرتها، وجعلان، منها البزيلي، والصّايغي، والكوثر، والبرزمان، وأفلاج المسفاة.

وملك سبعة عشر مائة عبد، وثماني وعشرين سفينة، منها الملك والفلك والرحماني والصّالحي، وفيض ربان، وكعب رأس. وهذه المراكب كلّها غاية في العِظَم.

وكان في مركبه الفلك ثمانون مدفعًا، وغلظ أصل كلّ مدفع ثلاثة أشبار.

وفَسَلَ(١) بنعُمَان بركاء ثلاثين ألف نخلة مبسلي، وستة آلافٍ نارجيلة، غير الَّذِي ببئر النساوة والرّاصة، والمندرية، واشترى أموال بني لمك وبني عدي من وادي السّحتن كافّةً.

ونمت كَمالِهِ هيبته. وكان قد ترك بيد وكيله الَّذِي بمسقط سبعة وخمسين لكًّا من الدراهم الفضّية فضلًا من الدنانير الذهبية.

وقيلَ(٢) إن الإمام سيف بن سلطان أمر أن تُلقى مورة فلفل من بعض حصونه في السحاماه؛ لينظر الَّذِي يقدر عَلَىْ أخذها من أعراب عُمَانَ أو حضرها، أو غير أعراب وحضر أهل عُمَان.

فمكثت بعد مَا أُلقِيت في السحاماه زمانًا لا أحد يصل إليها، وكل من مرّ قريبًا منها قال: مَا هي إلا مكيدةٌ من قيد الأرض.

وكان الإمام سيف بن سلطان بن سيف المذكور يُسمّى: قيد الأرض، من شدة هيبته.

وأبوه سلطان بن سيف يُسمّى أيضًا صاحب الكاف، كما ذكرنا أولًا.

فلمّا قيل له: مَا أحدٌ تعرّض لتلك المورة، أمر أن تُقسم عَلَىْ ضعفاءِ القرى المقتربة منها.

---

(١) أي غرس.

(٢) زيادة من المحقق.

وقيـلَ: تعرّض لهَا رجـلٌ أعرابي من أعراب شرقية عُمَـان، فأدخل أصبعه فيها، فخرَّ بعض فلفلها عَلَىٰ الأرض، ولم يأخذ منه شيئًا.

فاتبعه من يقص بالأثر، فأتى به إلى الإمام سيف بن سلطان.

فسأله عَنْ صنيعه بالمورة فقال: أدخلت هذه الإصبع في بطنها.

فأمر الإمام بقطـع الإصبع التي قال له الأعرابي: أدخلتُ هذه الإصبع في بطنها، وقال له: إن عدت ثانية قطعتُ رأسك. والله أعلم بالصّواب.

وكان رجلٌ من أهل اليمن تاجرًا يأتي من اليمن إلى عُمَان، دور كل سنة، فيحمل إليه الورس[(١)] والزّباد[(٢)]، فإذا وصل إلى مسقط ارتفع إلى الرستاق فيبيعها.

فإذا فرغ من بيعها وقبض الثمن رجع بالموسم إلى اليمن.

فأتـى ذات مَرّة كعاداتـه الأول، فلمَّا باع مَا حمل مـن البضائع، واستوفى الثمن رجع راجلًا[(٣)]، فبات في شعاب المرخ عَلَىٰ قارعة الطريق.

فمَـرَّ عليـه أعرابيٌ، وهو نائم، فأخـذ الكيس الَّذِي وضع فيـه الدراهم من تحت رأسه، وهو لم يشعر به.

ومضـى ذلك الأعرابي إلى عرعر، فأيقظ مَنْ يَقُصّ الأثر، وشاطره[(٤)] بالدراهم، وقـال له: إن قيل لك قصَّ أثر الفاعـل مَوّه الكلام، وقل لهم بعد مَا تقصّ، تداوست الأقدام عَلَىٰ بعضها بعضًا، ووقعت خفاف الحيوان وحوافرها[(٥)] عَلَىٰ بعضها بعضًا، فما وجدت للفاعل أثرًا. فأجابه بعد ساعة طويلة عَلَىٰ ذلك.

فلمَّا أصبح الصباح التمس الرجل اليمني الكيسَ الَّذِي وضع فيه الدراهم، فلم يره.

فجعل يلطم وجهـه، ويضرب صدره بيده، ويصيح. فلمَّا رجع إلى الرستاق أخبر الإمام بما جرى عليه.

فقال الإمام: عَليَّ بالقاصِّ.

---

(١) نبات مثل نبات السمسم، اشتهرت بلاد اليمن بزراعته، ويتخذ ورقه للصباغة.

(٢) هو الطيب الَّذِي يتخذ من العنبر.

(٣) أي ماشيًا.

(٤) أي قاسمه، وفي الأصل: من يقص بالأثر وشاطره بالدراهم، ولا محل للباء، فالفعلان متعديان.

(٥) الخف للجمل، والحافر لباقي الحيوان.

فلمَّا أُتِي به إليه قال له: قص الأثر، وائتني بالفاعل.

فمضى. ثم رجع إلى الإمام في اليوم الثاني، فقال له: رأيت أقدامًا متداوسةً عَلَىٰ بعضها بعضًا، وأخفافًا وحوافر وقع بعضها عَلَىٰ بعض، فاشتبه عليَّ الأمر، وَمَا وجدت للفاعل أثرًا من كثرة التّداوس.

فأمر الإمام بحبسه حيثما سُرِقَ الرّجل اليمني، وألا يُعطى ماءً ولا زادًا. ففعل به كما أمر الإمام.

فمرَّ عليه رجلٌ من أصحاب الإمام، ورآه في حال مشرفٍ عَلَىٰ الهلاك.

فأسرع السير إلى[1] الإمام، وأخبره عَنْ حال قصّاص الأثر، وتشفّع فيه. فأمره الإمام أن يأتي به إليه.

فلمَّا أتى به قال الإمام: لا فكَاكَ لك منِّي قبل أن تأتني بالفاعل.

فأخذ مهلة منه شهرًا، فأعطاه الإمام ما[2] طلبه من المدة.

فمضى القاصّ يتتبّع أثر صاحبه حَتَّى انتهى إلى بلدة ودام، فبحث عنه. فقال له بعض أهل ودام: لقد أقبل إلينا رجلٌ أعرابيٌ من أهل الظاهرة من أيّام يسيرة، وبيده كيس لا أعلم مَا فيه، ثم بَاعَ ناقته عَلَىٰ بعض أصحابنا، واستكرى سفِينة صغيرة إلى مكران. فاستكرى القاص سفينة إليها.

فلمَّا وصل إلى البرِّ تتبع أثره فوجده قريبًا من ناحية السّند، نائمًا وقت القيلولة[3] في ظِلِ شجرةٍ مورقةٍ.

فأيقظه، وأخذ منه الكيس، فعدّ منه الدراهم فوجدها كما هي، ورجع عنه.

فلمَّا وصل إلى ودام أخبر أهل ودام الخبر كله عَنْ صاحبه، ولم يخبرهم بالمشاطرة، وبما توافقا عليه.

فمضى[4] أكابرهم معه إلى الإمام، ومعهم الناقة التي اشتراها صاحبهم من الأعرابي المذكور.

---

(١) زيادة من المحقق.

(٢) في الأصل: بما.

(٣) أي وقت الظهيرة.

(٤) في الأصل: فمضت أكابرهم.

فلمَّا وصلوا إلى عرعر انفصل عنهم القاص إلى بيته، فوضع الدراهم التي شاطر بها الأعرابي في الكيس الَّذِي فيه الدراهم التي قبضها من صاحبه.

فلمَّا رجع إليهم مضوا إلى الرستاق.

فأخبروا الإمام عَنْ الفاعل، ورجوع الدراهم منه، وسلموا له الناقة.

فقال الإمام: أمَّا الناقة فلا سبيل إليَّ فيها، وأمَّا الدراهم فليأخذها صاحبها اليمني.

فلمَّا أُحضر ألقى الإمام الكيس، وقال: أعدد دراهمك.

فلمَّا عدّها وجدها كما هي.

فقال له: إن أردت أن تقيم معنا فأنت في أمان وإطمئنان، وإن أردت أن ترجع إلى بلدك فارجع بسلام.

فلمَّا اختار الرجوع أمر له بناقة يركبها إلى مسقط، وأن يشيّع بأهل إبل وخيل من إبله وخيله. فرجع اليمني وهو يثني عَلَىْ الإمام.

وأمَّا القاصّ فحبسه الإمام في حصن الرستاق، فلبث في الحبس سنة، ثم فسح له وأخرجه من القصاصة، وترك مكانه غيره.

ومن هيبته أنَّه خرج ذات يوم هو وخادمه أبو سعدين من غير علم لأحدٍ من قومه.

فلمَّا ابتعدا من طباقة الرستاق نظرا أعرابيًّا راكبًا عَلَىْ بعير حامل جرابين تمرًا فرضًا[١] من تمر الظّاهرة.

فتأخّر الخادم، وتقدم هو إليه مُتَأبطًا شنًّا[٢] أودع فيه ماءً، فقال له الأعرابي:

اسقني يا أعرابي شربةً من الماءِ. وهو لم يعرفه، أنَّه الإمام.

فقال له: إن لم أسقك ماذا تصنع يا أعرابي؟

فقال: ولولا الإمام سيف بن الإمام؛ لتنظر بك مَا أصنع.

ثم أقبل أبو سعيدين إليهما فقال للأعرابي: ما أجرؤك عَلَىْ الإمام بغلظة الكلام.

فلمَّا سمع منه ذلك طاش قلبه وعقله، واشتمل عليه الرّعب، فقطع الحبال التي لزمت الجرابين بخنجرهِ أو مديته، وضرب بعصاه رقبة بعيره حَتَّى دخل أرض القِرى من ظَفَار.

(١) في الأصل: جرابين تمر بالإضافة، والصواب النصب، أو أن تحذف نون المثنى في حالة الإضافة.
(٢) الشنُّ هو القربة الصغيرة يوضع فيها الماء.

فبعث الإمام إلى أهله، وسألهم عنه.

قالوا: لا علم لنا به بعدما حمل الجرابين عَلَىٰ ظهر بعيره، وأخبرنا أنَّه ليبيعهما في الرستاق.

فأنفذ لهما الجرابـين، وقال لهم: قُصّوا أثره وتحسّسوا عنه، فإذا وجدتموه أعطوه منِّي الأمان.

فجعل أهله يتحسسون عنه. قيل: فوجدوه عند القِرى، فأتوا بهِ إلى الإمام.

فاعتذر له الإمام، وأعطاه الأمان.

وقيل: مَا وجدوه، وقيل وجدوه، وأبى أن يرجع معهم خوفًا من الإمام.

فلمَّا علم بموت الإمام رجع إلى منزله.

وهذا الأعرابي هو زُفيتّي النّسب.

قيل: لمَّا أفضت الإمامة لسيف بن سلطان أتته أكابر أعراب الشّمال، فقالوا له: إن أخاك بلعرب كان يكرمنا بالمـالِ؛ لعلمه أننا نحن سددنا[١] باب الغرب بسيوفنا عَنْ أهل العِراقِ وغيرهم فهل لنا منك مَا كان لنا منه؟

فقال لهم: إن أخي بلعرب كان يُسمّى أبا العرب لإكرامهِ عَلَىٰ المستحق وغير المستحق لِلإكـرام، وَمَا بـه خشية من أهل العراق وغيرهم، وأنا اسمـى سيف، وفعلي كالسّيف، فأي لسان يقدر أن يدخل السّيف في حلقه، افتحوا باب الغرب الَّذِي سددتموه، وكونوا أنتم أمَامَ أهل العراق أو غيرهم علينا، فإني لا آمنكم بعد ان تبتعدوا من الرستاق ميلًا.

فاعتـذروا له، وسألوه الصّفح عمَّا تكلّموا به. فصفح عنهم، ورجعوا بغير ضيافة منه، وهم منه في وَجَلٍ[٢] عظيم.

وانكسـرت سفينة من سفائن رعيته عَلَىٰ ساحـل بحر عَدَن، فانتهب مَا فيها من المال سُكان عدن.

فكتب الإمامُ كتابًا جميلًا إلى إمام صنعاء برجوع مَا أخذته رعيته، أهل عدن، من السّفينة.

(١) في الأصل: سدينا.

(٢) الوجل: هو الخوف.

فجـاوب إمـام صنعاء الإمـام سيف بن سلطان بـكلام يفضي إلى سَـبٍّ وتهدّدٍ، ومحصول[١] كلامه، أصنع مَا أنت صانعه، فلسنا نردُّ عليك شيئًا.

وهـذا الكتاب المذكور من إمـام صنعاء لقد وقفتُ عليه وقرأتـه، وَمَا أحببت أن أسطـر مَـا فيه في هذا الكتاب وغـيره، عَلَىْ مَا فيه من الكلام الشنـع القبيح الَّذِي لا يصدر من مليح.

فبعث الإمام سيف[٢] بن سلطان جيشًا كثير العدد، وأمر أمير الجيش بحصر المخا، برًّا وبحرًا.

فأحاطت بها عساكره، وحصروها حصرًا شديدًا، حَتَّى بلغ معسكرهم إلى باب الشاذلي.

وأقامت عبيـده في معسكر غير معسكر الأحرار، فبقى نخل نوى[٣] التمر الَّذِي أكلوه إلى هذه الغاية يُسمّى نخل العبيد.

فأذعـن إمام صنعاء له بالطاعة، وردَّ مَـا اخذته رعيته إلى الإمام كافّة، وأغرم له مَا أتلفته رعيته.

وجعل يكاتبه؛ ليعفو عنه عَلَىْ تسليم مَا يريده منه من المالِ. والإمام لم يرد عليه جوابًا.

فلمّا مات الإمام سيف رجعت عساكره أحرارًا وعبيدًا إلى عُمَان.

وأصابـت المراكـب التي بعثها لحرب عـدن قبل موت الإمام ريـحٌ شديدةٌ فقطع المركـب المُسمَّـى: الفلك، سلسلة أنجره، فأتيح له سلسلـة وأنجز غير السلسلة الأولى وأنجرها، وبقي عَلَىْ حاله إلى أن رجع الجيش، وبقيت السّلسلة المذكورة وأنجرها إلى هذه الغاية، عَلَىْ بحر عدن، لم يقدر أحدٌ يرفعهما عَلَىْ سفينة لعظمهما ثقلًا.

وصالحت نصارى ممباي[٤] الإمام سيف بن سلطان عَلَىْ بناءِ قلعة له بممّباي.

فبقيت القلعة بعده في يد المسلمين الساكني مُمبّاي، وتسمى قلعة سيف بن سلطان وخبرها شهير.

---

(١) في الأصل: وحصول.

(٢) في الأصل: الإمام سلطان بن سيف.

(٣) في الأصل: نواء، والنوى بالقصر جمع نواة، وجمع الجمع نوى، بضم الأول أو كسره، مع كسر الثاني، وتضعيف الآخر، والمراد، أن النوى قد نبت وصار نخلًا كثيرًا.

(٤) ميناء مشهور في الهند.

ثـم كان مَـا كان، فرجعـت القلعة في أيّـام الإمام أحمـد بن سعيـد البوسعيدي للنَّصارى. ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾[١].

وممـا ملكه الإمام سيف بن سلطان بن سيف المذكور من بلدان النَّصارى وغيرهم من المشركين دَمَنًـا، وناخية، وكلّابوة، وسنجسنج، وَعَكَـةَ، والوسّى، وكمباريّة، ولاموه[٢]، وجزيرة الخضراء، وممباسة، وزنجبار، وكلوة.

ومات ببلدة الرستـاق، وقبر فيها. وقبره مشهور، عليه قبة محكمة البناءِ. فهدمتها الوهابيّة[٣] في عصر سعيد بن الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي.

وكانت وفاته ليلة الجمعة وثلاثة أيام من رمضان، سنة ثلاث وعشرين سنة ومائة سنة بعد الألف[٤].

(١) من الأية ١٤٠ من سورة آل عمران.

(٢) أرض الزنج في شرق إفريقية.

(٣) أتباع محمّد بن عبدالوهاب صاحب الوهابية.

(٤) لموافق ١٦ من أكتوبر سنة ١٧١١م.

الإمام سلطان بن سيف الثاني [١]

قولُهُ:

وَسلْطَانُ ابْنُهُ لَمَّا حَوَاهَا عَلَيْهِ عِدَاهُ حَرْبًا لَنْ تجَابَا

يقول: وابنه سلطان بن سيف لَمَّا حواها، يعني الإمامة، بعده لن تُجَابَ عِدَاهُ، يعني أهل عُمَان خاصّة، وهم الذين أسرُّوا لَهُ العداوة بحربٍ عليه لمَّا انتهى أَمَرُ الإمامَةُ إليه، إذ صار عزيزهم كالذليل لديه.

قولُهُ:

سَقَى العَجَمَ الرَّدَى بِالسَّيْفِ لَمَّا هُمُ ارْتَكَبُوا ضَلَالَهُمُ ارْتِكَابَا

مُرَادُهُ بالعجم هُنَا بأهل لنجة[٢] خاصّة. وسنأتي بشأنهم الَّذِي أوجب قتلهم في القصة، إن شاء الله.

والردى الموتُ، ونصبَ الارتكاب عَلَىٰ المصدر، والضّلال معروفٌ أنَّه ضِدُّ الحقِّ والهُدى.

قولُهُ:

حَوَى البَحْرَيْنَ مِنْهُمْ وَاسْتَكَانُوا لَهُ وَفَرتْ نِسَاؤُهُم المَلابَا[٣]

يقول: حوى الإمام سلطان بن سيف بن سلطان البحرين منهم، أي: استأصلها بالسّيفِ منهم، واستكانوا له، أي: وذلّوا، وأذعنوا له.

وقولُهُ: وفرت نِساؤهُمُ الملابَ، أي: وشقت نساؤهُمُ ثيابهن[٤] وحليهن عَلَىٰ قتل رجالهن، حزنًا وكآبةً عليهم.

قولُهُ:

وَلَازَمَنَ الْحُدودَ غَدَاةَ صَارُوا لِنَارٍ شَبَّهَا لَهُمُ احْتِطَابَا

(١) العنوان زيادة من المحقق.

(٢) لنجة: إحدى البلاد الساحلية عَلَىٰ الساحل الإيراني.

(٣) الفرار: الهرب، والملاب: هو المنتشر.

(٤) يفيد هذا الشرح، أن الشطر الثاني من البيت هو... له وشقت نساؤهم الثيابا.

يقول: ولازمْـنَ نِسَاؤهُمُ الحُدودَ، وهي الثياب السـوداء اللاتي تلبسها النساء[١] للمـأتم، وتتقمصهـا عنـد حلول المصائـب، خاصّـة عَلَىْ قتـل آبائهـن وإخوانهن وأزواَجهن، وعند موتهم بحتف أنوفهم[٢]، لا بالسيف.

فالثيابُ السُّود لا تلبسها النساءُ في القديم إلا عند حلول المصائب والكَربِ العظيم.

وقولُـهُ: غَداةَ صَارُوا لِنارٍ شبَّهَا لهم احتطابـا، أي: ولازم نِساؤهُمُ الثيابَ السودَ اكتئابًا لَمَّا صاروا، أي رجالهن لِنارٍ شبَّهَا لهم، وهي الحرب، احتطابا، أي: كمحتطب الحطـب من القفـار؛ ليلقيه في النار، فصاروا هم الحطب، وحربـه النار التي أكلتهم بمارجها والشـرار، فلم تذر لهم أثرًا في الديار.

قولُهُ:

وَفيْ الحَـزْمِ اسْتَطَالَ إلَـيْهِ حِصْنٌ فَمَـا أَبْقَـى إِلَىْ العُجْـبِ اعْتِجَابَـا

الحَزْمُ أرضٌ معروفة، وهي معدودة من أرضين الرستاق.

وقولُـهُ: استطال، أي: علا، وهاءُ إليه راجـعٌ ضميرها إلى الإمام سلطان بن سيف المذكور، والحصن القصر، سُمِّي بذلك،؛لأَنَّهُ يُحصّن من تَحصَّن به.

وقولُهُ: فما أبقى إلى العُجبِ اعتجابا، العُجْبُ بضم العين وسكون الجيم قد مضى فيـه الكلام، أنَّه الزّهـو، والاعتجاب مصدر اعتجب عَلَـىْ وزن افتعل، وانفعل[٣]، وهو من العجب، أي فما أبقى حصن الحزم اعتجابا لِمُعجب.

قولُهُ:

إِذَا شَـاءَ الْحَـدِيـدُ الثَّـلْـمَ فِيْـهِ ثَـنَـاهُ لَـهُ زُجَـاجًـا مُـسْـتَـذَابَـا

التفسـيرُ: إذا تُخبرُ عَـنْ الأفعالِ المستقبلة، لا عَنْ الأفعـالِ الماضية، وعمَّا يقع من الأسماءِ للأفعال بعد بلوغ الغاية، لا قبل وقوعها.

---

(١) في الأصل: وهي الثياب السود اللواتي تلبسهن النساء، للمأتم وتتقمصهن.

(٢) في الأصل: أنفهم، ومات حتف أنفه؛ أي عَلَىْ فِراشه من غير قتل أو ضرب أو غرق ولا حرق، وقليل أن يقال مات حتف فمه، وإنَّما خص الأنف؛ لأنهم كانُوا يتخيلون أن المريض تخرج روحه من أنفه، والجريح من جراحته، والحتف: هو الموت.

(٣) اعتجب عَلَىْ وزن افتعل، فعل مزيد بحرفين، الهمزة والتاء، وذكره لا نفعل؛ لأنه باب الفعل الثلاثي المزيد بحرفين بأوزانه، انفعل، وافتعل، وتفاعل، وتفعل، وافعل.

وقولُـهُ: شَاء، أي: أراد، والحديد معروف، أي إذا شـاء الحديدُ. والثلم[١] كذلك معروف، وهاء فيه راجعٌ ضميرها للحصن.

وقولُهُ: ثناه، أي: أرجعه، كأثناه. والزُّجاج معروف، والمذابُ والمستذاب بمعنى واحد.

وحصـول المعنى من جملة هذا البيت يقول: إِذَا شـاء الحَديدُ أن يثلمَ هذا الحصن وانصبَّ بوقوعِهِ عليه انصبابا ثنى الحديد إليه زجاجًا مستذابًا[٢].

قولُهُ:

فَـمَـاتَ بِـهَـيْـبَـةٍ لَا طَـعْـنَ فِـيْـهَـا لِـمَـنْ أَضْـحَـى إِلَـيْـهِ الـطَّـعْـنُ دَابَـا

يقـولُ: فمات الإمـام سلطان بن سيف بهيبةٍ لا طعن فيها لطاعن سباب من حضر وأعراب، أضحى إليه الطعن دأبا لا تقبل أسبابه نهاية الاقتضاب.

القصة:

اتفق[٣] أهل الروايات الصحيحـة والأسانيد الصريحة من أهل عُمَان في أخبار الإمام سلطان بن سيف المذكور على أنه لمَّا بُويع لَهُ بالإمامةِ أظهر العدل بعُمَان، وجاهد الأعداء في البرِّ والبحرِ في مواضع شتى، وغزا النجة، وهي يومئذٍ في حكم شجاع الدين العجمي.

وسبـب غزوته إليها نهب أهلها سفينة من سفن رِعاياه، وأبوا أن يرجعوا مَا نهبوه لَّما كتب لهم برده. وبعد مَا غزاها ودمّرها غزا لاركَا، والقسم، وهرموز، والبندر.

ثم غزا البحرين فاستخلصها بعد حرب طويلة، وقتل كثيرًا، وبنى فيها قلعة مانعة، وهي التي تُسمَّى: قلعة عراد، وَبَنى حصن الحزم، وانتقل من الرستاق إليها.

وأنفق مَا ورثه من أبيه من المال في بنيان حصن الحزم. واقترض من أموال المساجد والوقوفات لكوكَا.

ومـا تحركت عليه حركةٌ من أهل عُمَان في أيّام دولته، ولا نزاعه منازعٌ في إمامته وسلطانه من أهل عُمَان وغيرها.

وتقلّصتِ العجم، أهل شيراز وغيرهم عَنْ محاربته لَّما استأصل البحرين وغيرها من أملاكهم وسالمه أكثرهم، وأذعنوا إليه.

(١) هو الضرب والكسر.

(٢) أي أن قدرته فائقة وقوته عالية.

(٣) في الأصل: اتفقوا أهل.

وَكُلُّ مَــنْ كَانَ عزيزًا بجبروتيته مــن أهل عُمَان ذَلَّ إليه، وأظهر الطاعة والانقياد، وأثنى عليه.

أتته كُتُبُ النَّصارى من برتكيس وغيرهم يخبروه فيها عَنْ أمر المراد منهم إليه.

وبالجملــة لقد صفا له زمانه، وعمَّ رعيته أمانه. وما تنقّضت عليه العباد ولا البلاد حَتَّــى مــات. وكانت وفاته في حصن الحزم، وَقُبِرَ فيه يــوم الأربعاء في شهر جمادى الآخرة لخمس ليالٍ خلون منه، في سنة إحدى وثلاثين ومائة سنة بعد الألف(١).

ولمَّــا مات اختلف اليعاربة ورؤساءِ قبائل عُمَان الذين في قلوبهم العصبية والحميّة الخارجة عَنْ العدل والإنصاف.

فــأراد بعض أهل عُمَان أن يكون بعده الإمام ولده سيف بن سلطان. وكان سيف يومئذٍ صغيرًا لم يبلغ ولم يراهق.

وأراد أهل العلم وبنت الإمام سلطان بن سيف أن تكون الإمامة لمهنا بن سلطان، وقالوا: هو أهل لهَا وذو قوّة عليها، ولم يعرفوا مَا يخرجه من الولاية، وقالوا: إن سَيْفًا صبيٌّ، وإمامة الصبي لا تجوز عَلَىْ حال؛ لأنَّ إمامته لا تجوز في الصلاة، فكيف يكون إمامًا مِصْرٍ يتولى الأحكام والأموال والدماء(٢) والفروج(٣)؟ ولا يجوز أن يقبض مال الله ومال الأيتام والأغياب، ومن لا يملك أمره فكيف يجوز أن يُملّك أموال النّاس.

فلمَّا رأي الشيخ عديّ بن سليمان الذهلي ميل النّاس إلى سيف بن الإمام سلطان، ولم يجــد رخصة أن يتابعهم عَلَىْ ذلك، وخــاف الفتنة أن تقع بينهم لاجتماع النّاس بالسّــلاح، وربّما شهروا السيوف عَلَىْ بعضهم بعضًــا، وتهدد بعضهم بعضًا، ووقع بينهم بعضَ الجراح: فأراد أن يُسكّنهم، ويفرّق اجتماعهــم قالَ: أَمامَكم سيف بن سلطان - بفتحِ الهمزة(٤) والميم الثانية - أي: قُدّامكم.

عند ذلك نادوا له بالإمامة، وضربت المدافع في حِصن الرستاق وغيره، إظهارًا واشتهارًا.

---

(١) الموافق ٢٦ إبريل ١٧١٩م.

(٢) الحدود والقصاص.

(٣) أمور الزواج والطلاق وحدود الزنا.

(٤) في الأصل: بفتح الألف.

الإمام سيف بن سلطان الثاني [١]

(إمامته الأولى)

وانتشر الخبر بعُمَان أنَّ الإمام سيف بن سلطان. فلمَّا سكنت الحركات، واهدتِ النّاس أدخلوا الشيخ مهنا بن سلطان حصن الرستاق خفيةً، وعقدوا له الإمامة في الشهر الَّذِي مات فيه الإمام سلطان بن سيف في هذه السنة.

الإمام مهنّا بن سلطان

فقام مهنا بالعدل، واستراحت الرعيّة. وحطَّ عنهم القعادات في مسقط، ولم يجعل بها وكيلًا من قبله، وربحت الرعيّة في تجرها ورخصت الأسعار، وبورك في الثّمارِ، ولم ينكر عليه أحدٌ من العلماءِ. فلبث عَلَىٰ ذلك حَتَّى قتل، وسبب قتله العقد له بالإمامة.

فلم تزل اليعاربة وأهل الرستاق مُسرّين له، وللقاضي عدي بن سليمان الذهلي العداوة، وَمَا برحوا يحضّون يعرب بن بلعرب بن سلطان عَلَىٰ القيام والخروج حَتَّى خرج عليه.

فقهر عليه مسقط، ولم يدخلها الجيش، إذ أهلها أكثرهم خائنون للإمام مهنّا بن سلطان.

وكان الوالي يومئذٍ من قبل الإمام مهنا بن سلطان، مسعود بن محمّد الصّارمي.

والإمام مهنّا يومئذ بفلج البزيلي من ناحية الجوف التوائمية، فلمَّا بلغه الخبر رجع إلى الرستاق. وسأل أهل الرستاق وغيرهم النصر عَلَىٰ من اعتدى عليه، فلم ينصروه، وخذلته الرعيّة. فحصره[٢] أهل الرستاق في حصن الرستاق، وحاربوه.

ثم أتاه يعرب بمن معه من القوم من مسقط، فسأله النزول من القلعة بعد طول الحصار، وأعطاه الأمان عَلَىٰ نفسه ومن معه.

فأجاب عَلَىٰ النزول بعدم النّصرة. فنزل من القلعة، فزالت بذلك إمامته.

---

(١) العنوان بجزئيه من وضع المحقق.

(٢) في الأصل: فحصرته أهل.

فلمَّـا صار بيد يعرب أمر أن يقيد ويحبس ومن معه من الخاصّة. فلمّا حبس وقيد هجـم عليـه، وهو في السجـن والقيد، بعض خـدام يعرب فذبحوه هـو ومن معه. واستقام الأمر ليعرب بن بلعرب.

ولم يكن يدعي الإمامة، بل الإمامة يومئذٍ، قالوا: لسيف بن سلطان، وسيف صغير السن، لا يقوم بأمر الدولة.

وسلّمت لهما حصون عُمَان وقبائلها، وكان هذا الشّأن سنة ثلاث وثلاثين ومائة سنة بعد الألف[(١)].

فلبثا عَلَىْ تلك الحال أحوالًا.

ثم إن القاضي عدي بن سليمان استتاب يعرب من جميع أفعاله الماضية، من تعديه عَلَىْ المسلمين، وبغيه عَلَىْ مهنّا بن سلطان، وقتله له، واغتصابه لدولة المسلمين.

وأن يعـرب كان مستحـلًا في خروجـه هذا، فلـم يلزموه ضمان مَـا أتلف؛ لأن المُستحل لمّا ركبه إذا تاب ورجع تجزيه التوبة.

(١) سنة ١٧٢١م.

الإمام يعرب بن بلعرب

فعند ذلك عقدوا له الإمامة في سنة أربع وثلاثين ومائة بعد الألف[١]، فاستقام له الأمر، وأطاعته الرعية فلبث أيّامًا يسيرة في الرستاق، ثم ذهب إلى نزوى، فدخلها يوم تسعة وعشرين من شعبان من هذه السنة.

ثم إن أهل الرستاق لم يرضوا أن يكون يعرب إمامًا، فأظهروا العصبيّة لسيف بن سلطان، فما زالوا يكاتبون بلعرب بن ناصر خال سيف بن سلطان، وهو مقيمٌ بنزوى مع يعرب، ويحضونه[٢] عَلَىٰ القيام حَتَّى خرج من نزوى ليلة ست مضت من شهر شوّال من هذه السنة.

وقصد بلادسيت[٣]، فحالف بني هناءة[٤]، عَلَىٰ القيام معه، وعلى أن يطلق مَا حجره عليهم الإمام ناصر بن مرشد - رحمه الله - من البناءِ وحمل السّلاح وغير ذلك مّما حجره عليهم الإمام ناصر بن مرشد. وأعطاهم عطايا كثيرة جزيلة.

فصحبوه إلى الرستاق، فاستقامت الحرب فيها حَتَّى أخرجوا الوالي منها، وأحرقوا باب الحصن، فاحترق مقدم الحصن جميعًا، واحترق[٥] ناسٌ كثيرون من بني هناءة ورؤساءِ بني عدي، واحترقت كُتُب كثيرة، مثل بيان الشرع، والمُصنف، والمصحف، وكتاب الاستقامة، ومجلدات الطلّسمات مع كتب كثيرة لم يكن لها[٦] نظير. وظهر من هذا الحرق كنز عظيم في الحصن.

فلمّا بلغ يعرب بن بلعرب وبما صنع[٧] أهل الرستاق سَرّى سرية، وأمّر عليها الشيخ صالح بن محمّد بن خلف السليمي، وأمره بالمسير إلى الرستاق، فسار حَتَّى

(١) سنة ١٧٢٤م.

(٢) في الأصل: ويحضوه.

(٣) قرية تقع في الناحية الشمالية بين تنوف ونجد البرك.

(٤) قبيلة مقرها بهلا.

(٥) في الأصل: واحترقت ناس كثيرة.

(٦) في الأصل: لهن.

(٧) في الأصل: وبما صنعوا أهل.

وصـل إلى بلدة العوابي[١]، فرأى أن[٢] لا قدرة لـه عَلَىْ دخول الرستاق، فرجع بمن معه إلى نزوى.

ثـم إنَّ بلعـرب بن ناصر كتـب إلى والي مسقط أن يُخلّصها لـه، وكان الوالي بها يومئـذٍ من قبله حمير بن منير بن سليمان الريامـي، فخلّصها له. وخلصت لهم قرية نخل بغير حرب.

ثم أخرجوا سريـة عليها مالك بن سيف بن ماجد اليعربي إلى سمائل، فخلصت لبلعـرب بن ناصـر[٣]، ومضى بتلك السرية إلى عُمَـان، فاشتملت عليه بنو رواحة. فلمَّـا وصـل إلى إزكي خلصت له من غـير حرب، وأخرج الـوالي الَّذِي من طرف يعرب بن بلعرب.

فلمَّا بلغ الخبر يعرب خرج بمن معه من أهل نزوى وبني ريام، والقاضي عدي بن سليمان الذهلـي حَتَّى وصل إلى إزكي. فتلقاه[٤] أهلها بالضّيافة والطعام، وقالوا له: نحن معك.

فمكـث يكاتب مالك بـن سيف؛ ليخرج من الحصن فأبـى عليه. فنصب يعرب له الحرب، وضـرب الحصن بضربتي[٥] مدفع. ثم وصلـت إلى مالك[٦] عساكر بني هنـاءة، ومعهم صاحـب العنبور الرستاقي. فتفرقت عساكـر يعرب، وبقى مخذولًا، فرجع إلى نزوى.

وأما الشيخ عدي بن سليمان فإنَّه قصد الرستاق، فلمَّا وصلها أخذه[٧] أعوان بلعرب ابن ناصر، فصلبوه ومعه القاضي سليمان بن خلفان، فقتلوهما مصلوبين[٨]. وسحبهما

(١) إحدى مدن محافظة جنوب الباطنة.

(٢) كلمة أن زيادة من المحقق.

(٣) وكان هو القائم بأمور الدولة دون أن يكون إمامًا.

(٤) في الأصل: فتلقته أهلها.

(٥) في الأصل: بضربتين مدفع.

(٦) في الأصل: يعرب، والمثبت هو الصواب

(٧) في الأصل: فأخذوه أعوان.

(٨) في الأصل مصلوبان: وهو حال منصب بالياء؛ لأنه مثنى.

أهل الرستاق كما تُسحب البهائم الميتة. وذلك يوم الحج الكبير من هذه السنة.

ثـم مضى صاحب العنبوري إلى نـزوى، وسأل يعرب الخروج منها؛ لأجل حقن الدّماء.

فلـم يزالوا كذلك حَتَّـى أعطاهم، أن يتركوه في حصن يبريـن ولا يمسّوه بشيء، فأعطوه العهد عَلَىٰ ذلك، فخرج من نزوى، فزالت إمامته، ومضى إلى يبرين.

الإمام سيف بن سلطان الثاني [(١)]

(إمامته الثانية)

ودخل صاحب العنبور قلعة نزوى، وأمر بضرب مدافعها جميعًا، ففعل كما أمر، ونودي بالإمامة لسيف بن سلطان فخلصت له حصون عُمَان، وسلّمت له جميع القبائل والبلدان. من جعلان إلى توأم، واستقام الأمر إليه شهرين إلّا ثلاثة أيّام.

فلمَّا استقر الأمر لبلعرب[(٢)] بن ناصر عَلَىٰ أنَّه القائم بالدّولة، وعلى أنَّ الإمام سيف بن سلطان، وفدت عليهما القبائل من رؤساءِ البلدان يهنئونهما بذلك.

ووقع من بلعرب[(٣)] التّهدد عَلَىٰ بعض القبائل، لا سيّما عَلَىٰ بني غافر وأهل بهلا، فلمَّا قدم محمّد بن ناصر الغافري في جماعة من قومه وقع عليه من بلعرب بن ناصر التهدد والتوعد.

فرجع محمّدٌ مغضبًا، وجعل يكاتب يعرب بن بلعرب وأهل بهلا أن ينصبوا الحرب عَلَىٰ بلعرب بن ناصر، وإنَّه ليعينهم[(٤)] عليه. وركب هُوَ إلى البدو من أهل الظّفرة وبني نعيم وقتب وغيرهم.

وَأَمَّا بلعرب بن ناصر فأرسل[(٥)] إلى رؤساءِ نزوى أن يصلوا إليه، فأتاه كثيرٌ منهم، فأكرمهم، وأمرهم بالبيعة لسيف بن سلطان.

ثم سرى سريّة، وأمر عليها سليمان بن ناصر، وأمره بالمسير لمحاربة يعرب بن بلعرب. وأمر عَلَىٰ أهل نزوى أن يصبحوا تلك السرية. فتشفعوا بأكابر الرستاق؛ ليعذرهم من ذلك، فعذرهم.

ومضى[(٦)] بعض رجال من الرستاق حَتَّى وصلوا فرقًا، فبعث[(٧)] أهل نزوى لهم

---

(١) العنوان بجزئيه من وضع المحقق.

(٢) في الأصل: ليعرب، والمثبت هو الصواب

(٣) في الأصل: يعرب، والمثبت هو الصواب

(٤) في الأصل: وإنه ليعنهم بحذف الياء من الفعل دون مقتض.

(٥) الفاء في جواب أما من وضع المحقق.

(٦) في الأصل: ومضت بعض رجال.

(٧) في الأصل: فبعثوا أهل نزوى.

بطعـام، فبينما هم كذلك إذ سَمِعوا أصوات المدافع من قلعة نزوى، فَسألوا عَنْ الخبر فقيل لَهُم: إن يعرب بن بلعرب دخل قلعة نزوى، فرجعوا إلى إزكي.

فأشـار بعض النّاس عَلَىٰ سليمان بن ناصر أن يقبض حصـن إزكي قبل أن يهجم عليه يعرب بن بلعرب، فمضى إليه، وقبضه.

وكان بلعـرب بن ناصر قد سرى سرية أخرى لحـرب يعرب، وبعثهم من ناحية الظّاهرة، فلمّا وصلوا إلى بهلا قبضهم أهلها.

وبعـث سريـة أخـرى إلى وادي بنـي غافـر؛ لشبِّ نار الحـرب عَلَىٰ بني غافر فانكسـرت تلك السرية، ورجع هزيمها إلى الرستاق.

وبعث يعرب بن بلعرب سريّـةً إلى إزكي، وأعطاهم مدفعين من نزوى؛ ليضربوا بهما حصن إزكي.

فلمّـا وصلوا إليها ركضوا عَلَىْ الحصن، فانكسـروا، وقتل منهم بعض الرجال، فرجعوا إلى نزوى.

ثـم بعث سـريّةً أُخرى فأقاموا بالجنى، مقام أصحابهم الهاربين، فجعلوا يضربون الحصن بالمدافع، فمكثوا عَلَىْ ذلك عشـرة أيّام.

ثم وصل مالك بن ناصر من الرستاق إلى إزكي، فركَض بمن معه عَلَىْ قوم يعرب، فانكسر مالك ومن معه.

وأغـار[1] البدو من قوم يعـرب عَلَىْ سَدِّي، وحارة الرّحى مـن إزكي، فنهبوا مَا وجدوه دونهما، وأحرقوا مقام حمير بن منير، وكان خارجًا من حارة الرّحى.

ثـم ركضت سـرية يعرب عَلَىْ أهل اليمـن من إزكي، فانكسروا، وقتل من أكابر تلك السـرية محمّد بن سعيد بن زياد البهلوي.

وقيـل: لمالك بن ناصر، إن أهل النزار خرجوا مع سرية يعرب حَتَّى ركضوا عَلَىْ اليمـن، فأرسل إلى مشايخهم، فلمّا أتوه قيّدهـم بالجامع، ثم أرسل إلى أهل الشّرقية، فجاءه منهم جمعٌ كثيرٌ، وأتاه[2] من بني هناءة رجالٌ كثيرون[3].

(١) في الأصل: وأغارت البدو.

(٢) في الأصل: وأتته.

(٣) في الأصل: رجال كثيرة.

فلمَّا اجتمع الجيش معه بازكي ركض عَلَىٰ سرية يعرب، وخرج[١] معه أهل الطّبول، وأناس قليل من أهل المنزلية، فكانت بينهم وقعة يوم الجمعة عند زوال الشمس، فانكسرت سرية يعرب، ووقع فيهم قتل كثير، فقتل يومئذٍ من الفريقين ثلاثمائة رجل.

ثم إن مالك بن ناصر ارتفع بمن معه من القوم إلى قرية منح، فأغارت شرذمة من قومه عَلَىٰ فلج وادي الحجر، فقتلوا منه ناسًا ونهبوا مَا وجدوه فيه، وأحرقوا سكاكره[٢]، وساروا إلى نزوى، فأحرقوا سكاكرها، ولبثوا محاصريها أيّامًا، ثم رجعوا إلى فرق، فعسكروا فيها، وأفسدوها كُلّية الفساد.

ثُمَّ خرج عليهم أهل نزوى ومن معهم من عساكر يعرب، فوقع بينهم الحرب، ثم رجع كُلّ فريقٍ منهم إلى مكانه، ولم تزل المغازاة والقتال بينهم في كُلِّ يوم.

ثم وقعت بينهم ملحمةٌ عظيمةٌ، وكادت تكون الهزيمة عَلَىٰ قوم مالك، إلَّا أنَّهم لم يجدوا سبيلًا إلى الهرب، إذ أحاطت بهم عساكر يعرب كحلقة الخاتم في الإصبع. فأشتغل أهل نزوى بالسّلب.

فعطف[٣] عليهم قوم مالك بن ناصر، فأكثروا فيهم القتل والجراح، وهزموهم حَتَّى بلغ هزيمهم إلى جَنُّورِ[٤] الخوصة، قريبًا من العقر، فقتل يومئذٍ كثيرٌ من أهل نزوى، ورجع مالك بقومه إلى معسكرهم بفرق، ولم تزل الحرب بينهم قائمةً عَلَىٰ ساق.

ثم إن مالكًا خرج بمن معه من العسكر، ولم يترك في المعسكر إلَّا قليلًا حَتَّى وصل قريبًا من جناة العقر، فأراد أن يحصر أهل نزوى، ويقيم في بستان شويخ، ويثقب جُدُرَه؛ فخرج إليه أهل نزوى، فقتل مالك وانكسر أصحابه حَتَّى بلغوا معسكرهم بفرق، فضعفت قوة قوم مالك، وتجلّدوا عَلَىٰ الحرب.

فلمَّا تزل المغازاة بينهم وبين أهل نزوى حَتَّى وصل محمّد بن ناصر الغافري بجيشه بعد حروب أشغلته بالظاهرة.

---

(١) في الأصل: وخرجت معه أهل الطبول.

(٢) أي مزارع قصب السكر.

(٣) في الأصل: فعطفت عليهم قوم.

(٤) الجنور: هو المكان الَّذِي تدرس فيه الحبوب كالقمح والشعير، وهو موضع معروف.

فلمّا وصل محمّد ناصر إلى نزوى، وَأُخبر الخبر كُلّه ركض عليهم، وهم مُخيّمون بفرق فتقهقر قوم بلعرب عنه، فأحاط بهم إحاطة الخاتم بالإصبع، ولم يروا سبيلًا إلى الفرار.

فلمّا جنَّ عليهم الليل أمر محمّد بن ناصر أن يفرج لهم من الجانب الأسفل، فانهزموا من ليلتهم، ونهى عَنْ أن يتبعهم أحدٌ من قومه.

وكان يعرب بن بلعرب يومئذٍ مريضًا في يبرين، فأقام محمّد بن ناصر بنزوى أيّامًا يسيرة، ثم مضى بقومه إلى الرستاق.

فلمّا دخلها عسكر بفلج الشّراة، فأراد أصحابه أن يركضوا عَلَىْ بومة[١] علي بن محمّد العنبوري الهنائي، فنهاهم، وقال: لا تركضوا حَتَّى يركض هو عليكم فلمّا ركض عليهم أمرهم بالركضة عليه.

فوقع بينهم حرب شديدة[٢]، فقتل عَلي بن محمّد العنبوري، وقتل معه من قومه كثير، ورجع محمّد بقومه إلى فلج الشَّراة، وانتقل باليوم الثاني إلى فلج المدري، من وبِلِ الرستاق.

فأتاه بلعرب بن ناصر مُصالحًا، فصالحه عَلَىْ تسليم قلعة الرستاق، وحصنها، وسائر الحصون التي بيده، ومضوا جميعًا إلى قلعة الرستاق.

فأراد بلعرب أن يخدع محمّد بن ناصر، وكان محمّد رجلًا شهمًا حاذقًا في الأمور، فأبى أن يدخل الحصن قبل أن يدخله[٣] قومه كافّة، فلمّا دخل[٤] قومه تبعهم، فأخرج أصحاب بلعرب من الحصن والقلعة، وأمر أن يقيد بلعرب، فَقُيّد كما أمر، ونهب قوم محمّد بن ناصر الرستاق، وسبوا ذراريها[٥]، وحمل كثير منهم إلى غير عُمَان.

---

(١) البومة: استحكام حربي أصغر من البرج يقدر ارتفاعه جدرانه بين المتر والمترين ونصف، ويبنى بالحجارة أو بالحجارة والصاروج، ويكون موقعه على المرتفعات التي تشرف على ممرات الطرق أو الأماكن الفسيحة، وتكون مهمته الاستطلاع والمراقبة، وأحيانًا يكون الخط الدفاع الأول عن المدن والبلدان.

(٢) في الأصل: حرب شديد.

(٣) في الأصل: أن تدخله قومه.

(٤) في الأصل: فلمّا دخلته قومه.

(٥) الذراري: جمع ذرية، والذرية بالضم، وقد يكسر، ولد الرجل.

ومات يعرب بن بلعرب ومحمد بن ناصر بالرستاق لثلاث عشرة[١]، ليلة خلت من جمادى الآخرة، سنة خمس وثلاثين سنة ومائة بعد سنة الألف[٢]، وكانت وفاته بنزوى، وكتم أهل نزوى موته خيفة أن يقوى عليهم خصمهم. وَمَا شاع خبر موت يعرب للنّاس إلا بعد خمسين يومًا من اليوم الَّذِي مات فيه.

وخلصت حصون عُمَان إلى محمّد بن ناصر، ولم تبق إلا مسقط ومطرح وبركاء[٣] وصحار. فأمَّا مسقط ومطرح وبركاء ففي يد بني هناءة، وحصن صحار في يد العمور.

وكان قبض مسقط ومطرح من بني هناءة؛ لأجل جاعد بن مرشد بن عدي اليعربي، فهم يومئذٍ عساكره بمسقط، فلمَّا بلغهم موت يعرب، وقيدُ بلعرب، وَمَا صار لمحمّد بن ناصر الغافري من الشأن أخرجوا جاعد بن مرشد من مسقط، ووصلوه إلى قرية نخل.

ومات بلعرب في حصن الرستاق.

وفي كل يوم تأتي أقوامٌ لمحمّد بن ناصر من الظّاهرة والشّمال؛ فخاف أهل الرستاق منهم، فانهزم كثيرٌ منهم إلى المهاليل.

ومن غير واحدٍ، أنَّه وُجِد في كهف من كهوف بعض جبال المهاليل جملة أموات من شيوخ وشبانٍ ونساء ثيبات وأبكارًا، ماتوا عطشًا وجوعًا، وأهلهم مرّوا عنهم خوفًا من قوم محمّد بن ناصر، ثم أتى[٤] إلى محمّد بن ناصر ألف رجل من بني قليب وبني كعب، وأتاه رحمة بن مطر الهولي بخمسة آلاف رجل من بدو وحضر، وفيهم من لا يعرف العربية، ولا يميّز بين الصّديق والعدو.

وكان خلف بن المبارك، المعروف بالقصير، الهنائي عند أخذ محمّد بن ناصر لحصن الرستاق وقلعته في بلدة الغشب من الرستاق، فلمَّا اشتد أمر محمّد بن ناصر خاف عَلَىٰ نفسه منه، فمضى إلى بركاء، فقهر حصنها، وترك فيه واحدًا من رجاله، ثم مضى إلى مسقط، فصارت هي ومطرح في قبضته، واستبشر[٥] به جماعته، بنو هناءة.

(١) في الأصل: لثلاث عشر ليلة.

(٢) الموافق ٢٢ مارس سنة ١٧٢٢م.

(٣) في الأصل: بركة.

(٤) في الأصل: ثم أتت.

(٥) في الأصل: واستبشروا به جماعته.

فلمَّا بلغ محمّد بن ناصر الغافري خبره أمر عَلي بن ناصر الحرّاصي بالمسير إلى بركاء وكتب إلى بني هناءة القابضين في الحصن، أن يُقَبّضوا عَلي بن ناصر المذكور الحصن.

فلمَّا وصلهم قتلوه، فرجع أصحابه إلى الرستاق، فأخبروا محمّدًا بما جرى عليه، فَغَضِبَ محمّدٌ غضبًا شديدًا، وأمر بالمسير إلى بركاء.

فمضى أمام القوم رحمة بن مطر الهولي بمن معه من القوم واتبعه حمزة بن حمّاد القليبي بمن معه من القوم، واتبعه أحمد الغافري بمن معه من القوم، ومضى محمّد بن سليمان الذهلي بقومه.

فقيل: إنَّ مُحمّدًا بعد مَا بعث المذكورين أقام بالرستاق؛ ليمدهم بالرجال والزّاد وقيل: إنه هو أوّل من مضى، فأتبعه رحمة بن مطر، ومن بعده كما ذكرنا.

فلمَّا عسكر(١) القوم بالمصنعة أتاهم كتابٌ من قزع الدرمكي، يتهدّدهم فيه، وكان هو يومئذٍ عند بني هناءة القابضين من قبل خلف بن المبارك بحصن بركاء، ويقول في كتابه:

إلى رحمة بن مطر الهولي، يا رحمة، لا تصل إلينا، فنحن لنصلك قبل أن تصل إلينا.

على طريق التهدّد والتوعّد.

فلمَّا قرأ رحمة الكتاب أمر بالمسير إلى بركاء، وقدّم عُيونًا من أصحابه إليها، فرأوا قزعًا وقومه مقبلين عليهم، فرجعت العيون إلى رحمة، وأخبروه بقدوم قزع ومن معه عليهم، فالتقوا بمكان يُسمّى "القاسم".

فجعل رحمة أمام قومه قضيب الهولي، وشرَّقَ هو بشطر قومه حَتَّى نزل الحفري. فوقع الحرب بين أصحاب قضيب الهولي وقزع الدّرمكي، وكان قضيب راكبًا عَلَىْ فرسٍ، وقد بعث قبل الوقعة عيونًا إلى بركاء، فأخبروه بقدوم خلف بن المبارك ببقية من معه من القوم.

ووقع الحرب بين قضيب وقزع، فقتل قزع، وقتل من قومه رجال كثيرون(٢)، وفرَّ الهارب منهم إلى بركاء.

---

(١) في الأصل: فلمَّا عسكرت القوم.

(٢) في الأصل: رجال كثيرة.

وأما رحمة بن مطر ومن معه من القوم، فالتقى هو وخلف بن المبارك ومن معه من القوم غربي بَرَكَاء، فوقع بينهم قتال شديد، فكانت الدّائرة عَلَىٰ خلف، وكانت لرحمة أخشاب تساير قومه الذين معه في البَرِّ غير مبتعدة في البحر عنهم، وفي أخشابه رجالٌ كثيرون، فجعلوا يضربون الخشب التي تساير قوم خلف بالمدافع، وقد ترك خلف فيها رجالًا كثيرين، فأغزرت الخشب التي لخلف عنهم بحرًا، ومن انهزم من قوم خلف، وأتى إلى ساحل البحر يريد أن يتحصّن في خشبه وجدها قد أغزرت عنه بحرًا، فكثر القتل في أصحاب خلف، وجعل[١] قوم محمّد بن ناصر يضربون[٢] المنهزم منهم بالتفق والسّيف.

فكان عدد من قتل من أصحاب خلف يومئذ[٣] ألفًا واثنى عشر رجلًا عَلَىٰ اتفاق الروايات، لا أجد قائلًا، قلَّ ولا أزيد فما زالَ[٤] قوم محمّد يتبعون هزيمهم إلى أن أدخلوهم حصن بركاء.

فحاصر بعضهم حصن بركاء، وبعضهم عسكر بحيل آل عمير، فأقاموا فيها أربعة أيّام، ثم رجعوا إلى بركاء، فالتقوا بأصحابهم الحاصرين حصنها فسألوا عَنْ خلف. فقيل لهم، رجع إلى مسقط عَلَىٰ خشبة صغيرة.

فما أطالوا بعد ذلك الحصار لحصن بركاء، فرجعوا إلى الرستاق. قيل: عَنْ رجوعهم أمر من محمّد بن ناصر، وهو يومئذ بالرستاق، وقيل: هو معهم، فرجعوا جميعًا إلى الرستاق، وهذا عندي أصحّ، والله أعلم.

ففسح محمّد لرحمة بن مطر، ومن معه من القوم، وفسح لكُلِّ مَنْ أتاه مِنْ الظاهرة وتوام، حضرًا وأعرابًا، وأقام هُوَ بالرستاق أيّامًا، فأصابه الجدري. فلمّا عُوفي أمر بالمسير إلى ينقل[٥].

فجعل عَلَىٰ الرستاق واليًا من قبله محمّد بن ناصر الحرّاصي، وعنده أصحاب بهلا، وعضده بسنان بن محمّد المحذور الغافري، ومعه بعض الرجال من قومه.

(١) في الأصل: وجعلت.
(٢) في الأصل: تضرب.
(٣) في الأصل: ألف.
(٤) في الأصل: فمازالوا.
(٥) إحدى ولايات محافظة الظاهرة.

ومضى هو إلى ينقل ومعه سيف بن سلطان اليعربي - وهو يومئذٍ صغير السنِّ - ومعه أيضًا بعض اليعاربة، فلمّا بلغوا إلى مقنيات[١] أرسل محمّد إلى قبائل الظّاهرة[٢]، وعُمَان، وبني ياس، بوصولهم إليه، فأجابوا دعوته، وأتاه قومٌ كثيرون[٣] من حضرٍ وأعرابٍ.

فمضى بهم إلى فلج المناذرة، وأرسل إلى أهل البلدان الذين خالفوه أن يسلموا الأمر له، فأبوا، ولم يردوا عليه جوابًا.

فارتفع يريد الانتقال إلى الجانب الأعلى الَّذِي عَلَىْ شريعة فلج المحيدث من البطحاء، فالتقاه[٤] بنو عَلي بمن معهم من القوم.

فوقع بينهم القتال، فانكشف[٥] بنو علي، وقتل منهم خلف كثير، وقتل من كَبرائهم شيخهم سليمان بن سالم.

وقتل من أكابر قوم محمّد بن ناصر: سالم بن زياد الغافري، وسيف بن ناصر الشكيلي، وَجُرح ناسٌ من قومه.

ثم نزل محمّد في شريعة المحيدث من الجانب الأعلي، فحاصرهم، وجعل أصحابه يضربونهم[٦] بالتّفق والمدافع. ثم وقعت بينهم صَكّة، فقتل فيها خلقٌ كثيرٌ من الفريقين.

أمّا من أصحاب محمّد بن ناصر فقتل محمّد بن خلف القيوضي، واحدٌ من بني عمّه وقتل من بني عَلي[٧] جملة رجال.

فأمر محمّد بكسرِ الفلج عنهم، فلمّا كُسرَ صالحوه عَلَىْ تسليم الحصن، فقبضه منهم. ومكث في ينقل بمن معه من القوم أيّامًا قلائل، ثم اتاه خبر عَنْ سعيد بن جويد، أنَّه دخل السليف، والتأمَ بالصّواوفة، ومعه جمعٌ من بني هناءة.

(١) إحدى قرى محافظة الظاهرة.

(٢) إحدى محافظات السلطنة، وتقع غرب محافظة الداخلية.

(٣) في الأصل: وأتته قوم كثيرة.

(٤) في الأصل: فالتقته بنو علي.

(٥) في الأصل: فانكشفوا بنو علي.

(٦) في الأصل: وجعلت أصحابه تضربهم.

(٧) في الأصل: وقتل من بني جملة، فكلمة عَلي زيادة من المحقق.

فأمـر محمّد قومه بالسير إلى السّليف، فلمّا وصلها بهم أرسل إلى سعيد بن جويد، وأهـل السّليـف أنّ يُؤدُّوا الطاعة له، فأبـوا. وأتت الصّواوفة الذيـن بتنعم مذعنين، فأمّنهم، وقبل إذعانهم إليه.

فأمر قومه بالركضة عَلَىْ حصن المراشيد، فركضوا عليه، وهدموه عَلَىْ من فيه من رجالٍ ونساءٍ، صغيرًا وكبيرًا.

وطلـب سعيد بن جويد منه الأمان، وأن يسيّره ومن معه إلى بلده، فسيّره وزوّده، وصالحته المناذرة، واستنكفت الصّواوفة، أهل تنعم، عَنْ طاعته، فأمر بقطع نخيلهم، فاصلحوه عَلَىْ هدم حصنهم بيدهم.

وفسح للبدو الذين صحبوه، ولم يبق معه من الأعراب إلّا بنو ياس.

ولّما بلغ خلف بن ناصر بن المبارك القصير اشتغال محمّد بن ناصر بحروب الظّاهرة مضى بمن معـه من القوم إلى الرستاق، فحصر حصنها، وخـرج إليه سنان المحذور، فوقع بينهم القتال، فقتل سنان المحذور ومعه بعض الرجال من قومهِ.

فلمّا اشتد الحصار عَلَىْ علي بن ناصر الحراصي، ومن معه صالحوا خلف بن ناصر عَلَـىْ خروجهم من الحصن بأمانٍ منه، فأجابه عَلَـىْ ذلك، فخرج علي بن ناصر من الحصن، وقبضه خلف.

ثم إن خلفًا مضى إلى الحزم بمن معه من القوم، وكان الوالي بحصنها يومئذٍ من قبل محمّد بن ناصر، عمر بن مسعود بن صالح الغافري.

فأرسل خلف إليه بخروجه من الحصن بأمانٍ منه، فأبى، فحصره حصرًا شديدًا.

وكتـب عمر إلى محمّد بن ناصر يخبره عَنْ خلف بن ناصر، بقتله لِسنان المحذورِ، وأخذه لحصن الرستاق، وحصره له الحزم، وأنّه لم يبق معه ماءٌ في البركة إلا قليلًا.

فسـار محمّد بن ناصـر، بعدما وصله الكتـاب المذكور، وصالحه أهـل السّليف، وهدم حصنهم، إلى الحزم، فلمّا وصلها أمر أصحابه بالركضة عَلَىْ أصحاب خلف، فَرَكَضُوا عليهم، فهزموهم، وقتلوا منهم رجالًا كثيرةً.

وفـرَّ خلف فاختفى بعد الهزيمة في بيت رجلٍ مِنْ أهل الغشب، ولم يشعر به محمّد ولا أحدٌ من قومه.

فأقام محمّد بالحزم أيّامًا قلائل، ثم رجع إلى الظّاهرة وأعرض عن الرستاق، فحشد قومًا من الظاهرة ومضى بهم إلى بلادسيت، فأرسل إليهم؛ ليُؤدُّوا الطاعة، فأبوا، فأمر قومه بالهجوم عليهم، فهجموا، وقتلوا منهم خلقًا كثيرًا.

ثم أمرهم أن يركضوا عَلَىٰ العارض فركضوا، وقتلوا منها رجالًا عدةً، ودمروها.

ثم ركضوا بأمره عَلَىٰ غمر[(١)] ففعلوا بها مثل مَا فعلوا بالعارضِ. وأدّت له الطاعة بلدان بني هناءة كافّة، وصاروا في طاعته هُم وحلفاؤهم من بني عدي، وأهل العلو وغيرهم.

ورجع محمّد بعد ذلك إلى نزوى، فأقام بها ستّة أشهر، فأرسل إلى أهل منح، أن يُؤدُّوا الطّاعة، فأبوا، فجهز عليهم جيشًا، فحاصرهم جيشه، وجعل يقطع نخلهم، فأدُّوا الطّاعة، فمضى بعد ذلك إلى الظاهرة، فلمّا بَلَغَ خلف بن ناصر أن مُحمّد بن ناصر في الظاهرة جمع عسكرًا كثيرًا، فنزل بوادي المعاول.

فحشد المعاول، ومضى بهم ومن معه من القوم إلى نخل، وكانت نخل يومئذٍ في حكم مرشد بن عدي اليعربي، فحاصروه أربعة أيّام، ثم طَلَبَ منهم الأمان؛ لِخُروجه من الحصن، فأعطاه خلف الأمان. فلمّا خرج مضى[(٢)]، به بعض رجال المعاول إلى دُونِ مسلمات، فقتلوه.

ولمّا دخل خلف هُوَ ومن معه حصن نخل أحرقوا أبوابه، وهدموا مَا قدروا منه عَلَىٰ هدمه.

وصالح خلفًا أهل الجميمي[(٣)]، ثم دخلها[(٤)] قومه بعد الأمان عَلَىٰ حين غفلة من أهلها، فنهبوا مَا فيها.

فهرب أهلها إلى الطّو، وبعضهم هرب إلى بلدان بني جابر من قرية سمائل، ثم ركض من هرب منهم، إلى الطّوِ وسمائل، عَلَىٰ فنجا[(٥)]، فأخذوها، وَهرّبُوا أهلها.

(١) إحدى القرى.

(٢) في الأصل: مضت به.

(٣) في الأصل: وصالحت خلف أهل الجميمي.

(٤) في الأصل: ثم دخلتها قومه.

(٥) قرية من قرى ولاية بدبد بمحافظة الداخلية.

وكانت طائفة من أهل نخل لمَّا دخل[(١)] قوم خلف الجميمي التجأت إلى الجناة، عند بني مهلل، فمكثوا معهم أيّامًا قلائل، ثم جعلوا يكاتبون أصحابهم الهاربين إلى سمائل، أن يأتوا إليهم عَلَىٰ طريق وادي الحمّام؛ لأخذ الجناة، ووقّتوا لهم الوقت، فمضى[(٢)] إليهم بعض الهاربين.

فلمَّا وصلوا إلى الجناة تسوروا عَلَىٰ من فيها، فقتلوا من قتلوا منها، وانهزم من سلم من القتل إلى بلدان المعاول، فنصروهم.

واشتمل[(٣)] عَلَىٰ المعاول أقوام كثيرون[(٤)] من بني هناءة، ويمنية أعراب السّاحل، فركضوا عَلَىٰ الجناة، فوقعت الحرب بينهم وبين من فيها من أهل نخل ثلاثة عشر يومًا، لا يفتر فيها صوت التفق بينهم، ثم أخرجوهم منها، وقتلوا منهم[(٥)] رجالًا، وانهزم الباقون عند أصحابهم بفنجا فهدمت المعاول الجناة.

ومكثت نخل مدّةً من الزمان لم يوجد[(٦)] فيها غير الكلاب والسباع. واقتسمها[(٧)] بنو هناءة، ومكثوا فيها إلى أن ملك سيف بن سلطان عُمَان، فعند ذلك سلّموها لأهلها، وسلم أهل نخل فنجا لأهلها.

ثم إن محمّد بن ناصر جمع عسكرًا كثيرًا، فقصد بهم بلدان العوامر، وقد انضاف[(٨)] إليهم آل وهيبة، فلمّا وصل إليهم وقع بينهم وبينه حربٌ شديدةٌ، وكادت الغَلبة تكون عليه، فصارت إليه، فبلغ منهم مَطلُوبُه من الطاعة والإذعان والانقياد.

فرجع بعد ذلك إلى الظّاهرة، فجمع منها أجنادًا كثرةً، فأتى بهم إلى نزوى، فجمع منها ومن بهلا ومن بني ريام خلقًا كثيرًا، وسار بهم إلى سيفم[(٩)].

(١) في الأصل: لمّا دخلت قوم.
(٢) في الأصل: فمضت إليهم.
(٣) في الأصل: واشتملت.
(٤) في الأصل: أقوام كثيرة.
(٥) في الأصل: من رجالها.
(٦) في الأصل: لم يجد فيها.
(٧) في الأصل: واقتسمتها بنو هناءة.
(٨) في الأصل: وقد انضافت.
(٩) قرية تقع عند النهاية الغربية في وادي سيفم عَلَىٰ بعد ستة أميال أسفل نجد البرك غربي ولاية بهلا.

فلمَّـا وصلها أرسل إلى سعيد بن جويد الهنائي ومن معه من أهل العقير والغافات بالمواجهة. فأبوا؛ فحاصرهم، فخرج سعيد بن جويد ليلًا خفيةً، ومعه بعض الرّجال إلى الظّاهـرة، فلمَّـا وصـل إلى ينقل أمرهـم بالمخالفة عَلَىٰ محمّد، وتـرك الطاعة له، فأجابوه عَلَىٰ ذلك.

وكتـب للقوم الذين بصحار أن يعينـوه ببعضِ رجالهم عَلَىٰ حرب محمّد بن ناصر فأجابوه، وبعثوا له رجالًا كثيرين[١] من قومهم، ومن أهل صحار[٢].

فاجتمـع معه خلقٌ كثيرٌ، وهو يومئذٍ ببلدة ينقـل، آل علي، فمضى بهم إلى العُلا، وَضـمّ، فانضمّوا معه؛ وكتب إلى يمنيّة الشرقية أن ينضافُوا معه عَلَىٰ حرب محمّد بن ناصر، فأجابوه عَلَىٰ ذلك، فلمّا بلغ بقومه إلى فلج العِيسى أُخبر مُحمّد عنه.

وكان مُحمّـدٌ يومئِذٍ ببهلا، ومعه خلقٌ كثـيرٌ، وسائر قومه محاصرون أهل الغافات، فبعـث عُيونًا عَلَىٰ سعيد بن جويد، فلمّا أخبرته العيون أنَّه في ضَمٍّ، ومُراده أن يمضى بمن معه من القوم إلى الغافات أمر قومه أن يلاقوه دُونَ البلاد.

فصـادف قومـه قوم سعيد بـن جويد في صـدر الغافات[٣]، فوقـع بينهم حربٌ شديدةٌ، فقتل سعيد بن جويد وَغُصنُ العَلِّي، وقتل معهما من قومهما خلقٌ كثيرٌ.

فسحب قوم مُحمّد سعيـد بن جويد بحبل كما تُسحب البهائم الميتة إلى الغافات؛ ليُذعّروا بهِ قومه القابضينَ حصن الغافات؛ فلم يُذعّرهم ذلك.

فَشـدّدوا الحرب، فَشُدّد عليهم الحصار، وأمـر مُحمّد بقطع نخيلهم وأشجارهم، فلمّا نفد عليهم الزّاد وآلة الحرب، وكثر فيهم القتل صالحوا مُحمّدًا عَلَىٰ هدم معاقلهم كافّـةً إلا حصـن العقير، ثـم صالحوه عَلَىٰ هدمـه بعد مَا فرغ الـزاد عليهم، فهدموا بنيانهم بأيديهم، وأذعن[٤] له بنو هناءة، أهل سيفم كافّة.

فرجع إلى يبرين، وفسخ لقومه، ثم جيّشَ ثانيةً، فاجتمع معه خلقٌ كثيرٌ من البدو والحضر، فقصد بهم بلدان الحبوس من الشرقيّة، وكان خلف بن ناصر القصير يومئِذٍ معهم بالمضيبي.

---

(١) في الأصل: وبعثوا له رجال كثيرة.

(٢) في الأصل: من أهل الصحار، وصحار علم لا يعرف.

(٣) قرية من قرى ولاية بهلا بمحافظة الداخلية.

(٤) في الأصل: وأذعنت له بنو هناءة.

فلمَّا وصل إليهم محمّد بمن معه من القوم وقع بينهم حربٌ شديدةٌ، فانكشف الحبوس وقوم خلف، ودخل قوم محمّد حجرة المضيبي، فاحتووا عَلَىٰ مَا فيها من المال.

ومضى خلف إلى إبراء، فلاذ بالحرث، فاتبعه محمّد، فلمّا وصل إلى إبراء أرسل إلى الحرث أنَّ يُخرجوا خلفًا عنهم، فأبوا، فأمر بقطعِ نخيلهم، فصالحوه عَلَىٰ خروج خلف عنهم، فأجابهم عَلَىٰ ذلك.

فمضى خلف إلى مسقط ورجع محمّد ومن معه من القوم إلى يبرين فمكث أيّامًا قلائل، ثم مضى إلى نزوى، فأرسل إلى رؤساءِ القبائل، وأهل العلم.

فلمَّا أتوه طلب منهم، أن يقيموا واحدًا[1] مكانه مع سيف بن سلطان، واعتذر عَنْ الحرب، فلمَّا يعذروه خوفًا من خلف بن ناصر، أن يصول عليهم إذا تأخر محمّد عنهم.

وقد كان مَا كان منهم من المقدمات التي تُسخط خلفًا، لاتباعهم لمحمّد ومسيرهم معه، ومع سائر قومه لحرب بلدان بني هناءة وسائر اليمنية من الشرقية والظّاهرة.

وكان الوالي يومئذٍ بنزوى الشيخ عبدالله بن محمّد بن بشير بن مَدّاد، فنظر هذه الحروب كلّها عَلَىٰ الباطل، وخاف عَلَىٰ أهلِ نزوى، إذا جانبهم محمّد بن ناصر، الهلاك من خلف، فقال لهم لمَّا شاوروه: اعملوا التقيّة.

فجعلوا يُرغّبون مُحمّدًا بالقيام معهم، وهو يأبى ذلك، واجتمع أهل نزوى في العقر، فَغُلّقت أبوابها يُومًا وليلةً، في ترغيبهم لمحمّد بالقيام معهم وهو يأبى. فلمّا أعرضوا له الإمامة قَبِلَ.

فلمَّا قَبِلَ عقدوا له بها ليلة السبت، لسبع ليالٍ خلون من المُحرّم، سنة سبع وثلاثين ومائة بعد الألف[2].

(١) في الأصل: أن يقيموا أحدا مكانه.

(٢) الموافق ٧ أكتوبر سنة ١٧٢٤م.

الإمام محمّد بن ناصر الغافري

فضربت مدافع القلعة استشهارًا بإمامته، وأتاه قبائل عُمَان، فبايعوه، ومكث بنزوى حَتَّى صلى الجمعة، ثم سار إلى يبرين، فلمّا وصلها بلغه عَنْ مانع بن خميس العزيزي أخذ حصن الغبّي، ومهنّا بن عدي اليعربي ومن معه من بني ريام واليعاربة أخذوا غالّة البُركة الطلحيّة.

فمضى محمّد إلى الغبّي، فأخرج العزيزي من الحصن بأمان منه، ثم مضى إلى البُركة الطلحيّة فصالحوه، وما بقى له منازعٌ في عُمَان.

ثم مضى إلى سمائل فهدم، حجرة البكربين، وحجرة أولاد سعد، مع خبر طويل، تركته طلب الاختصار، وأخذ الزكوات من سمائل.

ووقع بين المعاول وخلف نزاع، فأخذوا حصن بركاء، وكتبوا إلى مُحمّد بن ناصر، أنْ يأتيهم؛ ليقبضوه الحصن، فأتى إليهم، ومعه بعض القوم.

فأقام بالحرادي[1]، فبعث المعاول له بالضّيافة، ومحمّدٌ يظن منهم غادرًا، فلم يطاوعهم عَلَىْ مَا سألوه، فرجع عنهم.

وقصد بلدة ينقل، فحصر حصنها، فأدخله الحصن رجلٌ من بني عَلي يُسمّى عصامًا[2]، وكان له بيت جدره ملتصقة بجدر الحصن، فأثقب لهم جدار بيته، فما شعروا إلَّا وقوم محمّد قد هجموا عليهم، فطلبوا الأمان بخروجهم من الحصن، فأجابهم محمّدٌ عَلَىْ ذلك. فلمّا صار الحصن في يدهِ ولّاه عصامًا، فرجع إلى الغبّي، ثم مضى إلى يبرين.

وكان رجلٌ أعرابي[3] من شيوخ آل وهيبة، يُسمّى: أبا حزق، قد أفسد سُبل المسلمين بالكسب والنّهب، ومسكنه أطراف رمل عُمَان، فمضى إليه مُحمّد ومعه عساكر جمّة.

فلمّا وصل إلى مسكنه أسره وأسر كل مَنْ كان في مسكنه من الأعراب، وأتى بهم إلى يبرين، فقيّدهم بخوص النخل. وقال: كل مَنْ قطع قيده منكم لأقطع رقبته. وأمر عَلَىْ قومه الذين وكلهم بهم بمنع الماءِ والطعامِ عَنْ مواشيهم التي أتوا بها، فمات أكثرها.

(١) أحد وديان محافظة الباطنة.

(٢) في الأصل: عصام بالرفع، وصوابه، النصب.

(٣) في الأصل: وكان رجلًا أعرابيًا، والصواب الرفع.

ثـم تشفعت فيهم أعراب الشّرقية عَلَـىٰ أنَّهم لا ليعترضوا أحدًا من المسلمين، ولا ليفسـدوا السبـل، فشفّعهم فيهـم، فمضى أبو حزق ومن سلم مـن قومه من الحبسِ والقيد إلى مكانه.

فانحـدر محمّد من يبرين إلى سمائل، ومعه جنود كثيرة، فأقام في سمائل أيّامًا ثم هبط إلى أعمال بركاء، فأقام في حيل آل عمير.

فكان يأتي إلى بوشر وغبرتها، ويبعث كتبه إلى خلف بن ناصر؛ ليناجزه، وخلف يومئذٍ بمطرح[(١)].

فلم يَردّ خلف إليه جوابًا، وقد بنى عَلَىٰ أطراف مطرح سُورًا من حجر، خوفًا من محمّـد، أن يدخل مطرح. فإلى هذه الغاية هذا السور باقٍ، ويُسمّى: سور بني هناءة. والغايـة المذكورة سنة الخمس والسبعين والمائتـين والألفِ من الهجرة النبوية، صلى الله عَلَىٰ محمّد وآلِهِ وصحبه.

وأتـى[(٢)] رجـال المعـاول إلى محمّد بن ناصر، وهـو يومئذٍ مقيمٌ بِحيـل آل عمير، فعاهدوه عَلَىٰ الطّاعة، والانقياد له.

وأرسل إلى آل سعلي وهم أعراب الساحل أن يصلوا إليه فاستنكفوا ولم يردوا إليه جوابًـا، فلمّا رجع إلى الحزم من الحيل أغار عليهـم، فقتل منهم جملة رجال، وعقر عليهم نياقًا كثيرةً، وهـم يقولون: ارفع السيف عَنْ جماعتك يا خلف فإننا مطيعون لـك. يظنون أن الغائر عليهم خلف بن ناصر القيصر، لا مُحمّد بن ناصر الغافري، فما شعروا أنَّه محمّد إلا مَا رجع إلى الحزم. وأغاظ المعاول فعله بآل سُعلي، فنقضوا العهد الَّذِي بينهم وبينه.

فأقـام مُحمّـد بعض الأيام في الحزم، ثـم رجع إلى الغبّي فأقام ببلـدة سني أيّامًا، ثم مضى إلى الغبّي.

فجمـع أقوامًـا كثيرين مـن بني ياس، ونعيـم، وقتيب، والشوامـس، ومن حضر الظاهـرة خلقًا كثيرًا، وقصد بهم صحار، فلمّا وصلهـا ركض عَلَىٰ سورها، فدخل من أبوابه. فعسكر بقومه في حلتها الداخلية، وحِللها الخارجة من السور.

---

(١) زيادة من المحقق.

(٢) في الأصل: وأتت رجال.

وأقام وهو وخاصّته في بيت رجل عجمي، من أهل صحار، يسمى محمودًا.

وواجهه(١) أهل صحار كافة، وَمَا شذَّ عَنْ طاعته سوى العمور القابضين بالحصن(٢)، وكان ميلهم كُلّ الميل إلى خلف بن ناصر القصير، فترادفت كتبهم إلى خلف بوصوله إليهم.

وكان محمّد بن ناصر قبل وصوله إلى صحار قد أعان ربيعة بن أحمد الوحشي عَلَىٰ آل عزيز لَمَّا بغوا عليه وعلى قومه، وأخذوا أمواله وأموال قومه ظُلمًا، فلمَّا مضى إليهم محمّد رَدَّ عليهم أموالهم، وهرب من بغى عليهم من آل عزيز، وأمنهم من كُلِّ معتدٍ يعتدي عليهم.

فلمَّا وصل إلى صحار، وحصر حصنها بلغه عَنْ الوحاشا(٣)، أنّهم قد بعثوا، قبل أن يصل محمّد إلى صحار، رجالًا منهم إلى صحار، فانضافوا إلى العمور القابضين في الحصن.

فأرسل محمّدٌ إلى ربيعة بن أحمد الوحشي، وكان ربيعة يومئذٍ في ضنك(٤)، أن يصل إليه، فلمَّا أتى عاتبه عَنْ قومه المنضافين إلى العمور، فحلف له، أنَّهم مضوا إليهم بغير علم منه ولا رضى.

فقال له محمّد: أمض إلى الحصن، وناصح العمور وجماعتك المنضافين إليهم بالخروج من الحصن، عَلَىٰ أمانٍ منّي، ومن قومي.

فلمَّا مضى ربيعة إليهم شحذهم، وأغراهم عَلَىٰ حرب محمّد، ثم قال لهم: إن محمّدًا قد أضجره المقام، ونفد عليه الزاد، ورجع أكثر قومه إلى منازلهم من الجوع، وخافوا من خلف، أن يهجم عليهم، وقد بلغهم، أنَّه قد جمع قومًا كثيرين(٥)، فالرأيُ السديد، أن نركض عليه اليوم، ونفرق شمله؛ لكي نحظّى من خلف مَا نُحبه منه، ويعلم أنا إليه ناصحون. وأكثر إليهم من نظائر هذا الكلام.

(١) في الأصل: وواجهته أهل.

(٢) في الأصل: القابض بالحصن.

(٣) قبيلة ربيعة بن أحمد الوحشي المذكور.

(٤) إحدى مدن محافظة الظاهرة.

(٥) في الأصل: جمع قومًا كثيرة.

فأجابـوه عَلَىٰ ذلـك، وشدّدوا الحرب بضرب التفـق والمدافع، ونصبوا في بروج الحصن ألوية الحرب، وكثرت زعقاتهم.

فلمّـا كان منهم ذلك ما شكَّ محمّد ولا قومه عَلَـىٰ أنَّ ربيعة بن أحمد قد أغراهم بذلك، فبينما هم يتنازعون الحديث فيه، وفي أهل الحصن إذ أتاهم آتٍ من أهل الحلة المقتربـة من الحصن، فأخبرهم، أن ربيعة والعمـور قد أقبلوا إليكم مجردين السّيوف، ناكسين الرماح.

فنهضـ إليهم محمّد بمن حضر معه من القوم، فهزموهم، وقتلوا منهم رجالًا عدةً، وأسـروا ربيعة، وهو يرتعد من الخوف.

فقال له مُحمّـد: بئس مَا صنعت، فقد باينت الكرام بصنيعك هذا، وقاربت اللئام به، فصرت أنت إمام اللئام، فالآن أخيرك في حالتين، الأولى: بأن أطلقك وتمضى إلى جماعتـك بالحصن، وإمّـا أن أُسيّرك بأمان إلى بلدك ضنـك، وسأعفوا عنك؛ لأنك لست من رجال الحرب.

قيـل: فاختار الرجـوع إلى الحصن، فأنعم له محمّد بذلـك، فمضى إلى الحصن، فالتأم بقومه.

وقيـل: اختار الرجوع إلى بلـده ضنك، فسيّره إليها بعشـرة فرسان من فرسانه، وكل فارسـ منهم عَلَىٰ فرسـ من أفراسه. وهذا عندي أصـحّ؛ إذ أخبرني بذلك غير واحدٍ من الشيوخ المُسنّة، منهم الشيخ معروف بن سالم، وخاطر بن حميد البداعي، وكلهم أخبرني أن الشيخ معروف بن سالم كان عند محمّد بن ناصر في تلك(١) الحرب.

وأقبـل خلف بن ناصر القصير، ومعه جمعٌ كثيرٌ، فلمّا عسكر بصحم(٢) سأل عَنْ محمّد بن ناصر، أين مقامه؟ وعن عدد قومه؟

فقيل له: عنده قوم كثيرون، من حضرٍ وأعرابٍ.

فقال: أخبروني عَنْ الأعراب الذين معه، مَنْ هم؟

قيل: بنو ياس، وبنو نعيم، وقتب، وأحلافهم، ومعه من الحضر خلقٌ كثيرٌ.

---

(١) في الأصل: في ذلك الحرب، والصواب تأنيث اسم الإشارة.

(٢) مدينة عَلَىٰ ساحل محافظة شمال الباطنة، وتقع جنوبي شرق مدينة صحار.

فأرسل خلف إلى رجل زرّاع من عجم صحار، فلمّا أتاه أعطاه بعض الدراهم، وقال له: إذا كان الغد أخرب زرعك بيدك، وسر إلى محمّد بن ناصر، وقل له: إن الأعراب الذين معك أخرب بعضهم زرعي، فحملوه إلى ركابهم، فأكلته، فأريد منك الإنصاف.

فإن قال: أتعرفهم؟ قل: نعم بالمشاهدة[١] وأمَّا أسماؤهم فلا. فإذا بعث معك أحدًا لإتيانهم إليه انتخب منهم ثلاثة، واحدًا: من أكابر بني ياس، والثاني: من أكابر بني نعيم، والثالث: من أكابر بني قتب، ولا تقبل منه الغرامة إذا قال لك: قوّم ثمن زرعك، وردد إليه، لا أريد منك غير[٢] الإنصاف ممن تعدى علي. فإنك إن فعلت ذلك لك منّي مَا تريد من الدراهم.

فمضى ذلك الزرّاع عنه، وفعل كما أمره خلف. فأصبح يشكو عند محمّد. فقال له محمّد: أتعرف الذين خربوا زرعك وجذّوه؟

فقال: أما اسمهم فلا، وأمَّا إذا رأيتهم فنعم.

فقال لواحدٍ[٣] من أصحابه: أمضِ مع الزرّاع، واتني بمن خربوا عليه زرعه.

وكان مُحمّدٌ منذ عسكر بصحار إلى ذلك اليوم، الَّذِي أتاه فيه ذلك الزراع، مَا أحد أتاه من أهل صحار، وقال له: نُهبت أو ضُربت أو أخرب عَلي زرعًا أو نخلًا، لقد أمنت[٤] الرعية فما اعترضهم أحدٌ من قومه بسوءٍ.

فأتى الرجل الَّذِي بعثه مع الزرّاع بثلاثة رجال، أحدهم: ياسي، والثاني: نعيمي، والثالث: قتبي.

فسألهم مُحمّد: فجحدوا[٥].

فقال للزراع: قوّم[٦] مَا خَرَبَ عليك من الزرع.

(١) في الأصل: نعم بالمشهادة.
(٢) كلمة غير زيادة من المحقق.
(٣) في الأصل: لأحد.
(٤) في الأصل: لقد أمن الرعية.
(٥) أي أنكروا.
(٦) أي اذكر قيمته وثمنه.

فقال: لا أريد إلا العدل والإنصاف منك، أمنّتنا، وهذا بما جرى علينا من أمانك.

فبذل محمّـد للزرّاع عشر مائة محمّدية فضية، فأبـى، وجعل يكرر، لا أريد منك غير الإنصاف منك.

فغضـب محمّد عَلَىٰ الثلاثة الأعراب المذكوريـن، فأمر بصلبهم، وكان من عادته، لا يـؤدب البدو إلّا بالصلـب. ثم أمر بضربهم. فضربوا، وهم يقولون: والله مَا فعلنا، وإن هذا الزرّاع لـكاذب. فلم يحفل مُحمّدٌ بكلامهم، وتركهم في الصلب، من أوّل الصباح إلى غروب الشمس.

ثـم أمر بفكاكهم، وأرسل إلى الـزرّاع، فأعطاه عشرماية محمّدية فضة، فقال: لا آخذ غرامتين، فأنا راضٍ عنك، وانصرف عنه.

فلمّـا جنَّ الليل[١] ركـب[٢] الأعراب إبلهم بغـير إذنٍ من مُحمّد، ساخطين عليه لمّا فعل بأصحابهم بغير حجّة شرعية ولا فرعيّة.

فلمّا طلعت الشمس أُخبر عَنْ الأعراب، أنّهم رجعوا إلى ديارهم، وأنَّ الزرّاع قد كذب عليهم، وأنها مكيدة حاكها خلف، فبلغ بها مُرادَه.

فبعث للزراع، فقيل له: قد هرب منذ انفصل عنك، ومضى إلى خلف.

فبينما هم في منازعة هذا الحديث إذا أتى آتٍ من أهل صحم إلى محمّد، يخبره، أن خلفًـا قادم[٣] عليه بعسكره، وأن الـزرّاع الشاكي معك أعطاه خلف دراهم كثيرة، وقال له: جزيت خيرًا.

فعند ذلك أمر قومه بحربك، فهو عَلَىٰ أثري قادم عليك.

قيل: فأطرق محمّد رأسه ساعة، ثم رفعه، وقال: ساعة لا خير فيها، ضعف الطالب والمطلوب؛ ليقضى الله أمرًا كان مفعولًا.

وكان محمّد بن ناصر له يدٌ قوية في علم الفلك والنجوم، مشهورًا بذلك، فأمر من معه من القوم بالوثبة عَلَىٰ خلفٍ وقومه.

(١) جن الليل: وجن عليه الليل جنا وجنونا ستره بظلامه، وكل مَا ستر عَلَىٰ الإنسان فقد جن عليه.

(٢) في الأصل: ركبوا الأعراب.

(٣) في الأصل: قادما، والصواب الرفع، خبر أن.

وركب هو عَلَىٰ خيل أبيض، واشتمل عَلَىٰ بشتٍ[١] أبيضٍ، وفي يده اليمنى[٢] سيف مُجرّد، وفي اليسرى رُمحٌ.

فلمَّا التقى الجمعان وقع بينهما حربٌ شديدةٌ بالتفق والسيف والطعن بالرماح والوج[٣] بالخناجر ساعةً طويلةً.

ودخل القوم في القوم، فبطل بينهم الضّرب بالسيف والطّعن بالرماح، فلم يعمل بينهم غير الوجيء بالخناجر، والعضاض[٤] بالأضراس.

فقتل خلف، وانكشف جمعه، فتابعهم[٥] جنود مُحمّد إلى الدّيل.

فلمَّا رجع مُحمّد ركض بمن معه عَلَىٰ الحصن، فضرب دون باب الحصن برصاصة تفق من الحصن في جناح اليد اليسرى، فأثنى لجام فرسه، وقال لقومه: ارجعوا إلى معسكركم، ولم يخبرهم بالضّربة التي وقعت فيه.

فلمَّا وصل إلى بيت محمود نزل من ظهر فرسه، ودخل البيت المذكور، وأمر خاصّته بغلق الباب وألا تدخل عليه أحد غير أولئك الخاصّة.

وكانت الوقعة بين الفريقين أول الصبح إلى وقت العشاء، وضرب مُحمّد دون الحصن، والليل حالك الإهاب[٦]، فمات من ليلته في بيت محمود العجمي، وأقبرته خاصته دون حلّة الشيعة من الحلّة الداخلية بصحار.

فلمَّا أخبر أهل الحصن بقتل خلف رقّت عزيمتهم، وخافوا من هجوم مُحمّد بن ناصر عليهم، ولم يشعروا بموته.

فبعثوا امرأة من أهل الحلّة المقتربة من الحصن بكتابٍ إلى مُحمّد بن ناصر، يَطلبون منه الأمان بخروجهم من الحصن، ومضت امرأة من حلّة الشيعة إلى الحصن؛ لتخبر القابضين فيه بموت محمّد.

---

(١) ثوب ينسج من الصوف.

(٢) في الأصل: اليمنا.

(٣) في الأصل: الوجى، ووجأ بمعنى ضرب، وتكتب الهمزة المتطرفة مفردة إذا كان مَا قبلها ساكنًا.

(٤) أي العض بالأسنان.

(٥) في الأصل: فتابعتهم جنود.

(٦) في الأصل: الإيهاب، والصواب، الإهاب، والإهاب هو الجلد، والمراد شديد السواد كثير الظلمة.

فالتقت هي والمرأة الآتية عَنْ أهل الحصن، فأخبرتا بموت محمّد، فرجعت إلى الحصن، فأخبرتهم بموته، فقالوا: ضعف الطّالب والمطلوب.

أخبرني الشيخ مَعْرُوف بن سالم الصّايغي في حضرة الشيخ خاطر بن حميد البداعي، وفي الحضرة جملة من المشايخ المُسنّة، قال: كنت يوم الوقعة بين محمّد بن ناصر وخلف بن ناصر القصير جالسًا عند محمّد بن ناصر في بيت محمود العجمي، فأتى رجل من أهل صحم، فقال له: إن خلفًا قادم عليك بمن معه من القوم، وقد عاهده[(١)] قومه عَلَىٰ الوقوف معه في الحرب، وألا ينكشفوا حَتَّى يظفروا أو يظفر بهم، فيقتلون جميعًا، وهو عاهدهم عَلَىٰ ذلك.

قال: فأطرق محمّدٌ رأسه، ثم رفعه، فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله، هذه السّاعة لا خير فيها له ولا خير فيها لي، لقد ضعف الطالب والمطلوب.

ثم أمر أن يُسرج له عَلَىٰ فرسه، فركبه، وهو مشتمل عَلَىٰ قباء من صوف أبيض، وفي يده اليُمنى[(٢)] كَتّارة، وفي يده اليسرى رمح غير نيزك[(٣)]، فكبر لله ثلاثًا، وكبر[(٤)] قومه مثله، ومضى هو أَمامَ قومه.

فالتقى الجمعان بالحويّة، فصوّتت البنادق بين الفريقين كأصوات الرعود، ثم جردت السيوف، فارتفع صليلها في الجماجم، وخرّقت الرماح الطلى[(٥)] والغلاصم[(٦)]، وعملت الخناجر في الكرش[(٧)] والحناجر، وتداخل الفريق في الفريق، وسالت الدّماء، فكانت بحرًا من عقيق[(٨)].

وكانت الوقعة من أول الصباح إلى العشاء، أوّلها في الحويّة وآخرها في الديل، فقتل خلف ومعه جملة من بني عمّه وخاصته.

---

(١) في الأصل: وقد عاهدته قومه.

(٢) في الأصل: اليمنا.

(٣) أي رمح طويل، فالرمح النيزك هو الرمح القصير.

(٤) في الأصل: وكبرت قومه.

(٥) الطلى: هي الأعناق أو أصولها، جمع طيلة بضم الأول وسكون الثاني.

(٦) جمع غَلْصَمة بفتح الأول والثالث وسكون الثاني، وهي اللحم بين الرأس والعنق.

(٧) جمع كرش والمراد المعدة وباطن الجسم، فالكرش للدابة وهو منها بمنزلة المعدة للإنسان.

(٨) العقيق: خرز أحمر، ويعنى الدم.

فلمَّا رجع محمّد إلى صحار ركض بمن معه من القوم عَلَىْ الحصن، وهو راكب عَلَىْ فرس، فضرب دون باب الحصن بتفق في جناح اليد اليسرى، فصاح عَلَىْ قومه حماية وتقيّة، أي: لا تظهروا الانكسار عنهم، يعني أهل الحصن، واجعلوا رجوعكم عنهم عَلَىْ الآحاد لا عَلَىْ الجملة.

قال: فلمّا رجع مُحمّد إلى بيت محمود العجمي مات من ساعته.

فأخفى موته خاصّته عَنْ العامّة، فدفنوه سِرًّا في قلعة(١) دون حلّة الشيعة الداخلية من السور. وتم الخبر كما ذكرنا أوّلًا.

قلت له: وكم تتحرى عدد القوم الذين قتلوا من الفريقين؟

قال: ألوفًا، لا أقدر عَلَىْ عدّها، أكثرهم قوم خلف، إذ الدائرة كانت عليهم، والقتل فيهم من الحويّة إلى الدّيل.

قالَ: ومن أعجب الأمر لمّا جنّ الليل عَلَىْ الجرحى زحف الرجل إلى صاحبه حبوًّا، فيقول له: أنت من قوم محمّد أم من قوم خلف، فإذا قال: أنا من قوم خلف، والثاني من قوم محمّد دنا كلاهما إلى صاحبه، فيتعاضان بالأضراس حَتَّى يموتا، وإن كانا من قوم واحد منهما، يعني محمّدًا أو خلفًا، وضعا يدهما عَلَىْ صدرهما فيموتان من ساعتهما حسرة. انتهى كلامه.

وكان سيف بن سلطان بن سيف اليعربي لا يفارق محمّد بن ناصر في حروبه كافّة.

ولما مات محمّد مضى مع الخاصّة إلى دفنه. فلمّا أصبح الصباح، وأخبر عَنْ موت خلف مضى إلى الحصن، فقال لهم: إن الرجلين المقتولين، يعني: خلفًا ومُحمّدًا، ليس لهما حصن ولا سور ولا رعية، فماتا في ليلةٍ واحدةٍ، فإلى مَنْ أنتم قابضون هذا الحصن الآن؟

فقالوا له: لك. فقال: اخرجوا منه.

فخرجوا، فقبضه سيف بن سلطان. وولى عَلَىْ صحار مهنا بن عدي اليعربي، ثم رجع إلى بركاء فقبضها، ومضى إلى مسقط، فأخرج بني هناءة منها، وخلصت له حصون عُمان كافّة.

(١) القلعة مَا ارتفع من الأرض، وَمَا انهبط منها، ضِدٌّ، وَمَا اتسع من فوهة الوادي، جمعها قلعات وقلاع.

وأقامه[١] قضاة المسلمين إمامًا يوم الجمعة بعد زوال الشمس في شهر شعبان سنة الأربعين والمائة بعد الألف[٢]، فلبث زمانًا، ثم عُزل، فأقاموا مكانه بلعرب بن حمير إمامًا.

(١) في الأصل: وأقامته.

(٢) الموافق مارس ١٧٢٨م، ويذكر ابن رزيق في كتابه الفتح المبين، أن إقامة قضاة المسلمين لسيف بن سلطان إمامًا كان بعد زوال الشمس في شهر رمضان.

الإمام بلعرب بن حمير

فخلصت له بهلا ونزوى وإزكي وسمائل، وحصون الظاهرة وحصون الباطنة إلا حصن صحار، وأطاعته فرقة من أهل نخل، وأمَّا مسقط والرستاق فبقيتا في يد سيف بن سلطان.

فجهّز بلعرب بن حمير جَيشًا إلى وادي بني رواحة، وكانوا مخالفين له، متبعين سيف بن سلطان، فبعث سيف أخاه بلعرب بن سلطان نصرة لبني رواحة، فوقع بينهم الحرب فانكسر بلعرب بن سلطان وتحصن بنو رواحة أكثرهم بحجرة وبال.

فحاصرهم بلعرب بن حمير، فأمر بقطع نخيلهم وأشجارهم، فَفُعِلَ كما أمر، ثم سالموه وأطاعوه، فصرف الجيش عنهم، وأمنهم ومضى عنهم بعد مَا هدم بروجهم ومعاقلهم.

ثم سار إلى بلادِ سيت(١)، فحاصرها أيّامًا، ثم فتحها، وهدم بنياتها، وقطع نخلها، ودمّرها، وغوّر أنهارها.

ثم سار إلى يبرين، فحاصر حصنها، وبها يومئِذٍ بنو هناءة، من قبل سيف بن سلطان، فلمَّا طال عليهم الحصار صالحوه، وخرجوا من الحصن بأمان منه عَلَىْ مَا بأيديهم من السّلاح.

وأمَّا سيف بن سلطان فبعث(٢) رُسَلًا إلى مكران، فجاءوه بقومٍ من البلوش، أصحاب التفق، وأضاف إليهم من تبعه من رعيته وأصحابه.

وكتب إلى أحمد بن سعيد السعيدي، أن يبعث له قومًا من صحار وأعمالها، وكان أحمد بن سعيد واليًا من قبل سيف بن سلطان بصحار، فأبى أن يبعث إليه أحدًا؛ لأجل مقدّمات اوجبتِ المنافرة بينهما، وسبب ذلك:

أن سيف بن سلطان لمَّا ولى أحمد بن سعيد صحار، وفدت عليه القبائل، وأكرم مثواهم، وعظم شأنه، استوحش منه سيف بن سلطان، فعزم عَلَىْ قتله، فبعث إليه كتابًا يخبره فيه بالوصول إليه سريعًا.

---

(١) قرية تقع بين تنوف ونجد البرك في المنطقة الشمالية.

(٢) الفاء في جواب أما زيادة من المحقق.

فأتى أحمد بن سعيد إليه، وليس معه إلا خادمه مسعد، فلمّا وصلا روي[١] هبطا إلى مسقط من عقبة الوادي الكبير، فأناخا ناقتيهما بسفح ببئر الزبادية.

فمكث عند ناقتهما مسعد، ومضى هو يريد أن يواجه سيف بن سلطان، فصادف جَدّي رزيق بن بخيت خارجًا من بيته، يريد الفرضة، فلمّا تصافحا سأله جَدّي عَنْ مُراده بالوصول إلى سيف بن سلطان.

فقال: وصلني منه كتاب، يأمرني فيه بالوصول إليه، ولا أعلم بمُراده بي.

وكان جَدّي وكيلًا بفرضة مسقط من قبل سيف بن سلطان، وقد سمع منه مِرارًا، يقول: إذا وصلني أحمد بن سعيد لا لأتركه في قيد الحياة، فإنه أفسد عليَّ رعيتي، وفعل وفعل.

فقال له جَدّي: ارجع بسلام، فقد سمعته مرارًا يقول: إذا واجهني أحمد بن سعيد لا لأتركه في قيد الحياة، فرجع أحمد من ساعته إلى صحار.

ووشى واشٍ بجدّي عند سيف بن سلطان، فأخبره، أنّه وصل إلى مسقط، فصادفه رزيق بن بخيت فذعّره، وقال له: إذا واجهت الإمام سيف بن سلطان ليقتلك.

فغضب سيف بن سلطان عَلَىٰ جَدّي، فحبسه، وقيده أيّامًا طويلة، ثم أطلقه. والإيحاش الثاني الَّذِي أوجب المنافرة بينهما.

لَمَّا مضى إليه سيف بن سلطان عَلَىٰ مراكبه لحربه، وطرحت مراكبه أناجرها عَلَىٰ بحر صحار كتب إلى أحمد بن سعيد، أن يواجهه في المركب الَّذِي فيه، فركب أحمد عَلَىٰ قارب صغير، فلمّا كان بمرأى من مركبه لوّحت إليه عبيد سيف بن سلطان أزرها بالرجوع، فرجع، وامتنع عَنْ المواجهة.

ثم أتت الجبور، فصالحوا بينهما، أن يترك سيف بن سلطان أحمد مكانه، واليًا من قبله، وأن يبعث إليه أحمد ولده هلال بن أحمد؛ ليسير معه حيث سار، ويقعد معه حيث يقعد من الأمكنة؛ ليطمئن قلب سيف بذلك، فانقطع الحرب منه له لأجل ذلك.

(١) قرية هامة في محافظة مسقط، وتبعد عَنْ مدينة مطرح بنحو ميلين ونصف، وتقع في وادٍ خاص بها، يعتبر الفرع الأيمن من وادي عدي.

والقصة طويلة، اختصرتها، وبسطتها في كتابين من تصنيفي، أحدهما: في كتاب (سيرة الإمام أحمد بن سعيد وأولاده[١])، والثاني: في (القطعة اليمنية)[٢].

فلمَّا اجتمع جيش الإمام سيف بن سلطان بمسقط أمرهم بالمسير إلى جوف تؤام، فالتقاهم دونها بلعرب بن حمير، فاقتتلوا قتالًا شديدًا، فوقعت الهزيمة عَلَىٰ قوم سيف ابن سلطان، وفشا فيهم القتل، فما زالوا يُؤسرون ويقتلون في الطّرقِ والأودية، ومات أكثرهم عطشًا، وَمَا بقى من البلوش إلا قليلًا.

ثم إن سيف بن سلطان جعل يكاتب العجم؛ لينصره عَلَىٰ أهل عُمان، فأجابوه عَلَىٰ حرابها.

فنزل جيشهم بخور فكّان[٣] آخر ليلة خلت من ذي الحجّة، سنة تسع وأربعين ومائة سنة بعد الألف[٤]، فقصدوا الصّير، وخرج سيف بن سلطان إليهم من مسقط.

فلمَّا علم بذلك بلعرب بن حمير حشد قومه، ومضى لحربهم، فخرج إليهم من نزوى أوّل شهر المحرم، فالتقى بموضع يسمى السميني.

وفي جيش العجم سيف بن سلطان، وفي جيش العرب بلعرب بن حمير، فوقع بينهم قتال شديد، فانكشف جيش بلعرب، فاعتصم كثير منهم بالجبال، وقتلوا من قومه قليلًا، وضلَّ كثير من قومه الطريق، وقتل بعضهم بعضًا، ولم يرجع واحدٌ منهم إلى وطنه بدابةٍ ولا سلاحٍ.

فاستولى سيف بن سلطان ومن معه من العجم عَلَىٰ الجوف، وهو تؤام، التي تُسمّيها العامّة الجوّ.

ودخل[٥] العجم ضنكًا، والغبّي، وحجرة عبري[٦] ووقع في أهل عبري قتلٌ كثيرٌ، وسلب مَا فيها من المال الَّذي يحمل عَلَىٰ ظهور الدواب، وقُتل أطفالهم، وحملت نساؤهم إلى شيراز، وبيعت فيها بيع العبيد، ورجع سيف بن سلطان إلى الصير.

---

(١) كتاب الفتح المبين، وقد قامت وزارة التراث القومي بسلطنة عُمان بطبعه ونشره عام ١٩٧٧م.

(٢) يقصد كتاب الصحيفة القحطانية، وقد قامت وزارة التراث أيضًا بطبعه ونشره.

(٣) بلد في منطقة ساحل عُمان.

(٤) الموافق ٢٩ إبريل سنة ١٧٣٧م.

(٥) في الأصل: ودخلت العجم.

(٦) إحدى مدن محافظة الظاهرة.

وقد كتب له بعض أكابر عُمَان لمَّا وصلت العجم إلى الصير، وهذا كتاب له:

بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾[(١)]، ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾[(٢)].

تحية وافرة، ونعمة هنية باطنة وظاهرة.

إلى السيّد الهُمام، الممجد القمقام[(٣)]، الإمام بن الإمام، الأسد الضرغام، سيف بن سلطان اليعربي العرَبي، سلّمه الله.

أما بعد، لقد صارت أحاديث بإسناد عَنْ أصحابنا بناحية الشّمال، تشق عَلَىٰ المسلمين إظهارها، وعليكم من يمين وشمال قلوبهم لأجلها وَجِلة[(٤)]، وأنفسهم منها عليكم معوّلة، بأن بعض العجم ومن تابعهم من سفهاءِ قومهم أدنيتهم[(٥)] إلينا، وزخرفت ما زخرفت لهم أمانيهم، وزيّن الشيطان لهم أعمالهم حَتَّى هموا بما لم ينالوا، فما ربحت تجارتهم لمَّا جلبتهم مناياهم إلى سوق حتفهم، ولعل بعضهم وصل إلى بعض عُمَان، فنزل من نزل منهم بناحية فكان، بما عندهم من أمتعة وخيل وسائر الحيوان التي لا تقدر عَلَىٰ اللفظ بالمعاني والبيان، فعلى مَا تصنعون الله المستعان.

فهذه مصيبة عليكم، مَا أعظمها من رزية، فإن ظفروا طغوا، نعوذ بالله من كل عنيد متجبر، لا يؤمن بيوم الحساب، وإن تكاثروا عليكم؛ ليسومونكم سوء العذاب، يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم، وفي ذلك بلاء من ربكم عظيم.

وفي المثل: إن امرأ أوغرت[(٦)] صدره لا تأمنُ مكره وغدره، فسبحان الله.

أأنت نائم أم يقظان؟ أم استولى عَلَىٰ قلبك الشيطان، أم لك حجّة عَلَىٰ المسلمين؟ أم سلطان أتى لَكَ، أن تتولّى قومًا غضب الله عليهم، وتبعث كتبك إرسالًا منك إليهم، وتدعوهم إلى حضرتك، وترجوهم لنصرتك. إنَّها لأكبر العِبر لمن اعتبر.

(١) الأية ١١، من سورة الرعد.

(٢) الأية ٤٦، من سورة الحج.

(٣) أي السيد.

(٤) الوجل: هو الخوف.

(٥) الدنو: هو القرب.

(٦) الوغر: هو الحدق والضغن والتوقد من الغيظ.

الله أكبر، أجهلت، أم ذهلت أم غفلت بما حَلَّ بهم منكم في جزيرة البحرين، من قتل رجالهم، وأخذ سفنهم قسرًا وجهرًا، وما صُنِعَ بكبيرهم وأميرهم سلطان محراب، ومَنْ معه من عجم وزعّاب(١)، وسائر الأعراب، وقتل الفاسق محمّد بن عبدالله البحراني، وهو عزّهم وناموسهم، وكم غيره وغيره تصطفونهم(٢) وفي قلوبهم الأكدار عليكم. فما لكم كيف تحكمون!

فبئس الرأي الَّذِي رأيتم، والأمر الَّذِي حاولتم، وعليه عوّلتم. ما ضرّك لو تركت طريق من أفسد، وسلكت المنهج الَّذِي سلكه الإمام الولي ناصر بن مرشد.

فوالله لو كانت القلوب لها أبواب، وفتح يومًا بعضها لرأيتم نيران العداوة ودخانها يخرج من خياشيمهم، فتعاونوا عَلَىْ البرِّ والتقوى، عَلَىْ الإثم والعدوان والفساد، إن الله لا يحب المفسدين.

فهذا مَا عندنا لكم من محض الوداد والنصح، والله بصيرٌ بالعباد، فمن نكث فإنَّما ينكث عَلَىْ نفسه، ومَنْ أوفى بما عاهد عليه الله فأجره عَلَىْ الله العلّام، والسّلام.

ومرَّ سيف بن سلطان عَلَىْ بهلا، فحاربها ثم دانت له فولى عَلَىْ أهلها سالم بن خميس العبري، ومضى إلى طيمسا.

فلمَّا سمع(٣) به القابضون لحصن نزوى وقلعتها كاد أن يهربوا منها.

وخرج بلعرب بن حمير إلى منح، ثم هبط إلى إزكي، فما لبث بها إلا سيرًا، ثم هبط إلى سمائل، فأناخ بالعدِّ، وكانت قبائل سمائل ليصلون إليه، فلم يلبث إلى وصولهم إليه، فأسرع السير إلى مسقط، ولم يتعرض لحصن سمائل.

ثم وقع خُلفٌ بين الوالي الَّذِي تركه سيف بن سلطان بالغبّي وبين بني غافر، فتحاربوا. ووقعت المخادعة من أهل بهلا، فأدخلوا بلعرب بن حمير بهلا.

وجاءت زيادة قوم للعجم من شيراز إلى أصحابهم، فقصدوا بهم عُمان.

فلمَّا وصلوا إلى الظاهرة صالحتهم قبائلها، وأناخوا عَلَىْ بهلا يوم الثالث والعشرين من القعدة، فاستولوا عَلَىْ جميع مَا فيها بعدما نهب من أهلها من هرب، واستأصلوا حصنها، فتركوا فيه فئة منهم، ومضوا إلى نزوى أوّل شهر الحج.

---

(١) الزعاب: إحدى القبائل.

(٢) في الأصل: تسطفهم.

(٣) في الأصل: فلمَّا سمعوا به القابضون.

فهـرب بلعرب بن حمير منها إلى وادي بني غافر، وثبت من قبله بنو حرّاص في قلعتها.

وصَالَحَ أهـل نزوى العجم. فلمَّا تمكنوا فيها وضعـوا عليهم الخراج، وعذبوهم بأنواع العذاب، وقتلوا الرجال والنِّسَاء، الكبار والصّغار، ولم يسلم من أهلها إلَّا مَنْ قَدر عَلَىٰ الهرب. وأمَّا قلعتها وحصنها فما قدروا عليهما.

وخرجوا من نزوى يوم ست عشر من شهر الحج، فمروا عَلَىٰ إزكي فصالَحَهم[١] أهلها وأدُّوا لهم الخراج، وأقاموا فيها يومًا وليلةً، ثم هبطوا إلى مسقط، فدخلوها يوم الأربع والعشرين من شهر الحج، واحتووا عَلَىٰ البلد وَمَا فيها، ولم يبق غير الكوتين، وقد وضعوا عليهما السلالم، فانكسرت بهم، وقتل منهم خلقٌ كثيرٌ.

وأقامـوا محاصري الكوتين إلى يوم الخامس من شهر المحرّم سنة إحدى وخمسين ومائة بعد الألف[٢]، ثم خرجوا من مسقط، ومضوا إلى بركاء وصحار.

وأمَّـا سيف بـن سلطان فإنه ركـب مراكبه هاربًا من العجم إلى بـركاء، فنزل من المركب، فارتفع إلى بلدة الطوّ ورجعت المراكب إلى مسقط.

فالتقاه[٣] أهل الطوّ بالكرامة وصحبوه إلى نخل، ثم سار إلى الظّاهرة، فالتقى هو وبلعرب بن حمير في وادي بني غافر.

فـآل[٤] نظر بني غافـر أن يستعفوا بلعرب بن حمير من الإمامـة، ويرجعوها إلى سيف بن سلطان، حذر الفرقة وإطفاء للنايرة[٥]؛ ليجتمعا عَلَىٰ حرب العجم، فجعلوا الإمامة تقيّة إلى سيف بن سلطان.

وأمَّا العجـم الذين قعدوا في بهلا، فإنه لمَّا أبطأت عليهـم أخبار أصحابهم الذين مضوا إلى مسقط، والذين معسكرين بجلفار بعثوا منهم مائة فارس؛ ليأتوا لهم بخبر أصحابهم الذين مضوا إلى مسقط.

---

(١) في الأصل: فصالحتهم.

(٢) الموافق ٥ مايو ١٧٣٨م.

(٣) في الأصل: فالتقته أهل الطو.

(٤) أي استقر رأيهم.

(٥) النايرة والمنايرة: هي الشر.

فمـرّوا عَلَىٰ سمائل أوّل نهار يوم ثامن مـن صفر، فالتقاهم أهلها وعندهم حمير ابن منير، ومن معه من المعسكر فقتلوا أكثرهم، وهرب الباقون إلى السيب، فوجدوها خاليةً من النّاس، فمكثوا فيها حيارى، لم يدروا إلى أين يمضون؟

وسـار حمير بـن منير بمن معه من العسكر إلى بهلا يوم تسعة وعشرين من صفر، فحاصـر العجم الذيـن بالحصن فخـرج[١] رجالٌ منهـم لقتاله، فانكسـروا، وقتل أكثرهم، وبقى منهم القليل في الحصن.

فأتـى سيف بن سلطان ومـن معه من الرجال إلى بهلا، فأخرج العجم من الحصن عَلَـىٰ مَا بأيديهم مـن السّلاح والزاد والدّواب، وأمـر أن يصاحبهم مبارك بن سعيد الغافري إلى صحار، فمضوا في صحبته إليها.

فبلغنا أن أحمد بـن سعيد السعيدي حبسهم في حصن صحار حَتَّى مات أكثرهم. وأما العجم الذين خرجوا من مسقط فساروا إلى الصير، ورجع منهم ناسٌ إلى بلداتهم.

وذلك بعد مَا سار إليهم سف بن سلطان بجيشٍ عظيمٍ مِنْ البَرِّ، وسيّر إليهم بعض قوم من قومه عَلَىٰ مراكب، فلمّا وصلوا إلى بلدة خَتّ، وهو يومئذٍ بالصير أتاه خبر، أن مركبـه الفلك قد احترق، وغرق أكثر من فيه، وذلك يوم الجمعة وتسع عشرة[٢] ليلـة مضت من شـوال سنة إحـدى وخمسين ومائـة وألف[٣]، فرجـع إلى عُمَان، ومكث[٤] العجم في الصير.

فدانت له حصون عُمَان، وأدّت الرعية له الطاعة، وحطَّ الخراج عنها.

وسنأتـي ببقية قِصّته إذا فرغنا من ترجمة الإمام سلطان بن مرشد، وماله من الخبر عند العجم.

(١) في الأصل: فخرجت رجال.

(٢) في الأصل: وتسعة عشر ليلة، والصواب مَا ذكر.

(٣) الموافق ٣٠ يناير ١٧٣٩م.

(٤) في الأصل: ومكثت العجم.

الإمام سلطان بن مرشد بن عدي اليعربي

رجعنا إلى القصيدة:

قولُهُ:

وَسَلْطَانُ بْنُ مُرْشِدٍ فَهْو قُطْبٌ إِمَامٌ جِدُّهُ هَجَرَ اللِّعَابَا

القُطبُ قد مضى فيه الكلام، أنَّه السيّد، والإمام معروف، والجِدُّ نقيض الهزل، وهو هنا بكسر الجيم، فإن الَّذي هو بالفتح أب الأب، والعُلُوّ والهجرُ، بفتح الجيم ضِدُّ الرضى والتماسك عَنْ حديث الغير، وعن المقاربة إليه، والهُجر بضم الهاء الشتمُ، والمُراد به هنا المفتوح لا المضموم، واللِعاب بكسر اللام الأولى واللعِبُ بمعنى.

قولُهُ:

تَرَكْنَا لِأَطْرَافِ القَنَا كُلَّ لَذَّةٍ فَلَيْسَ لَنَا إِلَّا بِهِنَّ لِعَابُ

أي: تركنا اللعب بكلِّ لذّة، فليس لنا الآن لعب، ومحض انشراح إلا بمطاعنة الرماح.

قولُهُ:

أَرَى الْأَحْبَابَ نَائِلَه انْصِبَابَا أَرَى الْأَعْدَاءَ أَسْهُمَهُ صِيَابَا

قولُه: أرى من الرؤية، معدى، أي: أنظرهم، والأحباب ضِدُّ أهل البغض، والنائل الجود والعطيّة، وانصبَّ الوبلُ وغيره انصبابًا إذا تتابع انهماره، والأعداء ضِدُّ المُحبّين، والأسهم واحدها[1] سهام، والأسهم الصياب التي لم تخطئ مرميًّا.

والمعنى: أرى أحبابه عطاياه تنصبُّ لهم انصبابًا، عَلَىٰ المصدر، ورأي أعداءه أسهم وغاه صيابا، لم تخطئ، إذا ذهبت لهم ذهابا.

قولُهُ:

كَرِيمُ الكَفِّ لِلْأَحْبَابِ يَسْقِي عِدَاهُ سُمَّ عَضْبٍ مَا تَنَابَا

الكريم ضِدُّ البخيل، يقال: فلان كَريم[2] إذا كان جوادًا، وفُلان لئيم إذا كان بخيلًا، والكفُّ مُؤنثة، وقد مضى فيها الكلام، وهي راحة الزّند.

(١) في الأصل: واحدهن.

(٢) في الأصل: يقال فلانًا كريمًا، وفلانًا لئيمًا.

وقولُهُ: يسقى عِداه سُمَّ عضب مَا تنابا، أي: يسقي عداه ماءَ سيفه المسمم الَّذِي مَا تنابعت نبواته، يقال: سيف عضب إذا كان حديد الحدين، ماضي الشفرتين.

قولُهُ:

أَرَى العُجْـمَ انْقِضَاضَ البَـازِي لَمَّـا ... بِأَرْضِ صُحَـارَ أَعْلُـوا الإِنْتِعابَـا [1]

مُراده بالعجم هنا الذين أتوا من شيراز وغيرها لسيف بن سلطان لَمَّا دعاهم لحرب عُمَان، المحيطين بحصن صحار، المشددين عليه الحصار.

وقولُه: انقضاض البازي إلى تمام بيته، أي: أراهم الإمام سلطان بن مرشد انقضاض البـازي لَمَّـا انقض عليهم، وهُـمُ ينتبعون انتعـاب الغربان، أي: برطانتهـم العجميّة الخارجـة عَنْ إفصاح الألسنـة العربيّة، والبازي طائرٌ مشهـورٌ، وهو أقوى من سائر الطير طيرانًا وأسرعها انقضاضًا إلى الأرض، فإذا انقض من الهواء إلى الأرض تسمع لجناحيه زجلًا باهرًا تقشعّرُ الطير منه، يحمل مَا ينقض عليه من الطير من الأرض إلى الهواء بمنقاره، فيأكله في الهواء، ولم يبق له أثر لحم ولا ريش يرى في الأرض.

قال كثير شعرًا:

بُـغَـاثُ الـطَّـيرِ أَطْـوَلُـهَـا جُسُومًا ... وَلَمْ تَـطُـلِ الـبُـزَاةُ وَلَا الصَّقُورُ [2]

فالبزاة واحدها: بازي، وقال المتنبي شعرًا:

لِيسَ كُلُّ السَّرَاةِ بِالـرَّوْدِ بـازي ... وَمَـا كُـلُّ مَـا يـطـيرُ بـبـازِ [3]

وكان بعض أهل الطريقة يُسمّى عبدالقادر الجيلاني البازي الأشهب، وهي كناية منهم له، يريدون بذلك التفضيل له عَلَىٰ سائر رجال أهل الطريقة.

قولُهُ:

فَـنَـاجَـزَهُـمْ بِـصُـبْـحٍ صَـارَ لَـيْـلًا ... أَحَـالَ الأَنْجُـمَ البِيضَ العِضَابَا

---

(١) يقتضى وزن الوزن نطق الزأي من كلمة البازي متصلة بلام لَمَّا دون مد لكسرها.

(٢) البغاث شرار الطير، والبغاث بأرضنا يستنسر، أي إن من يجاورنا ينال العزة منا، والبزاة جمع بازي وهو نوع من الصقور.

(٣) السراة: بالفتح اسم جمع، جمعه سروات، وهم أهل المروءة والشرف والرود: هو الطالب والإرادة والمشيئة، وبازي :الولي أي غالب وقاهر.

فناجزهم أي: فنازلهم بالحرب، يعني: الإمام سلطان بن مرشد المذكور، والهاء راجعٌ ضميرها إلى العجم المذكورين، بقوله: فناجزهم أي: فناجزهم بالحرب في وقت الصبح فأصاره ليلًا بسواد القتام[١] عند الأزدحام، وأحالَ الأنجُمَ، السّيوف البيضَ سواد ذلك القتام إذِ النّجُومُ لا ضياء لها ولا إشراق إلا في الظّلام.

وفي هذا المعنى يقول ابن الرومي شعرًا:

آراؤهُم ووجُوهُهم وسيُوفُهم — لِلحادِثَاتِ إذا دَجَوْنَ نُجُومُ[٢]

قولُهُ:

فَصَرَّعَ مِنْهُم جَمْعًا وَفِيْهِ — هُمُ تَرَكُوا جِرَاحَاتٍ عِطَابَا

صرعهم، أي: تركهم صرعى، كما يُقال: رأيتُ قومًا صرعى ومُصرّعين، أي: قتلى، وهاء منهم راجعٌ ضميرُهَا[٣] إلى العجم المذكورين، والجمع القوم المجتمعون.

أي: قتل من العجم جمعًا كثيرًا لَمّا نازلهم بالحرب، وجالدهم بالطّعن والضرب، وهم فيه تركوا جراحات عطابًا من العطب، وهاءُ هُمُ راجعٌ ضميرُهَا إلى العجم المذكورين.

قولُهُ:

وَلِلْحِصْنِ انْثَنَى فَقَضَى شَهِيدًا — نَفَى بِالْعَدْلِ عَنْهُ الاغْتِيَابَا

يقول: فلمّا أثخنت الإمام سلطان بن مرشد الجراحاتُ المذكورة انثنى، أي: رَجَع إلى الحصنِ، وهو حصن صحار، فقضى، أي: فماتَ فيه شهيدًا، نافيًا عنه بعدله غيبة كُلّ مغتاب، نصبَ الاغتياب عَلَىْ المصدر[٤]، وهو من اغتابَه اغتيابا لمبالغة تكثير الغيبة[٥].

ومن كلام بهلول بن راشد لَمّا سأله بعض النّاس وهو قاعدٌ بين قبرين:

يا بهلول، أراك قَعَدت بين القبور.

---

(١) القتام هو الغبار، والسواد.

(٢) الحادثات: المصائب والكوارث، والدجى: ظلام الليل.

(٣) كذا في الأصل: والصواب أن يقال: وهم من منهم راجع إلى العجم؛ لأن الضمير هم وليس الهاء فقط.

(٤) النصب عَلَىْ أنه مفعول به؛ وليس لأنه مفعول مطلق.

(٥) الغيبة: هي ذكر الإنسان بما فيه من السوء، وهي فعلة من غاب بمعنى عاب.

قال: نعم، قعدتُ بين قومٍ لا يؤذونني، وإذا غبت عنهم لا يغتابونني[١].

القصة:

فلمَّـا كان مَـا كان من سيف بن سلطان من التعدي عَلَىْ أهل عُمَان اجتمع أهل العلم والحلم والورع من أهل بهلا ونزوى وإزكي، ورؤساءُ بني غافر وغيرهم من أهل الظّاهرة وبنـي رواحة وأهل سمائل، ومشايـخ المعاول عَلَىْ عقد الإمامـة لسلطان بن مرشد بن عـدي بـن سلطان بن عدي بن سلطان بن مالك بن بلعـرب بن سلطان بن مالك بن أبي العـرب بـن سلطان بن مالك بن أبي العرب بن محمّد بـن يعرب بن سلطان بن حمير بن مزاحم بن يعرب بن محمّد بن يعرب بن مالك اليعربي، العربي الاستقامي، الإباضي.

فعقـدوا لـه بالإمامة في جامع قريـة نخل في سنـة إحدى وخمسـين ومائة بعد الألف[٢].

فاستقـام عَلَىْ منهـج الحقِّ والعـدلِ، وخلص له حصن سمائـل، وإزكي ونزوى وبهلا وحصون الشّرقية، وانقادت إليه القبائل من الحيّين.

وسـار بنفسه بجيش إلى الرستاق، وهـي يومئذٍ في حكم سيف بن سلطان ، فلمَّا سمـع به سيف جمـع قومًا من الرستـاق وغيرهم، فكمن بجمعه حـول ثقاب فلج الميسر لمقاتلة الإمام سلطان بن مرشد.

فلمَّـا رأي ألا طاقة له به انهزم ليلًا عَنْ قومه، وترك معهم بعض آلة الحرب من تمر وغيره، ولم يخبر قومه عَنْ انهزامِهِ، وَمَا شعروا بذلك إلّا وقت الصباح لمَّا افتقدوه.

ووصـل الإمام سلطان بن مرشد إلى الرستاق صبـاح يوم الجمعة من شهر شعبان من هذه السنة.

فلـم يجد سيف بن سلطـان، فأقام في أهل الرستاق بالبشاشـة والطاعة، وبايعوه جميعًا، ولم يبق إلا من بالحصن شَاذًا عَنْ طاعته، وهم قوم سيف بن سلطان. وقد ترك فيه سيف بن سلطان والدته وعبيده، وسائر عياله.

فحاصره الإمام سلطان بن مرشد حَتَّى فتحه.

(١) في الأصل: لا يؤذوني.. لا يغتابوني، والصواب عدم حذف النون فلا نافية، وليست ناهية تجزم الفعل.

(٢) الموافقة لسنة ١٧٣٨م.

فمضى سيف بن سلطان من بركاء إلى مسقط، فجمع منها ومن مطرح والسّيب، فعسكر بهم في بَرَكاء.

فبعث الإمام سلطان جيشًا لقتاله، وأمير الجيش سيف بن مهنا اليعربي، فلمّا عَلِمَ بذلك سيف التقاهم دون بركاء، فوقع بينهم قتال شديد، فانهزم سيف، وأخذ قومه السّيف، فلم يسلم من القتل منهم إلَّا من طلب الأمان، وهرب في السّباسب[١].

أمّا سيف فهو لمَّا انهزم لاذ بمسقط، ورجع سيف بن مهنّا بالظّفر إلى الرستاق.

وأتت لسيف بن سلطان نجدة من أعراب الظّاهرة عَلَىْ إبل، وهم خمسمائة رجل، فلمّا وصلوا إلى الحزم كتبوا إلى سيف بوصولهم إلى الحزم، فمضى إلى بركاء، فجمع أعرابها، وجاءه[٢] رجال من بني عامر ربيعة.

فوقعت بينهم وبين القوم الذين جمعهم من بركاء والسّيب فتنة، فقتل بعضهم بعضًا، وتفرقوا أيادي سبأ.

فمضى سيف إلى الحزم، فرأي القوم الذين أتوه من الظاهرة، عددهم، كما ذكرنا خمسمائة رجل، فما وجد السبيل للمسير بهم إلى الرستاق مع انقياد أهل الرستاق للإمام سلطان بن مرشد، ورغبتهم فيه.

فارتفعت عنه أعراب الظّاهرة إلى أوطانهم، ورجع هو إلى مسقط.

وأمّا الإمام سلطان بن مرشد فقد[٣] ترك في حصن الرستاق من قبله سيف بن مهنّا، وولاه عَلَىْ أهل الرستاق، وترك معه بعض القوم من خاصّته.

وحشد هو قومًا من أهل الرستاق، فمضى بهم إلى نخل، فحشد منها ومن أعمالها رجالًا، فسار بهم إلى بدبد[٤]، فحشد من وادي سمائل، ومن إزكي ورعاياها خلقًا كثيرًا.

فلمّا اجتمعوا معه هبط بهم إلى مسقط يوم الخميس وثاني يوم من شهر الحجّ من هذه السّنة.

---

(١) جمع سَبْسَب بفتح الأول والثالث مع سكون الثاني: وهي الصحراء أو الأرض المستوية البعيدة.

(٢) في الأصل: وجاءته رجال.

(٣) فقد زيادة من المحقق.

(٤) بدبد مدينة من مدن محافظة الداخلية.

فلمَّا وصل إلى روي ترك فيها بعض القوم، وسار بالباقي إلى مسقط، فركض عَلَىٰ القابضين في جبالها، فأجدرهم[(١)] منها ومن سائر المقابض، وفتح حصنيها، الشرقي والغربي، والصيرتين.

وأمر القوم الماكثين بالسدِّ بالركضة عَلَىٰ مطرح وحصنها، فركضوا عليها، وفتحوا حصنها، وأثابه به الله فتحًا قريبًا.

وأمَّا مَا كان من سيف بن سلطان فهو قد ركب البحر قبل أن يصل الإمام سلطان ابن مرشد إلى مسقط، خيفةً منه، فبعث الإمام سلطان مراكبًا في طلبه، وأميرها[(٢)] من قبيله بجاد بن سالم الحراصي، وعساكر من خيار قومه، فأصابتهم ريح عاصف، وتفرّقت المراكب دون خليج فكان، فرجع بجاد بن سالم ومن معه.

وانكسر من مركب سيف بن سلطان، الَّذِي هرب عليه، بعض دقالته[(٣)]، فدخل فكّان، ونزل هو ومعه ثلاثمائة رجل عَلَىٰ خيل، فمضى إلى الصير.

وبقي المركب وفيه بعض الرجال في فكّان، فأخذه أحمد بن سعيد السعيدي، فلمَّا عَلِمَ سيف بن سلطان بأخذ مركبه أخبر خان العجم عمَّا جرى عليه من الإمام سلطان بن مرشد، وبأخذ أحمد بن سعيد لمركبه، وسأله أن يمضي ببقية قومه إلى صحار، وعاهده إلى أخذها فهي لسلطان العجم، تحفة منه إليه، وأطعمه بأشياء كثيرة من عُمَان، فأجابه الخان عَلَىٰ ذلك.

فمضى معه إلى صحار ببقية قومه الذين معه بجلفار الصير، فلمَّا وصلوا إلى صحار حصروها حصرًا شديدًا، وكان عدد قوم العجم المحيطين بصحار ستين ألفًا، وقيل: خمسين ألفًا وعدد أخشابهم خمسمائة سفينة، وقيل: بل أكثر من ذلك، والله أعلم.

ومضت سرية من العجم غُـزَاةُ إلى وادي المعاول، فبلغوا دون مسلمات[(٤)]، فكسرهم المعاول، ومضت سرية منهم إلى قُريّات، فقتلوا منها خلقًا كثيرًا، وأسروا نِساء وصبيانًا، فبعثوهم إلى شيراز فبيعوا بيع العبيد.

---

(١) أي أنزلهم.

(٢) في الأصل: وأميرهن.

(٣) جمع دَقل بالفتح: وهو سهم السفينة.

(٤) إحدى القرى بوادي المعاول.

ومضت منهم سرية كثيرة العدد إلى مسقط، فواقعهم سيف بن مهنا اليعربي في سيح الحرمل[١]، وكان سيف بن مهنا يومئذٍ هو القابض مسقط ومطرح من قبل الإمام سلطان بن مرشد، فوقعت بينهم ملحمة عظيمة، فانكسرت العجم إلى روي.

ثم أتوا في اليوم الثاني فقاتلهم سيف بمن بقى معه من العرب، فقتل هُوَ وقتل معه من اليعاربة ثلاثون رجلًا، ومن سائر قومه قتل كذلك جميعًا، فكان عدد قتلى العرب ثمانين رَجُلًا، ومن العجم خلقًا كثيرًا.

ومضت العجم إلى مسقط، فركضوا عَلَىْ الكوتين ونصبوا عليهما السلالم، فانكسروا. ثم أتتهم زيادة قوم من أصحابهم المحيطين بصحار، فركضوا عليها، فأخذوهما. وعسكر[٢] جملة منهم بمسقط.

فلمَّا عَلِمَ الإمام سلطان بن مرشد بذلك، وكان هو يومئذٍ ببلدة الرستاق، جمع قومًا كثيرين[٣] من الظّاهرة والرستاق، فلمّا وصل بهم إلى الخابورة بلغه عَنْ العجم الذين بصحار، أنَّهم[٤] بعثوا شرذمة منهم إلى القصير وصحم، فلمّا أغاروا عليهما خرج إليهم أهلهما، وهم مشتغلون بالسلب والنهب، فوضعوا فيهم السّيف، فكشفوهم، وقتلوا أكثرهم، فما رجع أحدٌ منهم إلى صحار إلا قليلًا.

فلمَّا بلغ خان العجم مَا وقع عَلَىْ أصحابه أمر أشجع فرسانه بالمغار عَلَىْ صحم والقُصير، فصادفهما الإمام سلطان ومن معه من القوم دونهما، فكشفوهم، وقتلوا من فرسان العجم رجالًا كثيرين.

فلمَّا أُخبر الخان[٥] ما جرى عَلَىْ أصحابه، وأن العرب قد أقبلوا إليه بجمعهم رتّب عسكره لقتالهم.

فلمَّا التقت الفئتان وقع بينهم حربٌ شديدٌة، فكان عدد العرب مع عدد قوم العجم كالشعرةِ البيضاءِ في الثورِ الأسودِ.

---

(١) مكان بقرية روي في محافظة مسقط.

(٢) في الأصل: وعسكروا جملة.

(٣) في الأصل: جمع قوما كثيرة.

(٤) أنهم زيادة من المحقق.

(٥) هو القائد.

فقتـل مهنا بن سلطان، وقتل[١] معه من اليعاربة ثلاثون رجلًا، ومن سائر القوم لم يبق إلا القليل.

وقتـل أميرٌ مِنْ أمراءِ العجم، يُسمّى: كلـب علي، وقتل من أصحابه الخاصّة خلقٌ كثيرٌ، وأصابتِ الإمام سلطان بن مرشد جراحات من سيوف العجم ورماحهم، فلمّا أثخنته الجراحات دخل الحصن عند أحمد بن سعيد السعيدي، فلبث في الحصن ثلاثة أيّام، وقيل يومًا واحدًا، ثم توفى غفر الله له وللمسلمين المجاهدين معه في الدين.

وكان سيـف بن سلطـان يومئذٍ في الحزم، وقد استرسل البطن عليه، فلمّا بلغه قتل الإمام سلطـان بن مرشد وجماعته اليعاربة حزن عليهم حزنـًا شديدًا، فلم يلبث إلّا أيّامًا قلائل إلى أن مات.

(١) في الأصل: وقتلت معه.

أحمد بن سعيد والعجم[١]

ولم تـزل الحرب قائمةً عَلَـىٰ ساقها بين أحمد بن سعيد والعجم، فلمّا رأتِ العجم شـدّة تَجَلُّدِ أحمد بـن سعيد عَلَىٰ الحرب إنفلّت عزيمتهـم، وضعفت قُوّتهم، فصالح خانهم أحمد بن سعيـد، عَلَىٰ ارتحالهم من صحار، وحمل مَا تركوه في معسكرهم من المدافع وسائر آلة الحرب والزاد.

فلمّـا أجابهم عَلَىٰ ذلك واجهه أميرهم الخان في الحصن، ومعه عشـرة رجالٍ من خاصّته، فَقُدّمَ لهم الطعامُ، فلمّا أكلوا وشربوا قال أميرهم الخان إلى أحمد بن سعيد:

كما وسّعت لنا في حمل آلة حربنا جميعًا وَسِّع لأصحابنا الذين بمسقط أن يحملوا معهم مَا بقى من آلةِ الحربِ، وغيرها من مسقط إلى بندر العبّاس[٢]، وعبّرهـم[٣] عَلَىٰ خشبٍ إليها.

فقال له أحمد بن سعيد: إن شاء الله، ولم يزد عَلَىٰ ذلك كلمة.

فلمّـا خرج الخان ومَنْ معه من الحصـن لم يمكث هو ومن معه من القوم بعد ذلك إلا يومين، فركبوا سفائنهم، ومضوا إلى بندر العبّاس.

وبعد مَا رحل العجم عَنْ صحار مضى أحمد بن سعيد إلى بركاء، ومعه من القوم ألفان، فلمّا وصلها استخلص حصنها بغير حرب، وكان حصنها يومئذٍ بيد المعاول، أهل حُبرى، ثم رجع إلى صحار.

فكتـب إلى واليه الَّذي تركه في بركاء، وهو خلفان بن محمّد السعيدي، المعروف بالمحـل، أن ينصب قبابـين[٤] في بركاء لوزن الأمتعة التي تجلب مـن الهند وعُمان، وتباع بالوزن كما كان ذلك في أيّام دولة سيف بن سلطان بمسقط.

ففعل خلفان بن محمّد المحل كما أمره؛ فاستقامت سوق شـريفة في بركاء، ومضت

(١) العنوان من وضع المحقق.

(٢) بندر العباس: ميناء إيراني يشـرف عَلَىٰ مدخل بحر عُمَان، مطلًا عَلَىٰ مضيق هرمز، وقد أقام فيه الهولنديون والبريطانيون المنشآت التجارية في القرن السابع عشر.

(٣) أي أعد لهم من السفن مَا يعبرون عليها.

(٤) جمع قباني: وهو الوزن، والقبان هو القسطاس والأمين.

إليها الأخشاب، والركاب كما كانت تمضي إلى مسقط ومطرح، وكثر[١] فيها التجار، وأتتها وفود عُمَان، والظّاهرة للبيع والشراء، وحملوا مَا يحتاجون إليه منها.

فانطقعت المادة عَنْ العجم القابضين بمسقط ومطرح، وضجروا بمقامهم، وانقطاع المواد عنهم، وارتحال أصحابهم عَنْ صحار، واشتمل عليهم الخوف لمَّا بلغهم عَنْ سيف بن سلطان، أنَّه[٢] مات.

فبعثوا رسولًا منهم إلى الحزم، أن يأتيهم رجلٌ من اليعاربة، وهو أقربهم نسبًا إلى سيف بن سلطان، فلمَّا بلغ أهل الحزم رسول العجم بعثوا رجلًا من أرحام سيف بن سلطان، يُسمَّى: ماجد بن سلطان.

فلمَّا بلغ أمروه بالمسير إلى شيراز، وكتبوا كتابًا إلى الشاه، يخبرونه فيه بموت سيف ابن سلطان، وأن الواصل إليه هو أقرب رحمًا إليه، وأنَّهم بقوا في مسقط ومطرح في أضيق حصار، وقد قطع[٣] العرب منهم المادة.

وقالوا لماجد: أظهر الطاعة لِلشّاة، وجدّد العهد بينك وبينه، فإنَّه إن كتب لنا بتخليص مَا بأيدينا من معاقل مسقط ومطرح لنخلصها[٤] لك، فأجابهم ماجد عَلَىْ ذلك.

فمضى عَلَىْ سفينة صغيرة إلى بندر العبّاس، ثم أرتفع إلى شيراز، فلمَّا واجه الشّاة وأعطاه الكتاب الَّذِي أعطاه له أصحابه القابضون معاقل مسقط ومطرح وقرأه، أقامه في دار الضّيافة ثلاثة أيّام، ثم كتب له، لأصحابه، بتخليص مَا بأيديهم من المعاقل إليه.

فلمَّا رجع أصاب السفينة التي ركبها الطوفان، فقذفها إلى صحار، فمضى إلى أحمد بن سعيد، فأخبره الخبر كُلّه.

فحبسه أحمد بن سعيد في حصن صحار، وأخذ منه خطّ الشّاة الَّذِي كتبه الشاة

(١) في الأصل: وكثرت فيها التجار.
(٢) أنَّه: زيادة من المحقق.
(٣) في الأصل: وقد قطعت العرب.
(٤) في الأصل: لنخلصهن لك.

إلى أصحابه، بتخليص معاقل مسقط ومطرح، وأمر خميس بن سالم البوسعيدي، أن يمضي بكتاب الشاة إلى مسقط. ويقبض معاقل مسقط.

فمضى خميس بن سالم، ومعه أربعمائة رجل من قوم أحمد بن سعيد، فلمَّا وصلهم، وألقى إليهم الكتاب ظنوا أنَّه رجلٌ من جماعة ماجد بن سلطان وقد بعثه ماجد إليهم، فَسلّموا له المعاقل كُلّها.

فترك خميس بن سالم أصحاب أحمد بن سعيد الذين أتى بهم من صحار.

إنتقال ملك اليعاربة إلى أحمد بن سعيد

فكان انتقال ملك اليعاربة إلى أحمد بن سعيد سنة الأربع والخمسين والمائة والألف[(١)]، وقيل سنة الست والخمسين والمائة والألف، وهو الأصح.

وكتب خميس بن سالم إلى أحمد بن سعيد بقبض معاقل مسقط ومطرح من العجم، فلمَّا قرأ الكتاب أحمد بن سعيد مضى إلى بركاء، وكتب إلى خميس بن سالم، أن يأتيه بالعجم إلى بركاء، وبعث إليه بألفي رجل من رعية صحار وبركاء؛ ليتركهم في معاقل مسقط ومطرح، ففعل خميس بما أمره به.

ولمَّا وصل إلى بركاء ومعه العجم ضربوا خيامهم بالقرحة، وبعث إليهم أحمد بن سعيد بالضيافة، ولخيلهم بالطّعام.

أخبرني أبي محمّد بن رزيق عَنْ أبيه جَدّي رزيق بن بخيت بن سعيد بن غسّان، والشيخ معروف بن سالم الصّائغي، والشيخ خاطر بن حميد البدّاعي، والشيخ محسن العجمي القصّاب، وقد دخل كلامهم، بعضه في بعض، بالاتفاق، قالوا:

لمَّا رجع العجم[(٢)] من مسقط إلى بركاء في صحبة خميس بن سالم السعيدي، وفيها يومئذٍ أحمد بن سعيد ضربوا خيامهم في القرحة، فَمَا يمُرُّ أحدٌ عَلَىٰ حلّةٍ مِنْ حلل بركاء إلَّا رأى فيها قدورًا تفورُ بالطّعام، ضيافة للعجم من أحمد بن سعيد، ولا يمُرُّ أحدٌ بحلّاوٍ في سوق بركاء إلا ويصنع بأمر أحمد بن سعيد حلوى للعجم، وَلا يمُرُّ أحدٌ عَلَىٰ زرّاعٍ إلَّا وراه يحزُّ زرعه بأمر أحمد بن سعيد؛ لخيول العجم. وَمَا بات أحدٌ ويقول: له فلس عَلَىٰ أحمد بن سعيد، فضلًا عَنْ الدراهم.

قالوا: وكلام النّاس عَلَىٰ حِدةٍ، أن العجم لا يستحقون هذا؛ ولكن يستحقون بأن تضرب أعناقهم بالسّيف.

قالوا: وبعد مَا خيّم العجم ببركاء ثلاثة أيّام خرجت موائدُ كثيرةٌ للعجم في خوان[(٣)] رحبة، ودخل أكابرهم الحصن مع رسول أحمد بن سعيد، وعدد من دَخل الحصن من أكابريهم خمسون رجلًا.

---

(١) أي سنة ١٧٤١م.

(٢) في الأصل: لمَّا رجعوا العجم.

(٣) في الأصل: خواني، والصواب حذف الياء، والخواني جمع خوان بكسر الأول وهو مَا يؤكل عليه الطعام.

فَمَـا كان بعـد دخولهم الحصـن إلَّا بقدر ساعة مـن النهار إلَّا وضـرب طبلٌ في الحصن، ومعه مُنادٍ ينادي: ألا من لَهُ في العجم وترٌ[١] فليأخذه منهم.

قالوا: فما استتم كلامه إلَّا والصّائح[٢] عَلَىْ العجم من كُلِّ مكان، فخرج الصغير عليهم خلف الكبير من أهل بركاء، ومن انضاف إليهم من أهل سائر البلدان، فوضعوا فيهـم السيف، ففشا فيهـم القتل وَمَا بقـى منهم إلا بقدر مائتي رجـل، يصحيون، الأمـان، الأمان يا أحمد، فلمَّا بلغ أحمد كلامهم نـادى المنادي من الحًصن، ارفعوا عنهم السيف. فَرُفع السيف عنهم كما أمر.

قالوا: وأمَّا أكابرهم الذين دخلوا الحصن فقتلوا جميعًا.

قالوا: ثم إنَّ أحمد بن سعيد أمر عَلَىْ أهل سفن بركاء أن يُعبّروا مَنْ بقى من العجم إلى بنـدر العبّاس، فلمَّا بلغوا بهم حِذاء جبـل السّوادي خرقوا بهم السفنَ، وسبحوا هُمُ إلى[٣] البَرِّ، وهلك العجم كافّةً بالغرق.

قالوا: ثم إن أحمد بن سعيد أمر عَلَىْ خميس بن سالم السعيدي برجوعه إلى مسقط، وأن يصحبه كُلُّ مَنْ كان يسكنها أو يسكن مطرح، وهرب منها خوفًا من العجم.

وكان أهل مسقط ومطرح وأهل وادي حطاط قد هربوا كافّةً خوفًا من العجم إلى بركاء.

فلمَّا مضى خميس بهم، ووصل[٤] أهل مسقط إلى مسقط لم يعرف أهلها الساكنو حللهـا الخارجة من السور حـدود بيوتهم من الخراب بمرابـط الخيل العجم، وكثرة روثها[٥]، فاقتتلوا مع المغالطة، فكان عدد قتلاهم ستين رجلًا.

ثم إن خميس بن سالم قسم بينهم المكانات التي اشتجروا فيها بالتحري، وبارًا[٦] بينهم في الدّماءِ، فصارت مسقط[٧] ومطرح في عمار بعد الخراب.

---

(١) أي ثأر.

(٢) يعنى الصارخ، وفي الأصل: الصايح بالياء.

(٣) حرف الجر إلى زيادة من المحقق.

(٤) في الأصل: ووصلوا أهل مسقط.

(٥) الروث: جمع روثة وهي قذارات الخيل.

(٦) أي أبرأ.

(٧) كلمة مسقط ساقطة في الأصل: وهي زيادة من وقع المحقق.

ثم مضى أحمد بن سعيد إلى الرستاق ففتحها، ومضى إلى سمائل فاستخلصها بغير حرب، ومضى إلى إزكي فأذعنت له، فقبض حصنها بغير نزاع، ثم مضى إلى نزوى فسلّمت له، ثم مضى إلى بهلا فأطاعته وقبض حصنها.

وأتاه سليمان بن محمّد بن عدي اليعربي من سمد الشأن، وكان سليمان بن محمد واليًا للإمام سلطان بن مرشد، أيّام حياته، فسلّم محمّد له الحصن، فقبضه أحمد بن سعيد، وأنعم عليه بحصن نخل، وتعاهدا ألّا يخون أحدهما صاحبه.

فهذا سبب انتقال ملك اليعاربة إلى الإمام أحمد بن سعيد، وما بقى للإمام أحمد ابن سعيد منازع من اليعاربة إلا بعد مدّة طويلة: بلعرب بن حمير اليعربي.

وقتل في وقعة فرق، وهي وقعة شديدة كانت بينه وبين الإمام أحمد بن سعيد، فكانت الغلبة فيها للامام أحمد بن سعيد، وقتل بلعرب المذكور، وقتل من قومهِ خلقٌ كثيرٌ.

وكانت بين هذه الوقعة والوقعة التي بالطيّب من الظاهرة من المدة اثنتا عشرة[(١)] سنة، وهي حرب جرت بين الإمام أحمد بن سعيد وبين ناصر بن محمّد بن ناصر الغافري.

فكانت الغلبة فيها لناصر بن محمّد، وقتل من قوم الإمام أحمد بن سعيد اثنا عشر ألفا.

قولُهُ:

فَـذَا عَـدُّ الأئِـمّـة مِـنْ عُـمَـانٍ فَـمَـا أَلِـفَـتْ وِلَايَـتـهُـمْ سِـبَـابَـا

ذا بمعنى هَـذَا، والعدُّ كالعديد، بمعنى واحدٍ، والأئمة واحدُهُمْ إمام، وعُمَان قد مضى فيها الكلام، وقولُه: فَمَا بمعنى مَا، وهو حرف نفي لِمَّا بعده، وألف الشيء الشيء إذا لازمه، وهو من الإلف، والولاية ضِدُّ البراءة.

أي: فما ألفت ولايتهم سبًّا، يعني: أئمة عُمَان، الذين ذكرهم في هذا الكتاب عَلَىٰ الآحاد إلى الجملة. والسبُّ والسِبّاب بمعنى، وهو القول الذميم والشتم.

وحصولُ المعنى الكُلّي من هذا البيت: أنَّ عدد الأئمة الذين عدّدهم في هذه القصيدة عَلَىٰ التفصيل، أوّلهم: الْجُلَنْدَى بن مسعود، وآخرهم سلطان بن مرشد اليعربي.

---

(١) في الأصل: اثنى عشر.

فـكان جملة عددهم خمسة وعشـرين إمامًـا، مَا ألفت ولايتهم في الدين سبابًا من المسلمين.

قولُهُ:

فَحَسْبُهُمُ صَنِيعُهُمُ سُرُورًا يُجَزِّيهِم إِذَا شَهِدوا الْحِسَابَا

هـاءُ حَسْبُهُـمْ راجـعٌ ضميرُهَـا إلى أئمة عُمَـان الذين ذكرهم في هـذه القصيدة بالفضـل، ووصفهم بالعدل، والصنيع الفعلُ، والسـرور، والجزاءُ معروفان، وشهد المـرءُ الشـيء يشهده إِذَا رآه، والحسـابُ هُنَا المناقشة يوم القيامـة، وتعني جملة هذا البيت: وكفى أئمةُ عُمَان المشهورين بالعدل صنيعهم، فهو به سيجزيهم الله الوهاب السـرورَ والثواب إذا شَهدُوا يوم القيام الحِساب.

الفهارس

فهرس الإعلام

حرف الألف (أ)

حرف الباء (ب)

حرف التاء (ت)

حرف الثاء (ث)

حرف الجيم (ج)

حرف الحاء (ح)

حرف الخاء (خ)

حرف الدال (د)

حرف الذال (ذ)

حرف الراء (ر)

حرف الزاء (ز)

حرف السين (س)

حرف الشين (ش)

حرف الصاد (ص)

حرف الضاد (ض)

حرف الطاء (ط)

حرف العين (ع)

حرف الغين (غ)

حرف الفاء (ف)

حرف القاف (ق)

حرف الكاف (ك)

حرف اللام (ل)

حرف الميم (م)

حرف النون (ن)

حرف الهاء (هـ)

حرف الواو (و)

حرف الياء (ي)

فهرس الأماكن والمواضع والبلدان

حرف الألف (أ)

حرف الباء (ب)

حرف التاء (ت)

حرف الجيم (ج)

حرف الحاء (ح)

حرف الخاء (خ)

حرف الدال (د)

حرف الراء (ر)

حرف الزاء (ز)

حرف السين (س)

حرف الظاء (ظ)

حرف العين (ع)

حرف الغين (غ)

حرف الفاء (ف)

حرف القاف (ق)

حرف الكاف (ك)

حرف اللام (ل)

حرف الميم (م)

حرف النون (ن)

حرف الهاء (هـ)

حرف الواو (و)

حرف الياء (ي)

قائمة محتويات الكتاب


تم بحمد الله